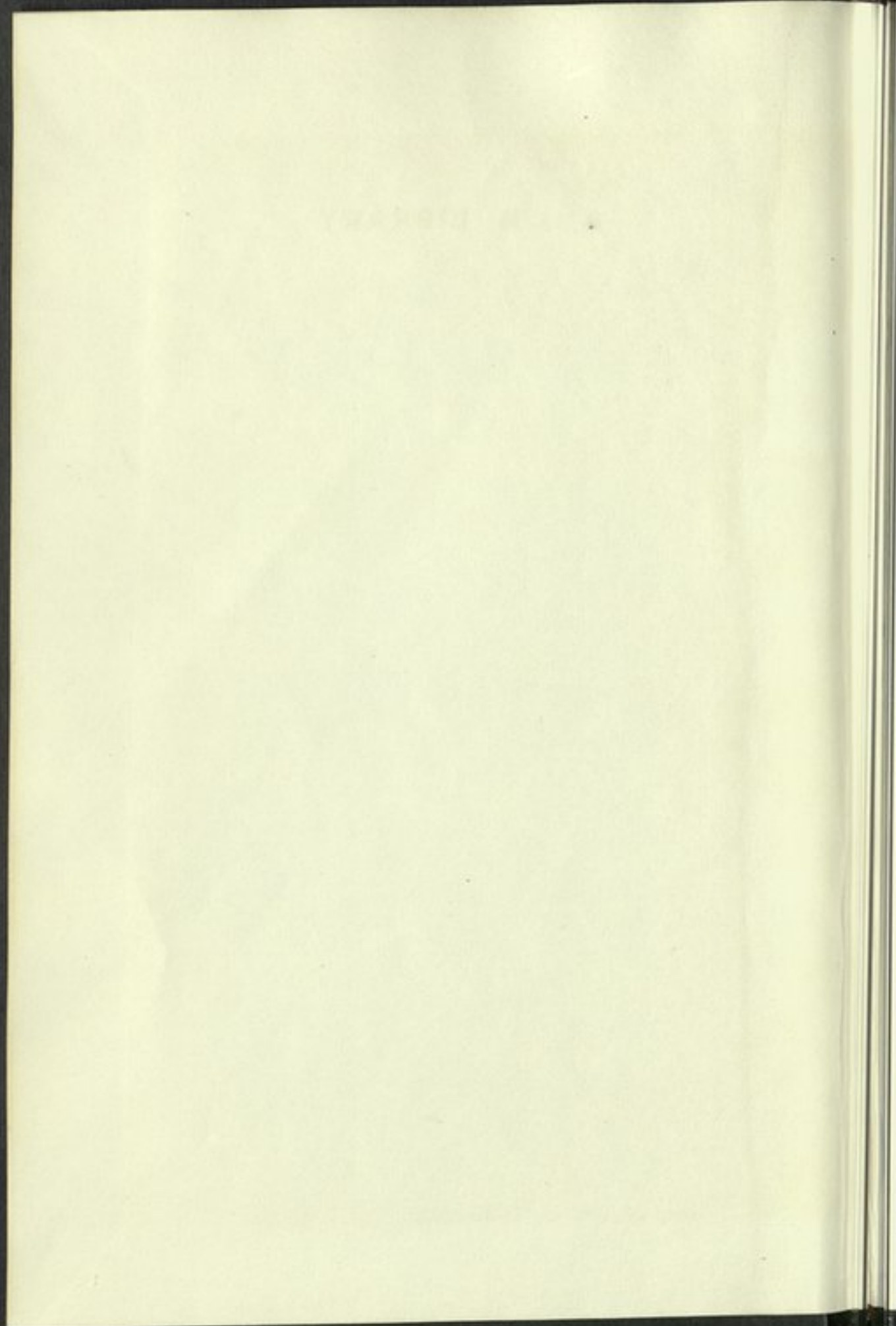
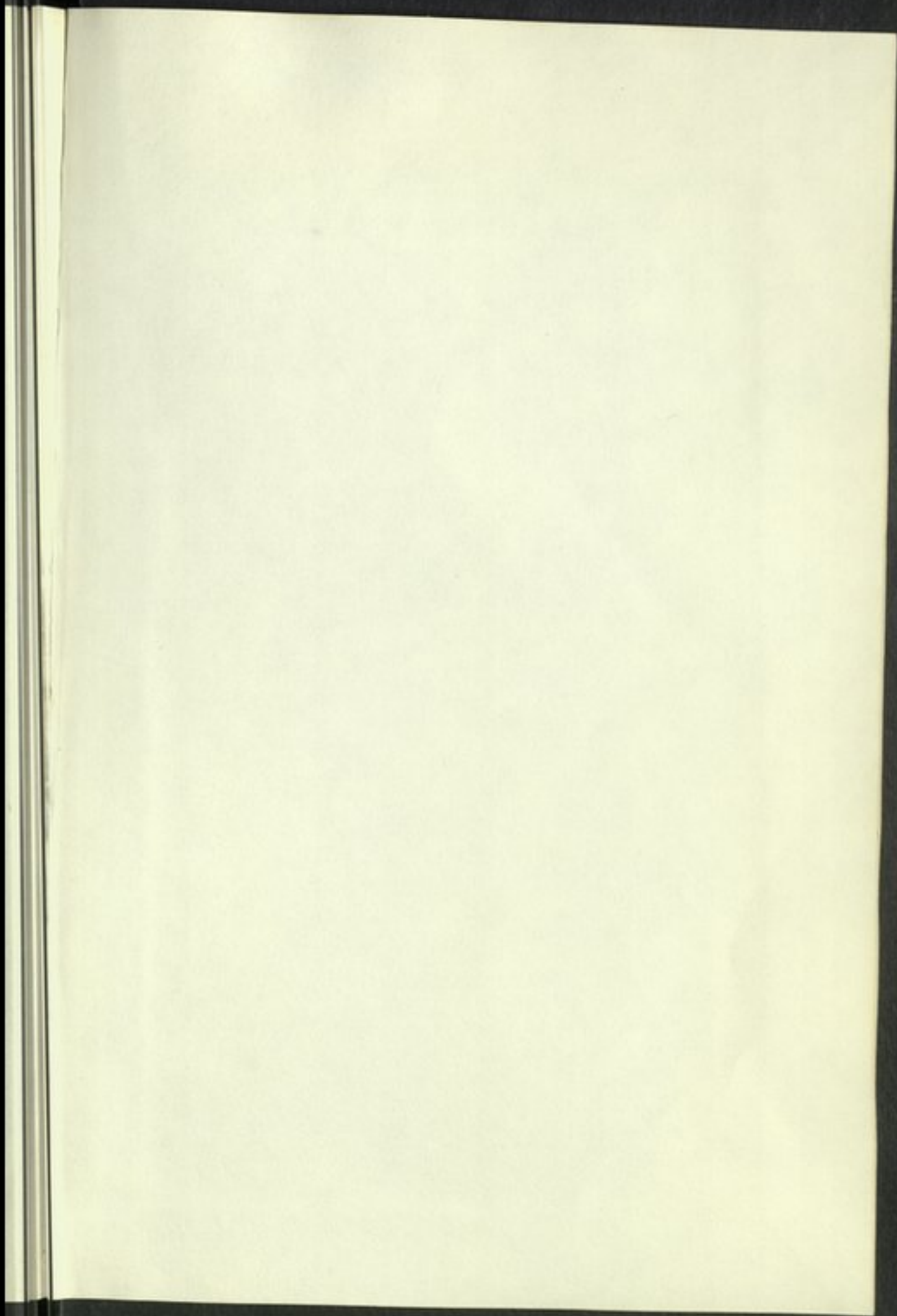
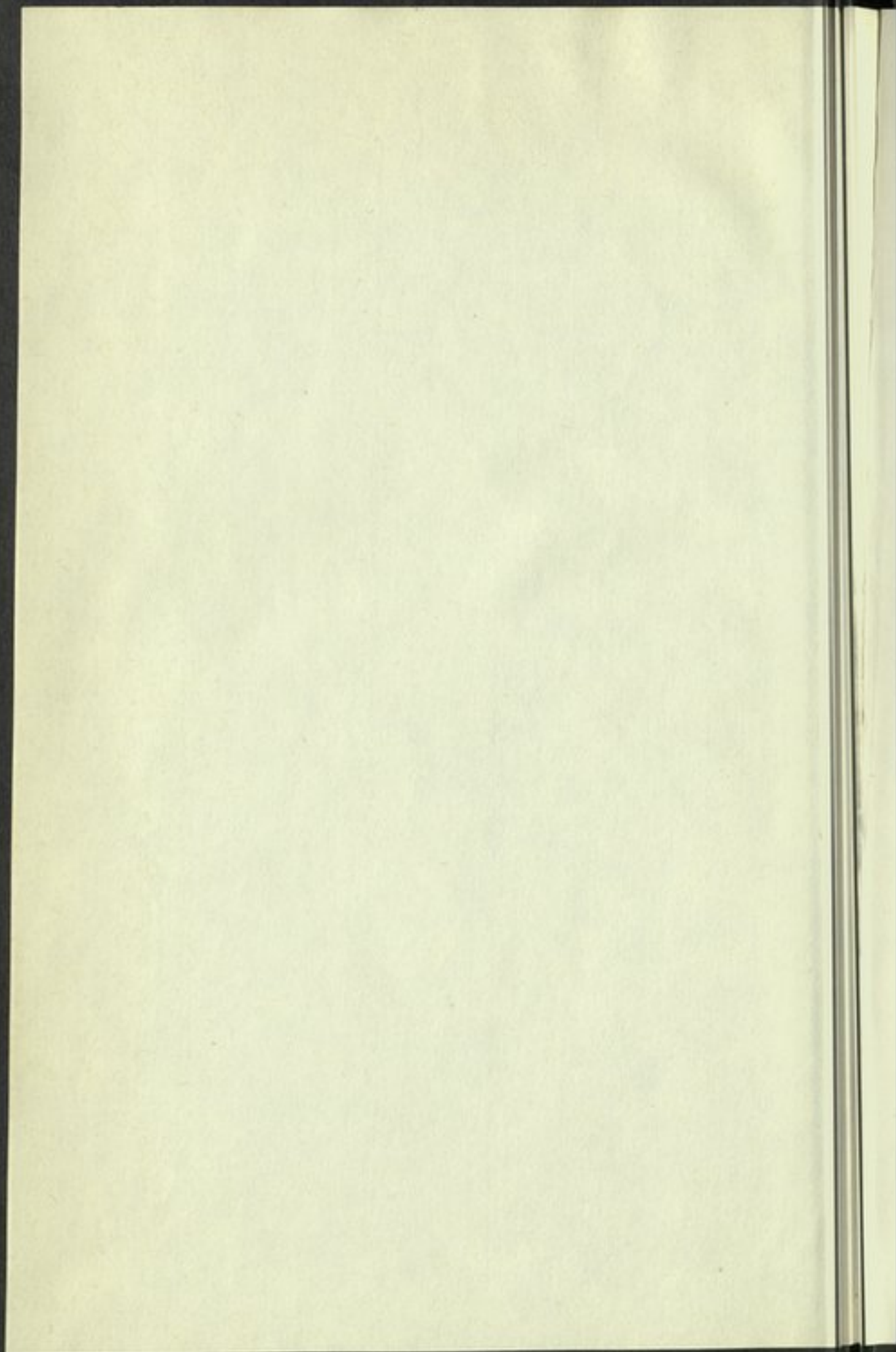
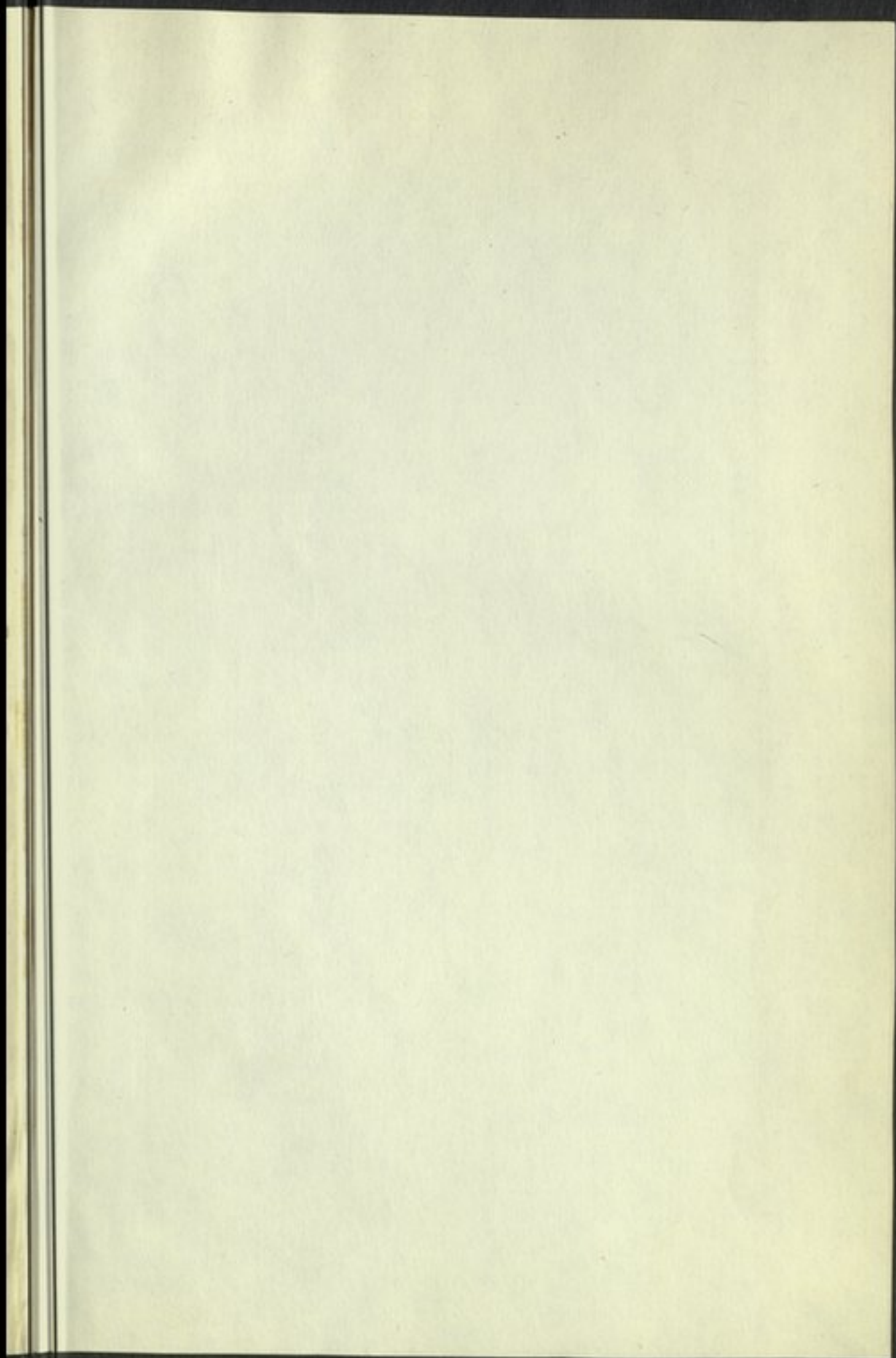


A. U. B. LIBRARY









915.3

R26m A

V. 2

C. 3

مُلُوكُ الْعَرَبِ

او

رجلة في البلاد العربية تشتمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزينة بالخرائط والرسوم

تأليف

امين الشجاني

المجزؤ الثاني

سلطنة نجد وملحقاتها

الكويت - البصرة - العراق

الطبعة الثانية

وقد صححها المؤلف وزاد في أحوالها

69481

طبع في المطبعة العلمية ليوسف صادم

ببيروت سنة ١٩٢٩

Cat. Sept. 1950

بمجاناً



مفوضة الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

ديوانه

فهرس الجزء الثاني

القسم الخامس

عبد العزيز آل فيصل آل سعود سلطان نجد

صفحة	
١٠	سلطنة نجد وملحقاتها
١٢	الفصل الاول : شئنا حريميله فشاء الله اخصرمه
١٦	الثاني = في بغداد
٢٣	الثالث = في البحرين
٣٠	الرابع = في ظل الشراع
٣٤	الخامس = الملتقى في النفود
٤٣	السادس = في موكب السلطان
٤٩	السابع = السلطان عبد العزيز
٥٤	الثامن = بين العراق والحجاز
٦١	التاسع = مؤتمر العقير
٦٩	العاشر = العدل اساس الملك
٧٧	الحادي عشر = الاخوان
٨٤	الثاني عشر = في القصر بالرياض
٩١	الثالث عشر = وتفعل فوق ما فعلوا
٩٧	الرابع عشر = الوثيم
١١٠	الخامس عشر = التقصيم
١١٨	السادس عشر = الدهناء
١٣٤	السابع عشر = الحفر

القسم السادس

آل صباح شيوخ الكويت

	صفحة
الكويت	١٤٦
في الكويت	١٤٧
آل صباح	١٥٢
امراء الكويت من آل صباح	١٦٠
مشكل الكويت	١٦١
الشيخ احمد الجابر آل صباح	١٦٦
الشيخ خزعل	١٧٠

القسم السابع

آل خليفه شيوخ البحرين

البحرين	١٧٨
سلسلة من المدهشات	١٧٩
مهد الحضارة والشراع	١٨٩
البحرين	٢٠٢
البحرين في التاريخ الاسلامي	٢٠٨
آل خليفه	٢١٨
الشيخ عيسى والانكايذ	٢٣٥
النهضة الوطنية	٢٤٢

القسم الثامن

الملك فيصل والعراق

	صفحة
العراق	٢٥٢
من العروبة الى التغرب	٢٥٣
لا حكومة ولا انتداب	٢٦٨
مآدب الغم	٢٧٥
الامير فيصل في الحرب	٢٨٤
معان وعمان	٢٩٢
مناطق الفوضى	٢٩٧
لجنة الاستفتاء الاميركية	٣٠٦
مرجعيون	٣١٤
ملك سورية	٣١٩
ميسلون	٣٢٥
الثورة في العراق	٣٢٩
فليحي الملك	٣٤٠
المعاهدة	٣٤٥
اصحاب المعالي	٣٥٢
اصحاب القوافي	٣٧٥
حجر الزاوية	٣٩٩
الخاتمة او تنمة البحث في الوحدة العربية	٤١١
فهرس الاعلام الموجودة في الجزء الاول والجزء الثاني	٤١٧

فهرس المطارطات والرسم

	بين صفحتي
عظمة السلطان عبد العزيز آل فيصل آل سعود	٩ - ٨
عظمة السلطان على ظهر جواده	٤٩ - ٤٨
مؤتمر العقير	٦٥ - ٦٤
قصر الرياض	٦٥ - ٦٤
سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح	١٤٥ - ١٤٤
مصنع السفن في الكويت	١٦٣ - ١٦٢
نوتيون يخيطنون الشراع في الكويت	١٦٣ - ١٦٢
خارطة مقاطعة الاحساء	١٧٦
الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة	١٧٧ - ١٧٦
ميناء البحرين	١٨٩ - ١٨٨
الرسالة الاميركية في البحرين	١٨٩ - ١٨٨
الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين	٢٠٥ - ٢٠٤
جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي	٢٥١ - ٢٤٨
زاوية في كلية النجف	٢٧٣ - ٢٧٢
النجف ومشهد الامام علي	٢٧٣ - ٢٧٢
جلالة الملك في قيافته العربية	٢٨١ - ٢٨٠
في بيتان نخري آل جميل	٢٨١ - ٢٨٠

رحم الله كل من قال شعراً

انا لعمرك لا يضام — حليفنا ابدأ لدينا

عبيد به الابرص

اذا ما الملك سام الناس خسفاً أيننا ان قر النمل؟ فينا

عمر به كلثوم

قالوا: الطراد قفلنا، تلك عادتنا او تنزلون فانا معشر زكزل!

الاعشى صموه

وما يك من خير اتوه فانما توارثه آباء آباهم قبل

زهير به ابي سلمى

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بين قلول! من فراع الكتاب

النافع الزبياني

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

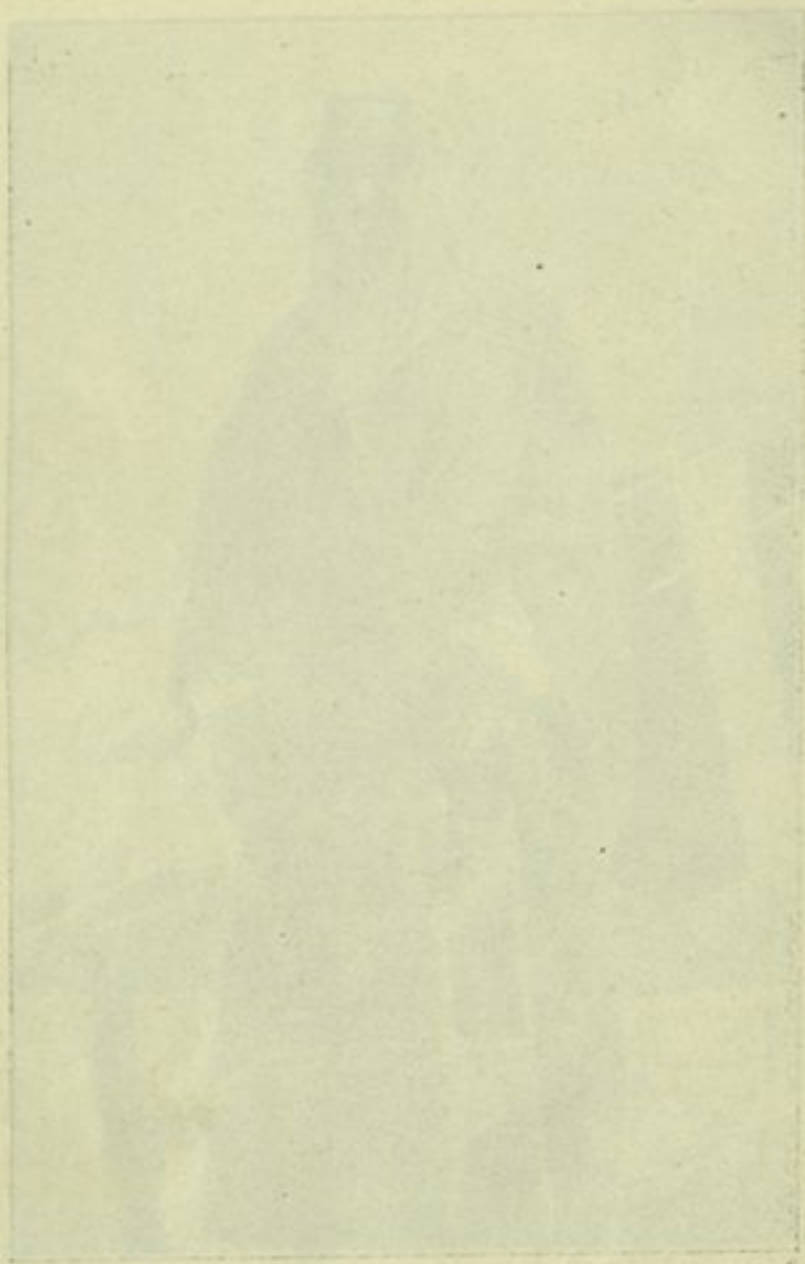
THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE

THE HISTORY OF THE



Handwritten text in Arabic script, likely a signature or a note, located below the watermark.



عظمة السلطان عبد العزيز آل فيصل آل سعود

سلطنة نجد وملحقاتها^(١)

حدودها : شرقاً خليج فارس من الجافوره وقطر الى رأس المشعاب ثم منطقة الحياض : نجد والكوبت من رأس المشعاب الى رأس القليّة .

جنوباً خط يمتد من أبيها في عسير الى ملتقى الخطين الثامن عشر من العرض الشمالي والسادس والاربعين من الطول الشرقي ، ثم يدور شمالاً الى السيليل ومنها حول الربع الخالي شرقاً الى الاحقاف فحدود قطر فالجافورة حتى الخليج .

شمالاً منطقة الحياض بين نجد والعراق ، وهي في شكل قطعة بقلاوة بين الخطوط ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من العرض الشمالي والخطوط ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ من الطول الشرقي ، ثم خط يمتد من قرب شعب الاعوج شمالاً الى بير ليفه ، ثم شمالاً بغرب الى بير مئيبا فجد يده فجل عنيز الكائن بين الخطين ٣٢ و ٣٣ من العرض الشمالي والخطين ٣٩ و ٤٠ من الطول الشرقي .

اما غرباً من جبل عنيز الى شرقي الاردن ومن شرقي الاردن الى آخر الحجاز الجنوبي الغربي فلا تزال الحدود مختلفاً عليها . الا ان الجوف وحرّة خيبر هما اليوم في حوزة سلطان نجد .

عدد سكانها : نحو مليوني نفس .

(١) محافظة على التاريخ اقيمت اسم سلطنة نجد وحدودها كما كانت يوم رحلتي ويوم صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب . اما تطور البلاد النجدية واتساع حدودها ومبايعة سلطانها ملكاً بعد ذلك فقد دونت اخبارها في كتابي « تاريخ نجد الحديث »

صاغرها : نحو خمسمئة الف ميل مربع .

اهم قبائل نجد : مطير وحرّب وعتّيبه وسبّيع والدواسر والمجمران والعتّوازم والسهول وبنو مرّة وقحطان .

اهم بلدانها : الرياض وبرّيدة وعنيزة وحاريل وثرمدة وشقرا والمجعة وحريملة والمخوف والقطفيف .

عذاهبها : الوهاينة والشيعية وبعض السنة .

وهي ما كان يسمونه قحطان في بعض النسخ .

الفصل الاول

شئنا حرّمه فشاء الله أضرمه (١)

العقبات الثلاث بيني وبين ابن السعود في فم البركان بعدن - الحمى والجدي والآنكليز - قلت نجد ، فقالوا : العراق - جاء الاذن بالسفر - الشرطة تستقبلي في بمباي - السفر الى العراق - مفبوط محزون - الامر الذي يتعاق بسفري . وكيل ابن السعود يصل الى بمباي - «مولانا السلطان يرحب بكم» - والآنكليز لا يأذنون - كتاب من كاتب اسرار الحاكم العام في الامور السياسية الى مدير الشرطة في بمباي .

كنت في لحج يوم كتبت الى عظمة السلطان عبد العزيز اطلمه على الغرض من رحلتي في البلاد العربية واستأذنه بزيارته والسياحة في بلاده . وكان بيني وبينه بحر الهند ثم النفود ثم الدهناء ثم الانكليز . اما العقبات الثلاث الاولى فقد كانت والحق يقال سهلة بالنظر الى الاخيرة . هي ذي العقبة الكأداء حقاً وقد يكون في قصتها عبرة للسياسيين وفائدة للسائحين والقراء . كتبت كتابي قبل ان سافرت الى صنعاء وارسلته بواسطة تاجر معروف في عدن ليرسله الى وكيل ابن سعود في البحرين ، وفي الكتاب رجوت من عظمة السلطان الامراع في الجواب عن يد وكيله القصيبي حتى اذا مررت بالبحرين في سفري الى العراق اتشرف بعلم تتوقف عليه خطتي في الرحيل . وكان في نيتي اذا كان الجواب بالايجاب ان اسوح في نجد قبل ان ازور العراق . هي خطة يوجبها المسلك الجغرافي وطرق البحر ، فضلاً عن الاقتصاد بالوقت والمال .

عدت بعد ثلاثة اشهر من صنعاء الى عدن واقمت فيها تحت مرادق القَيْظ ،

(١) مثل من امثال نجد يضرب بمعاكسات الزمان ، وحرّمه وضرمه بلدان في العارض هم يسكنون فاه الاسم فيقولون أضرمه

في فم البركان ، بين اشباح الجدرى والحى ، ستة اسابيع انتظر من اصحابي الانكليز اذنا بالسفر الى — الى نجد ؟ كلا . بل الى العراق . فان ابن سعود عند هؤلاء الاماجد شخص مقدس لا بدتو منه غير المقربين من قدس الاقداس على شاطي* التميميس . وانك اذا جهرت لاحد الوكلاء او المندوبين السياسيين في السواحل العربية برغبتك فضلاً عن الاستئذان نجد الرجل واحداً من ثلاثة : فاما انه يرحى* ويسوف سباسة ، او ينتم هزءاً ، او يرفض بتاناً . وقد لقيت الثلاثة في اولياء الامر بعدت . قلت : نجد ، فقالوا : العراق . قلت : ابن سعود ، فابتسموا ثم رفضوا : لا علاقة لنا بالرجل واموره . ثم جاني كتاب من الحاكم يقول فيه : قد وصلنا نبأ برقي من المندوب السامي في العراق يأذن لك فيه بالسفر الى بغداد . ومن كتاب آخر تلاه علمت ان لا بأس بمرورىء بالبحرين ، واني بعد مقابلة اولياء الامر في بغداد اسافر الى نجد اذا كان جواب ابن سعود يأذن بذلك .

كان قد مر اربعة اشهر ونيف على كتابي الى السلطان عبد العزيز ، فسافرت من عدن الى بمباي فاصداً من هناك البصرة ، وفي قلبي تشوق الى الجواب شديد . ولا اكنتم القارىء ان رغبتى بزيارة رجل نجد الكبير كانت تزداد شدة كلما تعددت وحالت دونه العقبات .

وصلت الى بمباي فوجدت ان امري موكل برجال الشرطة هناك . ولكنهم اكرموا وفادتي فزرت الدائرة ولم يكلفوني زيارة السجن . وقد اظهر المدير رغبته في التعرف الى هذا السائح العربي الاميركي الذي تفتح له ابواب افقت مراراً دون سواه ، اذ ان السفر في تلك الايام حتى الى العراق كان محظوراً على غير الانكليز . وقد علمت ان بعض التجار الاميركيين انتظروا شهرين في بمباي ليحيتهم الاذن بالسفر الى العراق ، وكانوا بعد ذلك من الخائبين . فلا عجب اذا اكرر امري . وقد ظهر لي ، بعد ان اتمت اسبوعاً في بمباي وتحدثت وبعض رجالها من تجار وكتاب وسياسيين ، اني من المغبوطين في سفري الى بغداد . ولكن ذلك لم يسرفني كثيراً .

شئنا حريمه فشاء الله أضرمه . قال المدير : أمرنا بان نسهل طريقك الى العراق . واطنهم اي « اولياء الامر » في ما كتبوا الينا يقولون ان لم يصلهم بعد الجواب من ابن سعود . ساجت عن الامر وارسل نسخة اليك اذا شئت . شكرت للمدير هذا التلطف وعدت الى النزل فاذا بعض التجار والادباء من المسلمين ينتظرونني هناك . وقد اخبرني احدهم - وما كان حديثي في تلك الايام ليخلو من سؤال عن نجد وسلطان نجد - ان عبدالله القصبي وكيل ابن سعود في البحرين وصل صباح ذلك اليوم الى مبياي . فبادرت في اليوم التالي اليه بصحبي الحاج علي رضا زينل احد كبار التجار في الهند وفي الحجاز .

وكان موضوع الحديث السلطان عبد العزيز وكتابي اليه . قال الوكيل : نعم وصلنا كتابكم بوقته وارسلناه الى حضرة الامام ، فجاء الجواب مرحباً بكم وقد امرنا باعداد كل ما يلزم من اسباب السفر والراحة عند وصولكم الى البحرين . ثم قال : ونحن من زمان ننتظركم . ابطأتم في السفر او انكم غيرتم في الخطة التي كتبتم الى حضرة الامام عنها . قلت : لا التغيير ولا الابطاء بيدي . فقال : بل بيد الله . فقلت مستفهماً : واصحابنا الانكليز ؟ فضحك الوكيل وسكت . وبعد رجوعي الى النزل استلمت كتاباً من معاون مدير الشرطة ضمنه نسخة الامر المتعلق بسفري ، وهذه ترجمته الحرفية :

رقم ٣٥٨ -

الدائرة السياسية . مكتب كاتب الاسرار . مبياي في ٢٢ آب سنة ١٩٢٢
من آي . ف . كيندرزلي كاتب اسرار حاكم مبياي في الامور السياسية
الى مدير الشرطة .

الموضوع سفر المستر امين ريحاني الى البحرين ونجد .

صبيدي :

جواباً على كتابكم رقم ف - ٢٠٧١ المؤرخ في ٢١ آب سنة ١٩٢٢

اقول ان قد امرني الحاكم ان اخبركم لكي تحبوا المستر امين ريجاني
ان الاذن بسفره الى نجد لم يصلنا حتى الان ولكنه منتظر في البحرين .
اما سفره الى العراق فلا اعتراض عليه . وفي كل حال يجب ان يسافر
اولاً الى بغداد . اشرف ياسيدي بان اكون

خادمكم المطيع
عن كاتب الامرار السياسية
دجاي . اراتون

اما التناقض بين كلام الوكيل ، وكيل ابن سعود في البحرين ، وبين امر
الحكومة ، حكومة بريطانيا العظمى في الهند ، فسوف ننجلي الحقيقة فيه
ان شاء الله .

الفصل الثاني

في بغداد

حقيقتان جوهريتان — مفتاح نجد — انكليزية عراقية — ولا تزال امرأة —
 التقارير السرية — الملك فيصل — صراحة بحدود — سكوت يشف عن الريب —
 وما الغرض الحقيقي من رحلتي؟ — «جزيت على ابتسام بأبسام» — المندوب
 السامي — حادث العيد في القصر — زيارة ابن السعود — اشد العقبات —
 «واتقن الانكليز» — المحفلات الادبية — اما السياسة فالبيداء دونها —
 تباركت المرأة — الباب يفتح — تعلني بالعود — «سأبقى في بغداد الى ان
 يجيئني الاذن بالسفر الى نجد» — صوت في الهاتف يقول: «ستسافر مع المندوب
 السامي» — ما قضت به الحكمة .

لم يؤذن لي بالسفر الى البحرين .

شئنا حرمه فشاء الله اضرمه . وصلت الى العراق وقلبي يتحدثني بنجد ،
 وفكري يبعثني عن حسن الظن بالانكليز . وقد وجدتهم في بغداد ، كما هم في
 بيبي ، الاسياد المطاعين بالرغم عن النهضات الوطنية والدسائس السياسية . ثم
 بدت لي حقيقتان جوهريتان استنرت بهما قولاً وعملاً في عاصمة العباسيين .
 الحقيقة الاولى هي ان مفتاح نجد للاجانب الذين ينفون الدخول الى تلك البلاد
 من الجهة الشرقية انما هو بيد المندوب السامي . اما الثانية فهي ان الباب قلما يفتح
 لغير الانكليز ، بل لاولئك القلائل منهم المنتدبين لامور سياسية او المقربين من
 النظارة الخارجية . وقد رفض الوكيل السياسي في خليج العجم غير مرة ان
 يأذن لبعض اطباء الامير كيين في البحرين بالسفر الى نجد . هذه هي الحقائق
 الراهنة التي جبهت بها في الدوائر السياسية وغير السياسية . بسما لجسارتي بل
 لجهالتي في الحديدة ، واحالوني في عدن على المندوب السامي ، وسوفوني في بيبي .
 فماذا عسى ان يكون من امرهم في بغداد ؟

بعد ان زرت جلالة الملك فيصل على شاطيء دجلة الشرقي جئت الى دار
 الوكالة في الشاطيء الغربي ، لاقابل السيدة جرتروود بل كاتبة امرار المندوب .

السامي في الامور الشرقية . والعراقيون يدعونها الخائون . الا انها في قوامها ونحوها وتيقظها انكليزية لا غبار عليها . كانت المقابلة الاولى في مكتبها . وكانت ، وهي القابضة على زمام الحديث ، تدخن السيكارا تلو السيكارا ، ثم تنهض عن الديوان فتخط في القاعة ، ثم تجلس وترفع رجلاً على رجل وهي لتكلم ثم لتكلم بدون انقطاع . فقلت في نفسي : لا تزال الخائون امرأة والحمد لله . عرضت امامي عقلياً في الجلسة الاولى فاعجبت به ، وكشفت الحجاب عن زاوية من قلبها فدهشت . بل كادت ترفع الستار السامي كله لتربني انها اخلت العمل لفیصل والعراقيين ، وان الانكليز لا يزالون اصدقاء العرب واقرب الناس اليهم . ثم قالت : لا شك انك تيقنت ذلك في رحلتك يا امين افندي .

كنت شاكرًا لانها لم تقف لتسمع جوابي ، بل استمرت في الحديث . واطلعتني على امور تتعلق برحلي لم يدهشني علمها بها ، لاني اعلم ان وكلاء انكلترا السياسيين و مندوبيها في البلاد العربية يتبادلون التقارير السرية من حين الى حين . ومنهم من يكتب تقريره كل اسبوع فيرسل نسخاً منه لزملائه في مصر والسودان والعراق والهند الغربية .

عادت السيدة جرترود الى الملك فيصل الذي كان في تلك الايام غاضباً على المندوب السامي وعليها ، فلا يوقع المعاهدة المشهورة بين الانكليز والعراق فقالت : قد سمعت سعيًا متواصلًا من اجل الملك فيصل ، فاقنعت رؤساء العشائر واستملمتهم اليه . كانوا يقولون لي يا امين افندي : هذا حجازي اجنبي . وكنت اقول لهم : انا اكفله ، انا الكفيل . صدقني يا امين افندي اني احب العراق اكثر من حبي بلادي . انا عراقية .

تفقت في مجلس الخائون وتفككت . على ان اعجابني بها وهي امرأة كان اقل من ارتياجي بشأنها وهي ولية الامر او ولية العشائر في العراق . ولا يظنن القاري ان كاتبة المندوب السامي باحت بكل امرارها الشرقية والعربية والعراقية في الجلسة الاولى . لا ولا في الجلسات العديدة التالية . فهي من هذا القبيل تكذب ما نشبعه نحن الرجال عن النساء .

ما جئت على ذكر السيدة جرترود في هذا الفصل من الكتاب الا لانها كانت في عهد السر برمي كوكس ثقبض على مفاتيح الامور السياسية في العراق ، وفي البلدان العربية والعجمية على الخليج التي يتولى المندوب السامي البت في شؤونها . ومفتاح نجد من هاته المفاتيح ، فهل تاذن به يا ترى ؟

سألتهما سؤالاً دون ان اكشف عما جال في صدري من الريب بحسن نية زملائها ، ودون ان اشير الى التناقض في ما قاله لي وكيل ابن سعود وما كتبه حاكم بياي ، فتغيرت عندئذ لهجتها وتغير اسلوبها ، فلم تجبني بالصراحة التي عرضت امامي مثلاً منها في حديثها عن العراق . ذلك لانها كانت لا تزال في ريب مما قد يكون من امري وسلوكي السياسي في بغداد . اجئت مبشراً بالوحدة العربية ، ام جئت اضرم نار الثورة على الانكليز ؟ اجئت انصر الحزب الوطني او الحزب الحر او اصحاب الائتداب ، ام جئت من اميركة رسولاً سرياً لشركة من شركات النفط هناك ؟

هي بعض الاشاعات التي انتشرت في بغداد وحامت على مكتب الخاتون ، ولكنها لم تتنازل ان تسألني سؤالاً واحداً صريحاً بخصوصها . بل كانت في حديثها تشير اشارة الى ما فيه الحجة الراهنة — بحسب ظنها — على علمها الوافر الشامل بكل ما يختص بالسياسة الانكليزية في البلاد العربية . اظنها اتخذت سكوتي دليلاً على الاقتناع ، او انها قرأت فيه شيئاً من الميل الى التصديق . واللوم او بعضه علي . فقد كنت حتى في ابتسامي اول مرة قابلت الخاتون غير الرجل الذي اعرفه ويعرفه الناس . وما ذلك الا خوفاً ان تحول امرأة دون رغبتني ، فداريتها في دارها . على اني لم اخاطب ، ولم اداجر ولا جمجت الكلام في كل ما القيته من الخطب في بغداد . خرجت من مكتب المس بل وفي نفسي يتنازع الريب والامل . هي الحاملة المفتاح ، مفتاح نجد ، فهل تفتح لي الباب ؟^(١)

بعد ذلك قابلت المندوب السامي السر برمي كوكس ، فكان تقيض كاتبة

(١) في الفصل الرابع عشر من القسم الثامن صفحات ٢٧٢ - ٢٧٤ تنمة الكلام على هذه الامراة الفتنة التي توفيت في صيف سنة ١٩٢٦ في بغداد رحما الله .

امساره الخاتون في انه اولى جليسه اولاً الحديث . سألتني سوالات تتعلق
برحلي فاجبته عليها بصراحة زمامها التحفظ . ثم ذكر حادثة القصر عندما
راح يهني الملك بعيد جلوسه ، فتكلم بما يهري . نفسه من العسف والاستبداد
في نفيه زعماء الحزب الوطني واقفال جرائده وناديه . ثم انقلنا في الحديث ،
فاخبرني حضرة المندوب ان في نيته زيارة السلطان عبد العزيز قريباً ، وله
يتوفق الى رفق الامر بينه وبين العراق . وهناك معاهدة يريد استئناف
المفاوضات بخصوصها .

قلت : زيارتكم اذاً في سبيل السلم والولاء بين اثنين من ملوك العرب .
فقال : بل اكثر من اثنين ، وان اقصى تمنياتي ان امهد سبيل الاتفاق والولاء
ما استطعت . فقلت : هو كذلك فصدى وسعي . خذني معك اذاً الى ابن سعود
فاخدمك في ما تأذن به ولا اتقاضك والحكومة الانكليزية اجرة على ذلك .
فضحك وناه بكلمة لم اسمعها ، لان الخادم دخل اذ ذاك يقول : الغذاء حاضر .
فاستأذنت وانصرفت .

خرجت من مكتب المندوب كما خرجت من مكتب الخاتون متيقناً ان محجتي
لا تزال بعيدة ، بل ان العقبة الاخيرة بيني وبين نجد هي كما قلت في اول الفصل
اشد العقبات كلها . وليس الذنب في ذلك ذنب ابن سعود . فقد اجاب على
كتابي كما تقدم بالايجاب والترحاب . بيد ان للانكليز في سياسته عوامل
يتساهل احياناً بالعرض منها ليمكن من مقاومة ما هو جوهرى خطير .

جلست اسأل نفسي واناقتها : هل يمنعونك وانت اميركي ؟ قد منعوا غيرك
من هذه التبعة ، وهم بكرهونها في العراق . الا يستطيع فنصل اميركة السعي
من اجلك كما فعل زميله في عدن ؟ هو لا يعترف بالعجز ولا يتيقن الفوز اذا
سعي . الا يقدرين خدماتك في اليمن وعسير فيجازونك عليها ولو باجازة سفر
الى نجد ؟ الانكليز لا يعترفون رسمياً بخدمات تقدم لهم مجاناً . قد يشكرون
وبعد ذلك لا يذكرين . واذا رغب ابن سعود بزيارتك وهم رغبوا عنها فاية
رغبة تحقق يا ترى ؟ لا رغبتك ولا رغبة ابن سعود . لان سلطان نجد

لا يغيظ الانكليز في صغيرة او كبيرة من اجلك .
 هذا ما كنت اعتقده بسياسة ابن سعود في تلك الايام . ولا ازال على شيء
 من الظن انها الخطة المثلى - وان كانت عليّ فلست الوم - في ما لا يضر
 بمصلحته ولا يجحف بحقوقه . فمن هو الريحاني ليعادي سلطان نجد الانكليز
 من اجله ؟ ومن هو ليتغلب على الانكليز ؟ عييت عن الجواب ، ولكنني لم افقد
 الامل ولا يئست . بل سررت جداً على الرغم من معقولي عندما قال المندوب
 السامي : سأزور قريباً ابن سعود . فرأيت نفسي - وما الفائدة من الخيال ومن
 الاحلام اذا كانت لا تشركك بنعيمها ؟ - رأيت نفسي مسافراً واياه الى
 الحسا . ولم يهمني اني في عملي هذا اثبت التهمة على نفسي . فيقول المخدوعون من
 الاصدقاء والاعدا : الا تزونه مسافراً والمندوب السامي ؟ فكيف لا يكون في
 خدمة الانكليز ؟ لا بأس بذلك . كنت اعود ، ساعة يستحوذ علي اليأس ، الى
 هذه الرؤيا فانتعش بها املاً بزيارة نجد كاد يتلاشى ، فينعشني الامل واسمع اذ
 ذلك همس صوت يقول : وانتغلبن الانكليز .

اقيمت الحفلات الادبية في بغداد ، الاولى والثانية والعاشرة ،
 وكانت الحكومة حكومة الانتداب تبعث بمن يسمع فيخبرها او يخبر بالحري
 المس بل بما اقول . واظنني هدمت جانباً من معقل الرب في اول خطبة
 فهدت بها . تباركت في مثل هذه المواقف المرأة ، فلنمها اسرع الى التصديق
 وحسن الظن من الرجل . دعيتني المس بل الى بيتها بعد ذلك مراراً . واقامت
 في مكتبة السلام التي هي رئيستها حفلة دعت اليها كبار العراقيين والانكليز
 وافتتحت هي الحفلة بخطبة ما اثر فيّ ثناء مثل الثناء فيها ، ليس لانه من امرأة
 عالمة فهيمة ، بل لانه من نفس احسنت بعد ان اساءت الظن ، واخلصت بعد ان
 اظهرت الوداد .

ومع ذلك كنت عندما اقول : نجد . نقول هي : العراق . وعند ما اقول :
 ابن سعود ، تعلاني بالوعود . ولى الشهر الاول ونلاه اسبوعان من الشهر
 الثاني في بغداد وانا رهين مكارم الادباء العراقيين ومعهم كما اشرت بعض

افاضل الانكليز . وقد تسنى لي ان ازور اثنا ذلك الاماكن التاريخية والاثار القديمة في العراق ، فلم يبق في النفس حاجة ولا في البلاد اثر يشغلني او يسلبني عن امنيتي القصوى .

متى شبع السائح من بلاد ما تقفل ابواب عقله دون الاستفادة منها كما كان من اسبابها ومظاهرها . شبع من العراق ، وسئمت الإقامة خصوصاً في بغداد لاني مرضت ثلاث مرات فيها بالحمى . زد على ذلك اني كنت مشتاقاً الى بلادتي واهلي ، فحدثتني نفسي مراراً بالسفر الى سورية . الا اني كنت ذلك عن المندوب وعن الخاتون ، وما اظهرت غير تلك الرغبة الشديدة في زيارة ابن سعود . بل أشعت في مجالس رسمية ان سوف لا التحرك من بغداد حتى يجيئني الاذن بالسفر الى نجد . الحرب خدعة وحرب الارادات لا تخلو من الخداع . اني على يقين ان لو علم المندوب السامي آتئذ بما جال في خاطري ، لو علم اني سئمت الإقامة في بغداد وكنت على وشك السفر الى سورية ، لسوفني اسبوعاً آخر ولا فلتحت سياسة الملاطفة والتأجيل . فأكون قد حرمت علم اهم ما في البلاد العربية اليوم .

ولكن المس بل اخذت الامر بناصيته عندما حان وقت السفر للمندوب السامي ووالتي معروفاً اسجله لها ، شاكراً سعيها وحسن ظنّها . كلمتني يوماً بالهاتف فقالت : ستسافر مع المندوب السامي . بيد ان سقوط وزارة لويد جورج في ذلك الحين اضطرت المندوب الى تأجيل سفره . وبما اني كنت وعدت ادباء البصرة بزيارة سافرت من بغداد قبله ، وفي نيتي حسب الاتفاق ان انتظره هناك ، فترافق الى البحرين ثم الى العقير .

امرت فيما تقدم الى مظهر في سلوكي الادبي والاجتماعي هو ثمرة الاسفار في البلاد العربية ، بل ثمرة الحكمة العمالية . فلولا تلك الحكمة كنت فشلت في اول المراحل وعدت خائب الامل . اجل ، قد داربت في بعض الامور ، واكثرها سطحية ، لأفوز بكل ما اروم من العلوم والاخبار . او بالحري كنت حريصاً على عادي عند ما كانت الصراحة تقيد . وقد كنت اشد تحفظاً وانقاء

في المعيشة والاسفار حباً بالرجوع سالماً أولاً الى اهلي وثانياً الى مهنتي .
 اذا ما الفائدة لمثلي من رحلة عربية اذا كنت لا اسلم فيها لأخبر عنها ولو في
 كتاب واحد ؟

كانت الحكمة العملية شرعتي اذاً ودليلي . فهي التي حملتني على السفر وحدي
 الى ابن سعود . واظننها كملت السر برمبي كوكس كذلك في الموضوع فانتصح
 مثلي بنصيحتها ، فابرق يخبرني بانه سيتأخر اسبوعاً ثانياً وان لي ان اسافر قبله اذا
 شئت . حسناً فعل المندوب السامي وحسناً فعلت انا كما سترى ايها القارىء العزيز .
 فاني اعدك بالصراحة فيما اكتب الان ، بكل الصراحة التي الفتها مني ، على شرط
 ان يكون فيها دائماً شيء من الفائدة او التفككة .

الفصل الثالث

في البحرين

بحدي يحذرنى من السياحة في نجد - رسول اليقين والخير - «عظمة السلطان ينتظركم في الحسا» - من سراديب بغداد الى قصور البحرين - في ضيافة وكيل السلطان - الشوق يهدم والفكر يشتغل - من هو ابن سعود؟ - ماسمته في الحجاز وفي العراق - رأي الانكليز - رأي اديب نجدى - كتاب من السلطان - ما تخبئه الصحراء .

وقد حاول بعض اصحابي في البصرة ان يحولوني عن عزمي وقصدي . قالوا اني لا اقوى على مشقات الاسفار في البلاد النجدية ، في تلك البلاد الغنية بالمفاوز والرمال . جسدوا في عيني المخاطر في ركوب البعير ، وفي الدهناء ، وفي بلاد البدو والاخوان . كنت ذات ليلة ضيف حضرة الفاضل احمد باشا الصانع متصرف البصرة ، وهو نجدى لا يزال يلبس العباة والعقال ، فقلت خلال الحديث عن اليمن : عند ما دخلت الى صنعاء احسست اني رجعت بقتة الى الجيل العاشر . فقال احمد باشا : وسترجع الى الجيل الخامس في نجد . ما لك وهذه السياحة وكها مشقات واطار ! يمكنك ان تزور ابن سعود في الحسا وترجع . هوذا نجدى يحذرنى من السياحة في نجد . فهلا انتصحت وارعويت ؟ لا انكر انه اعتراني آتئذ شي من الخوف .

على انه زارني في اليوم الثاني اديب من الادباء ، شاءت الاقدار ان يكون بعدئذ رفيقي في السفر وعشيرتي في الرياض ، فعرفت فيه العربي الحر ابن القفار والبحار الذي يسرك وبسي . اليك عفواً دون تكلف في احد الامرين . وسيجتمع القاري ، من حين الى حين ، بالسيد هانم ابن السيد احمد الرفاعي من الكويت . كان يومئذ في خدمة سلطان نجد كاتباً من كتاب ديوانه ، وقد جاء البصرة في مهمة رسمية ، فزارني يوم كنت والحق يقال في حاجة شديدة الى

زيارة مثله . حدثني السيد هاشم فزال ما كان يخامرني من الخوف في السفر الى نجد ، ومن الرب برغبة ابن سعود الحقيقية في زيارتي ، ثم قال : عظمة السلطان يعرفكم مما يطالعه عنكم في الجرائد التي تصله كل اسبوع ، وهو متشوق الى مشاهدتكم وينتظركم في الحسا . . . نعم ، السلطان عبد العزيز يحب الاجتماع بكل ادب عربي مخلص لبلاده . وقعت هذه الكلمات في اذني وقع الانعام المطربة . ولكنك قبلك السيد هاشم بين عينيه لوان الرسميات التي افتتها في البلاد العربية تسمح بذلك . الا ان القلب رقص طرباً دون ان يشين اربي او يحط من كرامتي امام الزائر الكريم . سافرت وانا في هذه الحال الى البحرين . ومن حسن الاتفاق ان السيد هاشم كان رفيقي في الباخرة .

البحرين ، جزيرة اللؤلؤ ، هي بعد الكويت اهم محطة في الجهة الغربية من خليج العجم لبواخر الهند وللتجارة بين الهند ونجد . وهي كذلك درجة امام الباب - باب نجد الشرقي - لا بد للمسافر ان يقف عندها فيستبدل فيها البخار بالشرع اذا كانت وجهته العقير او القطيف . وفي البحرين وكالة لابن سعود يرأسها عبدالله القصيبي احد اعضاء البيت التجاري المشهور هناك .

زلنا من الباخرة بعبيدين عن الجزيرة وسرنا في شراع فوق منازل اللؤلؤ الرافد تحت الامواج ، والبحر ساعتئذ رهو ، والهواء عليل ، وشمس الصباح تنهادى بين الاثنين . فبدت المئامة خلالها مشرقة بيضاء كأنها ابراج شيدت من اللؤلؤ . بل هي اميرة اللائي وقد صعدت من اماكن الغوص واستوت على عرش الخليج . وكان الشراع يهمس سلاماً كلما مر بشراع آخر ، وكلها مثل اجنحة الحمام تيمس وتنهادى على بساط من الزمرد ، كأنها تنلو القصائد في مديح ربة الدر ودرة البحار .

وما ساءنا ان وصلنا اليها لانها عن كئيب وعن بعد سواء . فمن الرصيف مرنا الى بيت على البحر جميل اعده القصيبي لضيوفه وضيوف سلطات نجد . وكنت انا والسيد هاشم في اليوم الاول سيدي تلك الغرف الفسيحة المشرفة كلها على الخليج ، وذلك الايوان الواسع الطويل المحيط بها من الجهات الاربع .

ثم انفردت في اليوم الثاني بالسيادة فانساني هذا القصر مراديب في بغداد كنا
 نأوي اليها في النهار ، وسطوحاً نلجأ اليها في الليل . ليست البحرين بنجد ولا
 من بلاد نجد اليوم . على ان ضيافة ابن سعود ومكارمه تبادر الزائر اليها لترحب
 به وتحببه باسم سيد العرب في بلاد العرب . جاءني القصيبي بكسوة وبخياط يوم
 وصلت فاصبحت في اليوم الثاني وانا عربي نجدي في ما تحت وما فوق الزبون^(١)
 وزرت في المحرق الشيوخ شيوخ آل خليفة فعلمت آسفاً اني اخطأت فيما سبق
 من امري فلم انزل ضيفاً عليهم . ولكني اتمت ببعض الواجب الادبي وكان عملي
 على ما اظن مرضياً .

عند دخولي البحرين فقدت حربي في ما يتعلق بالاسفار او بالحري تنازلت
 للسيد هاشم عنها . وكان من فضل الرجل انه وقف نفسه على خدمتي قبل ان
 ينتدبه السلطان لذلك . فمذ اليوم الاول في الجزيرة الى آخر يوم في الرياض
 توصلنا وتأخينا في ما يشمل العقليات وشيئاً من الروحيات . بيد انه لا بد في
 مثل هذه الحال من فترات تنقبض فيها النفس فتضيق الطريق ، ويسمى الرفيق
 الى الرفيق .

سافر السيد هاشم وحده الى الحسا ليجيب عن المهمة التي انتدب لها في
 البصرة ، فأرسلت معه كتاباً الى عظمة السلطان اخبره بوصولي الى البحرين .
 وعدت بعد ان خلوت بنفسي الى النظر في ما اجتمع لدي من الاراء المتضاربة
 فيه . عندما قربت من الرجل سكن الشوق قليلاً واستيقظ الفكر وما يلازمه من
 الهواجس والظنون . فقد كانت شوقي قبل وصولي الى البحرين كمنار الغضا
 تأججاً ، فاصبح وقد قربت محجتي ، وزالت - ذآلت - العقبة الكبرى ، كلهيب
 العرفج صامتاً هادئاً .

ذكرت ما قبل في الحجاز وفي العراق : ابن سعود بدوي جاهل ظالم . ابن
 سعود جلف ، لا قلب ولا دين له . هو من الخوارج ، بل من الذين يخذعون

(١) الزبون في الرائق وفي نجد هو القباء او ما يسمى في سورية القنباز .

ويناقدون باسم الدين . والاخوان رجاله ذئاب تعصب ضاربة يذبحون ويحمدون
الله . يسلبون وينهبون ، ويكفرون من لا يقتدي بهم . يشنعون بالقتل في الحرب
ويرتكبون من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . . . ان دعوة ابن سعود مذهبية
لذلك لا تنجح خارج نجد . لا أمن في الجزيرة ولا راحة للعرب ومطامع ابن
سعود السياسية تزداد يوماً فيوماً . هذا ما يسمعه الناس دائماً في الحجاز وفي
العراق ، وقد رددت مصر والشام صدى القطرين .

وذكرت ما قيل لي في الحديدة وفي عدن وفي دار الوكالة الانكليزية ببغداد :
ابن سعود رجل كبير . هو نابغة بلاده ، هو السيامي المحنك ، والقائد الباسل ،
والحاكم العادل . هو اكبر امراء العرب اليوم واقوام . . . رجل عظيم رجل
نجد . هو ابن البادية التي ينبغ فيها من حين الى حين كبار الرجال . فيظهرون
فجأة ويسودون الناس بالعقل قبل ان يسودوهم بالسيف . هذا ما كان يقوله
الانكليز وبعض العرب خارج الحجاز والعراق .

اما رأي الفريق الاول فصدره مكة والاشراف . بل هو ثمرة ذاك العداء
القديم الذي لا يزال مستحكماً بينهم وبين الوهابيين . ومصدر رأي الفريق الثاني
انما هو المشاهدة والمنقول عن شاهدوا . وقد يكون مصدره السياسة او المصلحة
السياسية . كنت اعجب عندما اغربل هذه الآراء المتناقضة في سلطان نجد لما
تبقى في الغربال فاقول : وشهادة الصديق مثل شهادة العدو ، اساسها الميل
والغرض . فلا تصدق الاشراف ولا تصدق الانكليز . الرجل حليف هؤلاء
وصديقهم ، وهو عدو اولئك الاكبر .

ثم اجتمعت في البحرين برجل يرى غير ما يراه الفريقان ، وهو ادب وهابي
من ادباء نجد معجب بابن سعود ، الا انه قليل الكلام فيه . سألته رأيه فقال :
انت ذاهب اليه والراغب مثلك في الحقيقة يصم اذنيه ويفتح عينيه . ثم قال :
اسألك يا حضرة الاستاذ بل ارجو منك ان تشير على عبد العزيز وتلح عليه بان
يفتح المدارس في بلاده . رسخت هذه الكلمة في ذهني لان قائلها مجرد عن
الاهواء السياسية والمذهبية . هي مصباح بيد صديق لابن سعود اضاء موطناً من

مواطن الضعف في بلاده . وقد ذكرتني بكلمة متصرف البصرة : سنتقل وانت في نجد الى القرن الخامس .

كان في البحرين يومئذ رجل آخر معجب بابن سعود ، راغب في تحسين حال من احوال نجد ، هو الميجر دكسون و كيل المندوب السامي او البحري مأمور الارتباط بين المندوب السامي في العراق وبين السلطان عبد العزيز . ذلك لان السلطان طلب من الانكليز ان يكون اتصاله بحكومة لندن رأساً اي بواسطة مندوبها في بغداد لا بواسطة حكومة الهند ^(١) . والميجر دكسون انكليزي ولد في سورية وله شغف بالعرب وبلادهم . حدثني ذات يوم قال : ابن سعود رجل عظيم وقد يكون نظري فيه نظر من بؤله الابطال . هو الحاكم العربي الوحيد الذي تمكن من تأديب البدو وعرف كيف يحكمهم . عنده السيف ، وله القلب الكبير ، ولكن يلزمه ادارة في ملكه . ويلزمه زيادة في الخراج . اني اود من صميم قلبي ان يكون القطيف ميناءً كبيراً لنجد ترسو فيه البواخر فتتحول اليه التجارة من البحرين ومن الكويت . على ان ذلك يستوجب ان يكون في القطيف قنصل انكليزي . والسلطان عبد العزيز لا يقبل قناصل في بلاده . حدثه في الموضوع عندما تقابله .

هاك من انكليزي معجب بابن سعود نوراً يضيء موطننا آخر من مواطنين الضعف فيه . وهل هو من مواطن القوة ؟ كأنني باهل نجد يقولون نحن نخشى الاجانب ولا نريدكم في بلادنا . الرجل الاولي تجر وراءها الالوف . انه لعذر مقبول ، ولكن ما العذر في الجهل ؟ أيكراه التعليم غير البدو ؟ أيرغب في الجهل غير البدو ؟ أبدو اي اذا سلطان نجد ؟ وهل للبدوي اخلاق سامية وشعور لطيف ، ومطامع في الدنيا مقرونة بالحكمة والاعتدال ؟ ها اني قربت من ابن

(١) الفرق بين الاثنين كالفرق بين طريق العربات في الجبال وطريق الرجل اي المقربة . والسلطان عبد العزيز على ما اعلم يكره الدورات . ان الحكومة الهند مثلاً وكبلا في البحرين ، ولها دور سياسية ونظارة خاصة في لندن لا يهم ابن سعود شيء منها . لان علاقته هي مع نظارة الخارجية . وما حكومة الهند غير عقبة بل هي مثل الدهناء بينه وبينها .

سعود فقربت من الحقيقة فيه ، وبت انتظار جوابه لأصل اليها واثبتتها بنفسه .
وهالك الجواب الذي جاءني بعد اسبوع من سفر السيد هاشم :

بإسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود الى حضرة الوطني
الغيور والمصلح الكبير امين افندي الريحاني المحترم دامت افضاله امين .
سلاماً وشوقاً وبعد فباشرف طالع وردني كتابكم الكريم المنبهي بوصولكم
الى البحرين وانكم زمعين التوجه الى طرفنا . اهلاً وسهلاً على الرب
والسعة . تالله لقد مررت جداً بذلك فطالما كنت مشتاقاً لقيامكم . وقد
حققت الايام شوقي والحمد لله . الا انه لا يسعني الا ان اظهر شديد اسفي
لعدم اشعاركم لنا تلغرافياً في حين توجهكم من البصرة ذلك الامر الذي
اوجب فتوراً قليلاً في اخبارنا وكيلنا في البحرين لملاقاتكم لاني سألت
الخبرين بمعرفة اوقات وصول المراكب الى البحرين وعلت منهم ان
المركب القادم من البصرة ربما يتأخر ولهذا وحده حصل تأخير منا فأرجوكم
المسامحة . نحن بانتظاركم وقد امرنا وكيلنا القصيبي ان يهيئ لكم سفينة
تقلكم الى العقير وبوصولكم اليها تجدون السيد هاشم بانتظاركم وبالختام تفضلوا
بقبول الاحترام ودمتم .

الخطم

في ٢٧ ربيع اول ١٣٤١

هذا اول كتاب جاءني من السلطان عبد العزيز ، نشرته لتظهر حقيقة فيه
اثبت الخبر خبرها . فالرجل لا يتكاف اللطف ولا يتكاف التواضع ، لانهما
من خلاله الفطرية . وكان اللطف والتواضع اجمل ما في الكتاب لولا درة
الاخلاص . ومع ذلك فلا بد من التحليل والتعليل توصلنا الى الحقيقة كلها .
قد نقتن عفواً رقة الشعور بالشدة حتى في البدوي ، فهو اذ ذاك رجل كبير
الخلق . وقد نقتن كرهاً اي صناعة ، فهو اذ ذاك سيامي يحسن التلبس

والمعاملة . وقد لا تقترن قطعاً ، فهو اذ ذلك ، سواء كان شديد البأس او دمث
 الاخلاق ، رجل عادي له من يومه ما لعامة الناس . فهل الرجل الذي انا
 زائر من طُبعوا على شيمة اللطف والرفقة وكانت القوة فيهم او في اعمالهم بنت
 الحوادث والاحوال ؟ ام هو سيامي محنك بغلب خصومه بالمكارم وبسود امته
 بالدهاء ؟ هل ابن سعود من اولئك الافراد القليل عددهم في البلاد العربية بل في
 العالم اجمع ، اولئك الذين يبقون على شيء من الفطرة مها عظموا او تعاضمت
 شؤونهم ، اولئك الذين يسرون الى محبتهم في الصراط المستقيم فيأخذون الحكمة
 من لوح الوجود لا من الكتب ، ينبغون ولا يتفوقون ، ويكرهون ولا يخاتلون ،
 ويحبون ولا يملقون ، ويسودون ولا يظلمون ، ويعدلون ولا يخافون غير الله ؟ انا
 في الطريق ايها القارى ، وستنكشف لنا الحقيقة التي تخبئها الصحراء دون ذلك
 الافق اللازوردي ، وراء تلك الاكام الذهبية .

الفصل الرابع

في ظل الشراع

حسنت السفر البطيء - السفينة والقطار - منكرات البخار - في ظل
الشراع - الجلبوت - سكن الريح - طرد في القبة - الامر برفع الشراع -
« شلنا وتوكلنا على الله » - الرياح تسبق البخار - الصلاة في ظل الشراع -
الامير والقصر - ما هما في نجد - المقبر - موالي - السلطان الثلاث - الطريق
الشرقية الى نجد - سفن اليم وسفن الصحراء تتبادل احوالها .

من حسنت الاسفار تنوع اسبابها وطرقها . وان الابطاء في القديم منها
أحب الى السائح من الابطاء في الحديث الذي اخترع لبطارد الريح فينهب
كما يقال المسافات . ما الفائدة اذاً من بخار لا يحسن النهب ؟ ابجرت من عدن
ووجهتي ابن سعود فاجتزت اولاً بحر الهند في باخرة كبيرة نعمة الرياش معتدلة
في سيرها . ثم خليج العجم ، فصغرت الباخرة ، وبخست العدة ، وطالت علينا
المسافة والايام . ثم قطعت فيافي العراق بين البصرة وبغداد في قطار مخلم
مرجرج - هو اثر من آثار الحرب - لاشك ان قطار الشحن في اميركة امرع
منه ثم عدت من بغداد في مركب من مراكب دجلة وقد آليت على نفسي الا أكون
غير شرقي كسول فلا اعد الساعات ولا احاسب البخار والآلات . فكانت
السفرة لذلك جميلة ، قصرت وان تعددت ايامها . ثم في رجوعي من البصرة الى
البحرين خبرت في البواخر ابطأها سيراً فقلت : تباركت الاقدار في الاسفار .
هي تبدل في الاسباب التي تزداد ابطاء كلما قربنا من محبتنا ، فنتمرن اثناء
ذلك على الصبر والتحمل ، وعلى التأمل والتفكير . وسنصل الى تلك المحجة
بالرغم عن طول المسافات وبطء المطايا البخارية والحيوانية ، اللهم اذا ثبتتنا في
السير والترحال .

قد كان مروري في خروجي من البحرين مثل مروري في الوصول اليها .

كيف لا وكل خطوة الان تدنيني من البغية القسوى ، فقد ذلت من العقبات البحر والانكليز ولم يبق امامي غير زاوية من الخليج تأبى البخار ، وارض لا تلين لغير الابل . ان الساحل في تلك الزاوية ، جنوباً بغرب من البحرين ، على مسافة اربعين ميلاً من المنامة ، هو اول ما نشاهده من ملك ابن السعود . هناك العقير^(١) وشاطي . الاحساء الذي يرى من مكان في اخر الجزيرة يدعى رأس البر . اما المسافة بين البلدين فهي رهن الشراع ، والشراع رهن الرياح . فاذا لانت كان حفظك من السفر على طريقة الاجداد ست ساعات فقط . واذا عارضت نفوز بالثلاثين . وقد نتجاوز الثلاثين اذا كنت الى « نبتون » من المقربين .

احبني اله البحر فاستبقاني في مجلسي بالجلبوت^(٢) نهاراً واحداً وليلتين . اذ بعد ان خرجنا من مياه المنامة مساءً سكنت الريح ولم تتحرك بما يرضي الله والشراع حتى انتصاف الليلة الثانية . وكنت اثناء ذلك اذكر القصبي بالخير واشكره خصوصاً على كرمي جعلته سريري وعلى طام انعشي بشيء من المرق . وبينما انا نائم في الليلة الثانية ، او بالحري مرمي كطرد في القبة وقد برد الدم مني وتعدت الاعصاب ، سمعت صوت الناخوذاه يصدر الاوامر برفع الشراع ، وسمعت الملاحين يرددون انشاداً : شلنا وتوكلنا على الله . شلنا - وتوكلنا على الله . فتحركت في معقلي الصغير وقد انعشي الهواء كما انعش من الجلبوت الشراع . وشكرت مسكن الرياح ومثيرها . فقلت : لا شيل يقيناً لولاه ، ولا توكل على سواه . - شلنا وتوكلنا على الله .

كنا في المجمع الثاني من الليل قريبين من بره ظننته الاحساء فما صدق

(١) القاف في بعض الكلمات تلفظ جيها في نجد فيقولون العجير .

(٢) الجلبوت مركب شراعي صدره ، وهو للبضاعة ، مرتفع مستطيل . وفي مؤخره قبة او عالية للمسافرين يسميها الملاحون عرشة . وهو اذا كان كبيراً شبيه بالهائلة في المراك وبالسنبوك في البحر الاحمر . واذا كان صغيراً فلا يكون له عرشة فيشبه اذ ذاك البلم . اما اسمه جلبوت ، ولا يسمى كذلك الا في البحرين ، فهو على ما اظن بمحريف jolly boat في الانكليزية اي مركب للنزهة لطيف .

الظن . وشد ما كانت دهشتي وخيبتني لما علمت اننا لا نزال عند بر الجزيرة .
 على ان الرياح تجاري اذا شامت البخار ، وتسبق الحديد الدوار . ولا اظنك
 اذا كنت ملاحاً تماريني في ذلك . اجل ، عندما ينتفض فيحتلي الشراع ، فقل
 للمسافات : الوداع . ان هي الا ساعة حتى اجتزنا رأس البر وكان الهواء قد
 اثقل جفني فنمت قليلاً ، ثم ايقظني صوت الملاحين وهم اذ ذاك يشتغلون في
 قلب الشراع طوعاً للريح ويرددون : صل على النبي صل على النبي ! وربك
 ايها القارىء ما سمعت في انغام الليل على المياه اطرب منها . الا ان يكون صوت
 المؤذن في الخليج وهو يؤذن الفجر . ليس في صلوات الامم كلها ادعى منه
 الى الورع والخشوع ، وقل فيها ما هو اجمل وقعاً في النفس من صلاة الملاح
 في ظل الشراع .

صلى اخواني الفجر ، عند ما دخلنا ميناء العقير ، ورفعوا العلم ، علم ابن
 سعود ، وهو اخضر ذو حاشية بيضاء مكتوب عليه : لا اله الا الله . وقد
 كان ينتظرنا هناك على الرصيف السيد هاشم وامير القصر ، فمشينا معهما الى
 البيت المعد للضيوف ، وفيه سرير ابيجني مرآه . واعجبت كذلك بذوق رفيقي
 الذي علم السبب في ابطاء السفينة وقرأ في وجهي قصة الليلتين ، فتركني
 والسرير وانصرف .

ذكرت الامير والقصر . فلا يظن القارىء ان القصر قصر وان الامير
 امير . بل هي اسماء اصطلح اهل نجد عليها . فهم لا يرغبون في الالقاب بل
 يزدرونها ، ولا يرون غير المساواة ، وقد ساوى بينهم دين التوحيد ، شرعاً وسنة .
 اما اذا شاء امامهم ان يسمي عماله امراء ، وقد يتضمن ذلك التحقير لمن يدعون
 النبالة ولا يستحقونها ، فهم لا يعترضون . واذا شاء النجدي ان يسمي خربة
 له في الصحراء قصرأ فلا الامام يعترض ولا الرعية . اما الامير الحقيقي عندهم
 فهو من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به احداً ، ولا يخاف ولا يرتجى سواه .
 واما القصر الحقيقي فهو المسجد .

ليست العقير بمدينة او قرية ولا هي حتى مضرب من مضارب البدو . انما

العقير اسم لقصر من القصور التي ذكرت ، ولجمر من جمارك نجد في الاحساء على ساحل الخليج . العقير هي احدى موافي السلطان الثلاثة يتبعها القطيف والجبيل شمالاً منها . ولكنها موافي قلما يرى فيها غير المراكب الشراعية . ومن العقير تبدأ الطريق الشرقية الى نجد .

اما القصر فهو بناء كبير مستطيل يقيم في جناح منه الامير والضيوف ، ويستخدم الجناح الاخر للجمرك وللحامية التي لا تتجاوز العشرة الانفار . وامام القصر على الساحل ساحة كبيرة تمرح فيها الابل وتُنزل اليها البضاعة ، فتتبادل سفن الصحراء وسفن اليم احمالها . الخام والارز والسكر من بمباي والزيت من عبّادان — احمالها يا بعير الى ما وراء الدهناء . والتمر من الحسا والجلود والصوف من سدّير والوشم ، والسمن من الخرج والافلاج — خذها يا جلبوت الى البحرين لتُنقل من هناك الى ما دون الخليج والبحار .

الفصل الخامس

الملثقي في النفود

قدوم المندوب من العراق — خروج السلطان من الحسا — اول يوم على الذلول —
 الفزالتان — النفود — ام الذر — الحمار المجان — المراح والمناخ — الشيوخ —
 الارض الذهبية — السادة والحدم يلعبون — حلم تحفته الايام — « من الربيع ؟ »
 « السلطان قادم اليكم » — التأهب لاستقباله — سجادة ورّحل ونار مشبوبة —
 « يا سعيد ! » — الليل والنفود — « ضج المكان بموكب السلطان » — السلطان
 يزورنا في الخيمة — ما قبل له وما قاله بخصوص الرحاني — امراء العرب والوحدة
 العربية — « حنّنا (نحن) العرب » — اول من دعا الامراء الى الاجتماع والاتلاف —
 رجل بثق بالله وبنفسه .

يوم سفري من البحرين اخبرني الميجر دكسون بان المندوب السامي السر
 برمسي كوكس يسافر من بغداد في القريب العاجل وقد يصل الى الجزيرة بعد
 بضعة ايام . وعندما وصلت الى العقير اخبرني السيد هاشم بان عظمة السلطان
 يخرج قريباً من الحساء ليلا في المندوب السامي في المكان الذي نحن فيه . فاخرجت
 خارطي وقست المسافة بين الحسا والعقير — ٤٠ ميلاً — وقابلت بين اثنتي عشرة
 ساعة على الذلول ذهاباً ومثلها اياباً ، اذ لا بد من الرجوع مع السلطان ، وبين
 يوم على الشاطي . استعيد فيه قواي واستعد ، اتمرن على ركب البعير ، للسفر في
 البادية ، فكان الحكم والحكمة في جانب الثاني ، وكتبت الى السلطان اطلعه على
 حقيقة حالي واستشيرته في الأمر . — اذا امرتم بالقدوم اليكم او بانتظاركم في
 العقير فسمعاً وطاعة في الخالين .

حمل كتابي نجات الامير صباح الثلاثاء ، وعاد صباح الاربعاء بجواب فيه
 ما تناهى من لطف الاسلوب ورقة الشعور . — الامر راجع لرغبة حضرتكم
 وتبعاً لراحتكم . وقد اخبرني السلطان انهم سيخرجون يوم الخميس من الحسا
 ويسبرون الهويّنا ليصلوا صباح السبت الى العقير . كنت قد عزمتم على ملاقاته

في منتصف الطريق اذا قويت على ذلك ، وعندما علمت من السيد هاشم بان سموه قد يرغب في الاجتماع بي قبل ان يجتمع بالمندوب السامي شددت حقوقي وقلت : الى البادية .

أعدت لنا الركائب فسرحننا - سافرنا - صباح الخميس انا ورفيقي الاديب بصحبنا خمسة من الخدم . وكان اول عهدي بالدلول^(١) وبالنفود^(٢) فابهجيتني هذه وازعجني ذلك . بل كنت في كل حركة احس بشيء تحتي او حول رجلي وجنبي لا يجوز في نظري ان يكون هناك . والغزالتان^(٣) بليتان ، تدق الواحدة صدري والاخرى ظهري كلما حدثت الى الامام والى الورا . والكور ، اكاد اطيع منه . هو مائل الى الامام ، مائل الى اليمين ، مائل الى اليسار ! والشداد - الرجل - ان فيه ما يجتك بالجنب ، وما يقرص الرجل ، وما يسيء - اي والله يسيء الادب ! يا سيد هاشم . . . فاجابني بقوله : ابشر ابشر .

بارك الله فيه ما كان الطففة في تلك الايام واكرمه . انحننا الركائب ، وجاء احد الخدم يقول بسم^(٤) فعدل الرجل واصلحه . ثم ركبنا وتوكلنا على الله ،

(١) الدلول الهجين المعد للركوب من ذلل ذاله للركوب . ولا يكون الدلول غالباً الا ناقة وما سمعت له جمعاً فهم عندما يريدون الجم يقولون الركائب .

(٢) النفود بادية رمل بين ساحل الخليج والاحساء تمتد من القطيف شمالاً الى راس الجافورة جنوباً وعرضها من حيث تقطعها الى الحسا ٢٥ ميلاً . اما الاسم فقد يكون مشتقاً من نقد اي غدت الارض من الماء والكلأ . والنفود تختلف عن الدهناء في تكوين تلالها الرملية وعلوها . فهي في بعض الاماكن شبيهة بالجبال وليس فيها مغالي اي مراعي . والدهناء في بلاد العرب واحدة ، والنفود كثيرة .

(٣) الغزالتان شبتان مرتفعتان مستقيمتان في الكور ، واحدة الى الامام والاخرى الى الورا . تقيان الراكب من السقوط ، وتستخدمان في التحميل لشد الجبال وتعليق الاحمال . وهما في شكلهما وفي وضعهما انواع . فالغزالتان في نجد مثل الحطيين المستقيمتين في الهندسة ، او مثل الشمعتين في شمعدان واحد . وفي بعض الاكوار تراهما مائلتين الواحدة نحو الاخرى وترى الراكب بينهما كأنه فحمة في ملقط . ولكن النجدي على الدلول اقوم من الغزاة وانبت . اما في الشمال اي في بادية الشام فالغزاة توضع في شكل زاوية منفرجة Aptuse . الواحدة الى الورا . والاخرى الى الامام ، فيصبح مكان الجلوس في الكور منفرجاً والراكب مهمما حداً في مأمن من الدق والاحتكاك . اما اهل عمان فهم يستغنون عن الغزاة ، والكور عندهم مثل السرج الانكليزي .

(٤) بسم مختصر بسم الله في اصطلاح اهل نجد .

فاجتزنا الاول والثاني من افاق النفود الذهبية ، ووصلنا الى مكان يدعى ام
الذّر^(١) ، أنحننا فيه وكنت انا اسرع الى ذلك من سواي . لان «سم» الخادم
لم تصلح الرحل ولا ألانت قلب الغزالة . عند ما أنحننا طفق الربع ينكتون الرمل
بايديهم فيظهر الماء تحت قدم او قدمين منها . ان ام الذّر مورد القوافل الوحيد
في هذه الطريق من النفود .

ملاًنا القرب واستأنفنا السير . وكان معنا حمّار بحّان ، كثير الاسفار والهديان ،
يحمل حماره بعض المواعين والخطب ، وهو يعدو وراه كالسعدان ، فيرقص رجليه
وبديه ، وبسمعنا نكات اهل الامصار — البصرة والبحرين والكويت —
ويمثل لنا رقص البطن ، ويردد كلمات ما سمعتها لا في الشرق ولا في الغرب .
حمّار بحّان ! ما رأيت اصقع منه حينما كان يجثو على ركبتيه كل مرة يظن
نفسه اجاد ، وما اجاد بغير البذاءة لفظاً وايماء . على انه انساني بعض ما كنت
اقابني من ركب الدلول . وكانت ضحكتي تضيق في فمها الربع ، وكنتي لتلاشي
عند امواج ثرثرتهم .

— اسمع يا هويدي — تصغير عبد الهادي — جاب الاستاذ . هو يسألك
أيشوال «موتور»^(٢) ؟

— الموتور يا افندي تجري ، وتغزل ، وتدور . الله ، الله ! الدعشوقة ،
الخليفة ، السريعة الحركة هي الموتور .

قال هذا ووقف بهز كتفيه وعطفيه . مها كان من بذاءة الرجل فقد
احسن الي في يومي الاول في البادية ، تخفف مشقة عشرين ميلاً اجتزناها في
ذلك اليوم . ثم مرحنا^(٣) العصر في مكان يدعى العلاة^(٤) وعلّمنا من بعض

(١) ام الذر من شجر حول المكان يدعى الذر وهو شبه بالعرش .
(٢) في البلدان العربية على ساحل الخليج وفي العراق يسمون السيارة «موتور» من
اسمها الانكليزي Motor . ويطلقون في البصرة اسم الموتور على الرافضة التي تجيد الرقص .
(٣) مرح القوم اي اناخوا للمبيت وسرحوا اي خرجوا من مراحهم . ويسمى المكان
المراح . اما الاناخة فلا تكون الا للراحة ولشرب القهوة اثناء الرحيل .
(٤) العلاة من علو المكان على ما افطن وهو لا يعلو اكثر من ثلاثمئة قدم فوق
سطح البحر .

الذين كانوا قادمين من الحسا بان الشيوخ^(١) مارحون في الجشة على مسافة عشرة اميال منا . فارسل السيد هاشم رسولا يعلمهم بمكان مراحننا ، واننا سنقف لهم هناك في الطريق صباح الغد . واظنه رغبة في راحتي ، اباح للرسول بما كنت احاول كتابته . قل للامام : ذبح^(٢) الدلول الاستاذ .

ولكن التعب والام لا يدومان طويلا في فسح الرمال وسكينة النفود . فبعد ان نصبنا الخيمة وشبيننا النار ونقهنونا^(٣) تنهاقت حسنات المكان علي . فلكني من السرور ما كان قد هجرني راكبيا ، ورحت اتغني بمدح ارضه يحلو هواؤها ، يحلو شكلها وفسحاتها ، يحلو لونها وسكونها ، يحلو وطؤها ، تحلو بحبتها . وبعد العشا تبارينا برمي الجريد ، وتسايقنا حفاة في العدو ، ووقف ماجد على يديه ليبرهن لرجحان ان رجله ارفع من رأسه (اي رأس رجحان) وانه مستقيم وان كان ابدوي — بدويا — كيفما وقف او مشى ، وانه قوي يغلبه بكل شيء : بالصراع ، بالعدو ، بالقنص ، بالركوب ، وبال . . . أوقفناهما عند هذا الحد في المفخرة ، فاستعاضوا عنها بالغناء و « اللعب » اي الرقص .

دخلت الخيمة والخدم لا يزالون في السمر ، فاستلقيت على السرير وانا في بهجة من حققت الايام حلما من احلامه . فها هي الصحراء ، وهوذا المهجين ، وهؤلاء العبيد عبيدي ، وها انا اذا جار لامير من امراء العرب ، لسلطان نجد . ما كاد هذا الحلم الذهبي يغمض جفني حتى سمعت صوتا يسأل : من الربع ؟ ثم اناخ عند نارنا رجلان عرفهما السيد هاشم ، رجلان من رجال السلطان ، جاءا ينيثاننا بان رسولنا وصل وان سموه — نهض السيد هاشم مدهوشا وبادر الي يقول : قم يا استاذ ، قم حالا . السلطان قادم الينا .

نهضت مسرعا فلبست ثيابي — وما احسن الثياب العربية خصوصا في مثل

(١) يطلق لفظ « الشيوخ » في الاصل على الامام وحاشيته من اتاربه وخدمه اذا كانوا مجتمعين . ولكن اهل نجد يخرجون عن القاعدة الاصلية فيقولون الشيوخ وهم يريدون السلطان او الامام بيته .

(٢) انهكه واضناه في اصطلاحهم .

(٣) شربنا القهوة .

هذه الحال . حسبك عبادة تغطي بها قميص النوم ثم كوفية وعقال ثم - حي الله الجاي ، مرحباً بالضيف .

راح الريع يجمعون الحطب للنار وفرشنا انا والسيد هاشم البيت ! مددنا السجادة ثم وضعنا الكور في الصدر مسنداً على عادة العرب - وهذا كل ما هنالك تأهباً لاستقبال مليك من ملوك العرب .

وكان الليل صافي الجبين ، رقيق الجلباب ، شأنه في البادية . تدنو النجوم في سمائه من الارض بريقاً ، وتسمع فيه الاصوات ، كأنها على طول المسافات ، الابواق في الغابات ، لها دوي لطيف ينجد ويغور ، وصدى يتموج كالنور . وما ارب وما اجمل صوتاً سمعناه آنئذ وراء الاكام في مروج الليل ينادي : يا سَعِيد - يا سَعِيد ! مبشراً بقدم السلطان او بمروره في ذلك المكان . ان المنادي آيتقدم الموكب السلطاني حتى اذا سمعه احد من البادية او الحضرمي من سيد البلاد امرأ ، او يحمل اليه شكاية ، او يبغى الركوب في موكبه ، فهو يقصد مسرعاً الى مكان الصوت فيفوز ببغيته - يا سَعِيد - يا سَعِيد ! (١)

وبعد هنيهة ضج المكان ، بموكب السلطان ، فاناخ عندنا ، على امكننا ، حول شرعنا الصغير ، مثنان من الركائب ، وهي تزبد وترغي . اخ - اخ - وصوت الخيوانات على رقاب البعارين كصوت المطر على التخيل . ثم نصبت الخيام ، وشببت عشرات من النيران ، وسمعت على الفور المداق في الاجران . خرجنا بنادر الى استقبال الزائر الكبير ، فاذا هو قد خف الينا ، وفي معيته اثنان فقط من حاشيته . قلت الزائر وهو الذي شاء تطلقاً وتنازلاً ان يعكس

(١) سَعِيد تصغير التصغير الشائم كثيراً في نجد وسعيد نداء ابن سعود يدل على تواضع في امراء هذا البيت جميل . كان الامير يقول لكل واحد من رعيته ، ان السعادة الكبرى من الله . واما الصغير الصغير منها فقد يجيبكم من الامير . ولا أكثر امراء العرب منادون وكلمة نداء خاصة بهم ينادى بها كذلك يوم يخرج الامير الى الحرب او الى الغزو . في الحجاز مثلاً كان نداء الملك حسين ، يا فرحان . وفي جبل شمر كان نداء ابن الرشيد ، يا سرزوق .

الاية . وكانت المشاهدة الاولى على الرمل ، تحت السماء والنجوم ، وفي نور النيران المنقذة حولنا . الفيتة رجلاً لا يمتاز ظاهراً بغير طوله ، وكانت يلبس ثوباً ابيض ، وعباءة بنية ، وعقالاً مقصباً فوق كوفية من القطن حمراء .

ابن ابهة الملك ونخفة السلاطين ؟ انك لا تجدها في نجد وسلطانها . وان اول ما يملكك منه ابتسامة هي مغناطيس القلوب . لست ادري كيف حبيته وانا في دهش وابتهاج من تلك المفاجأة الكبيرة . ولكنني اذكر انه حيائي باسمًا بالسلام عليكم وظل قابضاً على يدي حتى دخلنا الخيمة ، فجلس والكور الى يمينه يستند اليه ، والنار قبالة نئير وجهه . ثم عرفني بمن كان في معيته ، وهما الدكتور عبد الله الموصلی^(١) وعبد اللطيف باشا المنديل^(٢) فجلسنا كلنا في صف امامه .

وما اضعنا وقتاً في تبادل المبتذل من السلام والتحية . اعتذرت عن الابطاء في الوصول اليه وقلت ان ساطلعه على حقيقة الامر فيعلم ان الدنب ليس ذنبي ، فقال : علمنا بذلك واستغربناه . اما نحن فما ترددنا ولا ابطأنا في الجواب . وكيف نرد من يعني زيارتنا وهو من صميم العرب ؟ قالوا لنا انك اميركي جئت تنشر الدين المسيحي في البلاد العربية . وقالوا انك تمثل بعض الشركات وجئت تبغي الامتيازات . وقالوا انك قادم من الحجاز وانك شريف تسمى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا غير ذلك . فقلنا اذا كان في الرجل ما يضر فنحن نعرف كيف نلقيه . واذا كان فيه ما ينفع فنحن نعرف ايضاً كيف ننتفع . ونحن اعلم يا حضرة الاستاذ بمهمتك . بارك الله فيك .

فاستأذنته اذ ذلك ان اخبره بالمقاصد الثلاثة في رحلتي فقلت : وقد تم

(١) الدكتور عبد الله الديمولوجي الموصلی هو طبيب السلطان ، وكان سره في الامور الخارجية ، ورسوله وترجمانه ووكيله في ما يختص بالاجانب سواء كانوا من رجال الحكومة ام من رجال العلم السائحين . والدكتور عبد الله درس في الستانة ، وخبر الطبابة في الحروب وخبر الحياة في عواصم اوروبة ، فطاف وشاف وعاف ، عافاه الله ، ثم رسا في نجد .
(٢) عبد اللطيف باشا المنديل ، صديق السلطان النجم ووكيله في العراق . هو نجدى الاصل ، عرفني الاقامة ولا يزال للبدواة اثر في حديثه وفي سلوكه الحر راجع صفحة ٣٥ .

الاول بمشاهدتكم ، وسيتم الثاني بما سأكتب ان شاء الله في ما شاهدت . اما الثالث فلا يتم الا بمساعدة ابن سعود . واني متيقن يا مولاي ان الوحدة العربية لا تتحقق الا باجتماع امراء العرب كلهم للتعارف اولاً والتفاهم ، فهم اليوم في معزل بعضهم عن بعض اذا لم تقل في احتراب دائم ، ولا يعرف الواحد منهم الاخر معرفة حقيقية .

فاجابني بكلمة صريحة رددتها بمثلها دون ان ادرك انها تلمس فيه وتراً حساساً . فقد تكلمت في حضرته عن امراء العرب كما تكلمت في حضرة سواه ولكنه ، وهو يعرف انه كبيرهم ويطن انهم في غير بلادهم لا يُعتد كثيراً بهم ، لم يسكت عما قلت . فما كنت انتهي من كلمتي ان امراء العرب في عزلة بعضهم عن بعض حتى قال : ومن هم العرب ، حيناً العرب ^(١) قال ذلك وضرب السجادة بقضيب يحمله من الخيزران .

من غريب الامور اننا في الجلسة الاولى لناقشنا في الموضوع . وما كان ذلك تقصاً في تأدبي . فلم اكن لا قدم على مساجلته في تلك الساعة لو لم يتقدمني بصراحة علمت بعدئذ انها من سمجايه الكبيرة ، وانه قلما يقف فيها عند حد من حدود التحفظ . اجل ، قد هدم السلطان بكلمة من كلماته حواجز الرسميات ، فجعل نفسه تنازلاً في مقام الصنو والرفيق .

— لك الحرية يا حضرة الاستاذ ان نتكلم معي بكل حرية . ولا اقبل منك غير ذلك . وانا املك بكل حرية . ولا لتوقع مني غير ذلك . انت تقول امراء العرب . اسمع انا اعلمك . انا اعرفهم ، وقد خبرتهم ، عجمت عودهم ، العرب يا حضرة الاستاذ لا يعرفون الا مصلحتهم ، وغالباً لا يعرفونها فتعلمهم بها ونكرهم عليها . وقد قاسينا كثيراً في سبيلهم ، وكانت الخيانة في اقرب الناس منهم الينا .

دخل عبد من العبيد يحمل بيده اليسرى ابريق القهوة وباليمين الفناجين فصب للسلطان اولاً ثم لي ثم للحضور .

() حثاي نحن

— اعترف يا استاذ انسا اول من دعوا امراء العرب الى الاجتماع والائتلاف؟ وسنظلمك ان شاء الله على ما يثبت ذلك . فنتأكد اننا اقربهم الى الالفه والاتحاد . حزيناً اهل نجد لا نبغي المحافظة الا على امرين : ديننا وشرفنا . . . ثم قال : ولا نثقل عليك الليلة وفيك تعب يدعو الى النوم . . .
 قمنا نشيع السلطان ، وكان قد انتصف الليل نخيم على المضارب السكون ، ولم يبق حولها غير بصيص من النار . وعندما عدت الى الخيمة التي كانت منذ حين مجلس سلطان اقل ما يقال فيه انه عربي حر كريم لم يكن « في » لا تعب ولا نوم ، فاشعلت الشمعة وكتبت في مذكراتي بضع صفحات انقل منها ما يلي :

« ها قد قابلت امراء العرب كلهم فما وجدت فيهم اكبر من هذا الرجل . لست مجازفاً او مبالغاً في ما اقول . فهو حقاً كبير : كبير في مصافحته ، وفي ابسامته ، وفي كلامه ، وفي نظراته ، وفي ضربه الارض بعصاه . يفصح في اول جلسة عن فكره ولا يخشى احداً من الناس . بل يفشي سره ، وما اشرف السر ، سر رجل يعرف نفسه ، ويشق بعد الله بنفسه .
 « حذراً العرب » ان الرجل فيه اكبر من السلطان . وقد ساد قومه ولا شك بالمكارم لا بالالقباب . . . غريب عجيب ! جئت ابن سعود والقلب فارغ من البغض ومن الحب كما قلت له . فلا رأي الانكليز ، ولا رأي الحجاز ، لا الثناء ، ولا المطاعن اثرت بي . وها قد ملأه ، ملأه حباً في اول جلسة جلسناها . على ان الحب لا يكون مقروناً دائماً بالاعجاب . سنرى .
 قد عاهدته على ان اكلمه بصراحة وحرية . وسأكون في ما اكتب كذلك حراً صريحاً . . . ولكنني احسن شيئاً من الفراسة ، وصرت اركن الى ما تشعر به النفس في المقابلة الاولى . فضلاً عما عندي الان من الملوك للمقابلة والتفضيل . . . اني سعيد لاني زرت ابن سعود بعد ان زرتهم كلهم . هو حقاً مسك الختام . »

كانت الساعة الاولى بعد نصف الليل عندما نمت والساعة الرابعة عندما
ايقظني رفيقي السيد هاشم قائلاً : قام السلطان . وكانت ضججة التأهب للرحيل .
سمعت الابل ترغو وتعج وقد بادر العبيد والخدم اليها بالرحال والاحمال . ورأيت
النار تشب في كل جانب ، وسمعت المذاق في الاجران تدق البن ، ثم صوتاً يؤذن
الفجر : الصلاة خير من النوم . الصلاة خير من النوم ! لا اله الا الله ، لا اله
الا الله ! وما هي الا فترة حتى صلى السلطان ورجاله وشربوا القهوة وارتحلوا .
رفع العرب الخيام ، كما يقول الشاعر الانكليزي ، وسرحوا ساكتين .

الفصل السادس

في موكب السلطان

السفر في نجد - غلبت في الابكار - مهارة نجيشي فجأة كالوحي - في
موكب السلطان - من على السنام في النفود - حديث في السياسة - اميركة
والرئيس ولسون - اوروبه باب من حديد لا شيء داخله - المصحى -
الاستقبال على الرمل - « افخر الطنافس في مجلس الله » - المراح - ساعة
مع السلطان - الذباب في البادية - الصلاة - السلطان يغضب - فهد الهدال
والانكليز - لا ينبغي غير الحق ولا تخاف غير الله .

من عادات العرب في السفر ، خصوصاً عرب نجد ، انهم يكررون وغالباً
يسرون . والسلطان عبد العزيز ابكر المبكرين دائماً واعجلهم تأهباً للرحيل . حتى
انه ليصلي الفجر احياناً اول وقت الصلاة كي لا يضطر الى الاناخذة بعد ذلك قبل
الضحى . هو نظام عسكري يتمشى عليه ، ولا بدع فالرجل قوي البنية ، شديد
العصب ، يكفيه من النوم ساعتان ، ثم ربع ساعة للرحيل .
وها هنا غلبت . قد يكفيني ما يكفيه من النوم ، ولكني في يومي الثاني في
البادية لا استطيع ما يستطيعه لا في التأهب ولا في الركوب . الا ان اعجوبة
حدثت صباح ذلك اليوم فكانت قد سبقنا الموكب الكبير ، موكب السلطان ،
وسرت انا والسيد هاشم في موكبنا الصغير نحث الركائب حتى لحقنا به بعد ساعة .
وكان الشفق يتموج وردياً وعصراً على الاكام ، وعقال سلطات نجد الذهبي
بادياً في رأس الموكب فوق كل الرؤوس . فاخترقت الصفوف ، احث ذلولي ،
وانا معجب بمهارة في الركوب جاءني دفعة واحدة ، فجأة ، كما يجيء الوحي
الشعراء^(١) . . . فاعتزلت ربي وسرت مستقلاً ابني الى جانب السلطان مكاناً .

(١) قد يكون الفضل في ذلك للذلول لا لي . وقد علمت بعدئذ انها من العانيات اي
نجائب الابل التي تأتي السير الا في مقدمة الجيش .

وُفِزَتْ بِهِ فَادْهَشْتَهُ فَقَالَ إِذْ رَأَيْتِي : مَا ظَنَنْتُكَ لَنْهَضَ بِأَكْرَأَ .

صَبَّحَتْ ابْنُ سَعُودٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ عُلَى السَّنَامِ فِي النَّفُودِ . وَسَرَتْ وَأَيَّاهُ نَحْدُو فِي وَجْهِ الشَّمْسِ بِصَفِّ يَتْرَاحُ عَدَدُهُ بَيْنَ الْخَمْسِ وَالْخَمْسِ عَشْرَةَ مِنَ الرِّكَائِبِ يَتْبَعُهُ خَمْسَةَ صَفُوفٍ أَوْ خَمْسَةَ عَشْرَ أُخْرَ دُونَ نِظَامٍ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ . إِنَّا فِي الطَّرِيقِ لَا إِلَى الْغَزْوِ أَيُّهَا الْقَارِي ، بَلْ إِلَى مُؤْتَمَرِ سَلَمٍ يُعْقَدُ فِي الْبَادِيَةِ . لَدَيْكَ كُنْتُ تَرَى الْبِنَادِقَ ^(١) مَعْلَقَةً بِالرِّحَالِ مِنَ الْوَرَاءِ ، وَالسِّيُوفَ فِي انْغِمَادِهَا ثُمَّ فِي بِيُوتٍ مِنَ الْجِلْدِ لِنَتَائِبِلٍ حَوْلَهَا اللَّفَائِفُ الْحُمْرَاءُ وَالشَّرَارِيبُ الطَّوِيلَةُ . وَكُلٌّ فِي رِحْلِهِ مَلْتَفٌ بِعِبَاءَةِ السَّكِينَةِ وَالْأَطْمَشَانِ . أَنَّهُ لِمَوْكَبٍ بِبَيْحٍ مَهِيْبٍ . وَكُنْتُ أَفْضَلُ السَّيْرِ فِي مُؤَخَّرِهِ لِأَمَلِ النَّظَرِ مِنْهُ لَوْلَا رَغْبَةُ اشْدَاءِ ، وَوَجِبَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

السلطان عبد العزيز فصيح اللسان ، مريع الخاطر ، لطيف الجواب . وهو مثل أمراء العرب كلهم يقدم السياسة في الحديث وتهمه على الخصوص منها سياسة أوروبا في الشرق الأدنى . على أنه شاء صباح ذلك اليوم أن يكون الموضوع أميركة وسياستها مع الأحلاف .

سألني السبب في سقوط الرئيس ولسون فأعلمته بطرق الانتخابات هناك وبما للأحزاب السياسية من السيطرة على الحكومة وعلى البلاد .

— عجيب ألا يسوقهم الشقاق إلى الحروب ؟

— يحلون مشاكلكم السياسية بالاقتراع .

— زين . وكم حزبا عندهم ؟

— الرئيسية اثنان والثانوية كثيرة .

— زين . وكيف يرضي الحزب المنتصر بقية الأحزاب ؟

— الأقلية تخضع دائما يا مولاي لحكم الأكثرية .

— وكيف سقط ولسون إذاً وهو الحاكم والأكثرية مع الحاكم .

— لم تكن معه في الانتخاب الأخير فقد هجره من انصاره كثيرون . اقبلوا

واقترعوا عليه .

(١) العرب يختصرون لفظة بندقية فيقولون بندق جمعها بنادق .

فهز السلطان عصاه يربت بها رقبة الذلول وقال : لا اظنهم احسنوا . لان
ولسوت رجل عظيم ، وله الفضل الاكبر في تنبيه الشعوب الصغيرة المظلومة .
استنهمهم ولسون الى الحرية والاستقلال . وهو ايضا عرفنا باميركة . ما كنا
نعرفها قبل ولسون . اما اليوم وقد تكلم بلسانها فله فضل عليها كما ان فضلها على
العالم . . . انا احترم اميركة ، يا حضرة الاستاذ ، وان كانت سياستها الان مع
الاحلاف غير سياسة ولسون . . . اميركة ام الشعوب الضعيفة . ونحن العرب
منهم . والعاقل يكفيه التنبيه والاشارة . . . انا احسن اليك — وما ل بوجهه اذ
ذاك الى من كان في الجانب الاخر منه — أفتبغني كذلك ان اطعمك بيدي ، ان
اضع اللقمة في فمك ؟ يكفي ما عملته اميركة ، ما قالته للشعوب الصغيرة المظلومة ،
ما قاله ولسون عنها . والعاقل من سعى وانتفع .

اما اوروبة فللسلطان عبد العزيز رأي فيها افصح عنه بكلمة بليغة وجيزة
اذ قال : اشبه اوروبة اليوم بباب حديد كبير ولكن لا شيء داخل الباب . وهو
لذلك لا يلوم اميركة على اعتزالها الاحلاف وانسحابها من السياسة الاوروية .
ثم قال مخاطباً احد رجاله : ان مشاركة اميركة واوروبة اليوم مثل مشاركتي انا
ابن سعود وبادية الشام . ترى الصحيح .
فهز الرجل رأسه استحساناً .

صعدنا الى اكمة فسيحة مستديرة بين العلاة وام الدر اختارها السلطان
مناخاً فانحننا وتفرقنا ارهاطاً كل رهط جلس في حلقة على الرمل . وكان وقت
المضحي^(١) اي ساعة الفطور فطاف الخدم يجفان مما كان قد طبخ الليلة البارحة
من الارز واللحم ، ثم قدموا التمر وصبوا اللبن من القرب لمن اراد ، فأكلنا
وغسلنا ايدينا ، وكان قد اتم السلطان عمله مثلنا فسمعناه ينادي من مكانه :
أنجيئكم او تجيئوننا ؟ فبادرنا اليه فتصالحنا ثم عرفني ببعض حاشيته اذكر منهم
اخاه محمداً وعبدالله بن متعب امير حايل الاخير وعمه فيصل بن الرشيد ، فوقفوا

(١) قبل الظهر بساعتين والمكان الذي يبخون فيه للفطور يسمى المضحي .

صفاً امامي بعد المصافحة والتسليم دون ان يفوه احدهم بكلمة . ثم ، باشارة من السلطان ، انصرفوا . فجلس اذ ذلك سموه على الرمل وقال : تفضل يا استاذ ، هذه احسن سجادة عندنا .

يقيناً هي كذلك . فأي فرش انعم من رمل النفود وانظف ؟ واية سجادة اجمل لوناً واعجب صنعا ؟ جلسنا متربعين على انحر الطنافس في مجلس الله . وكان السلطان فينا اجملنا اتضاعاً وافصحنا في لغة الحكمة والورع لساناً : «حتماً» اهل نجد نبغي المحافظة قبل كل شيء ، على امرين ، ديننا وشرفنا .

استأنفنا السير وانخنا بعد ساعتين عند ام الدر التي كانت مراحلنا ذلك اليوم . فسرحنا الابل ، ونصبت الخيام ، فكانت فسطاط السلطان على رأس الائمة والمضارب حوله متفرقة متنوعة ، منها الخيم الاوروبية ، ومنها بيوت من الشعر كبيرة وصغيرة . ثم حُفرت الحفر وشبت فيها النار ، وأخرجت المعاميل^(١) ، وبعد قليل شرع السقاة بطوفون بالاباريق والفناجين . جاء اذ ذلك عبد بدعوني الى مجلس السلطان فشربت القهوة هناك وبقيت وسموه ساعة كان الانكليز فيها موضوع الحديث .

عدت الى خيمتي وبني شيء من التعب والنعاس ، فوجدت فيها جيشاً من الذباب استحال علي طرده والتغلب عليه . ما رأيت حياتي اثقل واقبح من الذباب في البادية ، في صحراء الرمل ، في تلك الجنة التي جردها الله من كل شيء سوى السكينة والهواء الطيب ، فجاء الذباب يفسد هما عليك . ومن اين يجي ؟ هو يركب الدلول واياك . على ظهرها ، وعلى ظهرك ، وعلى رأسك ، يرافقك مخاوباً ، فيسبقك الى الخيمة وبذبح فيك ما تبقى من أمل بالحياة .

ثم يُجبي الله سبحانه الامل عند الغروب . فيخرج الناس من الخيام مليبين دعوة المؤذن وبصطفون وراء الامام ، والسلطان في وسط الجماعة بأحد الحجاب

(١) المعامل في اصطلاحهم هي ادوات القهوة اي مقلاة التدخين والجرن والاباريق والفناجين .

وراءه يحمل السيف ولا يشترك في الصلاة^(١) . وكانت اول مرة سمعت الوهابيين يصلون وهم يرمون بعد تلاوة الفاتحة : آمين ، فتجني ، شبيهة بصلاة المسيحيين . غير المغضوب عليهم ولا الضالين . اذ ذاك يصعد من الصفوف صوت مثنى من المصلين يرنم ترنيماً : آمين ! فيتراجع الصوت في الفضاء المهيب كصوت الاجراس في الجبال ساعة الغروب . ما اجمل اصوات المصلين في تلك الساعة التي تبشر بقدم الليل وبركاته . اصوات المصلين وهم يذكرون الله رب العالمين - اهدنا الصراط المستقيم ! فمن ذا الذي لا يردد هذه الصلاة خصوصاً في البادية ؟ انها لطلبة تصح حقيقة كما صححت مجازاً في تلك الفياضي والمغازات . اي بالله . ان كل من سار حادياً في بحر من الرمال ، في ارض تهب فوقها الرياح فتسبحو بنظرة كل اثر فيها من آثار البشر والحيوان ، ليبغي الصراط المستقيم . واننا لنهلك يقيناً اذا ضللناها .

في صباح اليوم التالي جاء نجاب من العقير يحمل البريد الذي يتبع السلطان الى حيث يكون ، وفيه خبر من البحرين بسفر المندوب السامي اليها . فدفع الكتاب الى اخيه ثم الى بعض حاشيته فتناوبوا قراءته وكل يهمس ان الخبر اغضب السلطان .

سار الموكب والسكوت بظلمة والمهابة تماشيه ، فما كنت تسمع غير صرير الرحال وطق الخيوزان على رقاب الركائب . ثم رفع احد الركب صوته بتلو شيئاً من القرآن ، وكانا نحدو في وجه الشمس ساكتين خاشعين ، وتحدو تحتنا الابل على نعم الايات . وبعد قليل ساد السكوت ثانية وقد تجسم فيه غضب الشيوخ . ثم تكلم فاعلمنا بما اغضبه صباح ذلك اليوم .

ان المندوب السامي على ما يظهر قد اصطحب رجلاً غير مرغوب فيه ، رجلاً من العرب الناقم عليهم ابن سعود . وهو فهد الهذال^(٢) شيخ العارات في الشمال ،

(١) قتل الامام تركمي بن سعود في وقت الصلاة فجرت العادة منذ ذلك الحين في استخدام حاجب يحرس الامير ساعة يصلي في الجماعة .

(٢) فهد بك الهذال انتخب بعدئذ عضواً في المجلس التأسيسي في العراق . وقد اصطحبه يومئذ المندوب السامي لانه كما قيل خبير بالجدود بين العراق ونجد . والحقيقة ان

والعمارات نخذ من عنزي^(١) . ولم يكن لفهد دخل في السياسة او على الاقل في
المصالح التي سيعقد مؤتمر العقير من اجلها . بيد ان للانكليز قصداً باصطحابه كما
ظن السلطان وقد جاءوا يحققون هذا القصد على حساب ابن سعود . وقد يكون
لفهد الهذال كذلك قصداً جاء يحققه على حساب الانكليز .

فرجع رجل نجد صوته في تلك الارحاء الرملية ، وهو على ذلوله ، والخيزران
بيده ، بسير في راس الموكب ، بين اثنين من رجاله .

— لا لا هذا ما بصير . لا نتنازل عن شيء من حقوق اجدادنا . اما اذا
قال الانكليز نبغي هذا منك وجاؤوني بامر محتوم فانا ابن سعود اسلمهم لهم : ولكن
في اول فرصة تسنح اسعى لاسترجاع حقوقي المضمومة . ترى الصحيح . وماذا
يبغون لابن الهذال ؟ وماذا يبغي ابن الهذال منا ؟ دعهم يغزلون فانا لا نتحول
عن جادة الحق ، ولا نعمل عملاً فيه ظلمة او غموض . ووجه هذا الضحى ،
لا نعمل عملاً ولا نقول كلمة فيها ظلمة او غموض . ولا نطلب غير حقوقنا ولا
نخاف غير الله . . . ومن هو ابن الهذال ليجرأ علينا ؟ ابن الهذال الغزال ، ليغزل
وعشائره ما شاؤوا وليغزل . . . الانكليز . . . من اجلهم . قال ذلك وهو يرفق
الاستعارة بحركة من سبأته لطيفة . انا ابن السعود لا اعرف غير الجادة القويمية
ولا اقول غير الحق . لست من الغزاليين . اما « الانكليز » فهم اصدقائي وانا
صديقهم . اذا قالوا : نبغي هذا منك ، قلت : لكم ما تشاؤون . ولكن — ولكن
الصبر له حدود . ويظهر اننا قربنا منها ذا الحين . ترى الصحيح .

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

السياسة الانكليزية كانت ترجع اعطائه بعض الاستقلال في ناحيته او تؤسس شيخة مستقلة
من العمارات بين العراق ونجد على طريقتهم حول عدن .
(١) العرب يسكنون فاء الاسم فيقولون اعيزي .





عظمة السلطان عبد العزيز على جواده

الفصل السابع

السلطان عبد العزيز

يتعل وينطيب - عيناه وعصاه - الورد والنصل في شفته - ساعة الغضب -
سرعة خاطره - تهكمه - نكتة من نكاته - الربيع الخالي - مدينة العقير -
السلطان في القسطنطينية - عرشه وفرشه - ساعته وناظوره - « علينا الكبيرة
والصغيرة » - حافظته وتبقلته - مع الانكليز على مائدة ممتدة - مع السلطان
على الرمل - « نحسب اللي لنا واللي علينا » .

السلطان عبد العزيز طويل القامة ، مفتول الساعد ، شديد الحسب ،
متناسق الاعضاء . وهو اسمر اللون ، اسود الشعر ، ذو لحية خفيفة مستديرة
وشارب يقضه على الطريقة الوهاية . له من السنين سبع واربعون ، وله في
التاريخ - تاريخ نجد الحديث - مجد اذا فبس بالاعوام تجاوز السبع والاربعين
والمئة . يلبس في الصيف اتواباً من الكتان بيضاء وفي الشتاء « قنابيز » من
الجوخ تحت عباءة بنية . وهو يتعل ، وينطيب ، ويحمل عصاً من الشوحط^(١)
طويلة يستعين بها على الافصاح عن ارائه - على تشكيل كلماته ، اذا صحت الاستعارة ،
وتمكيتها . ان له في الحديث غيرها من الاعوان . له انامل طويلة لدنة يشير
بها في مواقف البلاغة . وله عينان عسليتان تنيران اماكن العطف واللفظ
ساعة الرضى ، ونصرمان في كلامه ساعة الغيظ نار الغضا . وله ثم هو كورق
الورد في الحالة الاولى ، وفي الحالة الثانية كالحديد . ينقلص فيشتد ، فهو اذ ذلك
كانصل حداً ومضاء .

اجل ان ابن سعود ليتغير ساعة الغضب كل التغير ، فيذهب العطف من
ناظريه ، ولون الورد من شفته . ثم في اقتاراه يستحيل النور ناراً بيضاء ، فهو اذ

(١) الشوحط شجر تنخذ منه القسي او نوع من التيم شبيه بالشربان ينبت في نجد الغربية .

ذاك رهيب . سألتني لما كان يصب غضبه على الهذال والغزالين ^(١) : وما رأيك يا استاذ ؟ وكان بيني وبينه بضع مطايا ولا رأي لي اصيح به في تلك الساعة ، فاجبته بكلمة مبتذلة : ان الله مع الصابرين يا مولاي . فردد الكلمة ووكز كتف ذلوله بوجهه ، فراح يدرهم وتبعناه كلنا مدرهمين ^(٢) .

لا اكنتم القاري ، انه اعتراني شي من الانقباض اول مرة شاهدت ابن سعود غضباً . وكنت عندما بقاطعني الحديث قائلاً : اسمع انا اعلمك ، احس اني في مجلس رجل غير الرجل الذي زارني في خيمتي بالنفود . بيد انه سريع الغضب سريع الرضى . فهو اذا ضرب الارض بعصاه مرة يلحس القلب منك عشر مرات . وقد يتسرع في الكلام احياناً ثم ينبه الى ذلك فينتزع من خصمه السلاح . أحضر امامه رجل ليجيب عن ذنب اقترفه ، فقال بعد ان سمع قصته : الحق عليّ لاني لم احذرک ، فلا افاصك هذه المرة .

ان في الرجل ضميراً حياً كحلمه وسرعة خاطر نقارن التيقظ في ذهنه . يبدد بكلمة غيوم الانقباض في مجلسه ، ويجلو اتفاقاً قد يكون الاضطراب فيه من كلامه . وهو خفيف الروح ، حلو النكتة ، لطيف التهمك . كان يحضر مجلسه احد الثقلاء المتعجبين وهو من بيت معروف في نجد فقال السلطان يصفه يوماً : هو ربيع الدنيا . ثم اردف كلمته : « الخالي » — ربيع الدنيا الخالي . وقد اشار الى الربيع الخالي في بلاد العرب — الخالي من كل شي* غير الرمال . عندما نصبت الخيام للمؤتمر في العقير كان نصفها معداً للمندوب السامي ووفد العراق ، وهي من الخيام الكبيرة الجميلة ، وكانت في معزل عن خيامنا بينما وبينها قرب مئة باع ، وفيها فسطاط للاستقبال وآخر للاكل تناولنا فيه الشاي يوم وصولنا . فقال سموه : هذا شاي متمدن — وكان قد صب مع الحليب

(١) اي اصحاب المفاسد والفتن .

(٢) الدرهم ، درهم يدرهم ، نوع من الحبوب والنفطة من اصطلاح عرب نجد والحجاز وهو ثلاث درجات ، درهم خفيف ، ودرهم «سقلوي» نسبة الى الجبل الصقلوبة ، ودرهم يقرب من الفارة .

في فناجين كبيرة بدل ان يكون صرفاً في الاقداح كما هي العادة في نجد والحجاز - شاي متمدن !

وسلطان يتهمك ويسر . كان عندما ينتقل من الجهة العربية الى تلك الجهة الاوروبية يقول لي : الى مدينة العقير ، تعال يا استاذ نساقر الى البلاد المتمدنة . لا نظننا بعيدين كثيراً عنها ، عشر خطوات فقط وها نحن في المدينة - مدينة العقير - هات الشاي يا غلام ! ثم يجلس على الكرسي قائلاً : لتمدن قليلاً . تفضل يا استاذ شاركننا في التمدن . وهو يشير الى كرسي آخر .

نصبت خيام تلك المدينة وخيامنا على تل مشرف على الخليج وفي معزل عن القصر . وكانت خيمتنا انا والسيد هاشم عند رأس التل قرب الفسطاط السلطاني الكبير ذي الابواب الاربعة التي يفتح ويغلق بعضها وفقاً لمهب الريح ولرغبة سموه بالهوا . كان الفسطاط مفروشاً بالطنافس وفي الصدر فراش فوقه سجادة نغمة ورحل يقسمه الى مجلسين ، مجلس السلطان - عرشه - ومجلس اخر لمن بكرم اكراماً خاصاً من الضيوف .

لكل عربي من هذا القبيل بيته وعرشه ، اي المضرب ، والسجادة ، والرحل . والسلطان عبد العزيز مثل كل اعرابي ينام على الفراش والسجادة في الليل ، ويضعهما تحته على الكور في السفر . وهو لا يحمل شيئاً في جيبه ، لا ساعة ، ولا قلماً ، ولا ذهباً ، ولا فضة . قد لا يكون في ثيابه جيوب البتة . الا انه يحمل ساعة في خرج عند السفر ويضعها تحت الوسادة عند ما يقيم في مكان . يحملها في الصندوق المخملي الذي جاءت فيه من المعمل . ويحمل كذلك ناظوراً كبيراً لا غنى له عنه . فهو دائماً يراقب من مجلسه حركات رجاله وخدامه فضلاً عن انه لا تمر غيمة في الافق الا ويرفع اليها الناظور متيقناً متثبتاً . - امرنا مشكل يا حضرة الاستاذ . علينا الكبيرة والصغيرة . فاذا كنا لا نداوم المراقبة لانكون عالمين بكل ما يتعلق بشؤوننا العبد والامير ، عيننا على الاثنين حتى ننصف دائماً الاثنين ونعدل بينهما .

كان اذ ذلك يراقب قافلة اناخت عند خيمة المونة تحمل الينا الخضر والماء

من الحما . فامر ان يُحضِرَ قيمها ، فسأله سؤالاً بخصوص جمل من الجمال ، فقال
القيم : هو حرون يا طويل العمر . فاجابه السلطان : اتركه يرعى مع الجيش^(١)
لا ترجمه معك .

ثم عاد الى حيث وقف في الحديث فأستأنفه قائلاً . العدل عندنا يبدأ بالبل
— الابل — ومن لا ينصف بعيره يا حضرة الاستاذ لا ينصف الناس .

كثيراً ما يقف السلطان عبد العزيز في حديث مهم لينظر في امر ظاهره
طفيف ، ثم يدخل عليه احد الخدم او الكتاب فيقطع عليه الحديث ثانية فينظر
في الامر الثاني ، ثم يعود — وهذا ما كان يدهشي جداً — الى الكلمة الاخيرة
من حديثه الاول دون ان يسأل كما هي العادة في مثل هذه الحال عند اكثر
الناس : ماذا كنت اقول ؟ لا . ما سمعته مرة ، وكانت احاديثنا معرضة دائماً
للنقطيح ، يسأل هذا السؤال . فهو شديد الحافظة ومتيقظ دائماً . عليه
الصغيرة والكبيرة يقنياً . وله اليد الصالحة المصلحة في الاثنتين .

اقمنا في العقير ثلاثة ايام قبل وصول المندوب السامي وكان الخدم في اثائها
— العرب وربك — يشتغلون في تشييد المدينة الجديدة ، مدينة العقير ! نصبوا
الخيام ، وفرشوها بالطنافس ، والكراسي ، والمنتضدات ، واواني الشرب ، والغسل ،
ومعدات الكتابة . لم ينقص حتى في فسطاط المائدة شي . من اسباب المدينة
ونوافلها . فقد جي . لاخواننا المتحمدين بالماء ليس من وراء الحساب بل من وراء
البحار — من اوروبة في القناني المختومة . وما فات الانكليز منهم شي . مما الفوه .
اما نحن في مضارب البدو فما كان فينا على ما اظن من يحسدهم على ذلك .

عجب لهؤلاء الانكليز الذين لا يتنازلون عن شي . من « انكليز ياتهم » حتى
في البادية . رأيت احدهم في رحلتي يسير وفي قافلته حمار يحمل صندوقين كبيرين
من قناني الصودا . واظن ان الوسكي كانت مخبأة في الاحمال الاخرى . ولما دعيت
الى تناول الطعام على مائدة المندوب السامي كان سعاده وسعادة حاشيته وصاحب
الاقبال مندوب العراق في الثياب الرسمية (smoking) بالعقير ! وانا وحدي مع

(١) الجيش تطلق على مجموع الابل من ركائب وعملات .

السلطان في الثياب العربية . فسر سموه بذلك . ولكنه لم ينتقد « الانكليز » حتى ولا مندوب العراق العربي الذي لم يتنازل فيلبس العباة والعقال .
 اكلنا تلك الليلة بالاسباب ، اي الشوكة والسكين والملقمة ، وشربنا من ماء « بير » المبارك ، وقدم لنا الطعام بانتظام وترتيب ، وكانت الحلويات تزيد على ما تعودناه ، وفوق ذلك الثمار من موز وقطاح وبرتقال . ولكننا لم نشعر في تلك الليلة بان سعادتنا قد تمت على الارض وكلمت في زاوية من الجنة تدعى العقير .

خرجنا من فسطاط المائدة الى فسطاط الاستقبال فودعنا المتحدثين عند الباب ، وسرت والسلطان عبد العزيز ، وقد نزعنا نعالتنا ، نتمشى ويدي في يده ، حفاة على الرمل — على الرمل البارد المنعش ، تحت النجوم القريبة البريق ، الدافئة الضياء . فاحسست اذ ذاك بان ما يقربني من هذا الرجل ويقربه مني آيتجاوز القيافة والاشترك ذوقاً ببعض العادات . هو هو السر الذي يقرب منا النجوم ويبرد تحت ارجلنا رمال البادية اليك ايها القاري . كلمة اخرى من مذكراتي :

« مها قيل في ابن سعود فهو رجل قبل كل شيء . رجل كبير القلب والنفس والوجدان . عربي تجسست فيه فضائل العرب الى حد ينذر في غير الملوك الذين زينت آثارهم شعرنا وتاريخنا ، وتجسست فيه كذلك من آفاتهم ما لا يحاول ان يخفيه رجل صافي الذهن والوجدان ، خلو من الادعاء والتصاف ، خلو من التظاهر الكاذب . قص علينا ليلة امس قصة حرب من حروبه وبيت الرشيد وختم قصته العجيبة بهذه الكلمات : لا اخذناهم في تلك الواقعة ولا كسرونا . ترى الصحيح . فحنسي اللي لنا واللي علينا ^(١) تفخ بعد ذلك في يده وقد رفعها في شكل بوق الى فمه كأنه يقول : نثرها كالهواء لمن يريد لها ولا تخاف غير الله .

(١) تحكي الذي لنا والذي علينا . عرب العراق والشام يلفظون الكاف تش . وعرب نجد يخففونها فيلفظونها تس . نحسي — تحكي .

الفصل الثامن

بين العراق والحجاز

مؤتمر المحمرة - المعاهدة بين نجد والعراق - العمارات والصفير - هم أبناء
عمنا - وعنده حجج ثلاث غيرها - رعايا اجدادنا - العمارات والرواه فخذان
من عنزي - نوري الشعلان وفهد الهذال - ابن سعود والانكليز - الشريف
واولاده - جريدة القبلة - كتاب من الملك حسين - حاري خير - مصالح
الانكليز في الحايج العجمي - ابن سعود حامي بريطانيا العظمى - لا يساعدون
الامراء في عقد مؤتمر عربي عام ولا يتركون الامراء وشأنهم - كيف يحسون
الحلاف بين اميرين متخاصمين .

اول مرة قابلت المندوب السامي في بغداد قال لي ، كما يذكر القاري ، ان
القصد من زيارته لابن سعود هو ابرام المعاهدة بين نجد والعراق ، تلك المعاهدة
التي عقدت في مؤتمر المحمرة ولم يوقعها السلطان عبد العزيز لان مندوبه تساهل
يومئذ في امر القبيلتين ، العمارات والصفير ، اللتين يدعيهما وتدعيهما كذلك
حكومة العراق . وقد قال لي الملك فيصل ان خير حل لهذه القضية هو ان تعين
لجنة من الخبراء بالعشائر والحدود للنظر فيها ، وان تقبل الحكومتان حكمها . فجاء
السريرمي كوكس الى العقير ليقتنع صديقه ابن سعود سيفه وجوب عقد المعاهدة
وقبول حكم الخبراء في العمارات والصفير .

ولكن السلطات عبد العزيز جاء الى الحسا ثم الى العقير لغير هذه الغاية ،
ولم يكن يخطر في باله ان المندوب السامي وحكومة العراق يتغيبان تجديد النظر
سيف معاهدة المحمرة . فلما علم صباح ذلك اليوم بقدم المندوبين غضب تلك
الغضبة الشديدة وهو راكب في موكبه يجتاز النفود . وما قاله لي انه هو الذي
طلب الاجتماع بالمندوب السامي ، فدعاه الى الحسا ، وجاء من اجل ذلك بلاقيه
الى العقير . اما العمارات والصفير فما كان ليكلف نفسه الخروج من الرياض

من اجلهما . وقد كان اعد لمندوبه في مؤتمر المحمرة دفاعاً عن حقوقه فيهما
هذه خلاصته :

اولاً : عند ما سقطت دولة آل سعود ، اتقسمت الى قسمين كان احدهما بيد
الترك والاخر بيد ابن الرشيد . ثم ظهر السلطان الحالي ، الذي احيا
تلك الدولة واستعاد ملك ابائه واجداده . فاستولى على نجد ، واخذ
القصيم من يد ابن الرشيد ، وهزم الترك وطردهم من الاحساء والقطيف .
وهو لا يزال يطالب بما تبقى من املاك اجداده وعشائره شرقاً وغرباً
وجنوباً وشمالاً .

ثانياً : ان عشيرة الضفير التي تقطن اليوم الشامية « بالعراق » كانت في الماضي من
رعايا آل سعود . اما العمارات والرولا فهما نخدان من انخاذ عنزي ، وكانوا
يسكنون نجداً خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذال وبنو الشعلان هم ابناء
عم آل سعود ومن رعاياهم .

ثالثاً : ان الانكليز عند ما احتلوا العراق احترموا فيه حدوده السابقة التي كانت
تحترمها الحكومة العثمانية . كالحُدود الشرقية بين حكومة ايران والعراق
مثلاً ، والجنوبية بين العراق والكويت . وقد اعترفوا ايضاً بالاحوال
الجارية والقواعد المرعية بين الترك قبلهم وحكام العرب المجاورين لهم ، وفي
مقدمتهم امارة بيت الرشيد . وبما ان سلطان نجد الحالي استولى على
امارة الرشيد . وادخل في ملكه وحوزته جميع ما كان لتلك الامارة
المتفرقة من بادية وحضر ، فله الحق بمن تشرد او تسرب منهم اي العمارات
والضفير الى العراق .

كثيراً ما سمعت السلطان يقول : هم رعايا ابائنا واجدادنا ، بل هم ابناء
عمنا . وهذه الكلمة الاخيرة كانت غالباً تسبق كل حجة في كلامه عن الخلاف
بينه وبين امراء العشائر — هم ابناء عمنا . اضحكتني مراراً منه هذه الكلمة ،

بل شغلت بالي . فقد خفت ان تصل دعواه الى سورية والسوريين وهناك الطامة الكبرى . الا ان قوله ان ابن الهذال وابن الشعلان من ابناء عمه هو مبني على كونهما شيوخ العمارات والرولا . وهاتان القبيلتان نخذان من عنزي كما قلت ، وعنزي كما هو مدون في كتب الانساب ، اخو وائل من ربيعة ، ونسب ابن سعود السلطان عبد العزيز يتصل بيكر ابن وائل . فقبيلة عنزي اذن هي كلها جمعاء ابنة عمه وله عليها حق الرعاية . واذا كان نوري لا يحسن سياسة عشائرها وفهد لا يستطيع ان يؤدب بدوها ، فالشوحط بيد ابن سعود يلبي الطلب . وما الشوحط الا خشبة ، اذا كان لا يسارع به الى الشمال فيحمي ذمار ابنة عمه عنزي المتشردة الضاربة في بوادي العراق والشام ، شمالي جبل عنيز شرقاً وغرباً ، ويعلمها حسن السلوك ، ليطمئن بالك يا فهد ، وليطمئن بالك يا نوري ، وليطمئن بال صديقتي كما انكثرة وفرنسة . ان لشوحط ابن سعود ما يشغله عنكم الان . ولكن من يكفل المشاهرات والانتدابات الى الابد ؟

قلت ان السلطان عبد العزيز هو الذي دعا السر برمبي كوكس اليه ، وجاء يلاقيه في العقير . اما القصد من هذه الدعوى فمزدوج . حدثني سموه قال : « يظن الناس اننا نقبض من الانكليز مبالغ كبيرة من المال . والحقيقة انهم لم يدفعوا لنا الا اليسير مما تستحقه الاعمال التي قمنا بها اثناء الحرب وبعدها . ونحن لا نخلف معهم قبل ان يخلفوا معنا . يبتنا وبينهم عهد نحافظ عليه ولو تضررنا في اقسنا ومصالحنا . . . الانكليز مديونون لنا ، ترى الصحيح باستاذ ، ونحن لا نطالبهم ، من العار ان نطالبهم . ولكن ما هي سياستهم الان ، تراهم يغزلون ويغزلون . تراهم يدسون الدسائس علي - علي - انا صديقهم ابن سعود - احاطوني بالاعداء . اقاموا دوابل حولي ، ونصبوا من اعدائي ملوكاً ، وهم يمدونهم دائماً بالمساعدات المالية والسياسية . الشريف في الحجاز ، وابنه عبد الله في شرق الاردن ، وابنه فيصل في العراق . . . ما القصد من هذه الاعمال ؟ وما الداعي اليها ؟ انا ابن سعود صديق الانكليز وهم في سياستهم الشريفية يعاملوني معاملة العدو . . . ومن هو ابن سعود في نظر الشريف واولاده ؟

هو الجلف الكافر الخارجي . ترى الصحيح يا حضرة الاستاذ . قد قالوا ذلك . بل قالوا اكثر من ذلك . وهم مع ذلك يطلبون مني ان احمل على الفرنسيين في سورية لاجربهم منها . ترى الصحيح . »

ونادى اذ ذلك احد كتاب ديوانه ، فامرته ان يحضر بعض اعداد من جريدة القبلة ، فاطلعتني فيها على قصيدة ثبتت كلامه الاخير . قصيدة لشاعر حجازي يستنجد سلطان نجد على الفرنسيين في سورية . وفي عدد آخر مقالات كلها مطاعن في ابن سعود الجلف الخارجي . فقلت : الصحافة يا مولاي واحدة ، ان كانت في ظل الحرمين او في ظل برج ايفل . والرجل الكبير لا يكثرث باقوالها . فقال السلطان وكان قد احتدم غيظاً ، فذهب القرمز من شفثيه ، ونور العطف من ناظريه : اسمع . انا اعلمك^(١) . هذا قول الشريف لا قول احد الكتاب المسترزقين ، وساطلعتك على ضده ، بخط يده هات آخر كتاب جاءنا من مكة .

خرج الكاتب .

- هات اقموه .

من عادات السلطان انه حين يحتدم غيظاً يطلب القهوة . فنادى العبد في الباب . اقموه . وكُرر الصدى خارجاً عند النار .

- لا نسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في اعدائنا ما يقولون فينا ، ولا نطلب غير ما كان لابائنا واجدادنا قبلنا . ليعلم ذلك اصحابنا الانكليز . وضرب بالشوخط السجادة عند قدميه .

جاء الخادم بالقهوة فوقف امامه وقفه جندي الماني وسلم ثم انتظر الى ان ينتهي من كلامه .

(١) كانت تبطني هذه الكلمة « انا اعلمك » حتى سمعتها من العبيد ومن احد خدامنا فقلت لصديقي السيد هاشم وقد طفح الكيل ، ايعلمني حتى العبيد والبدو في بلادكم وهم لا يتعلمون شيئاً منا ، ولا احد يتنازل ان يخبرنا او يتلطف بافادتنا ؟ فاجابني السيد ، اليك ذلك . فابن نجد يعلمك وهو لا يريد غير الخبر . اعلمك هو اصطلاحهم في اخبارك . او ما سمعتهم يقولون : هات علومك اي اخبارك ؟ فلا يتقل التعليم على طبعك يا استاذ .

— وليعلم ذلك الشريف واولاده . قالها بلهجة اشد من الاولى ومكثها
بضربة اخري . ثم مد يده ، فصب الخادم القهوة ، ثم صب لي ، ثم للحضور .
دخل اذ ذاك الكاتب يحمل كتاباً تناوله السلطان ، وبعد ان شرب ثلاثاً دفعه
الي . قرأته وانا مدهوش — بعد ان قرأت مقالة القبلة — مما جاء فيه من كلمات
التودد والاكرام والتبجيل . اسلوب الديوان الهاشمي لا يتغير . ثم دفع الي ملحقات
خطه غير خط الكتاب وفيه الخبر اليقين ، حاوي خير ، فحواه : ان الملك حسيناً
يدعو السلطان الي الصلح والى الولا . والاتفاق ، ويعرض عليه ذلك مقيداً
بشروط منها ان تعاد تربيته واخرمه ^(١) الي الحجاز ، وان يعاد الي ابن الرشيد
ملكه في حائل وسيادته في جبل شمر .

— سلام — كلام ولا ندرى انصدق الكتاب ام الجريدة .

ثم سألتني رأبي وكانت قد تغيرت لهجته وسكنت فيه ثورة الغضب .

— ما رأيك يا حضرة الاستاذ ؟ لا نقل لي ان لادخل لك بالسياسة ، وان
سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط . «حنا» نفهم . ومر يده على لحيته وهو
يسم بسمته الخلافة . لا نتخدعنا بالاستاذ . لا تغزل عندنا في المقاصد والكلام
اصدقنا الخبر . فقد قابلت الشريف وحدثته ، وقابلت الامام يحيى والادريسي
والملك فيصل وحدثتهم كلهم . فأعطني الان رايبك . ابغني نصيحتك . تكلم
ويكفي ان تقول رايب تسدا « كذا » ولا جزم فنقبله منك . ولكني كالمعتك
بالحرية وابغني منك مثلها . المندوب السامي يصل غداً . «حنا» دعونا للنظر في
هذا الامر ، امر الشريف واولاده . فما رأيك يا صديقتي الاستاذ ؟ وماذا ينبغي
ان اقول للانكليز غداً ؟ اراك ساكتاً .

كنت قد افصحت عن رأبي فيما يختص بالموضوع وفروعه في احاديث
سابقة . ولكنني وجدت ان من المستحيل ان نخطو خطوة واحدة بدون ان
نتعثر بشيء للانكليز او من الانكليز في كل مكان ، خصوصاً في الخليج العجمي

(١) راجم القسم الاول صفحة ٥١ في الجزء الاول من هذا الكتاب.

وفي سواحل البلاد العربية على الخليج . فالانكليز محتكرون الخليج وهم يعززون هذا الاحتكار بنشر سيادتهم على ضفتيه الشرقية والغربية . ان لهم ها هنا ولا شك ما لهم في عدن من مصالح وحقوق قديمة لا يتنازلون عنها . وهم يأبون ان يكون لسواهم من الاوربيين او الاميركيين يد او رجل او شرع في تلك البقعة من الارض . اما في الخليج وفي الجهة العجمية منه فهم آمنون على انهم في السواحل العربية لا يطعمشون كل الاطمئنان رغم ما عقده من المعاهدات مع امراء العرب . ولولا ابن سعود وهو اول المتعاهدين واكبرهم لما امنوا التعديت البرية والبحرية . لست مبالغاً اذا قلت ان ابن سعود هو حامي بريطانيا العظمى في الخليج ، لانه يستطيع اذا شاء ان يخرج وكلاءها من الاساكل ويقضي على سياستها في السواحل العربية الشرقية فيستولي عليها . ما ضره اذن لو قال لانكثرة في سبيل مصلحته خصوصاً ومصلحة العرب عموماً كلمة حق صريحة؟ قلت مجيباً على سوء اله : قل للانكليز يا مولاي ان قد حان الوقت لواحد من امرين . اما ان يساعدوا امراء العرب مساعدة حقيقية فيحملوهم على عقد اجتماع عربي عام للنظر في الوحدة العربية او في تأسيس حلف عربي ، واما ان يرفعوا يدهم من التدخلات كلها فينهض امراء العرب انفسهم لهذا الامر ويحتمعون دون واسطة اجنبية .

فأكد لي السلطان ان الانكليز لا يعملون لا هذا ولا ذلك . ولو سعوا سعياً اكيداً ليجمعوا امراء العرب ويوفقوا بين المتعادين منهم لا يفلحون ، بل يزيدون الخرق انساعاً . ثم ضرب مثلاً على ذلك فأطلعني على طريقتهم : لنفرض ان شيخين من مشايخ العرب مختلفان في الحدود بينهما . والخلاف بسيط يمكن حسمه بواسطة شخص ثالث من البلاد . ولكن الانكليز يتدخلون في الامر فيعقده مأمورهم او وكيلهم السيامي فيصبح السلم بين المتخاصمين مستحيلاً اما الحق في ذلك فليس على المأمور الانكليزي وحده . كلا ، العرب انفسهم يشاركون في الذنب . كل من الشيخين المتخاصمين يقول في نفسه : لا بد ان يتحزب المأمور الانكليزي اما لي واما علي . وهذا اكيد . هي عادة الانكليز في

تدخلاتهم كلها . فيضاعف العربي مطالبه عشرة اضعاف ، ولسان حاله يقول :
 اذا كان الانكليز معي فيعطوني حقي وزيادة ، واذا كانوا علي فيعطوني في الاقل
 بعض ما اطلبه ، ولا بد ان يكون فيه شيء من حقي .
 ثم قال السلطان : هذه طريقة العرب يا حضرة الامتاذ ، وهذه طريقة
 «الانكليز» . عسى ان الله يعلمنا فنعقل ويؤددهم فيعدلون . . . هات اقموه .

الفصل التاسع

مؤتمر العقير

بلاد الغربية — خباء الكآبة والغم — الرفيق الحزين — الاستاذ المزين — الشوق
والحنين في الفسقاط — الشوق والحنين في المضارب — السر — اشعار نبطيّة —
« الله نزل الانكليز » — وصول المندوب السامي — اول جلسة من جلسات
مؤتمر العقير — قبلة السلطان ونكته — الحكومة والعشائر — الحكومة الضعيفة
تسترضيهم والحكومة القوية تضربهم — « ائتمدوا السيف فيطنون ائتمدوا السيف
فبرتعون » — رجال الاقتصاد في المؤتمر — النقابة العمومية الشرقية — شركة
عبادان — امتياز الحسا — المجر فرنك هومس — فهد الهذال — مندوب
حكومة العراق — السر برسي كوكس يوكل بي السلطان .

ملنا الإقامة في العقير ونحن ننتظر المندوب السامي . وما العقير غير حواشٍ
من الخليج والنفود ، شمسها في شهر كانون محرقة ، ورطوبة هوائها تنهك حتى
الابل . ولها مزية اخرى بعدها العرب من الافات ، العرب الذين لا يقيمون
زمنًا في مكان وهم يستأنسون كثيراً بالاسفار . فقد قالوا ان العقير هي الغربية
بعينها ، تبعدهم عن الاوطان ، عن الاهل والعيال . ساد في المضارب روح السامة
والكآبة فكان اشد وطأة من الرطوبة في الهواء .

سمعت حتى البعيد يشكون . وكانت خيمتي ، وانا الوحيد بين هذا الناس
البعيد حقًا عن الاوطان ، البعيد عن الاهل والخلان — واحق منهم لذلك
بالشكوى — كانت خيمتي خباء الكآبة والغم . فسألت رفيقي الاديب السيد
هاشم عن السبب في بؤس حاله :

— هل هناك غير الهواء والوحشة والانكليز ؟

— لا شيء من ذلك يا استاذ .

— وهل هو مما يستطاع مقاومته ؟ هل يمكنني ان اقوم بشيء يخفف

وطأته عليك ؟

— لو كنت يا عزيزي الاستاذ مزينا ، وكان عندك مقص وكنت ترغب

في خدمتي لفعلت .

ففتحت اذ ذلك حقيقتي وقلت : شروط ثلاث تم منها اثنان . فما المقص وها

انا ذا . اتبعني ان اقص شعرك ؟

— لا يا استاذ . بل هذه اللحية التي تناولت علي ، فافسدت عيشتي ،

سودت ايامي .

ولكننا لم نفز بتبييض شيء منها ، اي من ايامه . فبعد ان شدت لحيته

وجعلتها لحيه نجدية قصيرة مستديرة ، قال السيد الحزين : لله يا استاذ ما اضعف

الانسان وما اسخف اراءه ساعة يستولي الحزن عليه . حاولت ان اخفي حزني في

لحيتي فما نجحت . اضحككتني يامزين — زين الله حالك — ولكنك لم تفرج

غمي . لله در من قال : لا تخف ما فعلت بك الاشواق . وكأنه لمس وترأ في ،

شدته الى حد الانين يد الهجر والنوى ، فان لسان حالي يقول : وامرح هواك

فكنا عاشاق .

— كانت لي امرأة يا حضرة الاستاذ بارعة جميلة ، حسنة الخلق ، لطيفة

الذوق ، شديدة الهيام ، وكانت وحيدة قلبي وبيني . متعني الزمان بها سنتين

ثم جاء القواد الموت اختطفها من بين يدي . فهجرت الكويت وجئت نجد

ابغي علاجاً في البعد والنسيان . ولكن العقير تعيد الي ألم الذكرى ، ادتني

العقير من الكويت والاحزان . . . لله ما اضعف الانسان . . . يا هوبدي ^(١)

هات القهوة ^(٢) .

ولما كنا ذات ليلة في مجلس السلطان جاء النجباء بالبريد ، وفيه كتب

لأناس في معيته فوزعت عليهم . ثم شرع عظمته يقرأ كتبه والكتائب جالس

عند قدميه فيطرحها اليه سئماً ، حتى وصل الى كتاب عرفه قبل ان يفرضه ،

(١) هوبدي تصغير عبد الهادي .

(٢) في نجد يسكنون فاء الاسم ويحركون العين اذا كانت ساكنة ، او بالحري ينقلون

حركة الفاء الى العين ، فلا يقولون قهوة او شجرة او الدهناء بل اقهوة واشجرة والدهناء .

فاريد جبينه وهو يطالعه . ثم مال وجهه الي وقال : هو من الاهل ، وهم يشكون البعد والهجر . منذ اربعة اشهر « حناً » في الحسا ، وفينا مثلما فيهم من الشوق والحنين . . . ما كنا نبطىء بالرجوع لولا المندوب السامي وهو صديقنا . انا احب السر برمى كوكس واحترمه ، ولكنه ابطأ ، ابطأ جداً . وهذا الهواء الردي ، هواء العقير ، وهذه الوحشة التي لولا انك يا استاذ لما كانت تطاق . « حناً » اهل العارض لا تتحمل هواء الساحل ، سئمتنا الاقامة هنا ، مرضنا . وسنرجع اذا كان لا يصل السر برمى كوكس غداً ، اي بالله نرجع ثم كلم الحاجب في الباب : هات اقوه . فردد الحاجب : اقوه . واجاب راعي المعامل عند النار : اي والله اقوه .

وبين كنا عائددين تلك الليلة الى الخبا مررنا بحلقة من حلقات الربع حول نار مشبوبة يوماً كل من يبغي القهوة من الخدم والاسياد . فكانت حافلة عامرة تباري النار تأججاً واللهيب حنيناً . فافسحوا لنا مكاناً وهم يواصلون قص القصص ويروون من الاشعار ما يفصح عما فيهم من الشوق والحنين ، فيردد الجلوس اخر كلمة من كل بيت وفيهم طرب يمازجه الغم .

باليستي حرته ^(١)	احمل ذهابه وماه .	الجلوس : وماه
باليستي مهرته	وزينه ^(٢) عن عداه .	« : عداه
باليستي محبته	واكل معه من عشاءه .	« : عشاءه
باليستي نعلته	واطا معه ما وطاه .	« : وطاه

— زين بالله زين !

ولكنها ابيات قيلت في مدح ابن رشيد . فقال راويها : ولكنها لسان حال صديق لي بالمنفوحة .

يا جالي الحب ما تجلاه تجلي الموده ونفطن لي ^(٣) . الجلوس : نفطن لي

(١) حرته اي ناقته الحرة النجبية .

(٢) زينه في اصطلاحهم ابغده او حماه .

(٣) يابعد الحب والموده الا نفطن لي وتبعني اي تدنوني منهما .

طوافي الحب طوي اللحا^(١) عجزت عراويه تنحلي . الجلوس : تنحلي

— زين بالله زين .

— صب يا دحيم^(٢) .

فقال دحيم وهو يصب القهوة : حننا العرب لا نصبر على البعد والجفاء فقال
اخر شارحاً مفصلاً : يقول دحيم ، اننا لا نصبر على البعد عن الحرم . نبغي النساء
أبدًا ، دائماً . والشيوخ اشدنا شوقاً اليوم . الله يغربل الانكليز^(٣)

وقد استجاب الله سبحانه طلبه الاعرابي فغربل فريقاً منهم في اليوم التالي
وقذف ما في الغربال الى شاطيء العقير . اجل وصل المندوب وحاشيته مساء ،
فبادر الخدم اليهم باخيل ولاقام السلطان على الرصيف عند القصر . ثم عادوا
كلهم راكبين ، فترجلوا عند فسطاط الاستقبال وكان قد انير بنور قندبل اسمه
« اللوكس » ويدعى هناك بالكهرباء .

جلس المندوب السامي الى شمال السلطان^(٤) والى جانبه كاتب سره والوكيل
السياسي في الكويت والميجر دكسون . أمور الارتباط في البحرين . وجلس
الشيخ فهد الهذال بيني وبين عظمته الى اليمن .

اعتذر المندوب السامي لانه ابطأ ، فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما
كان ينقد في صدره وهو ينظر اليه غير مكترث بسواه . فجاءت الكلمة الاولى
قنبلة زعزعت المكان . — انا لا اخشى الا الرجل الذي لا شرف له ولا دين .
ثم قال : لا ندرى يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها
الخير . ومما تعلمه علم اليقين ان العشائر ، خصوصاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى

(١) اللحاء قشر شجر الطلح . ولكي يستقيم الوزن والقافية يجب ان تلفظ اللحاء على
القاعدة النجدية بتسكين اللامين اي اللحاء . وهذه الايات من الشعر النبضي الذي يتغنى
به اهل نجد .

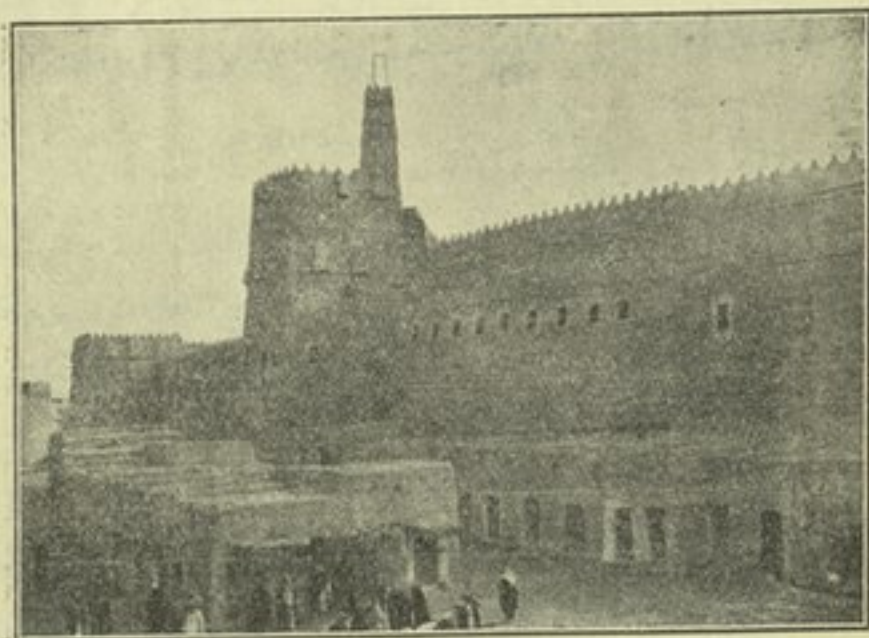
(٢) دحيم تصغير عبد الرحمن .

(٣) قلما يسبون في نجد ولكنهم اذا اغتاضوا من احد يقولون ، الله يغربله ، اي يغربل
الشرف منه ، واذا اشتد غضبهم وسخطهم يقولون : سلط الله عليه .

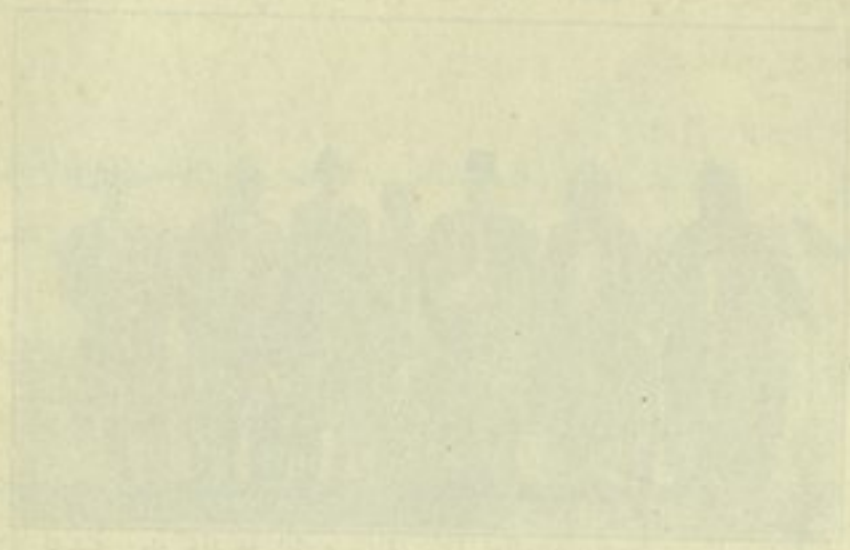
(٤) كان المندوب اول من دخل الى الفسطاط واظنه اختار المكان تأديباً ، اما الشيخ فهد
فلا اظن ان عظمته السلطان اجلسه الى اليمن .



اعضاء مؤتمر العقير



قصر عظمة السلطان عبد العزيز في الرياض



حكومة قوية شديدة الساعد ، بل لا تبغيها . لان الحكومة اذا كانت قوية
تضربهم توذيبهم ، فيتأدبون . اما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال
اليوم . . . العشاير يا حاضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . والا فهم يركبون
علي ظهر الحكومة ويسوقونها والبلاد الى مهاوي الخراب . . . اشهروا السيف
يرتدعوا ، يتأدبوا . اعمدوا السيف يذهبوا ويقتتلوا . وبتقاضوكم مع ذلك الخوّة .
فاه عظمته بهذه الكلمات موليا وجه المندوب السامي وظهره فهد الهذال .
وكان الشوخط الطويل بيده يساعد بالافصاح والتمكين ، فراىني بل راعني منه
هذا التصريح ، فقلت في نفسي : سامح الله عبد العزيز . قد اخطأ في استرساله
الى غضبه . ولكنه وهو السيامي المحنك اراد ان يفهم ابن الهذال بانه صريح
مع الانكليز كما هو صريح مع العرب ، وانه في الحق لا يهاب بشراً . على ان
المجلس ادلهم هنيهة من كلامه فجاء هو على عادته ، كما قلت سابقاً ، يجلوه بكلمة
لطيفة فأزال الاقتباس الذي استولى على النفوس . لانه في غمزه قناة الهذال
اهان حكومة الانتداب التي تدفع له مشاهرة ليحفظ الامن في البادية بين
العراق والشام .

— اعمدوا السيف يقتتلوا وبنهوا .

ثم مال بوجهه الى الشيخ فهد وقال مبتسماً : اليس كذلك يا فهد . « حذاً »
نعرف بعضنا . فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العمارات الذي كان
يحدق نظره في السجادة ، ثم يرفعه خلسة الى المندوب السامي كأنه يقول : لا
بارك الله بساعة جئت فيها معك .

هذه اول جلسة وان كانت غير رسمية في مؤتمر العقير ، تبعتها جلسات سرية
بين السلطان والمندوب ، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق ووكيل
بريطانية السيامي في الكويت والشيخ فهد الهذال . وكان الكتاب والمترجمون
— الميجر دكسون من الجهة الانكليزية والدكتور عبد الله من الجهة العربية —
والاخصائيون ايضاً من البدو الخبراء بارض الشمال وحدودها واماكن الماء فيها ،
يؤمنون من حين الى حين خيمتي الصغيرة . فرأيت ان رغبة الفريقين بالسلم رغبة

حقيقية ، وان السعي مع ما تخلله من وعيد وتهديد ظل متواصلاً حتى النهاية ، فكلت في اليوم الخامس اعمال المؤتمر بالنجاح ^(١) . ولم يحرم مؤتمر العقير غير ممثلي الصحافة . اما رجال الاقتصاد وطالبو الامتيازات ، الذين يحومون على كل مؤتمر يعقد في اوروبة في هذه الايام ، فقد شرف بعضهم العقير وكان البعض ، وهم علي الشاطي ، العجمي من الخليج ، يتقربون من ذوي الامر فيه باسم الصداقة للعرب — والبتروول . فقد علمت ان السير آرنلد ولسون رئيس شركة الزيت الانكليزية الفارسية في عبادان كتب الى صديق له في المؤتمر يسأله مفاوضة السلطان عبد العزيز بخصوص امتياز في الحسا .

ولكن الذي كان قد باشر المفاوضة فجاء بنفسه ونصب خيمته بالقرب من فسطاط السلطان هو الميجر فرانك هومس وكيل النقابة العمومية الشرقية بلندن . كنت قد سمعت بالميجر في عدن وعسير ، فأدهشني امره عندما اجتمعت به على رمل العقير . هو في العقد الخامس من العمر ، وفي طور الشباب هممة ونشاطاً . فقد ساح في تهامة وفي الاحساء بالرغم عن انه لا يعرف كلمة في اللغة العربية ، وهو يبحث عن الزيت وينشد مثل شركة عبادان الامتيازات . على ان الفرق بينه وبين تلك الشركة هو ان حكومة بريطانيا العظمى تعضدها لانها تملك سبعين بالمئة من اسهمها ، وتقاوم كل شركة سواها تبغي امتيازاً في الشطر الشرقي من البلاد العربية . قال لي الميجر هومس ذات يوم في العقير : لا خصم لنا غير حكومتنا . ولكن لا دخل لنا في السياسة ، نحن تجار ننتفع وننتفع .

لذلك منحه السلطان عبد العزيز امتياز الحسا ، بالرغم عن مقاومة الحكومة الانكليزية التي كانت تفضل ان تمنحه لشركة عبادان . ثم شد الميجر اظنابه في الكويت وفي البحرين حتى وفي العراق . فاذا جاء فوزه مقابلاً لجزء من سعيه ، وكانت شركته بعيدة دائماً عن السياسة ، قد يصبح اشهر من نالوا امتيازات في

(١) راجع تاريخ نجد الحديث الفصل الخامس والثلاثين ص ٢٧٨ « مؤتمر العقير »

البلاد العربية واحبهم الى العرب .

وقف في صباح اليوم السادس مندوبو المؤتمر للمصورين فينا وقفه الرضى والامتنان . وكان الميجر هومس مع الفريقين ، من تصوروا ومن صوروا . ثم انتثر العقد ورددت كلمات الوداع . فعاد كل في سبيله يشني على رجل المؤتمر ، بل رجل نجد الكبير السلطان عبد العزيز . حتى ان الشيخ فهداً كان صباح ذلك اليوم من الراضين ، المسرورين ، المادحين . سأله السلطان عند الوداع : هل من حاجة تقضيها لكم ، فاجاب : نعم يلزمنا بعض العمايات^(١) . فقال عظمته : ارسل احد رجالك معنا نرسلها اليك من الحسا . ففعل . ثم جاء في يعتذر ، والرضي ابو العطف والاتضاع ، لانه لم يرد زيارتي فقال : ان اشغال المؤتمر حالت دون ذلك ، وامر كاتب مسره ان بدون اسمي في دفتره ، دفتر المقربين المغبوطين . ثم دعاني بارك فيه الى ديرته في الشمال قائلاً : سنقوم هناك بواجبكم ان شاء الله . اما مندوب حكومة العراق فامرهم يحزن . كان قد مرض في الطريق الى العقير فوصل الينا وردبفته الحمى . وكان اثناء المؤتمر يشكو كل شي . — ثقل الهواء ، وملوحة الماء ، ووحشة البيداء ، وظلم السماء ، ويقبل مع ذلك يد السلطان عبد العزيز . اظنه كان يجهل ان اهل نجد لا يقبلون يد السلطان ، وان تقبيل الايدي هو مستنكر عندهم . سألتني عند الوداع قائلاً : اصحيح انك مسافر مع السلطان الى نجد ؟ فقلت : نعم . تعال معنا . فقال : وان اعطيتني ثقل رمال البادية ذهباً لا اخطو خطوة اليها . ها هنا — و اشار الى البحر — خلاصي . البحر يوصلني الى بغداد . وكان في كلماته وفي تنهداته يمثل العاشق المشتاق ، البعيد عن جزر الواق الواق . مسكين المتمدن الذي لا يستطيع ان يستغني عن المدينة ولو يوماً واحداً .

اما الانكليز في المؤتمر فما سمعتهم مرة يشكون ، شأنهم في كل مكان . فهم يقبلون كل حال حسنت او ساءت ، عاملين عملهم جادين ، راضين بقسمتهم الوقنية ساكتين صابرين . ودعوني ولسان حال كل منهم يقول : هنيئاً لك ،

(١) النوق العمانية من عمان وهي انجب الابل واعزها .

باليثني مسافر معك .

ولكن المندوب السامي السري برمي كوكس فقال لي ساعة الوداع : وهلا
سافرت الى الربع الخالي ؟ فقلت ضاحكاً : كأنك تبغي هلاكى . ثم فاه وهو
يودع السلطان بكلمة استني الاولى لان فيها منحت ضمناً حق الحماية
الانكليزية . قال باللغة العربية مخاطباً السلطان ومشيراً الي : هو بدمتك .
فاجاب السلطان بكلمة الطف منها واجمل . قال ويده على كتفي : الاستاذ
نجدى الان ، هو منا .

الفصل العاشر

العدل اساس الملك

عدل ابن سعود — الشرع — البسط في المذهب الوهابي — عرب البادية —
 الخطاب — « لولا الشيوخ والله لا ذنبه » — الامن في نجد — من القطيف الى ابها
 ومن وادي الدواسر الى وادي سرحان لا يسأل المسافر من ابن ولى ابن ؟ —
 طريق الحسا في عهد الاتراك — « الخوة » كل خمة امبال — عبدالله ابن اجلوي —
 عمر الاحساء يؤدب ابنه — « اذا كنا لا نبداً بانفسنا فكيف نعدل في غيرها » —
 لصوس بني مرة — ثمانية رؤوس تقطع في ساحة الهنوف — التدخين في نجد —
 الصلاة — من يبسطون ممن يدخنون ومن لا يصلون في المسجد .

العدل اساس الملك ، ومن العدل ما كان يعجب ، ومنه ما كان يرعب
 ويخيف . وقد شاهدت من مظهره في بلاد نجد ما لم اشاهده في البلاد العربية
 كلها . بل ما وجدت خارج نجد بلاداً تتمثل فيها هذه الحكمة « العدل اساس
 الملك » ذلك التمثل الصحيح الشامل ، ذلك التمثل المعجب المخيف معاً . عدل
 ابن سعود ! كلمة تسمعها في البحر وفي البر وفي طريقك الى نجد قبل ان تصل
 اليها . كلمة يرددها الركبان في كل مكان يحكمه سلطان نجد ، من الاحساء الى
 تهامة ، ومن الربع الخالي الى الجوف .

وما عدل ابن سعود غير الشبرع — غير عدل النبي . اصف اليه قسوة في
 بعض الاحكام الاجتماعية اشتهر بها المذهب الوهابي . فمن يدخن مثلاً يبسط ^(١)
 وكذلك من لا يصلي . اما احكام الشرع فمعروفة الا انها تنفذ في
 نجد بلا تردد ولا محاباة ، ولا مرافعات لوليات طويلات . حكم ابن سعود لا
 يعرف في سبيل العدل كبيراً او غنياً . كل الايدي الاثيمة عند الحاكم سواء ،
 وكل الرؤوس سواء عند السياف . وكم من يمين في اول عهد هذا السلطان
 الكبير قطعت لسرقة صغيرة . وكم من رؤوس طاحت الى الارض لذنب يخففه
 (١) البسط عندهم هو ان يطرح الرجل الى الارض ويضرب بالرطب من عسيب النخل .

في غير ذلك الحال وذلك المكان عذر وندامة . ان مثل هذا العدل ليثير
خواطر المتمدنين ويقضب من عاشوا في ظل الاحكام المدنية التي لا تخلو من
الزأفة والحنان ، وان كان العدل لا يسلم دائماً فيها .

شاهدت بسط رجل في الرياض لاغتصابه فتاة صغيرة . بسطه العبيد على
بطنه وأمسك عبداً منهم يديه ورجليه وسقط العبدان الآخران بالعسيب
الاخضر على ظهره بعدون الضربات الى ان عدوا الخمسين او الستين . نفرت من
ذا المشهد نفسي ، وسئمت العيش بعد ذلك اياماً . ولكن من يعرف عرب
البادية ويقم بينهم ويخبرهم يرى وجوب مثل هذه القسوة في تأديبهم وضبط
امورهم .

اما المظهر الجميل في عدل ابن سعود فاليك مثلاً صغيراً منه . كنا في
العقير نحتاج الى الكثير من الخطب ، وكان يجيء البدو باحمال منه يبيعونها الى
رؤساء الخدم باسعار غالية لقلّة الخطب في ذاك المكان ولعلمهم بحاجة الشيوخ
وضيوفه الانكيز اليه .

وقف يوماً احد هؤلاء الخطابين ومعه اربعة جمال محملة . ساومه قيم
السلطان عليها ، فطلب الجمال روبيتين^(١) ثمن كل حمل ، وسعره الاعتيادي
نصف روبية . نزل الجمال الى روبية ونصف . رفض القيم شراًها . ساق الجمال
جماله . ناداه القيم ودفع له روبية فأبى . فقال القيم وكان الجمال قد ولى باحماله :
'بدوي' قواد . لولا الشيوخ والله لأدبته .

ولو كنا في معسكر تركي او اوروبي وكان الجيش بحاجة الى الخطب فهل
تظن انهم كانوا يعاملون هذا الخطاب مثل هذه المعاملة ؟ بل كانوا يكرهونه على
البيع بما يريدون ثم يسخرونه . لولا الشيوخ لفعل الخدامون بالبدو الخطابين
مثل هذه الفعلات . ولكن حق البدو يعطى لهم — وحقهم ان يبيعوا ما يملكون
بما يشاؤون ويستطيعون . اما حق ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل ، وان اقتضى
الامر بسيف العدل البتار .

(١) الروبية من عملة الهند وهي تساوي نحو سبعة قروش مصرية .

اذا كان العدل اساس الملك فالامن اول مظهر من مظاهر العدل . وفي نجد اليوم من الامن ما لا تجده في بلاد الانتداب السعيدة بل في البلاد المتعدنة . لا يظنني القارىء مبالغاً بما اقول . ولست على ما اقول مستشهداً بنفسى ، مع ان رحلتي النجدية استمرت خمسة اشهر ، قطعت في اثنا عشر الدهناء مرتين ، جنوباً في طريقي من الحسا الى الرياض ، وشمالاً في طريقي من القصيم الى الكويت ، وكانت حقائبي وفيها مالي مكسرة الاقفال مفتوحة وهي مع الحملة بعيدة مني النهار كله ، وكان في خدمتي اناس من البدو ، فلم افقد مع ذلك شيئاً من حوائجي ولا ورقة من اوراقى . الا انى لا اقدم نفسى حجة لاثبات ما اقول عن الامن في نجد لانى كنت اسافر بطريقة ممتازة مصحوباً بعشرة الى خمسة عشر رجلاً من رجال السلطان .

ولكن الامن في نجد لا يحتاج الى رحلتي مثلاً واثباتاً . ان له اكبر دليل واقطع حجة في اهل البلاد انفسهم ، المسافرين من قطر الى قطر ، وفي القوافل التي تسير اربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف الى طرف ، من القطيف مثلاً الى ابها ، او من وادي الدواسر الى وادي مراحان ، دون ان يتعرض لها احد من البدو او الحضرة ، دون ان تسأل من ابن والى ابن .

قدمت مثلاً صغيراً على العدل . وهالك مثلاً صغيراً على الامن في نجد اليوم . كانت الطرق في الاحساء في عهد الاتراك لا تعبر الا بقوة عسكرية ، او بدفع « الخوة » . وكانت الطريق بين العقير والحسا ، وهي طريق التجارة الى نجد الاسفل ، اكثرها واشدها خطاراً . فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول الى الهفوف — مسافة اربعين ميلاً — يضطر ان يدفع « الخوة » كلما اجتاز خمسة اميال او عشرة من هذه الطريق الخفيفة ، طريق التجارة والاموال . جاءها العجمان من الجنوب ، وبنو مرة من الربع الخالي ، والمناصير من قطر وما دونها ، وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف والكويت ، وجاء من داخل البلاد ، من وراء الدهناء ، الدواسر الاشوا من ، فحاموا على هذه الطريق وربطوها ، ووقطعوها ، ونقاسموا اموال قوافلها .

كان يجبي ، التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل ان يطأ برجله العقير «خوة» للعجمان . ومن العقير الى النخل خمسة اميال وخمسون ريالاً «خوة» للمناصير . ومن النخل الى ام الذر خمسة اميال وخمسون ريالاً «خوة» لبني مرة . ومن ام الذر الى العلاة خمسون ريالاً «خوة» لبني هاجر . ومن العلاة الى ٠٠٠ الخ وإذا فاز التاجر المسكين بحياته وبقي شيء في كيسه ، فمن المؤكد ان احماله لا تصل كلها الى الحسا . وكان اذا خرج عسكر الترك لتأديب احد من هؤلاء العشار بطاردهم البدو فيغلبونهم ، يأخذون خيلهم وثيابهم ، ويرجعونهم الى الحسا حفاة عراة . ثم يجبي البدوي منهم راكباً حصان الجندي التركي ليبيطره على مرأى من السلطة المدنية .

هذه هي حال الاحساء قبل ان سقطت في يد ابن سعود . اما اليوم — قد مررنا في النفود يحمل بارك ، رازح تحت حملة . فسألت عن صاحبه فقيل لي انه سار في طريقه وسيرجع بعد ان يصل الى البلد يحمل آخر يحمل البضاعة . وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حملة على قارعة الطريق عشرة ايام فيعود صاحبه فيجده ، وما مسته يد بشرية ، كما تركه في مكانه . كيف تمكن ابن سعود من اقامة مثل هذا الامن وتوطيده في بلاده ؟ بامرین : اولهما الشرع وثانيهما الارادة والوجدان في تنفيذ احكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد ولا التمييز ، ولا الرأفة ولا المحاباة .

ليس السلطان وحده في هذا الامر الخطير . فان امراءه كلهم يأخذون عنه ويمثلون به . وبين هؤلاء الامراء رجل مشهور يحكم الحسا . هو اكبرهم همة ، واشدهم تعصباً للعدل ، يجلس في كرسي القضاء وحده . فلا تجلس معه الرحمة ، ولا تجلس معه المحاباة . عدله عدل عمر بن الخطاب وقسوته قسوة البدو . يأمر بالقطع وبالنطع ولا يبالى . هو عبد الله بن اجلوي^(١) امير الحسا وابن عم السلطان عبد العزيز . ان امم عبد الله ليرعب الناس اليوم ويروع منهم المجرمين .

(١) اصله جلوي من جلا جلجو ولكنهم في نجد يسكنون الفاء من الاسم ومن ذلك أيضاً قولهم : ابدوي اي بدوي .

ان له صدى يقوم مقام الشرع في كل الاحصاء ، من اطراف القطيف شمالاً الى وادي جبرين جنوباً . انه ليخيف اكبر البدو ، واكثرهم استهتاراً . بل هو امم تخوف الامهات به اطفالها .

ان لعدل عبدالله بن اجلوي عيناً واحدة لا ترى غير المذنب ولا ترى في ذنبه غير ما يستوجب التأديب في الحال . وهو اسرع في تنفيذ احكامه واشد من ابن عمه السلطان عبد العزيز . ان ساحة الهفوف لساحة الدم ، ساحة القطع والنطع . خذوه الى الساحة ! وبعد هنبئة يلمع سيف السيف في شمس الضحى فلقع اليد او الرجل او الرأس في حجر القضاء ويهز العدل رأسه استحساناً . جاء عبدالله ذات يوم رجل يشكو ولدأ ضربه وشتمه . فسأل عبدالله : ومن الولد ؟ فقال الرجل : لا اعرف اسمه . فقال عبدالله : وهل تعرفه اذا عاينته ؟ فاجاب الرجل بالايجاب . فامر الامير ان تجمع عنده اولاد ذلك الحي من البلد . فاحضروهم كلهم وجاء الشاكي فنظر اليهم واثار الى غريمه ، فمس احد الحضور في اذنه . هو ابن الامير . فجمجم الرجل بعض كلمات اراد بها الاعتذار والعدول ، فردده الامير ، وسأل الولد فأقر بذنبه . فأمر العبيد ان يسطوه امامه وان يقدموا للشاكي عسيباً اخضر من النخل . فتردد العبيد واجمى الرجل . فاخذ الامير القضيب بيده وشرع يضرب ابنه ويقول : اذا كنا لا نبداً بانفسنا فكيف نعدل في غيرنا .

جاء ذات يوم الى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة ، اشد القبائل في الجنوب توحشاً ، يطلبون عيشاً وكسوة . فكان لهم من السلطان ما يبنون . ثم ارتحلوا شرقاً الى الحسا فمروا في طريقهم ببعض الابعر ترعى فساقوها امامهم فشكهم اصحابها الى السلطان في الرياض ، فبعث السلطان بنجاب يحمل الخبر الى الامير عبدالله في الحسا . وصل النجاب قبل ان يصل عربان بني مرة ، فتحركت اسباب العدل عند الامير بالسرعة التي اشتهر بها . ركب اربعمئة من رجاله وراحوا منقسمين اربعة اقسام ، شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً ، يفتشون عن عربان بني مرة اللصوص . وما مر اربع وعشرون

ساعة حتى جاءوا بهم وبالبعارين المسروقة الى الهفوف ، فوقفهم امام ذلك
العربي الروماني ، العربي شرقاً ، الروماني عدلاً ، وكان سؤال ، وكان جواب ،
وكانت الكلمة : الى الساحة !

هناك امام الامير والجمع المحتشد يشتغل السيف ويستغل معاونه
والطريقة في الاعدام بسيطة سريعة مدهشة . فيها دقة نظر وفيها مهارة .
انهم يركعون المذنب على ركبتيه ، ثم يرقص امامه المعاون ليلبيه عن السيف
الاخر المرفوع فوق رأسه ، فيكره اولاً السيف وكرة شديدة سريعة في رقبته
تحت المخيخ ، فيتحرك الرأس الى الامام ، فيتقلص عصب الرقبة ، فيضربها
اذ ذلك ضربة - ضربة واحدة ! - يطيح منها الرأس الى الارض . دقيقة
واحدة تبدأ بالرقص وتنتهي بالنطع ، فيتحدث بها الركبان في نواحي
البلاد كلها .

وفي ذلك اليوم الرهيب لمع سيف السيف لمعات ثماني في ساحة الهفوف ،
وفي شمس الضحى ، فرقصت على الارض ثمانية رؤوس من بني مرة . . . ياراعي
البعارين ، ضاع لنا بعير فهل عاينته في الطريق . . . ؟ هوذا ياخويي البعير
تعال خذه . . . العدل اساس الملك وسياجه . فان القلاع التي بناها الترك في
الطريق الى الحسا هي اليوم مهجورة متهدمة ، والقوافل تسير ثمانية ميل شرقاً
وغرباً وثمانية ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود وهي تدعو له بطول العمر
وتشكر الله .

قلت انهم يسطون من يدخن في نجد ، ويططون كذلك من لا يصلي .
وللكلمتين شرح توجه الحقيقة والانصاف ، لان الناس في ما يسمعون من
عجيب الامور ومنكرها بالافون ، ولا يهجم من الحقيقة غير ما يثبت منها
المبالغات .

التدخين ممنوع في نجد بل في ملك ابن سعود كله ، ولا احد يدخن عنك
او في الاسواق ، لا في الحسا ولا في العارض ولا في القصيم . ولكنهم في الحسا
وفي القصيم يدخنون في بيوتهم ، والمشايخ يتساهلون . وقد رأيت في الرياض من

يدخن مرأ حتى في حضور اقرب الناس الى السلطان . ذلك لانهم لا يرون في الدخان ما يراه المتعصبون من العلماء . اما السلطان فهو يحب الروائح الطيبة ويشمئز من رائحة الدخان . وما كان ليزورني كل ليلة على ما اظن لو كنت ادخن يوم كنت ضيفه في القصر بالرياض .

حدثنا المستر فليبي في كتابه « قلب البلاد العربية » قال : كنت انا ورفيقي ندخن ذات ليلة (وكانا مثلي ضيفين في القصر) اذ دخل علينا عبد يعلمنا بقدم الشيخ . وكانت الغلابين وعلب التبغ مبعثرة على الديوان ، فخبأناها مسرعين وفتحنا الشبايك كلها . الا انه عندما دخل السلطان كان الدخان لا يزال منتشرأ في الغرفة . فجلس متجاهلاً ، وكان لطيفاً على عاداته . ولكن احد العبيد جاء توأ بالمحمرة وفيها الطيب فقدمها لسموه ودار علينا بها مراراً ثم تركها على السجادة في وسط القاعة تطهيرأ للهواء .

تجاهل السلطان مع ان دخان الغلابين اكره شيء لديه ، وكان لطيفاً على عاداته . ولكنها كانت اول زيارة منه الى ضيوفه في منزلهم ، وآخر زيارة . هاك مثلاً آخر من تلففه وتساهله .

في الرياض حي يكنه العلماء . والعلماء حاسة شم تحترق الجدران فتعرف ما وراءها من دخان ، وتميز بين الحلال منه والحرام . لذلك لا يجراً احد في ذاك الحي ان يشعل سيكارة لا مرأ ولا في غرفة مظلمة تحت الارض ! واذا خاطر بنفسه واستهتر ، فاكشف امره ، يحاكم امام الشيخ ، وعند اثبات الجرم ، بعد استماع الشهود يُبسط حالاً لا محالة ، « يطقه » - يضربه - العبيد من من اربعين الى ثمانين ضربة حسب خطورة الذنب وسوابق المذنب فيه . وقد سمعت السلطان عبد العزيز يقول لرجل من اخصائه كان يبحث يومئذ عن بيت لينقل اليه : في محلة الشيخ (اي في حي العلماء المذكور) بيت كبير ولكنك تعلم انهم هناك بواظبون على الصلاة ويشددون في الاحكام فتضطر ان تصلي دائماً في المسجد .

ان في كل مسجد بالرياض كما قيل لي جريدة باسماء الدين يصلون فيه ،

يقراها الشيخ كل يوم صباح مساء . فاذا كان احد غائبا يزوره وفد من
 الاخوان في بيته . قد يكون مريضا فيعودونه ويواسون ، وقد يكون مستغرقا
 في النوم فينبهونه وينصحون ، وقد يكون كسولا فيحذرون . اما اذا تغيب عن
 الصلاة ثانيا بلا سبب فيعظونه ويوبخون ، واذا كرر فعلته فيبسطونه لا محالة ،
 ويعملون في ظهره النخل او الخيزران .

هي حقيقة الوهاية في العارض ، بل في الرياض ، بل في حي خاص من
 احياء الرياض . وكلما بعدت من ذلك الحي ومن تلك المدينة ، وكلما بعدت من
 العارض شمالا او شرقا ، تبعد من الغلو في الدين — دين التوحيد — ومن
 التعصب في تنفيذ احكامه الاجتماعية .

الفصل الحادي عشر

الاخوان

رسل الهول ورسل التوحيد — جنود ابن سعود — غلو من بدين بدين جديد —
 « انا خيال التوحيد اخو من طماع الله » — الحروب النبوية — تساهل الفآحين
 المسلمين — شجاعة الاخوان — هوسهم ، هبت هبوب الجنة ، اين انت يا باغيها ؟ —
 آتون الايمان — نوار مثال من الاخوان — الزكركت — التدخين والفساء —
 نوار لا يصلي من اجل المريض الكافر — اهدده بالذبح — « الله يجبرنا وياكم
 من النار » — الاخوان ثلاثة اصناف ، المجنون والمتعصب والمتساهل — فلاسفة
 في الشدة والفر — قوة هائلة بنقصها ادارة ونظام — خطبة السلطان عبد العزيز
 وهو ينذر الاخوان.

من هم الاخوان ؟ من هم اولئك النجديون الوهايون الذين يردد الناس في
 كل قطر من الاقطار العربية اسمهم مستعبدين بالله ؟ وقل من يعرف حقيقة
 حالهم ، ويدرك سر اشتهارهم . أم رسل الهول والموت ، ام رسل دين لا يعرف
 غير الله ، والكتاب والسنة ، دين النبي محمد والصحابة ؟ اقول نعم جواباً على السؤالين .
 الاخوان هم الفئة المحاربة ، الفئة المتعصبة ، الفئة المدبنة^(١) جديداً في
 الوهاية . الاخوان هم جنود عبد العزيز بن سعود الذين كانوا بالامس من
 العرب الرحل ، من البدو الجاهلين ، فديتوا اي دانوا بدين التوحيد فصاروا
 مسلمين . وهم في غلوهم يعتقدون ان من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم ،
 فيشيرون الى ذلك في سلامهم بعضهم على بعض . — السلام عليكم بالاخوان^(٢)
 حيتا الله المسلمين . واذا سلم عليهم سني او شيعي فلا يردون السلام .
 من الحقائق الناصعة في الاديان ونشأتها ان كل من دان بدين جديد او

(١) دين اي تذهب بذهب الوهاية في اصطلاح اهل نجد .

(٢) اهل نجد يدخلون في المناذاة ال التعريف على الاسم فلا يقولون ياخوان ويا امير
 مثلا بل بالاخوان وبالامير .

كان جديداً في الدين ، يأخذ منه الغلو مأخذاً يلتوي عنده العقل ، فيسترسل في ما يظنه فضيلة ولا يطيب له عيش الا بالتبشير والجهاد . قد كان كذلك المسيحيون الاولون ثم البروتستانتيون ، بل قد كانت شيع الاسلام كلها في بدايتها نازعة الى السيف معتقدة ان الدين كل الدين في نشره في الناس حرباً او سلماً كرهاً او اقناعاً .

وها انت الاخوان في هذا الزمان يحملون البنادق والبيارق باسم الله ، فيحملون او كانوا يحملون على كل من لا يدين من العرب وكأني بهم لا يرون خيراً في حياة لا اكراه فيها على التوحيد ، فينادي الاخ منهم ممتشقا حسامه او رافعاً بندقيته : انا خيال التوحيد اخو من طاع الله ، بيتن رأسك يا عدو الله ! انهم من هذا القبيل مثل رجال البروتستانت الاولين الذين حاربوا شارلس ملك الانكاييز . والسلطان عبد العزيز هو اشبه برجل تلك الثورة الكبير كرم وبل .

على اننا لا نحتاج الى الامثال والمقارنات من تاريخ الغربيين وعندنا في تاريخ الاسلام مثل الوهابية الاعلى : أجل ان مثال « خيال التوحيد » انما هو النبي ، وان حروب الوهابية اليوم شبيهة من وجه خاص بالحروب النبوية . عودوا الى الله ايها المشركون ، عودوا الى النبي والسنة ، عودوا الى دين التوحيد . واذا كنتم لا تعودون فتكفرون بانطافوت ولا تشركون احداً مع الله ، نحن الاخوان نايكم . ان سيفنا بتار ويومنا عصب^(١) .

قد برهنوا على ذلك في مواقع عديدة واثبتوا جوابي على السؤال الاول فكانوا رسل الهول ورسل الموت في كل مكان سمعت فيه « هوستهم » المشهورة : هبت هبوب الجنة ، اين انت يا باغيها ؟ فلا الحجاز ينساع ، ولا الكويت يذكرهم بالخير ، ولا العراق يحسن بهم الظن ، ولا الجوف ولا الجبل ولا القصيم يكبر

(١) بعد حروب النبي التي كان بعضها دفاعاً عن نفسه واتباعه وبعضها تعريزاً لدين التوحيد صار الفاتحون المسلمون يرضون من الامم التي يتغلبون عليها الخضوع لسلطتهم دون ان تغير دينها . وفي القرآن : لا اكراه في الدين .

في ساعة الوغى سواهم ، ويردد خوفاً وعجباً غير اسمهم . الاخوان ، زرعو الهول في كل مكان . الاخوان يحاربون مستبسلين مستشهدين . روى الناس الموالون منهم والمعاديون اخبار الشجاعة والبطولة التي اشتهروا بها . قالوا انهم شياطين الدين ، وقالوا انهم ابطال المسلمين . وما كانت البطولة بغير الايمان الحلي والثبات في الجهاد . لولا ذلك ما كان الاخوان ، وما كان ملك ابن سعود . هبت هبوب الجنة ، اين انت يا باغيها ؟ وكل بغيها . لذلك يحاربون وفلما ينهزمون . الجنة امامكم والنار وراءكم . فمن منهم اذن ينقهر ، ومن منهم يولي مديراً ؟ عم شوكة ابن سعود في ايام الحرب ، وهم في ايام السلم الشوك في غصن الدين . يحملون سلم التوحيد بالعرض ويزعمون احياناً حتى سلطانهم العزيز . حدث كثيرين منهم فما وجدت وراء اللسان غير قلب فيه اتون من الايمان ، فلا يهاب صاحبه الموت ولا يخاف غير الله . ولكنك تسألني : أمن روح هناك فيها شيء من الحنان ؟ ام من عقل فيه ذرة من البرهان ؟

هوذا نوار اقدمه مثلاً قويمًا كريمًا . وما نوار غير راعي بعير اكتراه منه . شاب كان في خدمة السلطان ليسافر الى القصيم . كنا يومئذ على اهبة الرحيل فأراد الشاب ان يخاوبنا فقبلنا ، فخرج راكباً معنا من الرياض ، ونوار صاحب الدلول يمشي امامه او وراه . وكان في بعض الاحابن عندما يتعب ، يثب الى الرحل رديفًا ، ثم يترجل مستعيناً بالله . ذلك لان الشاب الذي اكراه نوار بعيره هو « ازكرت » يدخن ويغني^(١) والغنسا في نجد اليوم محظور وفي بعض مدن العارض والقرى الجديدة ، الهجر ، محرم مثل الدخان . اما الزكرت فكان يرفع عقيرته كلما خرجنا من قرية وصرنا في الفلاة ، فيتلو اذ ذاك نوار التعويدتين . وعندما رآه لاول مرة يشعل السبيل كاد يجن . كان ذلوله ماشياً الى جنب ذلولي وكان نوار وفتنذ رديفه ، فوثب فجأة الى الارض كأن ناراً اشعلت تحته وهو

(١) ازكرت لفظة فارسية معناها من لا اهل له ولا عيال . وتطلق في نجد على من يقضي ايامه في قصر السلطان او الامير خادماً او حول القصر ينتظر قسمة ربه . والزكرت كثير الاسفار عادة وكثير الاخبار ، مرن العقل والمخلق . يحسن الخدمة ويحسن كذاك التحكم على الاخوان .

يردد بصوت عال : اعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . . اجرنا اللهم من النار . . .
 اجرنا اللهم من النار . والزكرت اثناء ذلك والربع كلهم يضحكون .
 كان الاخ نوار مع ذلك لطيفاً وذا مروءة تشكر . فيعاون الخدم ، ويرعى
 الركائب عند المراح ، ويجمع الحطب ويشب النار ، ولا يأكل الا قليلاً . رافقنا
 هذا البشر الغريب ، خاوانا كرهاً ، عشرة ايام ، وما من مرة سلم عليّ او كلمني او
 رد سلامي . مرضت اثناء السفر بالحلمى فكنت ذات يوم على الفراش في خيمتي
 ونوار واقف انفاقاً في الباب . فقلت مازحاً ، بل كنت اضايقه عمداً : يا نوار انا
 «مصخن» - مريض اليوم - . فقال بوجهه اليّ هانفاً والحمد لله ! كانت عصاي
 طوع يدي قرب السرير فرميته بها لما ظنفته منه وقاحة بل قساوة وحشية ،
 فأصابت منه الرأس ولكنها لم تحرك اللسان بكلمة واحدة .
 نهضت بعد ذلك وخاطبته وهو واقف عند النار : انت يا نوار رجل نقي
 ورع صديق وانا رفيقك في السفر - مريض - «خوياك مصخن» اليوم ، ونبغي
 الرحيل ولا رحيل مع مرض . فهلا ذكرني في صلاتك وسألت الله لي الشفاء
 العاجل ؟ فلم يجبني بكلمة . فقلت : أفلا تصلي من اجلي يا نوار ! ظل معرضاً
 عني ساكناً . فقلت مصرأً : انا «خوياك» ابغي منك ان تذكرني في صلاتك .
 هز الرجل رأسه متأفقاً وبعد عني فتبعته وامسكته بعباءته ، واظنني كنت محموماً
 فزادني هذا الصدمه حرارة وغيظاً ، فقلت ولا مزاح : اسمع يا نوار انا اعطتك
 انت واحد و«حنأ» خمسة عشر وكنا ندخن ونغني ، فاذا كنت لا تصلي من
 اجلي وتسال الله لي الشفاء ، نذبحك والله مثلما ذبح مسفر هذه الشاة . اظن
 ان تهديدي راعه فحرك شفتيه بهذه الكلمات : الله يجيرنا واباك من النار .
 وهذا منتهى التساهل منه . لم يطلب لي الشفاء ، كلا . بل اشر كني من
 فضله بالاستجارة من النار ، نار الجحيم . كل الاخوان المذبذبين جديداً هذا
 الرجل ، كلهم نوار .

على ان هناك فريقاً آخر منهم ، قد مرّ على تدينهم او تدين آباؤهم حقب من
 الزمان ، فلطف فيهم سورة الايمان . هؤلاء يسلمون على غير الموحدين ومنهم

من يدخن مرراً ويفني اذا سار في الفلاة^(١) ولا يلوم ابن سعود على تساهله مع الكفار الانكليز .

وهناك فريق ثالث اكثرهم من جبل شمر ، دينوا بعد سقوط حائل او قبله اما خوفاً واما ارتزاقاً . فهم يتساهلون تساهل السني ، ولكن الاخ الجديد الاكيد يقول : انهم مدغولون .

قد كان في رجالي الذين عشت وايام شهرين في السفر من العارض الى القصيم والكويت من الثلاثة الاخوان ، الاخ المجنون ، والاخ المتعصب تعصباً نسبياً معقولاً ، والاخ المتساهل . وكان في الصنف الاخير ظريف ذكي الفؤاد يحسن النكتة والجواب ، يدخن دائماً ولا يستأثر بالسبيل بل كان يقدمه عند كل « تعميرة » الى رفقاته ، صارخاً بصوته العريض : دخنوا يا اخوان . بارك الله فيهم قد كانوا طيلة الطريق موضوع التهمك والضحك . اجل ، قد اضحكوا وفكرونا في ساعات الضجر الطويلة .

ويقسم الاخوان ايضاً الى ثلاثة اقسام ، اي المطاوعة^(٢) والعلماء والمتعلمين المبتدئين . اما المطاوعة فهم في كل نجد يعرفون من قيافتهم النسكية ، بل من خلق اطارهم . اما العمامة البيضاء الشبيهة بالضمادة فان هي الا نصف ذراع من الخام يلفه المطوع فوق الغطرة على رأسه ويشكر الله . ثم يحمل عصا من الشوحط اذا كان كبيراً ، والا ففضيماً من الخيزران ويجوب البلاد في سبيل التوحيد . المطاوعة يعاينون الناس الدين ، والعلماء بعلمون المطاوعة ، وكلهم يوم الجهاد « خيال التوحيد اخو من طاع الله » . وكلهم في ايام السلم فلاسفة في التجميل والقناعة ، في الشدة والصبر ، في الفقر والتقوى . ترى الاخ في الطريق حافياً

(١) لا اظن احداً من العرب موحداً كان او مشركاً يستطيع ان يقاوم ما تحركه الغلوات في نفسه من حب الغناء او الحدا . كنا ذات ليلة حول النار نبحت في هذا الموضوع فروى احد الربيع قصة عن السلطان عبد العزيز قال : خرجنا يوماً من الحسا مع الشيوخ وكنا عشرين من خاصة رجاله . فلما وصلنا الى الدهنا رفع عبد العزيز العقال والغطرة الكوفية - عن رأسه ووضعها في الحرج وقال باسم : لا اخوان معنا . من كان عنده حس فليسينا الان . فرحنا تغني والله حتى قطعنا الدهنا وعبد العزيز مسرور طروب .

(٢) جم مطوع اي المطاوع في خدمة الله واصله متطوع فادغم .

لا يجعل غير عصاه ، ينفخ الهواء في اطواره فيكشف عراه ، وقد يكون مشى يومين او ثلاثة دون ان يذوق الخبز او التمر فنسأله بعد السلام : « وتساييف » — كيف انت — ؟ فيجيبك بصوت عريض ، وقلب وطيد كأنه يمثل دوراً في رواية : بخير ونعمة والحمد لله ! انما هذه فضيلة الاخوان بل فضيلة النجديين الكبرى . فهم على فقرهم وسؤ حالهم في الدنيا قانعون راضون ، وقلما تسمع كلمة منهم فيها شيء من اليأس او الشكوى .

والسلطان عبد العزيز امامهم في كل شيء . فهو يعرف الشجاع فيهم والنقي والصبور والعامل والمجنون ، ويحسن سياسة الجميع ، فيستخدمهم في سبيل الله وملك ابن سعود . اجل ان عنده لكل من الاخوان وظيفة ومقاماً : المعتدل للخدمة ، والمتساهل للتجارة والسياسة ، والمجنون للقتال . اما امر الصنف الاخير ، اخوان نوار ، فقد يستفحل عليه في بعض الاحابن ، وقد يعجز عن ضبطهم دائماً ، لان المسافات في نجد بعيدة والمواصلات كلها اولية . الاخوان قوة هائلة بنقصها نظام وادارة ، والافتتلت من يد سيدها وتكونت عليه وعلى سواء وخيمة العاقبة . مثال ذلك ما حدث في الشامية بالعراق يوم هجم الدويش باهل الارطاوية على ابن سعدون وعشائر العراق فهزموهم شر هزيمة واذاقوهم من هول الاخوان ما لا ينسونه حياتهم .

ولنا في ما حدث في الجوف السنة الماضية مثال اخر . غير ان عذر اخوان الجوف كان واحياً فلم يقبله السلطان عبد العزيز . بل امر بالقبض على رؤساء تلك الغزوة وباحضارهم مقيدين الى الرياض حيث سجنوا ثلاثة اشهر .

كنت في عاصمة نجد يوم اطلق سراهم فاحضروا امام السلطان فخاطبهم قائلاً : لا تظنوا يا اخوان ان لكم قيمة كبيرة عندنا . لا تظنوا انكم ساعدتمونا واننا نحتاج اليكم . قيمتكم يا اخوان في طاعة الله ثم طاعتنا . فاذا تجاوزتم ذلك كنتم من المفضوب عليهم . اي بالله ، ولا تنسوا ان ما من رجل منكم الا وذبحنا اباه او اخاه او ابن عمه . وما ملكناكم الا بالسيف . ترى الصحيح . والسيف لا يزال بيدنا اذا كنتم يا اخوان لا ترعون حقوق الناس . لا والله ،

لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم ، انتم عندنا مثل التراب ٠٠٠ اما اذا عدلتم وعقلتم
 فحقكم بشرع الله خذوه من هذا الخشم - وضرب بالسبابة انه - وحقى آخذه
 منكم دائما باذن الله ٠٠٠ انتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً واني والله اعلم
 بكم السيف اذا تجاوزتم حدود الله .

الفصل الثاني عشر

في القصر بالرياض

الشعر في نجد — بيت يشرح التاريخ — خيانات الاقربين — ولاء الاباعد — ما قاساه السلطان عبد العزيز — السياسة فوق الجنسيات والمذاهب — بيتان من الشعر فوق باب المجاس — سجايا اهل نجد — يلبون النغير وقلما يكلفون السلطان شيئاً من النفقات — « هم يعطوننا في ايام الحرب ونحن نعطيهم في ايام السلم » — ممرض العطاء — مثل من الجريدة اليومية — ابراهيم بن جميعه رئيس التشريفات والمستر قلبي — امراء العرب يبحثون الى الرياض مسلمين — حلم السلطان مثل كرمه — شلهوب وزير المالية والتموين — « الذي يجي » قبده والذي يروح قبده والنتيجة لا شيء — جيش من الكسالى — فقر وقناعة — مئآت يأكلون في القصر مرتين كل يوم .

لا يزال للشعر مقام في نجد وان رثت حواشيه وتفاقم اللحن فيه ، فكثيراً ما تجد اثرًا على حيطان القصور من حكمة القدماء ونفائس الشعراء ينبئك بما يتمثل به الامراء والعربان ، او بما كان من حادثات الزمان . وفي القصر بالرياض فوق الابواب في رواق المجلس العام ، كُتبت على الحائط بالخبر الاسود بخط ردي ، ابيات من الشعر منها :

اذا خانك الادنى الذي انت حزبه فواعجباً ان سلمتكَ الاباعد
ان اللبيب العالم بتاريخ نجد الحديث ليقرأ في هذا البيت الوحيد فصلاً في
الخيانات والدسائس التي كان السلطان عبد العزيز هدفًا لها وسيقاً لامعاً عليها .
الخيانات في اقرب الناس اليه ، وفي البدو ايضاً والاخوان . اما الاباعد الذين
سالموه بل والوه ، وكانوا له عوناً على اعدائه اثناء الحرب العظمى ، فهم حقاً
من الاباعد ، الاباعد جفناً ، الاباعد ديناً ، الاباعد مزاراً . وما كان ليربط آل
سعود بهم غير السياسة والمصلحة . ليس قصدي ان افيض الان في الكلام عن
تلك الرابطة واسبابها ونتائجها — سينفسح المجال لذلك في الكتاب الذي اشترت

سابقاً اليه — وإنما القصد ان اشير الى ما في حياة ابن سعود من شدة قساها ،
 وغم يكنه ، فيبدو في بعض الاحابين يابساً كالجرح القديم في وجه الجندي .
 ان السلطان عبد العزيز ، وان كان قد ذلل العقبات ، وقلّ حد النكبات ،
 واصبح ، اذا صح الحكم على الرجل من حديثه ومحضره ، آمناً مطمئناً ، انه
 ليفصح في هذا البيت من الشعر عن حقيقة لا يزال يؤلمه ذكرها وقد يكون امر
 بكتابته فوق باب مجلسه ليذكر ايضاً به اولئك الذين كانوا بالامس حرباً عليه
 واصبحوا اليوم من خاصة رجاله . اما ولاء الاباعد فالعجب فيه يتجاوز ظاهر
 امره . العجب كل العجب من مصالح تقتصر حتى في نجد ، حتى في الحجاز ،
 على رابطتي الجنس والدين . فعبثاً يكبر الناس الاولى ويقدر الثانية . ان عرى
 الاثنتين لتتحل وتقطع ، كأنها جبال شمس ساعة الضحى ، عندما يمسننا منها
 الضر او يستحثنا عليها قصد مادي او معنوي .

وهناك ابيات اخرى من الشعر تفصح عن خلة حميدة مجيدة ، ليس في السلطان
 وحده او في آل سعود او في الاخوان ، بل في اهل نجد كافة . ولكنك اقول
 انها تعبر عما في قلب كل عربي من الاء والنخوة والشجاعة وعزة النفس لولا
 اني رأيت من العرب في غير نجد من لا اثر في انفسهم لتلك السجايا الشريفة .
 اما في نجد ، في البادية والحضر ، فلا غرو اذا تمثل الناس بقول الشاعر الذي رفعه
 السلطان عبد العزيز الى ارفع مقام عنده ، فأمر بكتابة كلماته فوق بابه :

فاما حياة لا تدم حميدة يتحدث عنها من اغار وانجدا

لنسال المنى فيها ، واما منية تريح فؤاداً خار من علة الصدا

هم يجيئون من كل حدب وصوب في ايام الغزو او الحرب وهذا لسان
 حالهم . اجل ان امراً يصدر من الرياض فيحمله النجايون الى اقاصي البلاد ،
 ليجمع على احد الآبار او في احد الشعاب في اليوم المضروب الوفاً من اهل نجد ،
 بادية وحضر ، وقد جاء كل على ذلوله مسلحاً بيندقيته ، وممنطقاً بذخيرته ،
 وحاملاً بعض التمر والماء ، فهم اثناء الغزو او الحرب لا يبغون من سلطانهم شيئاً .
 هم يعملوننا — الكلام للسلطان عبد العزيز — ولا يأخذون منا . ونحن في ايام

السلم نعطيهم ولا نأخذ منهم .
 قد شاهدت معرض العطاء في الرياض ، بل كنت اشاهده كل يوم مدة
 اقامتي هناك ، و اعجب جداً لا لكرم هذا الرجل بل لايمانه وثقته بالله ، مصدر
 الخير الغير المتناهي وولي النعم التي لا تزول . والا فكيف يؤمل بدوام حال
 تمكنه من العطاء في بلاد لا ثروة لها ثابتة دائمة ؟ هنالك حكومة فردية
 اوتوقراطية وديموقراطية معاً تبرا من قواعد الادارة والنظام كلها ، وبلاد ثلاثة
 ارباع مساحتها بادية فقراء ليس فيها من موارد الثروة غير الانعام ، ورعية ثلثاها
 من البدو واكثرهم حتى اليوم لا يحسنون صناعة ما ، واقليم قبظه يحرق ويبيد
 وشتاؤه لا يصدق ولا يحسن الوفاء ، فتجنيء السنون المحدبة فتعقم المفالي
 ويعم البلا .

ومع ذلك ترى نجد اليوم عزيمة بعبد العزيز ، تستمتع بأمن منقطع النظير
 في كل البلاد العربية ، وبعدل كبير شامل يحمل السيف والقسطاس ، وبخير
 فوق ذلك لا تنفذ موارده .

— هذه يا طويل العمر جريدة بين نوحوا اليوم .

يقدمها ابراهيم^(١) رئيس التشریفات فيقرأها السلطان ويكتب الى جانب كل

(١) ابراهيم بن حبيبة من حاييل كان من اعداء ابن سعود في احترابه وابن الرشيد
 وهو اليوم من اقدر رجال السلطان واكثرهم اخلاصاً له . قد رافق المستر فليبي — كان
 امير حملته — الى وادي الدواسر . فسألت ابراهيم ان يقص علي قصة اهل الوادي
 و« النصراني الكافر » التي رواها فليبي في كتابه . فقصها علي وكان صادقاً ولا شك اذ ما
 وجدت فرقاً بين الروايتين . ولكن الفرق كل الفرق انما هو بين الانكليزي العالم وبين
 العربي الذي يكاد يكون امياً . الفرق بين الاخلاق الاثنين يستحق هذه الحاشية . يظهر ان
 المستر فليبي ، وهو صعب المراس ، اختلف مراراً وامير حملة . فلم يدرك مقامه في القصر
 علي ما اظن ، وفاته ان عظمة السلطان اكرمه اكراماً ممتازاً حين وكل امر رحلته الى
 رئيس التشریفات . اختلف الاثنان في الطريق وتنافرا ، فقص المستر فليبي القصة في كتابه
 وحمل علي ابن حبيبة بلغة لا يفهمها — طعنه في ظهره . ولعمري ان ما قاله لا يليق بشهم
 انكليزي ولا يجوز ان ينشر في كتاب علمي نفيس . اما ابن حبيبة فاذا قال في المستر فليبي ؟
 سألته مراراً ان يقص علي القصة كلها فاب وتردد . وكل ما قاله مما يشتم منه النفور . فليبي
 غضوب . طبعه ما هو زين . واكنه كريم ، اعطى كل واحد من الربيع من الاربع الى العشر
 ليرات . حينئذ اخلاق العربي حينئذ معها العلم والتمدن .

اسم ما يجب ان يعطى صاحبه يوم ارتحاله . اذن عظمته باحدى تلك الجرائد
وفيهما اكثر من مئة اسم ، فاقبل من رأسها ووسطها وآخرها ثلاثة أسماء ليطلع
القارى على احوال ابن سعود كلها .

بخط رئيس التشریفات : حمود بن صويط معه فرسان وذلول

(بعض الزائرين يحيئون بالهدايا من خيل وابل)

بخط السلطان : الفان روية وبشت وبر معآم (اي عباءة مقصبة)

وزبون (قنباذ) جوخ وسيف مذهب .

بخط رئيس التشریفات : سليمان بن علي من اهل حائل .

بخط السلطان : اربعمئة روية وبشت وزبون .

بخط رئيس التشریفات : هذاع بن سلطان بن زايد راعي (حاكم) عمان

معه عشرة ركائب (نوق) عمانيات (هدية)

بخط السلطان : ثمانية آلاف روية وسبعون ليرة وعشرون بندقية

وفرسان .

ثم الى رجاله الخمسة والعشرين كل واحد كسوة

وكيس فيه من المنة الى الخمسة روية

حسب مقامه .

هؤلاء ثلاثة من المئات الذين ينحرون^(١) الرياض مستعطين ولي التعم فيها .

ومنهم من يعود الى اهله ومعه فوق الكسوة والمال حمل او حمالات من التمر

والسمن والتُّمْن — الارز — والسكر والبن .

ان في الجريدة اسماء اناس من غير رعايا ابن سعود ، جاءوا زائرين مسلمين .

منهم ابن صويط من مشايخ الضفير في العراق ، وابن مجلاد من مشايخ عنزي في

الشمال ، وابن نايف من بني علي في المدينة المنورة ، وابن سلطان بن زايد من

عمان ، وابن الدخيل من قبل نوري الشعلان . كلهم يؤمّون الرياض لعلمهم

(١) نحر البلد او الديرة اي قصدها سلماً او قزواً .

ان فيها رجلاً من كبار رجال العرب اليوم بل اكبرهم . يؤمنونها اما حباً واجلالاً ،
واما خوفاً واستعظافاً ، واما ابتغاء مساعدة مادية او سياسية . وقلما يعود احد من
عاصمة نجد خائب الامل .

انها لحقائق ايها القارىء مجردة من الغرض والغلو . واذا شئت الحقيقة في
الشعر ايضاً تجدها في بيت زهير بن ابي سلمى . فكان شاعر الحوليات نظر بعين
الغيب الى ابن سعود حين قال :

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي انت سائله

وهو في حلمه مثله في كرمه . جاءه ذات يوم شيخ قبيلة حاربه بضع سنين
ثم دانت له ، فاقام الشيخ اياماً في الرياض وقال للسلطان عند الوداع : قالوا لي
انك سحار يا عبد العزيز . صدقوا والله فقد سحرني . ان اخبار حلمه لادعى الى
الدهشة والاعجاب من اخبار كرمه .

ليس من ينيخون في باب السلطان كل يوم الشاهد الوحيد على جوده ،
وليس من يجيئون ممن كانوا بالامس اعداء ، الشاهد الفرد على حلمه واقتداره .
فان في الحرج والافلاج^(١) وفي القصيم ، وفي ظلال أجراً وسلمى^(٢) مئات ممن
يحمدون الله ثم ابن سعود على حياتهم وعلى ما هم فيه من خير ونعمة . وفي الرياض
جيش من السباهلة والفقراء يتراوح عددهم بين الالف والالفين يأكلون في
القصر مرتين كل يوم الظهر والمساء . وفيها ايضاً مئة امرة او ما يزيد ، منها امر
بيت الرشيد ، لا يكلفهم الله على ما يظهر اقل سعي في سبيل رزقهم . فالبيوت
والخيل والابل والثيران والمؤونة والجواري والعبيد ، كلها من الشيوخ ،
من السلطان .

— ادفع يا شلهوب . وزع يا شلهوب^(٣)

رأيت العربان والاخوان ينتظرون في الرواق وشلهوب جالس وراء منضدته

(١) الحرج والافلاج من مقاطعات نجد الجنوبية وهي جنوبي العارض .

(٢) اجا وسلمى من جبال بني طي قديماً ، وجبال شمر اليوم وفيها حائل .

(٣) هو محمد بن صالح الشلهوب وزير المالية ووزير التعمير عند السلطان عبد العزيز
وما الوزارة هناك غير صدى الازادة السلطانية وآتة من آلات احكامها . الا ان الشلهوب

بعد الروبيات ، واعوانه في المخازن حوله بوزعون الثياب . وكنت ارى كل يوم عند غروب الشمس صفًا طويلاً من العبيد ، ساسة الخيل ، كل يحمل وعاءه وينتظر عند باب من ابواب شلهوب ليملاؤه شعيراً . ان لشلهوب منازل كثيرة ومهات متعددة . هو مثل يوسف في مصر الفراعنة . وملكناه . . . وجعلناه على خزائن الارض . وهو مع ذلك القيم الاول في المطبخ السلطاني والمطبخ العام اللذين لا يختلفان في غير التمهّن اي الارز . فالصنف الذي يطبخ للسلطان ورجاله احسن من ذلك الذي يطبخ للعربان والاخوان .

يوم وصلت الى الرياض هالتي عندما انخنا امر اولئك العربان من بدو وحضر واخوان . رأيتهم جالسين خارج القصر وداخل القصر في الاروقة على مجالس من الطين ، رجال وصبية ، وبايديهم العصي ينكتون بها الارض ، او يرفعون رؤوسها الى شفاههم يداعبونها مثل اماجد الانكليز . وكل واحد منهم رب امره ملتف برداء العظمة والسكينة ، كأنه امير خطير لا ينظر الى جاره ولا يكثرث به . مئات من « الامراء » جالسون صامتون — يتفرجون؟ سألت رفيقي : هل جاءوا يتفرجون علينا ؟ فقال : لا . انما الان وقت الغداء وهم ينتظرون الامر بالدخول ، الامر من وليه شلهوب . ولكنهم في دعائهم لعبد العزيز بطول العمر لا يذكرون شلهوباً بغير الذم . ولماذا ؟ — التمهّن ما هو

هو صليب الشيوخ فيه عذاب وفيه خلاص — وفيه اخلاص لا ريب به . مهياته متعددة تشمل الكبيرة والصغيرة ، من المدغم الى عود الكبريت . فهو يتولى امر التوزيع العام الشامل ، يوزع الحطب ، ويوزع السمن ، ويوزع الثياب ، ويوزع السلاح ، ويوزع المال . طريقته في الادارة اولية بدوية ، وحساباته قروية . قال لا فض فوه ، الذي يجي قبيده ، والذي يروح قبيده ، والنتيجة لا شيء . ولبس في طريقته محابة وتفضيل . طوّف بي ذات يوم في مخازنه فدهشت لما في ذمته من الاموال ، وفي ذاكرته من الاشياء . هذا مخزن السلاح والذخيرة . وهذا بيت التموين ؛ وهذه الخوامي صنع الهند للسمن ، وهذا الثمن مئات من الاكياس مرصوة بعضها فوق بعض . ثم ادخلني غرفة ذكرتني بمخازن الرهون بلندن وبنوبورك . كل ما فيها مهمل مجهول ومكسب بعضه فوق بعض سألت الشلهوب عنها فقال : غنمناها في احدى المواقع ولا ادري ما فيها .

ان خلا في هذه الادارات كلها لا يدركه شلهوب ولا يشعر به السلطان ليتجسم فيتفاهم امره . وليس في تقسيم الادارة خسارة . بل العكس . فان في توزيع العمل الذي يمله شلهوب ؛ وان كلف راتب وزير آخر بل وزيرين ، كسب جزيل للسلطان .

زين . الله يغربلك يا شلهوب .

و كنت ارى كل يوم قبل غروب الشمس ليس في ساحة القصر بل وراءه عند باب المطبخ جمعاً آخر محتشداً هناك ، جمعاً كبيراً من فقراء البدو المخيمين خارج المدينة ، نساءً يحملن اطفالهن ، وصبيانا عراة ، وبعض الرجال في اطوار ممزقة بالية . جمعاً تأكله القذارة وتنتشر منه الروائح الكريهة . وكلهم جاءوا في هذه الساعة وبايديهم او اني من الخشب او النحاس او الفخار ينتظرون شيئاً من الطبخ ، ينتظرون فضلات المائدة العامة .

ما رأيت في الفقر مشهداً اشد وبالأ وابلغ فصاحة في ما يثير التسخط والاحزان مثل هذا المشهد الهائل . انه لفقر في ذل ، وذل في قذارة ، وقذارة في داء ، وداء في قناعة ، وقناعة في جوع وكدية .

لو كان مثل هذا الفقر في مدنت نجد كلها لكان يخشى منه على ملك ابن سعود . ولكن العاصمة تمتاز عن سائر المدن بمن يحوم على موارد الرزق والخير التي لسيد البلاد . ومع ذلك فان مثل هذا البؤس في قلب نجد ايحط في عين الاجانب من كرامة ولي الامر والنعم ، وفي عين الحضرة من العرب ايضاً . فنجدا العمل باقتراح اقتراحته على عظمة السلطان ، وهو ان يشغل السباهلة المعطلين بدلاً من ان يتصدق عليهم . ليشغلهم في الاشغال العامة ايام السلم ، كاصلاح آبار المياه في البلاد ^(١) واكثرها في حاجة الى اصلاح وترميم ، فيأكلون اذ ذاك خبزهم بعرق جبينهم فينتفعون وينتفعون .

(١) وتعيد الطرق للسيارات التي بدأت اليوم «تطوي اليد طي» بين نجد والحجاز .

الفصل الثالث عشر

ونفعل فوق ما فعلوا

بيت من الشعر فيه حكمة وفيه خطل - الشرفيون والمسلمون - العصامية في العرب
الافتداد بالاجداد - « ونفعل فوق ما فعلوا » - ما يثبت هذا القول في اعمال
السلطان عبد العزيز - المشايخ والعلماء - تساهل السلطان - موقفه في الدعوة
المدهية - يجب على سؤالين - الدين والسياسة والحرب - الحكم اللامركزي -
رأيه في الوحدة العربية - المقابلة بينه وبين الملك حسين .

قلت في الفصل السابق شيئاً من الشعر المكتوب على الحائط في رواق المجلس
العام ، وفيه تصوير لاختلاف التجديبين وقواعد في الحياة يتمشون عليها . بل فيه
ينعكس بعض ما يخالف السلطان عبد العزيز من أليم الذكرى ومن شريف المقاصد
والآمال . وهناك بيتان آخران فيهما مزيج من الحكمة ومن الخطل الذي ألفه
الشرفيون . عفواً ايها القارىء . اتنا نجنح على الشرفيين في التعميم ، لان
اليابان والهند حتى الصين نبذت ذلك المزيج او قامت نصلح ما افسده الزمان في
التقاليد والاحكام . يجب ان اقول اذن : ذاك المزيج من الحكمة والخطل الذي
ألفه المسلمون ، نخدر منهم العقل والروح والقلب كذلك . خدر العقل فقلما
ينشط الى فكر جديد ينعشه ويحييه ، وخدر الروح فلا تكترث بما فيه صحتها ،
وخدر القلب فلا يحس بالبلية المشتركة احساساً مديناً قومياً يحمله على نبذ ما ألفه
من قديم العادات ، وما بقيده من ذميم التقاليد والخزعبلات . قرأت مرة في
حضرة السلطان ما كتب فوق بابيه :

لسنا وان كرمت اوائلنا يوماً على الانساب تنكل

وهو بيت المتنوكل اللبني :

لسنا وان احسابنا كرمت يوماً على الاحساب تنكل

جاء مغلوطاً بجنى لا معنى ، فقلت ، والمعنى ما بهم : ليس اشرف منه مبدأ

يامولاي ولا اجمل منها حكمة . واني اجلكم واحترم اهل نجد لانهم يعملون بها ، ولان السيادة والمجد في بيت آل سعود نشأ عنها . انتم عصاميون ديمقراطيون ، ونحن في زمن يُرفع العصامي الديمقراطي فيه الى اعلى المقامات . ولكن البيت الثاني يامولاي :

نبني كما كانت اوائلنا نبني وتفعل مثلما فعلوا

ها هنا الخطل الاكبر . ها هنا المستنقع الذي تنتشر منه جرائم امراضنا الاجتماعية والسياسية والدينية . وانا اذا تساهلنا في تحليل البيت ونفسيره نسلم بنصفه الذي ولا شك ينفع الشرقيين العمل به . اذا لا اظن اننا نستطيع نبذ الماضي كله بحذافيره . فلا بأس ان نبني كما كانت تبني اوائلنا - ان تكون حكوماتنا ملكية مثلا . . . فقاطعي عظمته قائلا : نحن نبني باحضرة الاستاذ كما كانت تبني اوائلنا . ولكننا تفعل فوق ما فعلوا . فقلت : احسنت باطويل العمر احسنت . اصلحوا البيت اذن حتى اذا قرأ كل من تشرف بالمشول لديكم

نبني كما كانت اوائلنا نبني وتفعل فوق ما فعلوا

تستخدم فيه شعلة الحياة الجديدة ، فيسمى وهو يحترم الاجداد في ما يؤمله لاحترامهم . كذلك علينا ان نسعى لنفوق ما قاموا به من خطير الاعمال ومجيدها في زمان حرم من اسباب الرقي وال عمران التي يمتاز بها زماننا . والحق يقال ان السلطان عبد العزيز آل سعود استعاد في دوره الاول ، دور الفتوحات ، ملك اجداده ، وعزز هذا الملك بالعدل والامن ، وبالدين الذي هو في نجد مصدر الاثين ، فلا يخفي . او يموه اذا قال نبني كما كانت تبني اوائلنا . ولكنه في تحضيره البدو ، وفي تأسيس الجديد من المدن والقرى التي تدعى الهجر ^(١) وفي استخدامه من يحسن الخدمة مهما كان مذهبه ، وفي اعطاء امتياز الحسا لشركة انكليزية ،

(١) الهجر جمع هجرة . وكل مدينة او قرية جديدة في نجد بناها البدو الذين دبتوا وتحضروا فهجروا اليها من الجهالة الى الدين ومن البداوة الى الحضرة هي هجرة . في تاريخ نجد الحديث الفصل الثامن والعشرين ص ٢٣٢ تاريخ هذه النهضة الاصلاحية الكبيرة التي قام بها السلطان عبد العزيز .

وفي ارساله اولاداً من نجد الى مصر ليتلقنوا فيها العلوم الحديثة ، وفي استحضاره الى الرياض السيارات وبعض الاطباء والمهندسين ، في كل هذه ما يثبت قوله انه بفعل فوق ما فعل اجداده .

ولا يبالي اذا كان المشايخ والعلماء لا يرضون دائماً عن هذه الخطة العمرانية ، اذ ليس لهم ان يعترضوه بشيء في سياسته الداخلية والخارجية التي لا تمس الدين . وهو ، وان قيل انه شديد التعصب المذهبي ، يحسن المداراة فيتجاهل في ما لا يضر ، ويتساهل في ما هو مفيد لبلاده . قد يفوه احد العلماء احياناً بكلمة فيها بعض ما يمكنه من الوجد والاسى فيقول مثلاً : في ايام اجدادكم يا طويل العمر كانت الدنيا مستريحة من هذه المشاكل الجديدة كلها . فيسمع عبد العزيز ويبتسم ثم يسير في سبيله لیتتم مقاصده .

وقلما يكثر مما يشيعه عنه الاعداء وفيهم من الادباء من يجهلون نجد الحديث . لذلك تضاربت الآراء في كثير من الشؤون التي تتعلق به وببلاده خصوصاً في موقفه الحقيقي تجاه الوهابية وانصارها الاولين المتعصبين اي العلماء والاخوان . فقد بددت بعض الظلمات على ما اظن في تصويري الرجل للقاري . تصويراً صادقاً حقيقياً ، وجئت الان اشعل مصباحاً في زوايا السياسة المذهبية التي كان يخامر في منها بعض الرب .

سألت ذات يوم احد رجال السلطان الاذكياء ان يصدقني الخبر او يجهر لي برأيه الخاص ، فقلت : لا انكر ولا بنكر احد صدق عقيدة الشيوخ الدينية ، فهو امام الموحدين . ولكنني حائر يا صديقي في امره والاخوان . فهل تظنه يعتقد ان على الامام ان يحارب المشركين في كل مكان ، ان يجاهد حتى يدينوا ؟ في نيتي ان اسأل عظمته هذا السؤال . فقال صديقي : لا تفعل . والذي اراه ان السلطان يعتقد ان من الواجب على الامام ان يحارب المشركين ، ويعتقد ايضاً ان ليس ذلك من الواجب . لم يرضني جواب الرجل الشبيه بفتاوى الكهان الاقدمين . فتطرفت ذات ليلة الى الموضوع . ومما قلت للسلطان على ما اذكر اني في حيرة لا يزيلها سواه ، واذا سافرت من الرياض احملها ساكتاً لا اكون راضياً

عن نفسي ، وقد امي اليه فيما اكتب . فقال عظمته : اسألني كل ما تبغي وانا اجيبك عليه . ولا اسامحك اذا سافرت من عندنا وفي نفسك حاجة تقضيها او مسألة تجلي غامضها . فقلت : هل ترون ان من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد ؟

فاجاب على الفور : لا ، لا . وضرب الارض ضربتين بعصاه ثم قال : هذا الحسا ، عندنا هناك اكثر من ثلاثين الفا من اهل الشيعة وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم احد . الا انا نسألهم ألا يكثروا من التظاهرات في احتفالاتهم كن مطمئن البال يا استاذ . لسنا كما يرانا بعض الناس . فقلت اسمحوا لي بسؤال اخر . كان سؤالي الاول : هل ترون من الواجب الديني وهل ترون من الواجب السيامي ان تحاربوا المشركين حتى يدخلوا في ديننا ؟ فاجابني قائلاً : السياسة غير الدين . ولكننا اهل نجد لا نبغي شيئاً لا يخلله الدين . فاذا حلل الدين ما نبغيه فالسياسة التي نتخذها لتحقيقه محاللة . واذا عجزت السياسة فالحرب ، وكل شيء في الحرب يجوز .

في الستة الاسابيع التي اقامتها في الرياض كان السلطان يزورني في منزلي كل ليلة فتباحث في مواضيع شتى ، نجدية وعربية وعامة ، وهو دائماً في حديثه فصيح صريح . لبت شعري اية صراحة ابهر مما تقدم ومما سأذكر ؟ ان السلطان عبد العزيز مثل كل رجل كبير لا يخشى ان يقال فيه ان عمله اليوم يناقض عمله بالامس ، وانه في السياسة غيره في الدين . فهو في حكمه البلدان التي امتلكها والعشائر التي تغلب عليها يراعي شؤون اهلبا الخاصة من مذهبية وقومية . ويندر ان يؤمر فيها من هو من غير اهلبا . هي السياسة اللامركزية التي يؤيدها في نجد امران ، عدل السلطان في الرعية وحب الرعية للسلطان .

قبل ان اختتم هذا الفصل يجب ان اطلع القاري على رأيه في الموضوع الذي يشغل افكار ملوك العرب اليوم وقلوبهم ، في الموضوع الذي شغل الصحافة العربية في كل مكان ، فكانت اخبارها واراؤها فيه مزيجاً من الحقيقة

الناقصة والغرض الاعمى ، في الموضوع الذي شغل كذلك ساسة الانكليز وصحافتهم فساروا فيه على عادتهم سير صاحب المصلحة الذي يعد كل يوم اصحابه واعداءه ، ويغير كل يوم من آرائه ما توحيه الاحوال .
كانت الوحدة العربية حديثنا في جلسات عديدة . ولكن السلطان ، عندما دنا يوم الزحيل ، افاض في الموضوع فدونت خلاصة حديثه تلك الليلة وعرضتها عليه في الليلة التالية ، فقرأها واصلح خطأ في فيها . واليكها ايها القاريء في الحالين :

رأي السلطان عبد العزيز في الوحدة العربية

من حديث له ليلة ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ في منزلي بالقصر

- ١ - هو يعني الوحدة العربية ويساعد من سعى باخلاص في تحقيقها . فيحضر اجتماعاً يعقد لهذه الغاية ، ويقبل الزعامة والبيعة ملكاً على البلاد العربية كلها لاعتقاده انه اهل لها ويستطيع تعزيزها .
- ٢ - واذا بايع العرب غيره فهو يقبل ذلك ولا يتحول عن فكرته ، بل يستمر في خدمة القضية العربية بما يستطيع .
- ٣ - واذا لم تتحقق الوحدة وكان ائتلاف او حلف عربي بين امراء العرب لتعزيز شؤونهم معنويًا وسياسيًا ولضمان مصالحهم الاقتصادية المشتركة فهو ينضم اليه .
- ٤ - واذا لم تكن الوحدة ولا الحلف فهو على سياسته يحالف دولة تكون المصالح مشتركة بينه وبينها .
- ٥ - وفي كل حال هو رجل سلم في بلاده لا يعني الاعتداء على احد ، ولكنه يأبى ان يعتدي احد عليه .

كتبت خلاصة الحديث تلك الليلة كما هو اعلاه واطلعت السلطان عليها لالتحقق صحة الرواية . فقرأ ما كتب مادة مادة ثم اخذ القلم وضرب على المادة

الثانية قائلاً : أسأت فهمنا فيها . نحن لا نقول كلمة ينقلها عنا الاستاذ الريحاني ولا نثبت عليها . ولكن هذا لا يكون . انما هو يتكلم الى المادة الثانية ثم قال : نحن نعرف انفسنا ولا تقبل الرئاسة في غيرنا .

أذكر القارىء ما قاله لي الملك حسين ساعة الوداع ؟ — انا لا ابغيتها — اي الزعامة — واساعد في تحقيقها — اي الوحدة — تابعا كنت او متبوعا .
أولا لا يذكر كذلك انه رفض ان يوقع المعاهدتين بينه وبين الامام يحيى والادريسي لانهما لم يعترفا له بالزعامة العامة ، لم يلقبوا بملك العرب .
فاذا قابل القارىء بين القولين ، قول الملك وقول السلطان ، يرى الفرق بين الرجلين ، ويعجب وان كان شريفاً بصراحة ابن سعود .

الفصل الرابع عشر

الوشم

كم مرة خفت في رحلتي - الحمى والتربة - السلطان المؤاسي - الموت الذي
 يزعج - السيد هاشم يصلح عقاله امام المرأة - ما معني الى الكويت - اكتب
 وصيبي - اهب السيد هاشم حصتي في الجنة - « وقد جعلتك وارث مرآتي
 ايضاً » - لا ماء الا في الحفر - مكارم عبد العزيز - القافلة تخرج من
 الرياض - الدرعية - وادي حنيفة - خرائب العيينة - تعدد القلبان ولا ماء -
 اخوان يسلون ويستردون سلامهم - الربيع يغنون ويدهسون - احسن
 الرياضات الجسدية - الحبيبة والخطب - الوشم - ترمدا وشقرا - فحطان
 ونيم - « دين يا امين فتزوجك بنت من بناتنا وتقيم عندنا » - غزارة الماء في
 الوشم - قصور الوشم - « ديرة » امرى القيس - بلد الشاعر جرير -
 وادي السر .

قد غشيتي الرعب ثلاث مرات في رحلتي العربية ، قد خفت ثلاث مرات كما
 يخاف الناس ، ولا نفلسف ولا اعتذار . قبض الخوف على قلبي وحملت بي هنيهة
 وهنيهتين ، ويوماً ويومين ، فزعزع مني الارادة والايمان ، فعرفت يومئذ عدو
 الانسان الاكبر ، وعرفت معنى السلامة والاطمئنان .

اول مرة خفت على حياتي عندما لحق بنا عساكر الحواشب واطلقوا النار
 ليوقفونا من اجل الفطور . وخفت ثانية على حريتي في الاقل ، خفت ان اعتقل
 في قلعة مظلمة عندما سئلت في ماوية ' احسني انت ام حسيني ؟ وثالث مرة بثست
 من رحمة الله عندما امرتني الحمى في القصر بالرياض ، فكنت اسيرها اياماً ودرجة
 الحرارة تمس في اذني تلك الكلمة التي فيها خاتمة كل شي .

نعم خفت مرة في الرياض واحسست لأول مرة في رحلتي كلها اني في الغربة ،
 بعيد عن بلادي واهلي ، بعيد عن اسباب الصحة والشفاء ، وعن الاطباء . بيد
 اني في تلك المحنة كنت اتعزى بما عاضني الله من صداقة رجل نجد الاكبر سيد
 البلاد والمكارم كلها . فكان يعودني كل يوم ويحيي . كل مرة بشي . يخفف

سورة الحمى . — هل اكلت الكنكيتا يا صديقي الاستاذ ؟ هذا شراب يبرد
الدم . خذ منه . خذ منه الان . ولكني في العقاقير كلها والمرطبات ما وجدت
ما ينعشني مثل ابتسامة السلطان ومصاحته وكلماته .

قد كنت مع ذلك بائساً مكتئباً ، وخائفاً على حياتي . اقول ، يا حضرة
النجيب ، خائفاً على حياتي . وما هي ، وحياتك ، بشي ، ثمين لولا ما سُخر له
صاحبها كما يقول الاوليا . خفت الموت لا لان الموت يخيفني — اقول ذلك
انضاماً لا نفراً — بل لانه يزعجني ، يقطع علي عملي وانا في مهمّة منه ، بوقفي
في نصف رحلتي . وكنت اسمع صوتاً فيه ارتعاش اذ كانت درجة الحرارة على
حدود الاربع بعد المئة ، وهي درجة يغتفر عندها الهذيان ، كنت اسمع صوتاً
يقول ويردد : الوشم ، وادي السر ، عنيزه ، بربده ، الكويت . . . الى الكويت .
هات الخارطة يا دحيم .

وكان دحيم — مختصر عبدالرحمن — وهو السلحفاء في سيره وعمله يروح
ويجي . في قميصه البيضاء القذرة كأنه طيف الموت بعينه . — ابشر يا استاذ
ابشر . ولكنتني ، قبل ان يجي ، بالخارطة ، اكون قد سافرت على ظهر الحمى الى
الكويت عشر مرات . وكان لدي خارطات كبيرة وجدتها في القصر جسمت في
نظري المسافات وضاعفت المشقات . اما رفيقي السيد هاشم فكان قد تصلب من
طول الصحبة ، او عاد الى صلابته ، فلم يعد يرثي لخالي . لا انساه حياتي وهو
واقف عند النافذة والمرآة بيده يحكم وضع عقاله ، ويصف لي مشقات الطريق الى
الكويت . وكان كل مرة يرى الخارطة بيدي يتناول تلك المرآة ليزين روحه ،
فيزينها وهو يقول : لا ماء الا في الحفر ، فيريني الحياة كلها مفازات ، ويسمعني
فوق ذلك : كلها مفازات . ألا فاسقني غمّاً وقل لي هو الغم .

الى الكويت ! ليس في الكلمتين ، اذا كنت في غير قلب البلاد العربية ،
ما يدعو الى الخوف والاضطراب . هب انك في مبياي ومحبتك الكويت
فالسلامة ترافقتك في مركب بخاري تعددت فيه اسباب الراحة والاطمئنان . ولو
كنت في العراق قلت : الكويت ، للباك كذلك البخار ، فيحملك على العجلات

من بغداد الى البصرة ويملك هناك الى باخرة تريك ، وهي تجري في شط العرب ، شيئاً من الجنة على ضفتيه ، وتترك في جوف من الخليج حفرة يد الزمان ، فاطمان اليه البحر والانسان .

ولكن تلك الكلمة : الى الكويت ، وانت في الرياض ، وراؤك الدهناء وامامك الدهناء والنفود ، ولست يارجل من الدواسر او من بني مره ، وليس لديك من السيارات والطائرات غير « البيل » - الابل - انما هي المحنة التي نفاخرك دائماً باخيها الشقاء وبابن عمها الموت . ومع ذلك فالسيد هاشم كان يجب اليّ الاخت واخيها وابن عمها اكراماً للشيخ احمد آل صباح والكويت . ولعله اكثر من عشرتي وفلسفتي فاستحجر قلبه .

- الشيخ احمد رجل زين ، يا استاذ ، متعلم متأدب ، سافر الى اوروبه ، وهو يتأنق بملابسه وماآكله . والكويت مدينة تنسيك الرياض . هي باريس البلاد العربية . فيها دخان ، وفيها وسكي ، وفيها المباح من النساء ، وفيها طبيب ومستشفى . نعم فيها طبيب ومستشفى . . . ثم يبادر الى المرأة فيحكّم وضع عقاله ويقول : لا ماء الا في الحفر .

- وقد اموت ياسيد هاشم قبل ان اصل الى الكويت .
- حياة الفلاسفة طويلة يا استاذ . وهب انك مت فقد شاهدت الرياض والاخوان ، فيؤذن لك بالدخول الى الجنة .
- الجنة لكم لا لي . . . هات الخارطة يادحيم . . . واعطني الماء .
سأشرب ما يكفيني الى الكويت .

السيد هاشم بعد ان عدل عقاله ووضع المرأة تحت المسند :

- هلا تعتقد بالجنة يا استاذ ؟

- لا اعتقد لا بها ولا بك .

- ولكن الجنة كائنة بشهادة النبي والكتاب الكريم .

- جنة البله كما قال الغزالي . هي لك بخشيش مني .

- انت تمزح .

- انا أجد .
— اتبني حصتك فيها .
— وهبتكها كلها .
— أو تكتب لي حجة بذلك ؟
— ياد حيم هات الورق والحبر .
فبادر الي بهما السيد هاشم فكتبت ما يلي : على فرض ان الجنة موجودة
فاني اهب السيد هاشم ابن السيد احمد الكويبي السني الشافعي الرفاعي حصتي
فيها . ووقعت الصك ودفعته اليه ، فأعاده قائلاً : بالله يا استاذ امضه بالانكليزية
ايضاً . فقلت ، وقد دونت اسمي باللغتين : أتظن ان لرضوان مستشاراً انكليزياً
او ان الانكليز اصحاب الانتداب في الجنة ؟ فقال : الله اعلم . وعاد الى المرأة
بعدل عقاله . كنت قد ادركت ما للمرأة من الهمية في حياة صديقي فقلت
والموت يداعبني : وقد جعلتك وارث مرآتي ايضاً . فدُسر بالهبتين ونادى :
ياد حيم هات اقموه .
ياد حيم هات الخارطة . هذه هي الرياض وهذا الوشم — مئة ميل — وهاك
وادي السر فشقرا فعنيزه فبريده — مئة وخمسون ميلاً — ومن يريد به الى
الحفر — مئة وخمسون ميلاً .
السيد هاشم : لا ماء الا في الحفر .
— توكلنا على الله . ومن الحفر الى الكويت مثلها — الجملة خمسمئة وخمسون
ميلاً ، مسيرة عشرين ساعة في السيارة وعشر ساعات في الطائرة طير «المون»^(١)
ولكننا في بلاد لا نريد ان نطير فيها ولا فوقها . فقد طابت لنا حتى في
مفازاتها ، واحببنا اهلها واحببنا بعارينهم ، فوددنا السير فيها على طريقة دحيم
كالسلفاء لنزداد بهم وبها علماً ونزداد حباً .
قال لي احد الموظفين الانكليز عندما كنا في العقير : احسنت في سفرك من
هنا فستعود تدريجاً على ركب الدلول فتصل الى القصيم وقد تصلبت فتقوى
(١) يقول اهل نجد في السير البطيء « سير المون » .

اذ ذاك على السفر من القصيم الى الكويت .
 انها والحق يقال او عر الطرق في نجد . ومعا صحبني من مكارم عظمة السلطان
 عبد العزيز من اسباب الراحة والامن وخفض العيش فقد كانت هذه الرحلة علي
 اشد الرحلات مشقة ونصباً وهمماً . خرجنا من الرياض اثني عشر راكباً وقينا
 الرفيق والحارس والخادم والطاهي والقهوجي وراعي البعارين ، وهو يسوق قدامه
 قطيعاً من الغنم للذبح ، ومعنا في الحملة الخيام ، وفي مواعين المؤونة حتى العسل
 من عسير والبسكوت من لندن .

على انه كان معنا ضيف ثقيل خبيث ما رآه احد من الربع ولا علم به امير
 الحملة هذلول - هذلول الذي كان يرى ما وراءه كأنه امامه فلا يخفى عليه شيء .
 يختص بالحملة او بمن جهزت من اجله ، لم ير ذلك الضيف الثقيل ولا علم به .
 فقد رافقنا من الرياض رديفاً ، رديفي انا بل رديفي الاول ، شبح الحمى ! وكان
 يشهر حرباً علي من حين الى حين ليثبت وجوده وينفي وجودي فيحمل علي بالنار
 فاحمل عليه بالكينا . دامت الحرب شهراً ويزيد ، اثنا الرحلة كلها ، دون ان
 يفوز احد منا . فكان ينبع كل وقعة هدنة ، وكل هدنة صلح كاذب . حتى
 اتنا يتسنا من الصلح ففضلنا الحرب عليه . ولم يكتب لي النصر المبين الا بعد
 وصولي الى الفر بكة واستنجدادي بهواء لبنان .

ابن نحن الان من لبنان . اتنا لا تزال ايها القاري . العزيز تحت مياه
 العارض وفي ظلال بساتين الرياض التي تمتد جنوباً الى المنفوحة بلد الاعشى احد
 رجال المعلقات . سعدنا قليلاً في جبل طوبوق ، وعاصمة نجد التي هي عند سفح
 الجبل وراءنا والمنفوحة دونها . ثم اطللنا ، بعد سير ثلاث ساعات شمالاً ، على برج
 مهديم اشار اليه هذلول قائلاً : هناك نصب ابراهيم المصري مدافعه واطلقها
 على الدرعية .

وبينا كان يقص علينا قصة تلك الحرب بدت بعد نصف ساعة الاطلال
 تحتنا غرباً بجنوب ، وقبالها شرقاً بشمال بساتين من النخيل والائل اختبأت فيها
 القرية التي هي اليوم الدرعية الجديدة . نزلنا في شعب من وادي حنيفة الذي

ينفضي الى اليمامة ، ومرنا بين الدرعتين قليلاً ، ثم انحنأ في عقيق السيل بين ظلي الاطلاع والتخييل . وبعد ان امر هذلول بنصب الخيام واعداد العشاء ارسل الى امير البلدة رسولاً يطلب الحطب للنار والعلف للركائب ، ثم مشى برفقتي الى عاصمة الوهاية التي دمرتها مدافع المصريين منذ مئة سنة ونيف .

صعدنا الى الجانب الغربي من السيل القائمة على حاشيته بقايا قصور آل سعود ، فاذا نحن في اسواق مدينة كبيرة كانت تشرف شمالاً على جبل طويق وجنوباً على اليمامة التي هي اليوم بقعة صغيرة في مقاطعة الخرج ، فمشينا بين جدران تداعت ، وفي ساحات لم يبق من عمرانها غير الرسوم العافية ، ووقفنا على جسور متهدمة بين القصور ، ونزلنا في درجات مبرية الى ابار ردمها الزمان .

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حاناتها زجّل كانت الدرعية منذ مئة سنة اكبر مدينة في البلاد العربية ومحط رحال العرب من الاقطار كلها . مرنا في اليوم الثاني ساعة في وادي حنيفة ونحن لا نزال في ظلال طولها الدوارس . فلا عجب اذا كانت في ايام مجدها ، في عهد عبد العزيز الاول وسعود الاكبر ، قطب البلاد العربية بعد الحرمين ، يؤمها العرب من كل قطر قصي للاستنجد بامرائها وللاتجار . من عمان ومسقط وحضرموت كانوا يجيئون الى الدرعية ، ومن العراق والكويت والبحرين ، ومن اليمن وعسير والحجاز .

هذه هي عاصمة نجد في وادي حنيفة وقد دمرها العدو الاجنبي . وهذه هي جَبِيلَة قريبة منها وقد جعلها آل سعود في حروبهم الاهلية مثل الدرعية . وها نحن في « بلد الشيخ » على مسيرة نصف ساعة من جبيلة . هي « بلد الشيخ » ، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب ، العُيَيْنَة المشهورة ، وقد اخني عليها الذي اخني على ابيد . كانت طريقنا بين خرائبها ورسومها ، فسرنا ساعة فيها ، فأدهشنا عدد القلبان^(١) التي كنا نراها الى اليمن والى اليسار ، وهي

(١) قلبان جمع قلب تلفظ في نجد جليب اي بئر ماء وساقية .

عميقة ومحكمة البناء ، وكلها ، يامن اخنى على لبد ، جافة مردومة .
 كانت العيينة قائمة في وسط سهل فسيح ، سطحه يابس جاف ، غير ان
 تحته ولا شك مجاري من المياه كثيرة . فما معنى القلبان المتعددة لولا ذلك ؟
 اما اليوم فلا ماء في العيينة ، لا في عيونها ولا في قلبها . هجرتها السواقي
 الخفية ، فهجرتها الانس ، فنبت اليبق^(١) في دورها ، والحرمل^(٢) في حماها .
 ذلك تحتها ضلع من الارض ، فتحوط المياه عن مجاريها ، فنضبت القلبان ، ودكت
 فوقها المنازل والقصور . ولو ان في جوارها اليوم بعض الماء لقامت عندها
 عيينة جديدة مثل الدرعية الجديدة . قد شاهدت في نجد غيرها من البلدان
 التي هجرت او نقلت لتحوط مجاري المياه تحتها .

كانت العيينة من مدن نجد العامرة يوم فرّ هارباً منها محمد بن عبد الوهاب
 ولجأ الى الامير سعود بن مقرن في الدرعية . بل كان هذا الوادي وادي حنيفة
 عامراً في ايام الصحابة بالبلدان والقرى التي كان يتصل بعضها ببعض من الدرعية
 الى العيينة . اما اليوم فقبور الصحابة فيه و « ديرة » مسيحة ، ومقطرأس
 الشيخ ابن عبد الوهاب هي كلها مثل القلبان تحت الارض واحدة في الخراب
 والهجران . بل قد هجر وادي حنيفة حتى الاطيار والازهار ، ولم يبق من
 الشجر غير الشوكي كالطاح والسأم . كأنها مخاب الزمان في كبد العمران
 او اكليل من الشوك للطلول الدوارس .

ومثل الطلح والسلم في الاخرية هؤلاء الاخوان في الدين . هاك ثلاثة
 ذاهبين الى الرياض « ليقروا » — ليتعلموا القرآن والحديث . سلموا علينا
 فرددنا السلام . وراح هذلول يحدّثهم ليستطلع « علومهم » — اخبارهم . ثم
 سمعنا واحداً منهم يقول : ردوا لنا سلامنا . وسمعنا هذلولاً وقد ادير بذلوله
 يصيح : سلامكم رد لكم . ثم اشعل السبيل فسألته الخبر فقال وهو يضحك

(١) بهق الحجر نبات يعلو الصخور شبه بالطحلب .

(٢) الحرمل نبات مثل الطيون لا تأكله المواشي قبل ان حبه يخرج البلغم والسوداء
 اسهالا ويصفي الدم .

ويدخن : بدو جهال • سلموا علينا ثم ندموا على السلام • سألوني عنك فقلت :
سوري جاء يتاجر بالبُل ، فما صدقوا ، وقال احدهم : هو انكليزي كافر • ردوا
لنا سلامنا • فرددتهم وسلامهم الى الجحيم •

فضحك العجاني بدّاح ضحكته العريضة الفضفاضة ، وراح يدرهم ويفني :

يارا أنسب التي هجيجا زين « يراكب الناقة التي درهامها اي عدوها حسن »

ما ضيّجت صدر راعيها « ما ضيّقت صدر صاحبها »

امرع من رماشتك بالعين « رمش العين »

ورماشة العين تلهيها « اي التمز بالعين »

ممشى العشر تأخذه بيومين

تجيك ما مل راعيها •

وكأنه كان يتفنى بمدح كل ذلول من ركائبنا الا ناقة سوداء شعراء حرون ،
صميتها الخيزبون ، كانت تأتي السير الاغارة ، فيضطر راعيها سالم القهوجي ان
يتخلف عن الربيع من حين الى حين ، ثم يطلق لها العنان فتجي ، كأنها « جلمود
صخر حطه السيل من عل » وهي تهدير كالرعد والبحر الهائج معاً ، والمعامل
— مواعين القهوة — المعلقة بالرحل تصفق لها استحساناً • ولم تكذ تلحق بنا
حتى تسري منها الى ركائبنا الكهرياء ، فتزق كل ذلول لمباراتها ، فيبادر
الركب الى الارسنة وقد كانت على الغوارب ملقاة ، والى الخيزران يهولون بها
فوق الرقاب ، وينادي هذلول بدّاحاً وبدّاح يحمس هذلولاً ، حي هلا ، حي
هلا ! جات الخيزبون ، شنها سالم المجنون •

امرع من رماشتك بالعين ورماشة العين تلهيها •

كنت في بداية امري بالفارات احسن ان شيئاً في صدري يذوب فيحدث
فراغاً بصعب عنده التنفس • وكنت اتصور الرحل يعلو ويهبط كأنه موجة
تحتي مائجة ، بيد اني بالممارسة ملكت النفس والعنان ، وصرت اهول بالخيزران
كأنني من الدوامر او العجان • حتى اذا ما دنت مني الخيزبون كنت أسرع
الربع الى النخوة والاعتزاز — خيال التوحيد اخو من طاع الله ! — وقرينهم

في الغارات .

ان في ركوب الهجين خير الرياضات الجسدية . وهو بلذ ولا يتعب اذا بدل
الراكب السير هوذا بالدرهام ، والدرهام بالفارة من حين الى حين . اي اذا سار
بمشي الهون عشر دقائق مثلاً ، ثم مثلها درهماً ، ثم بضع دقائق غارة ، وكذلك
في المسير كله ، فلا هو يتعب ولا تتعب الدلول . بل في هذا السير المختلط صحة
الراكب والمركوب وسرور الاثنين معاً . فالذي يشفق على هجينه لا يسير مشياً
دائماً . ولم يكن هذلول ليسمح باكثر من ساعة من بطء السير فيقول اذ ذاك :
هوذا الركائب ، فنشأ ندرهم جميعاً .

قد يخفى على القارىء المتعمدن من لا يعرف من اخبار الابل - الابل -
غير « سائق الاطعمان بطوي البيدطي » وغيرها في الدواوين ما في الكلمة
« هووا الركائب » من الحقيقة ، وما في العمل بها من الرحمة بالحيوان . ليعلم
اذن ان سنام البعير هو من اعضائه الطرية الحساسة وان قل عددها ، بل هو
اطرى ما فيه منها . وان الكور في شكله يحوق بالسنام ولا يضغط عليه فيبدو
السنام منه للهواء كأنه قبة من الشمع في اطار من خشب ، فيستأنس البعير
بذلك . وليعلم القارىء كذلك ان الحمل المحتمل مها ثقل حمله هو اوفر حظاً
من الدلول لان الحمل يضغط على جنبه وظهره اكثر من ضغطه على السنام . اما
الدلول فحملها (١) الاول الكور . ثم الفرش - وسادة وسجادة وخرج وجلد
غنم - فوق السنام يمنع عنه الهواء ، ثم الراكب وهو على السنام يضغط عليه فيزيد
بكربة صاحبه ، ولا سيما اذا سار الهون فلا يتحرك الا ترجحاً اي حركة افقية ،
فتزداد بالفرك الحرارة ، ويسمي السنام كقطعة لحم مشوية . اما اذا درهم فتتغير
الحركة ، تصير عمودية ، فيدخل ، وانت تنتفض في الرحل ، ثم من الهواء الى
السنام فتتعض الدلول المسكينة .

وحبذا اعتناء اهل نجد بالاشجار اعتناءهم بالابل . مررنا في وادي حنيفة

(١) قلت في حاشية سابقة ان الدلول ناقة تُدَلُّ للركوب ويندر جداً ان تكون من غير
النباق اي من الذكور .

يبقعة تدعى الخيسية فيها غاب من الطلح والسلم هو اول ما شاهدت في نجد . ولكن الاشجار متفرقة متكسرة ، قليلة الاخضرار ، ضئيلة الظل ، تسطو على اصولها وجديدها الانعام ، ويفتك بفروعها فأس الخطاب . في الخيسية تحتطب الرياض . ولكن اهل العاصمة في غفلة عما يحدثه جهل الرعاة وجهل الخطابين . فهؤلاء يقتلون الشجرة واولئك يجهزون عليها ، ولا احد يشكو ويلوم . ما رأيت ولا سمعت ان احداً اهتم لغرس الجديد من الطلح والسلم . فلا يمر والحال هذه عقدان من الزمن حتى يضطر اهل الرياض ان ينشدوا الحطب كما ينشد الرعاة في سنة الجذب الحيا - المرعى - في الاراضي القصية . وقد لا يجذونه .

بعد خروجننا من الخيسية نطل على اول بلد في الوشم ، ذلك القاع الكائن بين وادي حنيفة ووادي السر ، الذي يمتد غرباً من سفح جبل طويق . ان الوشم مشهور بقصوره ومزارعه وتاريخه وثقاليدته . هذه البرة كأنها في قصرها ونخيلها واقفة عند الباب ويدها المفتاح الى وادي حنيفة في تلك الناحية . هي قرية لا يتجاوز عدد سكانها الخمسمئة نفس اكثرهم من عرب مطير وفيهم مئتان من الاخوان المجاهدين .

اما ثرمدا بعدها ، ثرمدا الكثيرة القلبان ، فان الماء المالح والماء القراح يجريان فيها جنباً الى جنب تحت النخيل . سكانها من بني تميم واميرها العنقري الذي اضافنا وحدثنا عن العاصمي والعظامي من الرجال هو من بني سعد وهم اطيب جذوع تميم في الزمان الاول . قال لي هذا العنقري التميمي العصامي واكد قوله ان عندهم في ثرمدا ثلاثمئة قلب وثلاثة الاف مجاهد . ولكن امير شقرا الذي قرأ بعدئذ العددين في مذكراتي اسقط صفراً واحداً من كليهما .

— هذا الصحيح . ثلاثون جليب ثلاثمئة مجاهد . أو لم يعلمك بطباع نساء ثرمدا ؟ هن بكرهن الاقامة فيها . رجال ثرمدا لا يعدلون في النساء . . . لا يستطيعون . لذلك ترى نساءهم ، والحبل على الغارب ، في كل مكان . لم اتمكن من الرجوع الى ثرمدا لاسمع ما يقولون هناك عن نساء شقرا .

ولكن الامير القحطاني اكد لي ان نساء بلدكم مقصورات الطرف لا يفتنن خارج
 السور بدبلاً . ثم قال : اذا دبتت يا امين نعرسك بينت من بناتنا فتقيم عندنا
 وتتحقق قولنا . ونعطيك مع البنية بيتاً وذلولاً ، ونعلمك الغزو وضرب السيف .
 ان شقرا لا يحمل بلدان الوشم واكبرها . نخيلها ، مثل نساها ، داخل السور
 يزين البيوت ويحجبها بعضها عن بعض . عدد سكانها خمسة الاف وهم من بني
 زيد وبني خالد وفيهم قليل من تميم . اما الاغلبية فهي لبني زيد وهم كما يدعون من
 قحطان . وبنو خالد من عنزي فعدنان . على ان الجميع في شقرا متآلفون
 متحابون . ومع ان الناس في نجد يسخرون بالقحطاني ويتمكون عليه ، فيرمونه
 بالبخل ، فقد وجدته في شقرا مثله في اليمن عربياً كريماً . لست انسى الامير
 ووكيل المال والشاعر فيها . ولا انسى ضيافة حات دونها ودوني الحمي . وهم على
 كرمهم ودماثة اخلاقهم متضعون . ينحرون لك ، ويمدون سباطاً ملكياً ، ثم
 يقولون : ما عندنا في نجد غير فاكتين الماء البارد في القيط والنار في الشتاء .

ان شقرا مشهورة كذلك بنائها ، ذلك الماء الذي ادهش البدوي عند ما
 شرب منه لأول مرة ، فصاح قانلاً : امح يا مطر . وعندهم داخل السور ثمانون
 قليباً والى من الاخوان المجاهدين يجرثون في ايام السلم الارض ويتعاطون
 التجارة . اما عمال ابن سعود فليس فيهم من لم يخرج ولو يوماً واحداً الى الجهاد ،
 فادى شهادة التوحيد وحمل على المشركين . وانه ليدهشك ما يقوم به العامل
 الواحد من الاعمال . فلا دوائر هناك ولا كتاب ، ولا كرسي تجلس فيها الالقب ،
 وتأخذ من مال الامة بلا حساب .

كنا في شقرا ضيوف وكييل المال محمد السباعي ، وهو رجل صغير نخيل
 عليل ، يحمل في جيبه مفتاحاً من الخشب يفتح عشرين باباً في داره ، ويتولى
 الجباية في الوشم كله ، ان بيت السباعي مفتوح وان ناره مشبوبة على الدوام .
 السباعي حبة غائبة كما يقولون هناك . اي انه ذو بسر وفضل وحمية . ومع ذلك
 فهو لا يوكل احداً بعمل يستطيع ان يعمله بنفسه . — نباشر امرنا بيدنا .
 الكاتب متيسر ولكن ما كل واحد تأمنه على الاسرار . فنصبر على المشقة ولا

نشكو غير ضعف في البدن . لو كان لنا ما للبدو من الصحة والعافية . ثم طفق يشكو البدو . - هم على صحتهم كسالى ، خاملون ، ويجب علينا مع ذلك ان نلاطفهم عندما ينيخون علينا . ونجاملهم « ونحبهم » - نقبلهم - بين عيونهم ونحمل لهم الاكل بيدنا . والا راحوا يسبوننا ويقولون اننا كفار . . . البدوي اذا شاف الخير تدلى ، واذا شاف الشر تولى . ثم انشد يقول :

من لا يجينا والديار مخيفة (في خطر)

لا مرحباً به والبلاد عواني (في عافية)

شكرت الحمى بعدئذ واشكرها الان على بومين في بيت السباعي تداويت فيها

بطيبتين لبتره وحديثه .

ذكرت ما في ثرمدا وشقرا من تعدد القلبان مما يدل على غزارة الماء في الوشم . فان مياه جبل طويق تصب غرباً بجنوب تحت هذا القاع ، فتصل الى الخرج والافلاج ، فتتكون هناك بحيرات شتى ، كما تصب شرقاً بجنوب تحت الدهناء والصحان فتظهير في الاحساء . والشاهد على غزارة الماء في الوشم تعدد القلبان في القرى وخارجها في القصور . قد اشرت فيما سبق الى القصور في نجد فايزيد القاري . علماً بها ، او بالحري بتلك التي في البر مثل قصور الوشم . فالقصر هناك سور مربع في كل زاوية منه مفتول او برج ، وداخله بيوت للسكن وللانعام ، وقليب ومقهاية ومسجد . هو اذن جامع بين القلعة والمزرعة فيستخدم في ايام الحرب للدفاع . وهذه القصور بعيدة بعضها عن بعض ، حول كل قصر منطقة خضراء مزروعة ، وبين كل منطقة واختمها ففر قاحل كالصمان .

فلو عاد تميم ووائل وقحطان اليوم الى تاريخ اجدادهم في الاندلس مثلاً لعلموا بما كان لهم على الارض من الابدائي البيضاء ، لعلموا بما كانت اولئك الاجداد يبنون من السدود والقني للري ، فيساوون بين كل بقعة صالحة للزراع ويستثمرونها كلها . اني على يقين من ان الابار الارتوازية في الوشم ، وبناء السدود والقني ، واستخدام الآلات البخارية للرفع والدفع تمكن اهله من زرع كل باع فيه ، فتزداد غلاله عشرة اضعاف . وما يصح في الوشم يصح في القصيم .

دع عنك ذكر الزراعة الان . فها نحن في الطريق التي اكلت قديماً نعال الشعراء ، في « الديرة » التي زائنها يوماً من قال : قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل . لست ادري اذا كان يسقط اللوى هاهنا او في ذا الجوار ، واذا كانت حوتمل والدخول بين ثرمدا والنفود . ولكن هذلولاً وهو شاعر يقول ان الى يسارنا على مسيرة نصف ساعة بلدة تدعى اثائية هي مسقط رأس الشاعر جرير ، وان بين ثرمدا واثائية مرآت بلد امرى القيس .

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال ولكن الوشم اليوم أصيب باده كما أصيب بارضه . فيا له من مجد عفت رسومه ، ومن بلد عفت علومه ، فصار حتى الدوسري يزدرى ابن الوشم ، والسديري يسخر بقرارشه اي حماريه .

لا تحسبني من قراريش الوشوم من ثرمدا والمشيقر والامرات ان اقدم بلدان الوشم هذين البلدين ثرمدا والمشيقر ، وان اكبرها شقرا الكائنة في الطرف الشمالي ، وليس بينها وبين الطرف الجنوبي من القصيم غير وادي السر . على ان هناك بين الوشم والوادي ، النفود^(١) التي قطعناها بثاني ساعات . وبكلمة اصح ان هناك نفدين اثنين ، الصغير الذي يدعى البثرة وهو مسير ساعتين ، والكبير الذي يدعى اعزم وهو مسير ست ساعات . وان بين النفدين حاجزاً من الارض الحصوية المجذبة التي تستغرب جداً في شكلها ومكانها ، هي دائرة بيضاء بين تلك الكثب الذهبية ، وفي احد اطراف الدائرة حجارة يركانية سوداء منها متبعثرة ومنها مرصوفة بعضها فوق بعض . اعجب بها من ارض بهيجك تكوينها الرمي ، ويدهشك ظاهرها البركاني . بعد ان نعدد خمسمئة قدم في النفد الكبير ، وننزل مثلها ، نشرف على وادي السر ، فنجوز العيون هناك ، ونسير في الوادي الى المذنب اول بلدان القصيم .

(١) النفود جمع نفد وهي مشتقة من نفد نقاداً اي ذهب وفتي وهلك .

الفصل الخامس عشر

القصيم

الهواء والاخلاق - القاع في العوشزية - نهر متجدد من الملح - اهل العوشزية ملح الارض - الإشراف على عنيزة - باريس نجد - سعر النفود والنخيل - خطر النفود - سوق عنيزة - أسر عنيزة القديمة - اكرامهم للغريب - القهوة والشاي والطيب - قاعة الاستقبال - النقش على الجدران - هندسة عربية - آل سليم - آل سام - التساهل في عنيزة - لو جاءها « خليل النصراني » اليوم لآكرمه اهله - وادي الرمة - الفرق بين عنيزة وبريده وبين اهل المدينتين - القصر في بريده - سويلم بن سويلم وكبل الامير - التهذيب العربي في اجل مظاهره .

القصيم يعلو زهاء الف قدم عن العارض ويبعد مثني ميل عن الغلو في الدين ، فيتغير الهواء والنبات ، وتغير كذلك اخلاق الناس . مرنا في وادي السر الى جانب النفود وهي الى يميننا قافلة من الكشب تدنو وتبعد منا ، فيتقلص ظلها ويمتد ، ثم يختفي معها فلا ترى منها اذ ذاك غير الاسنمة والرؤوس الذهبية . وبعد مسير عشر ساعات في وادي يكثر طلحه وشنانه اشرفنا على العوشزية وعلى ما يشبه النهر شرقاً منها . فسألت هذلولاً : أمراب هذا ؟ فقال هذلول : هذا القاع . وسألت سالماً فاجاب : القاع . وسألت بداحاً فقال : هو القاع بعينه . وما هو القاع ؟ في الهمن يطلقون الاسم على السهل فيقولون قاع بريم مثلاً وقاع الحقل ، فيكون القاع اذ ذاك اما اخضر واما اسود او احمر اذا لم يكن مزروعاً . بيد ان هذا القاع ابيض كالثلج ولم يتغير في قربنا منه ، ولا بدا على وجهه تموج يدل على الماء . فعندما وصلنا الى العوشزية بعد الظهير تركنا الخدم ينصبون الخيام ويعدون الطعام وسددنا خطواننا انا ورفاقي الى القاع شرقاً من القرية . فاجتازنا بستاناً من النخيل ، وغيزة من الطرفاء ، وادغالاً من نبات طويل لزوج يدعي المرطاحيل ، فاذا نحن بعد ذلك في ارض سبخة موحلة واذا بالنهر او القاع قيد بضعة ابواع منا . أنهر في نجد ؟ اي نعم . نهر من الملح

المتجمد ، من فصاف السوداء ، وسعه نصف ميل ، وطوله من الخمسة الى السبعة اميال ، ووجه كوجه الماء وقد عقده القر جليداً .

خضنا الارض الموحلة الى الصفحة البيضاء فالفيناها جامدة مصقولة كالجليد ، وصلبة كالجلمود ، وناشفة كالرمل ، ولا باردة هي ولا حارة . جلست هناك وتربعت وشكرت الله على ذا المظهر الغريب العجيب في الكائنات . هوذا نهر ماؤه جامد جاف ، وهي ذي بحيرة حاراً جليداً . سألت رفاقي ان يجلسوا فترددوا خائفين . هي اول مرة جاءوا الى القاع وخبروا حقيقته . دقوا ما تحت ارجلهم بخشب البنادق ليتحققوا صلابته وجلسوا وهم يضحكون ، ثم قال بداح : والله يا هذلول بلاد نجد عجيبة . فاجابه هذلول : واعجب منها يا بداح نحن الذين لا نعرف ما فيها .

قطعنا صفيحة من هذا الملح فاذا سمكها اربع اصابع ويتخلله شيء من التراب والقش . اما اذا دنوت من وسط القاع فيزداد السمك ويصفو الملح فيقل فيه التراب . على انه لم نر في اسواق عنيزة وبريدة ملحاً نظيفاً . فهم يجلبونه من هذا المكان ويبيعونه صفائح كبيرة وصغيرة كما يقطعونها .

العوشزبية قرية صغيرة فقيرة لان تربتها بسبب هذا القاع جليها سبخة لا يصلح زرع او غرس فيها . ولكن اهلها ملح الارض . جاءنا وجيبهم يدعوننا للقهوة - تفضلوا تقيومكم - فقبلنا شاكرين ، وكانت اول ضيافة من مثلها في القصيم . جلسنا حول الموقد على الوسائد ورب البيت يحدثنا بينما هو يعمل القهوة . ثم اشعل السبيل ودخن وقدمه لهذلول فاداره على الربع . ثم جاءنا بخبيص يدعونه عبيطاً يعملونه من التمر والسمن استلذذته واستعدته . فضحك العوشزبي الكريم واثني على حريتي قائلاً : كأنكم من القصيم . جاء هذا العربي الفاضل في المساء يرد الزيارة ويشرب القهوة فازدردت اعجاباً به وبكرم اخلاقه اذ قدم للربع شيئاً من التبغ واعتذر قائلاً : لولا قلته والله زودناكم منه .

و كانت ضيافة العوشزبي فاتحة الضيافات في الايام التالية بعنيزة .

القصيم . عنيزة حصن الحربية ومحط رحال انباء الامصار . عنيزة قطب الذوق والادب ، باريس نجد . وهي اجمل من باريس اذا اشرفت عليها من الصفرا ^(١) لان ليس في باريس نخيل وليس لباريس منطقة من ذهب النفود . بل هي اجمل من باريس حين اشرافك عليها لانها صغيرة وديعة خلافة بالوانها ، كأنها صورة صورها مآينه ^(٢) لقصة من قصص الف ليلة وليلة ، وكأنها لؤلؤة في صحن من الذهب مطوق بالللازورد . بل قل انها السكينة مجسدة وقد بنت لها معبداً بين النخيل ، زانته بافريز من ذهب الرمال ، وكلته باكليل من الاثل . فهي في مجوف من الارض يحيط بها غاب من هذه الاشجار ليرد عنها رمال النفود التي تهددها من الجهات الثلاث ، من الشمال والغرب والجنوب . قلت مرة لاهلها : انتم والنفود قوم ^(٣) فاعجبوا بالكلمة وتناقضوها . انها الحقيقة ولا مبالغة . فالنفود تحاربهم بالرمال تدفعها الرياح من كل جانب فتسفيها على المدينة ، وهم يحاربونها بالاثل يزرعونه غياضاً فوق الكُثب خارج السور .

قد تصغر عنيزة دون اهلها ، وهم زهاء ثلاثين الفا ، لان النفود تقيدها فلا تستطيع التبسط والامتداد . فهي لذلك مزدحمة بالسكان واكثر اسواقها كالسرايب لانهم يبنون فوقها الجسور وفوق الجسور البيوت . ولكن هناك سوقاً للتجارة كبيرة منيرة تدهشك بما فيها من الاشكال والالوان ، فتذكرك باميركة وبلاد الانكليز ، وتنقلك الى الهند واليابان ، وتسمعك اللغات الانكليزية والافرنسية والهندوستانية ، ولهجات من العربية متعددة .

وفي عنيزة أمر قديمة عريقة بالنسب والفضل ^(٤) قد ساح ابناؤها في البلدان القصية والامصار شرقاً وغرباً فزادتهم السياحة ادباً واتضاعاً ، فرفعوا الضيافة الى مقام تفتتح عنده ابواب البيوت والقلوب معاً . اجل ، ان الغرب لينسى في هذه المدينة كونه غربياً ، فسواء كان مسلماً او كافراً ، موحداً او مشركاً ،

(١) الصفرا مثل الصمان ارض حصوية مجذبة شرقي عنيزة وتعلوها نحو مئتي قدم .

(٢) كلود مانه Claude Manet المصور الافرنسي الشهير .

(٣) قوم اي اعداء في اصطلاح العرب .

(٤) مثل آل سليم وآل بسام وآل ذكبير وآل شماس وآل قاضي .

فهو يشعر ها هنا انه بين اناس القوا مثله والقوا فوق ذلك اكرامهم . فيستأنس
ايما استئناس ويبي دعواتهم مسروراً شاكراً .

— تفضل قهويك . هي دعوة شبيهة بدعوة الانكليز للشاي . وفي الضيافتين
شيء غير القهوة وغير الشاي جميل ، فيهما ميل الى الحديث والتعارف ، ورغبة
في الالفة والولاء . على ان ضيافة العربي العنيزي تمتاز عن ضيافة الانكليزي في
ان رب البيت يخدمك بنفسه من حين الاستقبال الى حين الوداع . وما اجمل
ذاك الكرم وتلك الوداعة لاسباب ان الفضيلتين نشأتا في عزة نفس لا تحتاج الى
الابهة لتؤيدها .

ان قاعة الاستقبال عندهم تدعى القهوة . وهي عادة طويلة فسيحة عالية ،
سقفها ، وقد سقف بخشب الاثل ، قائم على اعمدة من الحجر مطلية بالجنس ، لها
نوافذ مزدوجة ، النافذة فوق الاخرى ، العالية للدخان يخرج منها والواطنة للهواء ،
وعلى جدرانها رسوم هندسية نقشت بالجنس فوق ارضية من الطين ، فتبدو في
لونها الابيض والحنطي كأنها خرج افرنسي على قيص عربية . وفي الصدر بجوف
مستطيل لا يزيد اذا كبر على الثلاثة الاذرع هو الموقد ، يجلس عنده رب البيت
ويجلس الى جنبه ابنه او اخوه او احد من اهله ، فينشئ الواحد يعمل القهوة
والآخر يدق البن في جرن من الحجر كبير شبيه بجرن الكبة في لبنان ، الا ان
قطر ثقبه لا يزيد كثيراً عن قطر الهاون . وعند رأس الموقد خزانتان واحدة
للحطب واخرى للمواعين هما قيد يد الجالس هناك ، فلا يضطر ان يقف ليبتناول
شيئاً منهما . واهم من كل ما ذكر الابريق ، وهي محور الدعوة وركن الضيافة
المادي ، اباريق النحاس الوهاجة كأنها وصلت تلك الساعة من المعمل في دمشق ،
وقد صفت امام المضيف صفاً متناسقاً من الاول الصغير الذي يكفي ضيفين الى
العاشر الذي يسقي مئة ضيف ويزيد . هذه هي القهوة عندهم وهي في شكلها
ورسومها ، ولوني جدرانها ، وسقفها العالي ، ونورها اللطيف الذي قلما يمازجه نور
الشمس ، تعيد الى ذهنك صورة معبد من معابد الاقدمين فتحدثك بجلال
العتق والقدم .

قال هنري دوطي في كلامه عن عبدالله البسام : « و كان لجرنه صوت شجي
 كأنه جرس الضيافة يدعو الناس للقهوة » . الا انهم لا يقفون في الضيافة عندها ،
 فهم يقدمون بعدها ، في كؤوس من الزجاج ، شيئاً من الشاي جزاء الاكبران
 الحليب والسكر . في بعض الاقطار العربية يسمى هذا الشاي القهوة الحلوة ويقدم
 للضيف دائماً بعد القهوة المرة . وهم في الضيافة لا يسرعون ولا يلحون ، اللهم
 اذا كانت الدعوة للقهوة فقط . اما اذا دعيت للغداء او العشاء فبعد الاكل
 الاية : واذا طعمتم فانتشروا . ولا استثنأ . لذلك كنت افضل الدعوات
 للقهوة رغبة في الحديث ، وما اكثر الفوائد والدهشات فيه خصوصاً اذا كان
 مضيفك بساماً او سليماً .

هذا سيدي عبد العزيز بن عبدالله آل سآيم وقد اضافنا مرات عديدة بين
 الصلاتين وبعدها اصيلاً ومساءً ، لا لسمعنا حديثه ، وما احلاه ، بل لسمع
 حديثنا . وكنت من باب حب الذات والاستفادة اباريه في السؤالات ، فنقل
 من الجغرافية الى الزراعة ، ومن أمريكا ، كما كان يلفظها ، الى بلاد طي ، ومن
 الاطباء الى الشعراء . كان يكثر ، عافاه الله ، من ذكر الاطباء ، خصوصاً
 « طبيب السنون » ، ويشكو خلو عنيزة منهم . — قيل لنا يا افندي ان امير
 اطباء الاسنان هم في امريكه . أصحيح هذا ؟ قد ناسفر الى امريكه فنشاهد
 بناياتها العالية ونصلح اسناننا .

وهذا عبدالله بن خالد آل سليم امير عنيزة وقد انزلنا في القصر الجديد
 الذي شيد حديثاً لعظمة السلطان عبد العزيز ، ومد لنا في بيته سباطاً ازدمت
 فيه الالوان ، وانارته من شيم الامجد البشاشة والوقار . ثم ادعشنا صباح يوم
 السفر باكلة جمعت بين الخبيص^(١) والعبيط ، جيء بها في جفنة كبيرة على كانون

(١) الخبيص في نجد هو غير العبيط . الخبيص يسل من الطحين والماء والسكر . ضم
 الطحين في القدر وحركه فوق النار حتى تفوح رائحته ، ثم ضم الماء والسمن والسكر فوقه
 وحركه حتى تفوح رائحته ثانية ، فصب عليه السمن وحركه حتى تفوح الرائحة الثالثة . فارفعه
 اذ ذاك عن النار ودعه يبرد ويشد ، ثم مد يدك باسم الله الى القدر ولا تكن جشعاً . اما
 العبيط فهو من التمر والسمن كما تقدم .

من النار لتؤكل حامية . هي الحَيَّة يَنَمَّة بنت الخبيص والعييط ، وقد عملت قرصاً كقرص العيد وُغَمَّت بالسمن والسكر .

والامير عبدالله مثل عمه عبد العزيز مزارع كبير يشتغل ساعات الفراغ في بساتينه . غير انه مثل كل عربي لا يزال ، على شغفه بالزراعة ، اسير ثقليدها القديمة . سألنا عن الآلات البخارية لرفع المياه والري ، ثم قال : سمعنا ان السلطان عبد العزيز يبغي استخدامها في الحسا . فمتى فعل نتبعه ان شاء الله . الناس على دين ملوكهم - وعلى طريقتهم في الزراعة ايضاً .

وهذا عبدالله بن محمد آل بسام يثبت ما اقول . فهو ، على علمه وادبه وروحه العصرية في كثير من امور الحياة ، لا يتقدم طويل العمر في الرياض . لعبدالله ارض خارج المدينة حفر فيها قليلاً عمقه ثمانون قدماً وعرضه خمسة وعشرون بعشرين ، يشتغل في رفع المياه منه عشرة جمال ، وهو مطوي بالحجارة محكم البناء . كلفه اربعمئة ليرة انكليزية ، وبكفنه رفع المياه يومياً ليرة واحدة في الاقل . اما ثن الآلة البخارية فلا يزيد على نصف كلف القليب ، وثن البترول يومياً اقل من اجرة الجمال . وعبدالله البسام الذي ساح في مصر والعراق والهند يدرك ما في الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير والسرعة في العمل ، ولكنه عربي . والعرب في الزراعة على طريقة ملوكهم واجدادهم .

اما في التساهل الديني فبين اهل عنيزة اليوم واجدادهم بون شاسع . ليس في عنيزة اليوم من يضرب بالعصا من لا يصلي ، فيسوق الى المسجد كالانعام من لا يلبون دعوة المؤذن . وليس في القصيم كله من اولئك الوهابيين ، امثال الاخوان اليوم ، الذين اضطهدوا « النصراني الكافر » هنري دَوْطِي وطرده من البلد . لم يجد الرحالة الانكليزي يَوْمِئِذٍ غير بضعة رجال والود ، وضافوه ، وساعدوه في محنته ، اهمهم ثلاثة هم امير عنيزة يَوْمِئِذٍ وعبد الله القيني وعبد الله البسام . وقد ذكرهم دَوْطِي في كتابه بالخير . نعمتهم بالفلاسفة واثني عليهم ثناء طيباً .

حدثني صديقه عبدالله الله قال : كنت شاباً يوم جاء « خليل » الى عنيزة وكان

القشيني اكبر اصدقاءه ومساعديه . فاغضب سكان المدينة فسبوه وتجنّبوه . قالوا انه كافر مثل الانكليزي وها قد مر خمس واربعون سنة وانا اشاهد التطور عندنا . نعم الفرق كبير . ثلاثة يومئذ والوا الغريب علنا واكرموه ، ثلاثة فقط . اما اليوم فلو عاد « خليل » لينا لما وجد ثلاثة يدبون اليه فعلا او قولا . اهل عنيزة اليوم بغضبون لاقل اساءة تلحق بالغريب في بلدكم .

بين عنيزة وبريدة الوادي ، وادي الرّمة ، والنفود . ولكن بين سكان المدينتين فرقا يكاد يكون ابعد من الفرق بين البدو والحضر . اما بريدة مدينة تجارية وليس لاهلها وقت لغير الاتجار والصلاة . هي محط رجال البدو من مطير وهتم وعتيبه وحرب وغيرهم ، يجيئونها للبيع والشراء . هي بدوية مادية لا تهتم للادب ولا تسرف من تليد العقل والفؤاد ، فلا تكرم الغريب ولا تسيء اليه . على انه قلما يسمع فيها تلك الكلمة الطيبة ، تفضل تقهوبك ، التي هي صلة التعارف والولاء . لذلك تسمى عنيزة باريس ، مع ان بريدة اوفر حظا منها في النزول على النفود . ان الرمال تفسح لها ولا تناوئها . فلو كانت المدن في انبساطها وانقباضها تؤثر في الاخلاق لكانت بريدة في الضيافة ، في بسط يدها وقلبيها الى الغريب ، المدينة الاولى في القصيم .

وهي لا تبعد عن عنيزة اكثر من عشرين ميلا . مسير النفود بينها ساعتين ، فتشرف ونحن في اخر ضلع منها على الخبواب التي تطوق بريدة كالقلادة — قلادة من الزمرد في خيط من الذهب لبدوية القصيم . ان الارض لتضع امامها ، فتخضع لها ، وتقف بعيدة عنها مبسوطة اليدين . لا ككؤب حول بريدة قريبة ، ولا واحات عاليات الجبين — حولها الخبواب . والخب منخفص من الارض فيه ماء وائل ونخيل ومضارب واكواخ . الخبواب خنادق احتلتها جنود السلام اي المياه والايدي الزارعة .

اقمنا في بريدة اسبوعا نجدد ما وهن من القوى وما نقد من الزاد . فقد اجتزنا في رحلتنا قسما من بلاد نجد تعددت فيه القرى والمدن ، وطابت المياه ، وبقي امامنا القسم الاكبر والاوعر ثلاثمئة ميل بين بريدة والكويت ، لا مدن فيها ولا

عقري . ولا ماء الا سيفي نصف الطريق . وهناك النفود الكبرى ، والدهناء ،
ووادي الرمة ، والدير يدريه ، كلها افغار بضيع فيها حتى ابنا القفار .

نزلنا في القصر الذي اسسه ابن مهنا وبني جناحا منه ابن الرشيد وآخر ابن
سعود . هو قصر كبير ذو ابراج متعددة ، وأفنية رحبة ، وقلاع للدفاع الواحدة
دون الاخرى . وفيه بيوت للضيافة وماء ومسجد ، وليس فيه في هذه الايام ،
في عهد السلطان عبدالعزيز العادل ، غير حامية صغيرة لا يتجاوز عددها المئة جندي .

كانت سويلم بن سويلم رئيس القصر وحاكم البلد في غياب الامير ابن
مسعود جلوي^(١) وسويلم بن سويلم من الرياض ولكنه ليس من « محلة الشيخ »
فيها ، فلا اثر للتعصب الديني لا في اقواله ولا في اعماله . قد انتدبه عظمة
السلطان مراراً لمهمات خارج نجد ، فسافر الى سورية ومصر والستانة ، وكان في
اسفاره من الكاسبين . على ان الامطار لا تنفع غير الارض الطيبة . ما
اجتمعت بعامل من عمال السلطان انعم صوتاً ، والطف حديثاً ، واجمل صبراً من
ابن سويلم . كنت احضر مجلته ساعة يقضي في الناس فيجئته البدو ، واصواتهم
كالاجراس ، غاضبين شاكين ، فيسمع ابن سويلم شكواهم هادئاً ، صابراً ، ويحكم
فيهم ذلك الحكم العادل الشديد الذي امتاز به اكثر عمال ابن سعود . على اني
لم اسمعه مرة ينتهر البدو او يغلظ لهم الكلام . ولا سمعته مرة رفع صوته في
الحديث او في التوبيخ . كأنه صيني لا عربي .

— مرق البعير بالامير . ابدوي لص ! والله عابنته بعيني . ابدوي قواد !
فيسكته الامير قائلاً : اقصر الله بعافيك . فان لم يسكت يعيد الكلمة ولا
يغير صوته او لهجته . بل يضرب الارض بعصاه مثل السلطان عبدالعزيز
ويقول : اقصر الله بعافيك . ما اجملها كلمة تسكت بها الصياح الشتام . ولكنها
قلما تقيد اذا لم يكن عند صاحبها شيء . من تلك القوة المعنوية الروحانية التي تجعل
كلماته الناعمة اشد وقعاً على البدو من السيف .

(١) هو عبد العزيز بن مسعود آل جلوي عينه السلطان بعدئذ اميراً في حيايل وجعل
المنطقة الشمالية كلها بما فيه القصيم والجوف وخيبر تحت امرته .

والطعان . على اني خشيت المناقسة بين الدليل والامير . ولولا حكمة هذلول
واتضاعه ، ورغبته في راحتي قبل كل شيء ، لما استقام الامر يوماً واحداً .
كان يضحكني المطيري ، وشر البلية ما يضحك ، عندما تنيخ للمراح .
فيقف اذ ذاك جانباً وقد التف بعباءته وطرح احد طرفيها على كتفه ، كأنه يمثل
على المسرح دور امير خطير . ثم يصدر اوامره :

— يا مبارك ساعد مسفر في الذبيحة . يا جعيثن هات الاوتاد . رح يا حمود
ارع الركائب . وانت يا حمد ساعد في نصب الخيمة . القرب يا بداح . الحطب
يا ابراهيم . . .

وكنت ارى هذلولاً ، بارك الله فيه ، يشتغل وسالمًا في رفع الشراع
ويساعد الجميع دون ان يصدر امرأً واحداً . بهذا يمتاز الرجال بعضهم عن بعض ،
وبذا يفلح العاملون ، ويفشل ، بالرغم عن الخبر والافتدار ، اولي العجب
والادعاء .

كانت طريقنا من العارض الى القصيم شمالاً بغرب ، فاستقبلنا الشمس في
بريدة ومسرنا منها مشرقين الى الكويت . ولا ماء الا في الحفر . ما ادرت خطر
الطريق ووعورة المسلك الا بعد التأهب في بريدة ، اذ خرجت القافلة منها وقد
ازدادت رجالاً وركائب . ناهيك باهتمام ابن السوهم وقد رافقتنا الى خارج السور
فوصى الدليل وأخ على الامير بارسال كلمة اطمئنان بعد ان نجتاز الدهناء .

ملانا القرب وبعض الاروية ^(١) من ماء عين ثميد خارج المدينة ثم ملاناها
ثانية كلها في اليوم الثالث من عين فميد في الاسياح . واطلنا من الاسياح على
العروض ، اي النفود الكبرى بين القصيم والكويت ، ووراءها الدهناء ، ودون
الدهناء المغازات . وكلها على اتساعها اجف من الاسفنج في دكان العطار . لا
ماء الا في الحفر ! حجب الله عليك يا سيد هاشم كم ذكرناك في العروض

(١) القرية وطب من الجنح اي البهايم الصغيرة سنا يحملها الراكب معلقة بالرحل .
ولكل راكب قرية . والاروية جم روي في القاموس الشرب التام . والرواء الماء الكثير
الروي . اما في نجد فالروي هو الوطب الكبير من جلد الابل او البقر يسم مقدار خمسة
غريباً من الماء . وهم يحملون في الاروية غالباً ماء الطبخ والتمل وكل رويتين حمل جل .

وغبطنك وانت في العارض . لا ماء الا في الحفر . ودوننا ودون الحفر جبال
وبجار من الرمال ، بيد دونها بيد ، وسبعة ايام من السير ، والحجى تعود يوماً
بعد يوم !

ان العروض اي النفود الكبرى بين الاسياح وقبته^(١) هي عدة جبال من
الرمال تمتد طولاً من الشمال الى الجنوب وعرضاً من الغرب الى الشرق . وهي تدعى
دعوصاً ، علو الدعص يتراوح بين الخمسة والسبعمة قدم ، وبين كل دعص
وآخر نحو اربعة اميال نزولاً وصعوداً . احد عشر دعص هي ، بل احده
عشرة كربة ، كل واحدة اشد من الاخرى . هالك افقاً امامنا يعلوه افقاف او
راساً دعصين بعيدين . وفي كل افق رسول من الذهب الوهاج يدعونا لنعيم
الخيال بل لخيال النعيم .

ما اجمل ذهب النفود في الشروق وفي الغروب ، بل ما اجمل ارجوانه اذا
مال الظل وتخرج في الاصيل . وما ابهج ليل النفود وقد اقتشرت رملاً ناعماً
كالحرير ، واخيت نجماً دانياً في نوره منك ، كأنه يهسر في اذنك كلمات
السكينة والحب والسلام . وما اجمل اشكال الرمال وقد كونت اهراماً وقباباً وفيها
امثلة الصراط وقد شحذتها الرياح فامتت كحد السيف .

ما اجمل - ولكن - كانت ذلوبي من العارض الى القصيم سهلة المراس ،
لطيفة المزاج ، قصيرة الخطى ، خفيفة الترحج ، فيرتاح فوق سنامها من لم يالف
ركوب الجمال . ولكنها اقلبت علي قبل ان تصل الى بريدة ، فشرس خلقها ،
وثقلت خطواتها . او انها كانت خيرة بطريق الكويت ففضلت الرجوع الى
الرياض .

اما اللؤلؤ التي ابتاعها ابن سوهم في سوق الابل ببريدة ، وهي اكبر

(١) قبه القاف تلفظ جيماً وفاء الاسم تسكن في نجد فيقولون آجبه ، فيسمها الرحالة
الاوروبي فيكتبها كما يسمها ، فينقلها الكاتب العربي عن الكاتب الاوروبي ، فتجي مكتوبة
جبه او جابه او جيه . ومثلها الدهناء تلفظ آذنهنا فكتبت في الحارطات الاوربية دهانا
Dahana وغيرها من الاغلاط في كتابة الاسماء باللغات الاجنبية ثم في نقلها عنهم الى اللغة
العربية . اما حان لنا ان نصلح اغلاطنا مع اغلاط الاجانب في هذا الباب ؟

سوق لبيع البعارين بالمزاد في البلاد العربية ، ووسمها بالنار على رقبتها بومم
ابن سعود ^{٥٥} وقدمها لي قائلاً : احسن ما في السوق ، فقد كانت حادة المزاج ،
صعبة المراس ، طويلة الخطى ، مريعة السير . فيضطر الراكب ان يعالجها
دائماً بالرسن والخيزران ، فلا يذهل هنيهة عنها حتى في نصف النهار ، في تلك
الساعة ، ساعة الهاجرة ، حين يتسلل النعاس الى الجفون فتُلقي الارسان على
العوارب ويستسلم الراكب الى النوم . اما هذه العانية فلا تؤمن اذا قيل لها : حبلك
على غاربك . لم يكن ذلك ليروعني وقد تمرنت وتصلبت لولا امران . فما همني
طول خطواتها في الارض المنبسطة اليابسة ، وما همني مزاجها في الايام التي
انقردت بالرحل فكنت راكباً وحدي .

ولكن الحمى والنفود — لا اظن ان الاثنين يجتمعان لكثير من الناس
حتى في البلاد العربية . ومتى جاءت الحمى في الدرجة الرابعة من الخطر ،
وكانت النفود العروضة ، وكانت الدلول عمانية جوحاً ، فماذا ينفع الرسن
باليد او على الغارب ، وماذا ينفع الخيزران . ان اصعب السير على الراكب
والركائب هو السير في النفود ، ولا اثر البتة لطريق فيها ، ولا مهرب من
امواج رمالها . تصعد الدلول في الدعص الى رأسه وهي تربيخ فتغوص حتى
الرسغ ، فتجي . الخطوة الواحدة وفيها قد بذل جهد عشر خطوات ، فتثنى حتى
الرحال من شدة الخال . اما في النزول ، فتفتقم من الدعص الدلول ، فتروح
هاوية غاوية ، وهي تغوص في الرمل حتى الركاب ، فتجي . الخطوة مقدار خمس
خطوات ، وفي كل منها للراكب خمس نكبات . زد على ذلك ان الدليل المطيري
كان يعبر المنحدر في خط مستقيم دائماً ، فلا يهسه الرفيق المحموم ، فتتبعه
الركائب غائرة متدهورة اذا لم يكبح جماحها . وكيف يقوى على كبح جماح
ذلوله من كبح جماحه الحمى ؟

لم لنفعني قوة الارادة في تلك الايام ، ولا ما كنت اتدرع به من الكينا
صباح مساء . فقد رميت بنفسي على الرمل مرتين في العروض وانا انتفض من
البرد ، فانتظر محي الحمى ، التي كانت تتبع البرد ، لتستأنف السير . نعم ، لتستأنف

السير . فهل نقف لنجامل الحمى ورفيقنا الاكبر شبح الموت ؟
ليس في ما اكتب الان شي . من تأثير تلك الايام . انما الحقيقة كل الحقيقة
في ما اقول . ولا اقول غير كلمة فيها البرهان القاطع : الماء معنا لا يكفي الا
اياماً معدودة . فاذا انخنا كل مرة شرفتنا الحمى لنجاملها حتى تزول ، بنقد ماؤنا
قبل ان نجتاز نصف الطريق . ولا ماء الا في الحفر ! اركب يا رجل وتوكل
على الله . لا اظنني توكلت في تلك المنحة الفريدة على غير الله . بل كنت
احس ، استغفرك ربي ، انك ، وان كانت الحمى رديني ، راكب امامي قابض على
زمام التلول وزمامي .

يا ذلولي حجياً له ذلول ابن عيد قربي قطرت والمعشى^(١) بعيد
وما كان ابعده في ايام النفود ، في ذلك البحر الرملي الذي تعالت امواجه
جبالاً وهبطت جباله امواجاً ، فضاقي في اجتيازه حتى صدر الدليل المطيري .
ما كنت اظن ونحن نخوض عبابه ان له نهاية تنتهي عندها الشدة والعذاب .
ولكن الدليل عندما اطلنا على الافق الاعلى ، فاه بكلمة كانت منه الكلمة
الوحيدة التي ايهجتني : هناك ظهر العروض ومنه نعاين الدهناء .
ظهر العروض ، اخر ضلع من ضلوع الاسياح ، آخر دعص من النفود ،
اخر درجة من سلم التعذيب — شكرنا الله ثم شكرنا الله . وعند ما اطلنا
على الدهناء تنفس الربع كلهم الصعداء وامر هذلول بالتكبير : كبر بابداح .
فراح بداح بدرهم وبصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! وكانت ساعة الغروب
فانخنا فوق السهل الذي يمتد بين العروض والدهناء . وكنا قد عثرنا في ذلك
النهار على اثر من طريق قديمة هي سكة زبيدة ، اي الطريق التي امرت بفتحها
وتعييدها للحجاج زبيدة امرأة هرون الرشيد ، فتيمننا بها وكانت فاتحة الخير
الى يومين .

اكرم الله مشواك باسقي زبيدة وجعلك من المقربين — اذا كانت لم يفعل
حتى الان . وبالبيت في المسلمين اليوم اخت لك صغيرة تجدد في الاقل الطريق

(١) المعشى مكان المراح للعشى .

التي شرفت باسمك . فها بركة من البرك العديدة التي بنيت في الصحراء في سبيل البر والتقوى ، لتروي الانسان والحيوان .

لم افهم من مبارك قوله : هذه البركة ^(١) حتى وصلنا اليها ، فالفيتها بركة ماء المطر بل صهريجاً متهدماً مردوماً . واذا صح فيه التصغير اليوم فلا يصح ذلك في ما بنت هنالك من الاعشاب ومن شجر الطلح والسلم .

ان ابيح ما يشاهد الانسان في الصحراء بقعة ارض خضراء . ولكن الحيوان ، ذا السنام كان او ذا القرون ، يشارك الانسان في ذا الابتهاج . وقد تبارنا كنا حول البرينة التي يدوم اخضرارها طيلة السنة . ان احسانك ياسني زبيده خالد البركات ولو في زاوية من القفر ، خالد هو ما دامت الارض خالدة . انحننا الركائب لترعى في ظلال احسانك . وكنت انا الحيوان الناطق المفكر اول من فاه باسمك شكراً واعجاباً . كيف لا وقد لقيت في ذلك المرعى كما لقيت ذلوتي ما أفتته العين والمعدة .

جاءني مبارك وهو نباتي الحملة يبضع وربقات خضراء يقول : هذا الخبز يصيص . هي عشبة صغيرة فيها حموضة يأكلها اهل نجد ويجعلونها في الاقط . وكنت قد سئمت اللحم لانه في الثلاثة الاشهر التي مضت كان يصبحني ويمسني كل يوم دون سواه ، فجعلني احن الى ورقة خضراء حنين البعير الى العرفج والارطى . ثم جاءني مبارك ، بارك الله فيه ، بعشبة اخرى سال لمرآها اللعاب ، وهاج في القلب ذكر الوطن والاحباب . فيا ما احببها نبتة تزرع في لبنان حول البيوت ، وتسيح من غزوات الدجاج بالشوك . الرشاد ! جاءني مبارك بالرشاد . وهو في بادية نجد نفسه في لبنان لا يتغير اسماً ولا طعماً .

تبع مبارك الى مواطن المرعى الطيبة ، ورحت ارعى فيها كالبعير ، بل رحت ادب على الاربع مثل نبوكدنصر ، آكل الحشيش ، واشكر الله ثم الست زبيدة ، فانتعشت وابتهجت حواسي كلها ، فصرت اظن ان الرشاد والخبصيص فعلا بالحمى ما عجزت دونه الكينا . على اني ، في رجوعي الى الاصل ولو ساعة ،

(١) تصغير بركة والكاف تلفظ نس .

اصلحت ليومين ما افسده الوقوف على الاثنين .

وهاكم الدهناء تبسط لنا النارق البيضاء وترحب بنا ، فينبغي للقارى ان يعرف بعض الشيء عنها قبل ان نصل اليها . تختلف الدهناء عن النفود باربعة اشياء ١ - بطولها وهي تمتد من الشمال الغربي فتساب كالحية او تمتد كالنهر شرقاً بجنوب حتى تصل الى الربع الخالي ٢ - بلون رمالها وهو ابيض الا في اطرافها - ٣ بقلة كثيها وتجوفاتها فلا يتجاوز اعلى كتيب فيها المئة قدماً ٤ - بتنوع اعشابها وغزارة المرعى فيها . زد على ذلك انها قليلة العرض جداً بالنسبة الى طولها ، والعرب لا يقطعونها الا في الاماكن التي هي اقل عرض من سواها . لذلك هي اسهل سيراً وايدس مشهداً من النفود .

يمرون بالدهناء خفافاً عيابهم ويخرجون من دارين يحرق الحفائب مررنا بها خفاف القلوب في الاقل فقطعناها من الغرب شرقاً الى الكويت بعد ان قطعناها من الشرق غرباً الى الرياض . وكان يومئذ بداح رقيقنا ودليلنا فصاح ثانية يمثل البدو عندما يصلون اليها طالبين الحيا^(١) : وايك حنأ يراس الدهناء ! واطلق مبارك صوته في بيته المحبوب :

يا موفقين الخير يا اهل الأشدة معكم وزين (عديله) الروح الله برده
سرنا في سكة زبيدة سير الهون اكراماً للركائب . وكيف لا نكرمها والارضى في هذا المكان من الدهناء اخضر جديد ، اشرايت اليه الاعناق ، ووقفت عند كل شجرة منه لتفكه به بعد ان كادت لتتختم من العرفج والعلمقة والثمام^(٢) . ثلاث ساعات كل ساعة منها عيد لدوي الاربع وذوي الاثنين معاً .

(١) الحيا اي المرعى . وفي الفاموس الحصب والمطر . والعرب تسمى النبات حيا لانه ينسب عن المطر .

(٢) الارطى شجر نمره كالعنب ويسمى ايضاً في نجد عنبلاً لان ورقه كورق الصنوبر مقتول غير منبسط . وهم يستخرجون منه ومن قشره صابغاً اصفر . العلمقة شجرة غصنها ابيض وورقها دقيق تبقى في الشتاء فيعلف بها الابل حتى تدرك الربيع . الثمام نبات ضعيف ورقه شبيه بورق النخل . ومن نبات الدهناء العرفج وهو للابل كالباقية للخبيل وقيل هو القناد لشوك فيه . والعلمدى الذي يشبه في ساقه الوردال .

ثم انحنأ ففلى الربع المغرب ومدوا السماط للعشاء . ثم جلسنا في حلقة حول النار
وظالبنا مسفراً بما وعدنا به مراراً .

ومن هو مسفر وما وعده ؟ لا اظنك ايها القارىء . تأبى التعرف الى الرجل
وقد تشاركتني في حبه . مسفر هو مدير الحملة ^(١) ، ورئيس الخدم ، والعين
الكائلة للزاد ، واليد الذابحة العاملة في سبيل البقاء . مسفر هو النفاخ الطباخ ،
راعي الفأس والفراخ ، حامل الخناجر والسياخ . وهو في شكه نكتة مضحكة
جداً قد لا تليق في مجالس المتحمدين ، وهو في وجهه اقرب الى الرباح منه الى
يوسف الحسن . وجه مسفر هو ما يصفون في نجد بالعفن فيقولون : وجه عفن
وهو يظل عفناً حتى لو غسله بالحامض الفينيك ثم بماء الورد صباح مساء . فهل
يصلح الماء والكيمياء انفاً تسطح على خديه ، وفماً تطاول الى اذنيه ، وجبيناً
داس بشعره حاجبيه ، وعيناً جاءت من القرد اليه ؟

اما في لبسه فهو آية في البلاغة والابداع لا يعرف أنجدي هو ام حجازي ،
أيماي ام عراقي . بل لم يكن عربياً في غير العطرة والعقال . أضف الى ذلك حذاء
مرفعاً تخض رجله فيه ، وسروالاً كان ابيض ، لا نظنه غسل في عهده او في
عهد ابيه ، فوفاً معطف كذلك من الخام مفصل مثل الفراخ التركي ، وفوق
المعطف زنار تلمع فيه الخناجر والسياخ . الا انه عندما يركب على بعيره الاسود ،
فوق احماله ، يبدو ككيس من الاكياس .

هاك الرجل في ظاهره . اما في باطنه فسبحان رب الكائنات ، النافع من
روحه حتى في عجائب مخلوقاته . ان في ذلك الوجه العفن مبهماً ولا مبهم
الحسان في جاذبه ، مبهماً بوقفك ويعربك ، ويضحكك ويلهبك ، مبهماً ينسيك
الفم منه والاتف والجبين ، بل ينسيك الرباح ، وضلوع الاسباح .
اي بالله . ما كان في رجالنا ، وقلمنا تجرد في الرجال ، من هو اخف روحاً .

(١) تقسم القافلة الى قسمين الخلة وهي الجمال التي تحمل الحفائب والزاد : والركائب
التي تحمل المسافرين . وغالباً تسير الخلة قدام الركائب فتسبقها بساعة او اكثر لانه لا يؤذن
لاصحابها بالدرهم خوف التكسير في ما يحملون ، فنلتحق بها ونجتم كلنا في المضى وفي
الراح .

وادمت خلقاً ، والطف ذوقاً ، وارق شعوراً ، وامرع الى الخدمة بدأ من هذا
الدميم الكريم . فقل : تبارك رب العالمين الرحمن الرحيم ، فهو اذا مسخ
الانسان قرداً يهبه من الجمال الروحي والخُلقي ما يسدر في يوسف الحسن وزين
العابدين .

ان للمعطف الذي كان يلبسه مسفر جيوباً هي دكان بما حوت . اتبني خيطاً
وابرة وزرّاً ؟ اتبني ملحاً او بهاراً او شيئاً من مسحوق الليمون الحامض ؟ اتبني
رقعة تمسح بها فتجاناً او تضمد بها جرحاً ؟ اتبني قلماً وورقاً للكتابة ؟ اتبني
مسواكاً من الاراك او شيئاً من الكحل ؟ ممعاً وطاعة . لم بدعشني عند ما رأته
اول مرة يكتحل لان اكثر رجال العرب يكتحلون وقاية للعيون . ولكنه ادعشني
ذات يوم اذ كنا حول النار نشرب القهوة ، فتناول مسفر حجراً وضع عليه بضع
جمرات ، ثم مد يده الى كيس في « دكانه » فاخرج علبة صغيرة ، ففتحها واخذ
منها باطراف انامله ، ورشه على النار . البخور ، عود الند ، الطيب ! هو وحده
كان يحمل هذه النفيسة من نفائس الحياة ونوافلها ، فيطيننا دائماً بعد الطعام .
على اني دهشت الدهشة الكبرى ولم اتمالك ان ضحكت عند ما اشار بالسبابة
الى رأسه كأنه يقول : مسفر لا ينسى شيئاً . ثم اخرج من عبه مرآة صغيرة
قدمها لي لارى وجهي وازين - احكم وضع - عقالي قبل الرحيل . هوذا حقاً
اقبح خلق الله صورة واجملهم نفساً وذوقاً . ولا اظن انه كان يحرص على شيء في
كل ما يحمله حرصه على المرأة ، فكان يتسلى بها وهو راكب فيتأمل طويلاً ذلك
الوجه الذي وصف .

ما السريف ذلك ؟ هل هو مشغوف ام ملهوف ؟ هل يرى في وجهه
ما يراه الناس ياتركه ام ما يراه الله وقد تساوت في نظره المخلوقات جمعاً ؟
او هل هو الرباح ، ذاك المخلوق الاولي فيه ، وقد اعجب بهذا الشيء الذي
يعكس وجهه فكان مسحوراً ! ما قول اسيادنا العلماء . علماء الجسد والروح ؟
أفلا يأخذهم العجب من الرجل الدميم ، الدميم الى حد بضحك وبيكي معاً ،
الذي يحمل السكاكين والخناجر ولا يضع واحدة منها في قلبه عندما يرى وجهه

في المرأة؟ ولكنه على ما اظن حب الذات يقينا وبقية شر النفس اذا ما رأت العين منكرات التكوين الظاهرة . اجل ، لو لا حب الذات ، ذلك الغرم المبارك الذي غرسه الله في كل حيوان صامت وناطق ، لكان الانتحار بسبب التشويه الخلقى وحده اكثر شيوعاً من لعب القمار .

استغفرك ايها القارىء . فقد اسهيت . ولكن غيري القوا روايات ابطالها اشخاص مثل مسفر اختلقوها . ولا اظن ان « كاليان »^(١) و « غونيبلاين »^(٢) يتسابقان الى الصدر اذا جمعتهما ومسفرأ المجالس . بيد ان « كاليان » واخاه خيالان من خيالات شكسبير وهوغو . اما مسفر فحقيقة هو من حقائق هذه الرحلة ، كان يطبخ لنا دجاجة كل يوم ، ويطيبنا بعود الند بعد الطعام ، ويحدثنا عن امرأته وعياله في سدوس^(٣) هاك الرجل ، وهاك مبرأ بوعدده . وما الوعد ؟ عندما كنا في شقرا رحنا ذات ليلة نتفقد مسفرا و « خوياه » في منزلهم ، فسمعنا ونحن داخلون الى البيت صوتاً شجياً يشهد نشيد الاخوان ، فاطلنا من الشباك فاذا مسفر داخلأ والسيف بيده يصحب « الهوسة » برقصة رائعة . سألناه بعدئذ مراراً ان يرقص ويغني فإني واعتذر . وعندما خرجنا من بريدة كنا نعيد سؤالنا كل يوم فيتذرع بالشغل او بالنقائيد التي تحرم الغناء في نجد . على انه وعدنا برقصة الاخوان عندما نصل الى الدهناء . — وها قد اجتزنا الدهناء بامان الله ، والحمد لله ، وكانت الحبور رفيقنا طيلة النهار . فهلا استغويته يا مسفر بصوتك وسيفك ، فيظل معنا ليحل محل القمر في ذا السمر ؟ كنا حلقة حول النار امام الشراع ، وكانت الركائب باركة في حلقة اخرى حولنا تجتر قانعة مطمئنة ، وكانت السماء سافرة صافية الجبين فتلاأت كواكبها سروراً لتغيب سيدها القمر ، فزاد الظلام كذلك في نور نهارنا . — الخطب يا ابراهيم . وكان ابراهيم معاون مسفر الاول في النفخ والطبخ جالساً

(١) « كاليان » احد اشخاص رواية « العاصفة » تأليف وايم شكسبير .

(٢) « غونيبلاين » بطل رواية « الرجل الضاحك » تأليف فكتور هوغو .

(٣) سدوس مدينة قديمة من مدن العارض بنجد .

عند ركة من حطب العرفج والارطى ، فيمد يده وراه ثم يبسطها فوق النار ،
فثقبه طرباً وتزداد تأججاً . وكان حمد العبد وهو يقلب في حوضه مقلاة البن ،
وهذلول الذي اتخذ صحننا من النحاس دقاً ، وبداح وقد صفق كفاً على كف ،
ينادون مسفراً ويحرضونه . — قم يا مسفر . اسفر يا مسافر . وكانت كوكب
السمر قد دخل الخيمة تخرج منها والسيف يلمع يمينه والخنجر يسراه .
فوثب وثبة ثم اخرى الى وسط الحلقة ، وطفق ينشد نشيد اهل العوجا اي
اهل الرياض ، وهو يتنقل نقلة خفيفة بطيئة ، ويتلوى من وسطه الى اليمين والى
اليسار كالثعبان .

تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ — تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ

حناء اهل العوجا مروية السنين (نروي سنات الرماح)

عادانا سهج العدو بنحورنا (ان نهجم على العدو ليلاً)

كان يقف عند كل بيت بينا ان حمد وهذلول يردان عليه بالنحاس ، وهو
يهز السيف والخنجر هزة بطيئة خفيفة ، فيها ربح الهول كأنه يتأهب للوثوب .
ثم عند البيت الاخير يثب فوق النار وهو يصيح : لى لى لى لى لى لى ! فيجيب
الربع : حي على ! حي على ! وحمد وهذلول بدقان على النحاس :

تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ — تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ

وما هذا كله الا التمهيد لهوسة الاخوات : هبت هبوب الجنة اين انت
يا باغيها . غير مسفر نقلة رجله خفة واسراعاً ، ورمى السيف والخنجر في الهواء ،
فتناول باليسري الاول والثاني باليمين . — حطب يا ابراهيم . كف يا اخوان .

هبت هبوب الجنة

تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ

اين انت يا باغيها

تَارَا تَاتَاَه نَتْمُ نُمُ

لعب الهوس بالرجال ، ووثب الهول من النصال . — هبت هبوب الجنة !
فتغير الوزن من السريع الخفيف الى الاخف والاسرع حتى امسى كرقص

الدرأويش . فاعتمد مسفر اذ ذاك الخنجر ونزع الغطرة والعقال عن رأسه ، فرمى
بها في النار ، فصاح الجميع : اين انت يا باغيها !

ثم اعتزوا مرددين : اهل التوحيد ، اهل التوحيد ! حتى نمدت النار ، وقد
ذهل ابراهيم في هوسه عن وظيفته ، فكان اختتام الدخان والظلام .

حطب يا ابراهيم . وكان الفصل الثاني فصل الحكايات ، فقص هذلول خبر
وقعة كانت له مع الجن في وادي الدواسر ، فقتل منهم اثنين وجرح كثيرين .
وقص بداح قصة غرام هو بطلها ، وهو الفاسق الاكبر بشهادة نفسه ، فاخبرنا
كيف اخبأته الحبيبة في الصندوق عندما عاد زوجها الى البيت وكان قد خامره
منها الرب فسيها ، فسبته ، فطلقها ، فشكرت الله ، ونادت الخادم حالاً ليحمل
صندوقها وهي تبغي العزوبة . — « فحمله وانا فيه ، والله بالله ، وهي ورانا
تضحك » — وبعد ذلك يا بداح ؟ — لا تسل يا هذلول .

وحدثنا حمود قال : كنت حاملاً كتاباً من الشيوخ الى امير عنيزة فنوخت
في شعيب بوادي حنيفة لأتعشى . كنت وحدي وكانت الليلة مظلمة . عقلت
الدلول ، وجمعت الحطب ، وشببت النار ، فسمعت في الحال صوت امرأة تولول
وتصيح : احجب علينا حجب الله عليك . فتلفت فعابنت تحت الشجرة وجهاً
كالشمس ، وحياء الله ، وشعرها طويل واسود كالليل . ظهر الوجه في النور
لحمة بصر واخفتني . فعدت الى النار اشبهها ، فعادت تصيح : لا تشب النار الله
يبيرك من النار . احجب علينا استرنا . هي عروس الجن ، وقد كانت لطيفة كريمة ،
فدنت من حمود وقبلته وهي ترجوه ان يسير في سبيله ويتركها وشأنها في ظلمات
الليل . فاستجاب حمود طلبتها وامسى تلك الليلة كلها وهو يشكو من حرق في
وجهه . — والله بالله يا استاذ حبتني (قبلتني) هنا وكان فيها كالحجرة . وحياء
الله اقول الصدق .

ثم حدثنا مسفر فقص خبر غزوة من الغزوات التي كانت فيها وختمها
قائلاً : والله ذبحت اربعة عشر ومنهم ابن طواله حي موجود . فضحك الربيع
وكانت ضحكة بداح طويلة مستنكرة وقرت في نفس مسفر ، فصاح وقد استل

سكيناً من سكا كينه ! اسكت او اذبحك بالله . فقال بداح وهو لا يزال يضحك :
مثلاً ذبحت ابن طواله . فوثب مسفر فوق النار يبغي دم العجماني ، فصدته هذلول
وسكن روعه ، ثم امر بداحاً ان يقدم له بيده فنجان القهوة .

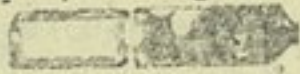
جاء دور راعي المعاميل القهوجي سالم ، سالم الرزين السكوت ، وليد حابل
وربيب الامصار ، سالم الطواف الذي طاف في الحرب العظمى البلاد العربية
كلها من اقصى الاقطار الى اقصاها ، من اليمن الى شرق الاردن ومن البصرة
الى الشام . — هات حكايتك يا سالم .

— والله يا استاذ ما عندي حكايات . عندي كميالة على الملك حسين بمئة
وخمسين ليرة انكليزية ابيعك اياها بعشر روبيات .

— وكيف نقول ما عندك حكايات ؟ هات حكاية الكميالة . فاخبرنا سالم
بانه كان في جيش الامير عبد الله جمالاً يحمل الماء عندما زحف بعد الهدنة
من المدينة على ترّبة . وعندما وصلوا اليها ودخلها الامير صباح ذلك اليوم
منتصراً سأل سالم سموه انت يأمر بالاجازة والحساب لانه يبغي الرجوع الى
بيته وعياله . فاعطاه الامير حوالة على جلالة الملك ابيه بحسابه اية بمئة
وخمسين ليرة فأخذ الحوالة سالم وراح ينحر الطائف ليزور صاحباً له فيها .
فاعترضه بداح بصلح الكلمة فأثبها . هي صويحبة يا استاذ . انا اعرفها . لم يأبه
له سالم فاستمر في قصته . اقام بضعة ايام في الطائف ثم نزل الى مكة . وكان
ان الاخوان انتصروا على الامير ليلة يوم النصر ، وافنوا جيشه كما هو معلوم ،
وحمل النجاش خبير النكبة الى جلالة الملك . فلما وصل سالم يحمل الحوالة قال له
صاحب الجلالة : الله يعوض عليك وعلينا يا ابني ، خسرتنا كل شي .

انصف الليل ونحن لا نزال في فصل الحكايات ، والابل حولنا لا تزال
تجتز قانعة مطمئنة ، وسالم يعمل القهوة ثم الشاي ، الا يريق تلو الا يريق ، فأرقنا
وما ملاننا ، ولا كنا من القانتين . ثم نهضنا باكراً قبل الفجر الكاذب وكنت اول
من سمع هذلولاً ينادي على عادته : قوموا — قوموا صلوا . بداح ، سالم ، حمود ،
مبارك ، جعيثن ، قوموا ، قوموا صلوا . . . اذن يا مسفر .

— الله اكبر . الله اكبر . . . حيوا على الصلاة . . . الصلاة خير من النوم .
ثم تقهونا وسرنا في سحر يرده شديد يصل الى العظم ، فانتخنا بعد ساعة لنشب
النار وندفي ارجلنا ، وكنت انا في جزمي اسرع منهم ، وهم في النعال شبه
حفاة الى ذلك . ليس في البلاد العربية من هم اصبر على الشدة واثبت في المشقات
من اهل نجد .



استأنقنا السير وهذلول اميرنا وامامنا يعلمنا دين التوحيد . — يجب على كل
مسلم ان يكون عالماً عاملاً بثلاثة اصول . اولاً : ان الله خلقنا ورزقنا وهدانا
يرسول ارسله الينا . فمن اطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .
واستدل على ذلك بقوله تعالى — وذكر الآية . ثانياً : ان الله لا يرضى ان
يشرك معه في عبادته احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى —
ذكر الآية . ثالثاً : ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالة من حاد
الله ورسوله . وذكر الآية دليلاً على ذلك . فاذا قيل لك ما الاصول الثلاثة ؟
فقل : معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم . واذا قيل لك من
ربك ؟ فقل : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين وهو معبودي ليس لي معبود
سواه . واذا قيل لك بم عرف ربك ؟ فقل : باياته ومخلوقاته . ومن آياته الليل
والنهار والشمس والقمر . ثم سألت بداحاً : ما هي اركان الاسلام ؟ فاجاب بداح
البيجاح : اني اعرفها يا هذلول . اذكرها انت فاردها . فقال هذلول الطيب
القلب الورع التقي : اركان الاسلام خمسة : شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله . فنشأ بداح يعد فقال : واحد . واقامة الصلاة . — اثنين . واتباء
الزكاة . — ثلاثة . وصوم رمضان . — اربعة . وحج بيت الله الحرام . —
تمام ، تعرفها والله .

ثم قال بداح : وانا اسألك اتعرف آية العيون ؟ فاجابه الامير : وما هي ؟
فنطق بداح بالآية التي كنت قد سمعتها مراراً من فيه ولا اظنه يعرف سواها .
— كل عين باكية يوم الحشر الا ثلاثاً . عيناً صدت عن محارم الله ، وعيناً دمعت
من خشية الله ، وعيناً باتت تحرس في سبيل الله .

— علمتني يا عجائي . جزاك الله خيراً . وما هي شروط الصلاة ؟

— اعرفها . اولها الاسلام .

— الاسلام . وثانيها ؟

كلمها يا لأمام^(١) فاجاب هذلول : الاسلام والعقل والتمييز — وكان بداح يردد لها وراءه — ورفع الحدث ، وازالة النجاسة ، وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية . فشكره بداح ثم قال : وما هي شروط الوضوء ؟

— غسل الوجه ومنه المضمضة والاستنشاق ، وغسل اليدين الى المرفقين ، وغسل الرجلين الى الكعبين . . الخ . ثم قال : وما هي نواقض الوضوء ؟ فاجاب العجائي : انا اعرفها . علمها للربيع يا لأمام . فنشأ هذلول يعددها . هي ثمانية : الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش النجس من الجسد ، وزوال العقل ، ومس المرأة بشهوة ، ومس الفرج باليد ، واكل لحم الجزور ، وتفسيل الميت ، والردة عن الاسلام اعاذنا الله منها . — والله يا هذلول الشرط الرابع ينقض وضوءي دائماً . قل لنا ما هي شروط الايمان ؟

— اركان الايمان يا بداح ستة . ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدير خيره وشره . والايمان يا بداح هو بضع وسبعون شعبة ، اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق . والحياة شعبة من الايمان .

— هذه الشعبة من الايمان لا يعرفها بداح . الحياة عدو له .

الصوت الذي نطق بهذه الكلمة صوت مسفر .

فقال بداح : صدقت يا مسيئرف السدومي . ولكن عندي اول الايمان واخره ، اعلاه وادناه . ولولا حرمة الاستاذ لبرهنت لك اني مؤمن فازيلك يا تنانة العجوز ، يا بشر الاذى ، عن الطريق .

— برررر والله بالله ! واستما مسفر خنجره وساق بعيره على بداح . فوكرر

(١) راجع الشرح في صفحة ٧٧ من هذا الجزء .

هذلول ذلوله وكره فاستوى بين الاثنين .

— وهل هذا من الايمان ؟ الله يغربلك يا مسفر . سلط الله عليك يا بداح .

— ومتى كان ابن العجمان يشتم ابن الدوامر ؟

— انا اؤدب العجماني . دونك والحلمة . امش . فراح مسفر ببربر ويسب

العجمان . مخاطبني بداح قائلاً : مسفر لا يجب النكحة . وحتانجب نفيظنه

لنسلبك .

[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

الفصل السابع عشر

الحفَر

الباطن — « ديرة » بني هلال — الحفر وآباره — حروب القبائل — من يحيى الماء ؟ — سائح يرفض عند وصوله الى الحفر وسائح ييكي — الرياح الاربع تحترق في الحفر — جاء مسفر يقدر من الماء يقول : تبغي تسبيح ؟ — التراب في الماء وفي الطبخ — هربنا من الحفر فلحقت بنا الرياح — زهرة تبشر برجوع الحياة — والورقاء والحطاف لا يكذبان — قصة ام سالم والاعرابي — البدو يستطلعون « علومنا » — « وايش لون خد الشعب ؟ » — الدبدبة — اربعة ايام طيبة ثم الحمى — نشرف على البحر — العجوة — ربح الشمال وهبوب الجنة — العاصفة — الصلاة والعشاء في الجنة — الادلاج في ضوء القمر — الربيع يلبسون ثيابهم الجديدة — شيء من شعر هذلول — الوداع .

بعد ان خرجنا من الدهناء دخلنا في الباطن ، وهو القسم الشرقي الشمالي من وادي الرمث ، وفيه كما يقول اهل نجد ديرة بني هلال . ها هنا كانت قديماً منازلهم ، وها هنا اما كن حروبهم . ولكنه لم يبق من المنازل حتى ما شبهه الشاعر يساقي الوشم في ظاهر اليد . لم يبق ظل في الديرة فوق الارض . اما تحتمها فالابار العميقة ، المطوية بالحجارة ، والمحفورة في الصخور ، تدل على همة في اولئك الاقوام عالية . ولا يزال في هذه القلبان ما لم يقوَ عليه من الاقدار غير غضب الامطار . فقد تحولت من الوادي المياه ، وجفت منذ قرون قلبان بني هلال ، فكانت الطبيعة عوناً لهم اذ اجهزت على من تبقى منهم وهم يتفانون في الحروب . حتى النبات هجر المكان فقلما تجدد في الارض التي رويت بدمائهم غير تلك الدالية التي تدب وتنساب كالحية وتثمر ثمراً شبيهاً بالليمون . هو الحنظل يمثل 'مر' القضاء في « ديرة » الفناء .

في الباطن بعض الرمث ايضاً وهو — في القاموس — مرعى للابل من الحمض . غير ان الابل لا تسدنو منه الا اذا كانت في ارض فيها ماء لانه يولد الظلم ، وهي لا ترعاه الا قليلاً . قال بداح : الرمث للابل مثل السكر للانسان —

يطلب الماء ولكنه للنار زين . ومع ذلك فإت ناقة المتنبى فضلت دخان العنبر
على دخانه .

تركت دخان الرمث في اوطانها طلباً لقوم يوقدون العنبر
ترى الباطن بضيق في اماكن فلا يتجاوز خمسة عشر ذراعاً ، والى جانبيه
جدار عالٍ من الطبقتين الرملية والكلسية . هوذا عقيق للنهر الذي كان يجري
في وادي الرُمة . وقيل انه لا يزال يجري ويفيض مرة واحدة كل اربعين او
خمسين سنة .

عندما نصل الى مكان بدعى ام الهشيم يأخذ الوادي بالاتساع فتزول تدريجاً
جوانبه ، فلا يبقى حولنا وامامنا غير رحب القفر وما في فراغه وامتداده من دواعي
الغم ، بل من الهول . ان النفس لتتقبض من عمقه العميم ، فتقلب العين عنه
خاسئة . هو القفر السبب بالذات ، لا حذله ولا ظل فيه . وليس في هذه
الكلمات ظل من المبالغة .

ان فيه مع ذلك النعيم المنتظر . هو القفر المحتجب في تضاعيفه ، وراء افاقه ،
الحفر - الحفر ، الماء ، النعيم ! وكنا نعد انفسنا بواحة مع الماء ورياحين ،
بنخيل وظلال طيبة . فوا اسفاه ! ان الحفر حفرة دفنت فيها كل امالنا واحلامنا .
هو القفر السبب يقيناً ، تربة رملية ولكنها سوداء ، لا ظل فيها ولا ورقة
عشب خضراء او يابسة . وانه ليحزن الفلاح خصوصاً اذا علم بان هذه الارض
حول الابار على مسير ساعة في الجهات الاربع هي سوداء من السماد فيها لكثرة
ورود المواشي على مائها .

الماء والسماد والتربة الطيبة ، ولا ورقة خضراء فيها . لم ذلك ؟ ان
الحفر ايها القارىء العزيز ميدان اقتتلت ونفانت فيه القبائل . فكان يوماً في
بد الصغير ، ويوماً في يد شمر ، وتارة في حوزة ابن الصباح ، وطوراً تحت امره
ابن الرشيد . كم وقعة هاهنا ، حول هذا الماء ، روت التربة الطيبة بدم ريبة
ومضر ، روتها بدم ابنائك يا عدنان ، فلا تنبت اليوم حتى الحنظل ، ولا تظلل
حتى الجنادب .

في الحفر ثمانية ابار كلها متهدمة الجوانب ، ولا عدة لرفع الماء الافوق
اثنين منها . فمن يرد الماء وليس معه حبل ولا اناء يعود منه ظمآن ، الا اذا
وجد هناك من يعيره حبلاً وقربة . قد تكون الحروب في الماضي اوجبت
هذا الامل بل هذا الظلم . الماء لي اليوم وقد يكون غداً لعدوي ، فلا
اصلحه واجهزه بما قد يكون فيه هلاكه وهلاك عشيرتي . انما هي عاطفة
البدو وقاعدتهم في الحياة . وهم لا يدركون من سر التعاون والتضامن غير الغزو
ثم الغنائم .

اما اليوم وسيادة سلطان نجد تمتد الى الحفر وما دونه شرقاً وشمالاً ، والامن
والسلام سائدان في بلاده كلها ، والبدو بعنابته الابوية آخذون بالتحضير ،
والارطاوية اكبر الحُرَّ (١) واهمها هي على يومين جنوباً من هذا المكان ، ومطّير
فيها تستطيع حماية الماء والمحافظة عليه ، فمن العار اذن ان يبقى الحفر كما كان في
ايام الضفير وشمّر ، في حروب القبائل والامراء .

قال بداح : المستر فلي (٢) عندما وصلنا الى الحفر راح يرقص من
شدة الفرح .

ولا عجب اذا كان كل من سافر في هذه الطريق من القصيم الى الكويت ،
فقطع النفود والدهناء ، يبتهج ويرقص عندما يصل الى هذا الماء . لا عجب
اذا كان الرحالة على الخصوص اجنبياً لا ناقة له في البلاد ولا جمل . ومع اني
احق من المستر فلي بالرقص ، اذ قد نجوت من خطرين ، خطر الطريق وخطر
الحمل في الطريق ، فقد كاد قلبي يتفطر من شدة الحزن عندما انحننا في الحفر .
احتلنا يوماً واحداً فشاركنا في الاحتلال الرياح الاربعة . وقد قيل
لي ان اثنين منها في الاقل وكلها غالباً تحتل هذا المكان على الدوام . ذلك
لان آفاقه مكشوفة مبسوطة كآفاق البحر . فتجيئه الشمال مدرهمة ، والجنوب

(١) راجع الشرح في صفحة ٩٢ من هذا الجزء .

(٢) هو سان جان فلي مؤلف كتاب « قلب البلاد العربية » ومستشار حكومة شرقية
الاردن سابقاً .

غائرة ، والشرقية صافرة ، والغربية مصفقة مولولة ، فتلتقي كلها وتخترب في ذا المكان . دخلت خيمتي واقفلت الباب وجلست استمع دوي المعركة ، فاحسست غير مرة ان بيت يومي واقع لا محالة على رأسي .

جاءني مسفر بعد الظهر يسألني اذا كنت ابغي ان اسبح . فظننته يمزح وقلت ضاحكاً : نعم . ثم انتهيت الى الجد في امره لانهم في نجد يعبرون عن الحمام بالسباحة . نجأ بعد ساعة بالمرجل الذي يطبخ فيه وقد ملأه ماء حاراً . فقلت : بارك الله فيك يامسفر . منسبح في القدر . فقال مستدر كاً وهو جاد في كل امره : قد غسلته بالرمل ثم بالماء الحار .

ثم بعد نصف ساعة عاد يحمل في صحن من النحاس الجمر وعود الند وهو يقول : تطيب . ثم مد يده الى عبه واخرج كنزه الاكبر المرآة . وساعدني في لبس الجزمة ، واحكام العقال ، وخرج من الخيمة يقول للربيع : باركوا للاستاذ بالسباحة . فقال هذلول فرودت كلماته : نعم دائم ان شاء الله . وقالت الرياح : ستأكل عشاك مطبوخاً بالتراب .

صدقت الرياح . فكيف يستطيع مسفر او غيره من الطهارة العظام ان يرد عن القدر التراب ما دامت الاربعة الالهوية ثثيره وتغريه على الدوام ؟ وكيف يستطيع بداح ومبارك وجعيثن او غيرهم من العربان الاقوياء الاخفاء ان يرفعوا الماء ليحلاوا القرب والاروية دون ان تعترضهم الرياح فتبعدهم مراراً عن القلب وتخلط حتى يماثا التراب ؟ ولكن ما الحفر ، وان كان ذا لون ، فلا رائحة ولا طعم له . حمدنا الله على ذلك . ومرحنا باكرآ كما مرحنا تحت قسطل من العجاج وبين امواج من دوي الالهوية تصم . اني اذكر الان اننا كنا وقتئذ في اخر شهر شباط ، في ما يسمى بلبنان المستقرضات .

قلت مرحنا ولو كان في الامكان لرحنا غارة من ذاك المكان نبغي السكنية والاطمئنان في الشعبان . واكن الركائب نفسها كانت تمشي كأنها مصعدة في النفود ، فتلوي الرقاب وتصك الركاب ، من شدة صدمات العدو المحيق بنا . وعند ما انحننا للمضغتي كانت لاتزال مرياته تعج حولنا ونسج ، فاخذ كل منا

شيثاً من الخبز والطعام بيده ، وجلس على الرمل فرفع العباءة على رأسه كالخيمة
وشد اطرافها تحت رجليه .

كذلك جلست . وكان الرمل مع ذلك يسبق اللقمة الى فمي . وجاءت
الحمي في ذلك اليوم العصب تجهز علي لولا رحمة الله . على ان الرياح هدأت في
اليوم التالي وكنا قد بعدنا عن الحفر ، عن القفر اليباب والموت ، فلاح في
الارض حولنا شيء من الحياة . هي ذي الروثة ، روثه العام الماضي وهي شبيهة
بالرمث الا ان الحموضة قليلة فيها فنقبل عليها الابل . وهوذا نبت اخضر ، من طلّاع
الحيا في هذا العام ، ولكنه ليس من الحيا بشيء ، لان الانعام لا تدنو منه . اما
مرآه فقرت به العين وانتعش منه الفؤاد . قيل لي انه يدعى بـ « يَثْران » وهو
شبيه بالشعر ، زهره اصفر ، ورائحته قارصة .

وهاك في الجو جناحاً صغيراً بسف فيونس ، ويزلج امام الهواء كأنه ورقة
خضراء سوداء ، جناحاً اسود فيه اخضرار يرفرف حولنا فيبشرنا بالحياة ،
ثم ينسل في وهج من خيوط الشمس . هو الخطاف الذي يسميه اهل نجد
الرقيمي . وجاءت معه الورقاء — أم سالم — نتيمة زهر البعيثران وتجر
تيها ذيلها ، ذنبها الطويل ، على الرمل . قال الاعرابي وقد عرفه رفيقه الى ام
سالم : اي بالله واين هو ابو سالم ؟ فاشار الرفيق الى الخطاف فقال : وايبك
حتى في الطيور تهوى البيض العبيد . وايش قولك يسالم ؟ اولاد العبيد منا كيد .
وكان الخد ، كما يقال في نجد ، اي وجه الارض ، يتغير كلما بعدنا عن الحفر ،
فتكثر المغالي ^(١) ويكثر البدو ، وقد خرجوا بمواشيهم ينتجعون . فيلاقوننا
ليستطلعوا اخبارنا ويسألوا عن المرعى في الارض التي مررنا بها . كان الاعرابي
يرانا ، وهو على مسير نصف ساعة منا ، نيركض حتى يلحق بنا . واذا تعب
يومي . بردنه او بطرف قميصه ان قفوا ، فنقف امتثالاً لامر هذلول .

(١) المغالي الارض التي فيها مرعى . ومن كمات البدو اذا نزل المطر : اللهم اجعلها في
مغالي ارتسبنا ولا تبيل ثيابنا . اي اجعل الشتاء في الاماكن التي هي مرعى لركائبنا ولا تجعلها
طينا قبيل ثيابنا . البدو مثل السياسيين ينفون النعمة دائماً صافية ومقيدة بشروط .

— السلام عليكم بالاخوان . حي الله المسلمين . . . وتساييف انت؟ وتساييف
حالك؟ الله يزين حالك . . . وابو تركي^(١) تساييف حاله؟ . . . وايش علومكم؟
(اخباركم) وايش لون خد الشعيب؟ (اي ما هو لون الارض ، المرعى ، في
الشعب الذي مررتم به) .

في اليوم الثاني بعد سفرنا من الحفر خرجنا من الباطن اي وادي الرثمة عند
مكان يدعى الرقيعي ، ومرنا جنوباً بشرق نازلين الى الدبدبة ، فوصلنا اليها بعد
ان اجتزنا شعبة تلال او شعبان ضل فيها الدليل المطيري . وقد كان في ضلاله
مشكوراً لانه اصرر بدل ان يطيل الطريق .

الدبدبة سهل فسيح كبير لا يقل عن العشرين الف ميل مربع ، يمتد شرقاً
بجنوب وشمال من وادي الرمة ، فيحده غرباً الحفر وشرقاً الشق وتسطره شطرين
الدرجة الثانية والعشرون من العرض الشمالي . قد كانت الدبدبة ولا تزال تابعة
لمن يملك الحفر . الا ان قسماً صغيراً منها دخل اليوم في حدود العراق .

والدبدبة كثيرة المغالي ، مخضرة الجوانب ، رقيقة الاديم ، منبسطة الارجا .
تمحى غالباً اثر الطريق فيها فيسير من كان ناحراً الكويت وظله امامه او وراه ،
واذا امرى فبرج الجدي الدليل الذي لا يضل . وفي الدبدبة من القنص الحباري
والقطا والارانب والغزلان . على ان المساء قليل ، وهو غير موجود في الطريقين
من الحفر الى الكويت . اي الطريق الشرقية في خط مستقيم الى خربة الدويش
وطولها مئة ميل والطريق التي اتخذناها الى الجهرة شمالاً وهي مئة واربعون ميلاً .
فلا ماء بين الحفر والخبرة ولا ماء بين الجهرة والحفر .

ومع ذلك فقد ظفرنا في الدبدبة باربعة ايام طيبة مرنا فيها سير الهواء
اكراماً للركائب ولا نفسنا . وقد كان لنا ما كان لها من الخير واللذة في تغيير
الهواء والمناسظر والمرعى ! فالابل تستلذ العرفج والارطى الخضراء وكانت في
الدبدبة وافرة من نعمة الله . ونحن نستلذ الحباري والكأ ، وكان مبارك وجعيتن

(١) تركي ابن السلطان عبد العزيز البكر وقد توفي في الواحدة الاسبنيوية بعد الحرب .

يقنصان بينا ابراهيم ومسفر وحمود يبحثون في الارض فيجيثونسا كلهم في المساء
بما يندر في باريس ولندن من نعمة الله ، الا اذا بُذل في سبيلها كثير من المال .
لا اخزن ان في الشمال كجأة نفوق خصباً ولذة كجأة الدبدبة ، اربعة ايام طيبة ،
ثم الحمى !

الله ما ابلدك وما اشد الحمى فيك ، ايتها العجوز البصرية ، اذا كنت تظنين
انك تجيئين في اليوم الخامس لتفسدي علينا هذه الاربعة المباركة فتنسينا حسنات
الدبدبة كلها . جئت ، لا اكرم الله مثواك ، ونزلت ضيقاً علينا ، فأكلت ما
تبقى عندي من الكينا وملح الاثمار ، وعدت بخفي حنين . العفو ، يا حنين . هي
اول مرة في حياتي الجأ الى خفيك لا طرد بهما عجوزاً شمطاء . ولو لم تكن عربية
الاصل ومن البصرة ، هذه الحمى ، ولو لم اكن الان في البلاد العربية لما ازعجتك
يا حنين ، ولما اتخذت لغرضي نعلك القديم الجليل .

راحت المسكينة تعرج ، ونهضنا في اليوم السادس بعد نصف الليل منشطين ،
فاسرنا في ضوء القمر لنصل الى الجهرة صباحاً . وما ابهجها ساعة اطللنا فيها
على البحر ! البحر بعد اربعة اشهر في قلب البلاد العربية ، ما اجمله وجهاً وما
اكرمه يداً ، وما ابغاه رمزاً . القفار ابعدني عن العالم والبحر يعيدني اليه .
القفار قربتني من الله ، والبحر يقربني من الاهل والخلان . وانه ليلد لي ، وانا من
الناس ، ما يلذ لعامة الناس . فلا اكنتم القاريء ان العشرة الالهية الدائمة تضايق
من لم ينتصر ولا حاول مرة ان ينتصر على الجسد . انني اعجب بالقديس انطونيوس
وبسمعان العمودي . ولكني بعد اشهر اقمتها في ظله تعالى ، واحسست مرة ان
الظل تجسم قدامي على ظهر الذلول ليساعدني على الحمى ، بعد هذه الاشهر المباركة
ابغي الرجوع الى ما فيه شيء من الحب البسيط الفاني ، ابغي الرجوع الى توافه
المدينة ومبتذلات الحياة البشرية .

الجهرة بلدة عند جبل الزور على ساعد من الخليج يمتد غرباً من الجون وراء
مدينة الكويت ، والمسافة بينها وبين العاصمة لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً . وهي
مشهورة بكثرة ابارها ، وبقصر فيها لشيخ الكويت ، وبذلك الواقعة بين اهله

والاخوان التي سيجيء ذكرها .

انحنا خارج السور على كثيب من الرمل وارسلنا بداحاً بكتاب الى سمو الشيخ احمد الجايز آل صباح نعلمه بوصولنا ونستأذنه بالدخول الى المدينة . كنت قد كتبت اليه من الرياض وجاءني منه الجواب مرحباً بي . ولكن هذلولاً ، وهو ولي الامر ، حريص على الرسميات فلا يدخل مدينة قبل ان يسبق منه علم بذلك الى اميرها .

ماكدنا نصب الخيام حتى جاء بعض افاضل الجهرة وفي مقدمتهم امير القصر يزوروننا ويدعوننا للقهوة في بيوتهم . فذكرنا باهل القصيم في ترحيبهم بالغريب . قضينا بضع ساعات من يوم رحلتنا الاخير نشرب القهوة والشاي ونسمع ما يتسرب من العاصمة الى هذه القرية من اخبار العالم . على ان اهلهما يهتمون لما في البادية ، على ما ظنير لي ، ولا اخبار نجد والاخوان اكثر من سواها . اخبروني بان الجهرة مجلبة للرياح مثل الحفر ، وان الهبوب التي مهبها الشمال مسالطة عليها . على انهم لا يخافونها بقدر ما يخافون « هبوب الجنة » التي مهبها الجنوب .

وانا اكره الهبوب سواء كانت جنوبية ام شمالية ، فشكرت الله ان مسرحها في الجهرة يوم نزلنا فيها كان خالياً هادئاً . شكرت الله . وبيننا كنت عائداً من البلدة رددت آية الحمد فسمعتني هذلول فقال : والحمد لله في كل حال ولكن هذا المهب ^(١) .

لم ار له اثرأ حيث كنا ، غير انه كان يجمع جيوشه فوق جبل الزور ودونه في الافق الغربي . وكانت طلائعه كالغيوم السوداء . الماطرة وحركتها ظاهراً بطيئة .

اسرعنا الى المناخ فالقينا الربع حول نار سالم يشربون القهوة ويتحدثون وهم لاهون عما هو حادث هناك . فصاح بهم هذلول وامرهم بان يرفعوا الشراع ويطووه ، ويوطدوا اوتاد الخيمة خيمتي . فما كادوا يتممون العمل حتى وصلت

(١) هم يعبرون عن الهبوب او الريح المثيرة للغياب بالمهب .

الينا مريات هبوب الشمال .
 امر الامير الخدم بان يرزموا العفش ويتأهبوا للرحيل . ولكن مريات من
 الغرب والجنوب احاطت بهم فاوقفتمهم ، وشتتهم ، وكادت تذهب بقمصانهم .
 لجأوا الى الجهة الشرقية من الخيمة فهوت وكادت تقع عليهم .
 — افضبوا^(١) الحبال . حمود وحمد وجعيثن افضبوا الحبال ولا تبرحوا
 الخيمة . مكانكم .

فتمسك الثلاثة بجبالها والرياح من النواحي الثلاث تذري الرمال عليها
 وعليهم .
 وكانت ساعة المغرب والعشاء والصلاة . الصلاة اولاً . وكيف يصلون ،
 وهم اذا استقبلوا القبلة التي هي غرب ذلك المكان يستقبلون الهبوب — هبوباً ولا
 « هبوب الجنة » .

دعوتهم الى الخيمة فدخلوا كلهم الا الثلاثة القايضين على الاطناب فاذن
 مسفر ثم صلوا ، وصليت معهم وانا جالس على السرير . أو لا يخلق بي ، وهي
 آخر ليلة مع « خويابي » ، ان اشار لهم في الصلاة وفي العشاء .

جاء مسفر و ابراهيم يحملان المرجل الكبير الى الخيمة فرفعا الغطاء ، فاذا
 على وجهه فطينة من الرمل ، فكشطها مسفر بالمغرفة وصب ما فيه من الارز
 واللحم . نحرنا الزاد ونحن جالسون القرفصاء . ولكن الرياح وهي تصفر وتنفخ من
 خلال فرّج الخيمة ومن تحتها كانت تسابقنا اليه ، فيبجيء الرمل ، في كل سفة
 من الارز ، كالبذر في الصبير . وما كنت تسمع مقطعاً او حرفاً واحداً من
 الشكوى الا اذا كانت باطناً مني . بيد اني كظمت وتجلدت نجيلاً من ابطال
 نجد ، وشكرت الله معهم على عشاء من الارز والرمل .

بننا كلنا في الخيمة قصص القصص ، والرجال ينشأون حراستها ، والرياح
 تولول حولها وتحاول عبثاً اقتلاعها . كنت قد سألت هذلولاً غير مرة ان يملي

(١) قصب لفة اهل نجد في قبض .

علي شيناً من شعره فأبى اتضاعاً ، فالححت عليه — هي آخر ليالينا يا هذلول —
فاكرمتني .

وكان قد انصف الليل فطلع القمر وسكنت الرياح . فقمنا نتأهب للرحيل .
أمرينا من الجهرة مكرهين ، وبعد ساعتين انخنا ليتم الربع عملاً لا بد منه . يجب
ان يغيروا ثياب السفر قبل ان يدخلوا الكويت .

شبيننا النار وفرشنا بعض الفرش فحاولت ان انام ساعة بينا «خويبي»
يلبسون اثوابهم الرسمية ويزينون انفسهم . ولكنني وجدت شرب القهوة ورعي
التجوم اسهل من النوم .

لبس كل من الربع الكسوة الجديدة التي انعم بها السلطان عبد العزيز قبل
السفر من الرياض . ولبس هذلول ورجاله النجاد الجلد فوقها ، وتمنطقوا بمناطق
الفشق ، واخرجوا البنادق من بيوتها ، والغطرات الجديدة من الاخراج .
وكانت مرآة مسفر الصغيرة تقوم بفضل القمر بواجبها ، فتداولتها الايدي
وبسمت لها الوجوه .

وكنت انا ، وبالعجب من امري ، اسير اكتباب حاولت ان اظهر عليه
او اخفيه . هي اول مرة ادركت وثيقنت اننا في المرحلة الاخيرة بل في الساعة
الاخيرة من رحلتنا . وكم مرة وددت النهاية وثقت وحننت اليها . على انه في
تلك الساعة ، وانا مدرك ان القمر لا يطلع مرة اخرى علينا ، علي وعلي هؤلاء .
الاخوان الحقيقيين ، المحبين المخلصين ، في تلك الساعة ، ساعة الفراق ، اعترافي
الغم ووددت من الزمان يوماً اخر نسير فيه الى واحة من الواحات ، وليلة اخرى
نسمر فيها حول نار سالم ، فيرقص مسفر رقصة الاخوان ، ويطعم ابراهيم النار الى
ان يتخلل دخانها خيوط الشمس الذهبية .

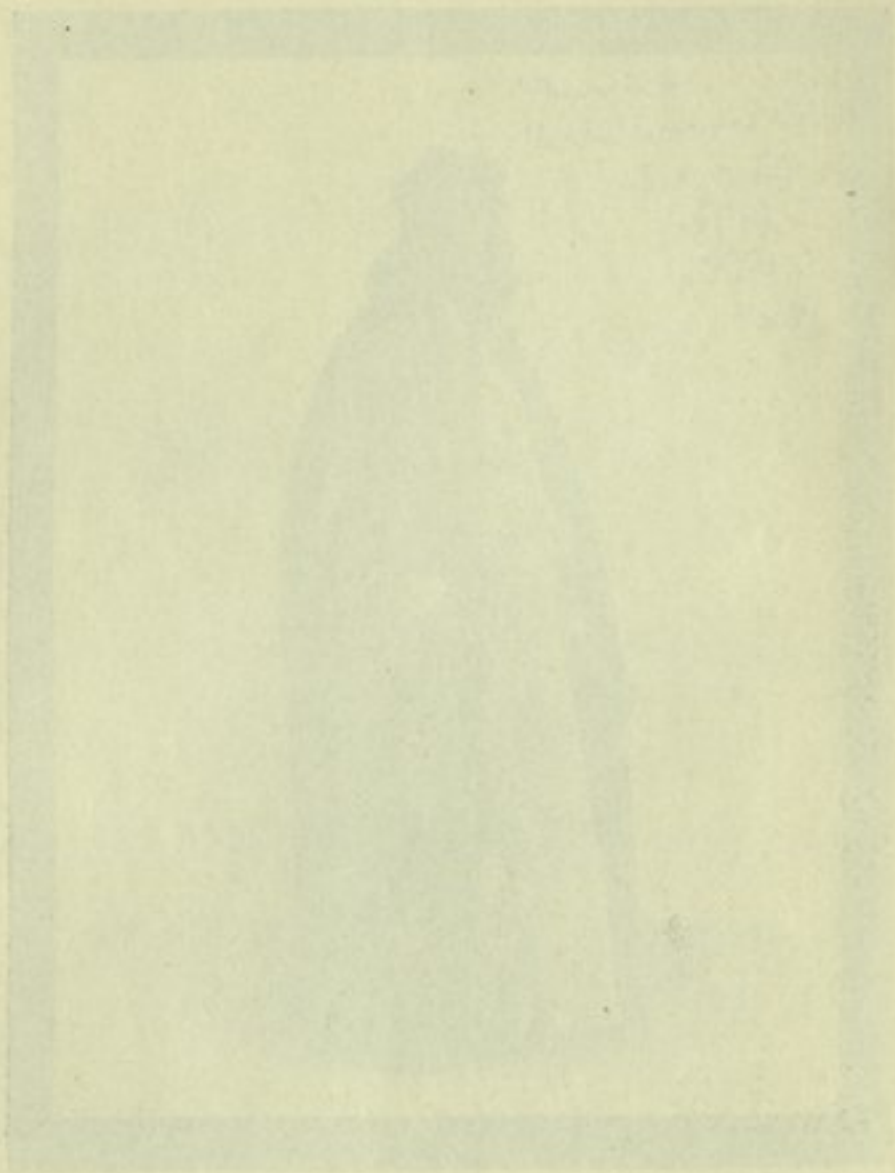
« حناً اهل العوجا — مروية السنين »

ولكن شعر هذلول النبطي الذي املاه علي منذ ساعة — وستظن بالرغم من
الايام والليالي منذ ساعة — لا يزال يرن في الاذن والفؤاد . وما احسن
اختيارك ايها الدومسري الكريم ، وما اجمل العاطفة في تلك الابيات التي بعثت

بها الى احد خلائك . فهي تنطق بلسان حالي اذا ما ذكرتك وذكرت « خويانا »
كلهم اجمعين .

يا علي يوم السبت وابت وانه (أن وحن)
يوم ارتحلوا فوق عوص النجائب (الهجن الحرم)
باليستي معكم على كوارهن (اكوارهن)
مع ربي اللي هرجهم لي عجائب (حديثهم)
بالله يا خلاق نار وجنه
نسألك يا منشي صفوف السحاب (القيوم التي تجود بالامطار)
تسير يمسام الدين لديارهن
حتى نشوف صويجي والحباب
صويجي اللي مني وانا كنت منته
منساه (لا انساه) لورزت علي النصاب (حجارة القمر)

ادلجنا من ذلك المكان . وما هي الا ساعة حتى انبلج الفجر وبانت من وراء
حجاب الفضي الشفاف مدينة الكويت .



Handwritten text, possibly a signature or name, located below the watermark.



سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح

تتمتع

القسم السادس

آل صباح

شيوخ الكويت

الكويت

عدد دها : شرقاً خليج العجم . شمالاً وغرباً وجنوباً خط مبتدى . عند ملتقى الخطين الثلاثين من العرض الشمالي والثامن والاربعين من الطول الشرقي فيمتد في شكل نصف دائرة ويمر بالشق غرباً والشقة يلقى جنوباً وبين جبلي برفان والقارين الى رأس القليعة على الخليج . اما منطقة الحياض بين الكويت ونجد فهي من رأس القليعة الى خبيرة الدويش ومنها في خط يمتد جنوباً بشرق الى قرب الخط الثامن والاربعين من الطول الشرقي ومن هذه النقطة الى عين العبد فرأس المشعاب على الخليج .

مساحتها : اربعة الاف ميل مربع .

عدد سكانها : نحو مئة وعشرين الف نفس منهم ثمانون الف في مدينة الكويت . والباقي من العشائر خارجها .

اهم بلدانها : الجهرة وجزيرة فيلكه والدمنة والغنطاس وابو حليفة والشعيبة . وفي برها اما كن باسماء معروفة كالويرة عند الحدود الشمالية والصبية حجة في الجنوب وخبيرة وام الرؤوس وغيرها . وهذه كلها اما كن مياه يرتادها عرب العشائر .

مذاهبها : اهمها السنة ثم الشيعة ، وقليل من الفرس والمسيحيين واليهود .

الفصل الاول

في الكويت

القافلة في البادية - اهمية الانسان في القفار - وهم لزيد - دهشة الذ - العود
الى البصرة - الصالحية جنة - السباط والسف - الكمال غاية الحياة
القصوى - فثلث في الفحص - عدت من نجد استاذاً - سور الكويت -
المنابلة الملكية في الغلاة - سمو الشيخ احمد الصباح - النصر والفتنة فيه -
مفاجئات الترف - البقوليات - بندورة الكويت - الاجادة لدى السباط
والشهادة - كرسي فيه الكفر بالله - جعيم يتبع النعيم - الهوا الاصفر -
طيب من بيروت - خبر الشيخ خزعل والعاقبة .

كنت قد عاهدت « خويابي » ان ادخل واباهم الى الكويت راكبا الذلول ،
ولكننا قبل ان نصل الى المدينة رأينا سيارة قادمة منها فوقفنا اذ دنت منا ،
فقال هذلول يخاطبيني : من الشيخ احمد . نوخ ، نوخ .

أنخت أسفاً لاني ادركت في الحال ان لا بد من الركوب في السيارة
فأخلف بوعدي ، وأحرم لذة كنت أعلل النفس بها . ليست القافلة في البادية
غير قافلة معها كان عددها ، وليس الراكب فيها اياً كان غير واحد من
المسافرين . لا اهمية للانسان والحيوان في القفار . او ان الاثنين واحد في فسيح
مهاكها .

ولكن القافلة ساعة تدنو من العمران ، من الحضارة ، لتغير في نفسياتها فيعظم
شأنها ، فتدخل بوابة السور وقد اختلطت في قلبها الكبر والسرور ، وتسير في
اسواق المدينة كأنها موكب من مواكب النصر والفخار ، وكأن كل واحد من
الركب امير على عرشه العالي او قائد عائد من ساحة الوغى . هو وهم في عجب
ولا مرا . ولكنه وهم جميل كان يستوقف العقل مني كل مرة نصل الى مدينة
كما تستوقف العين صورة جميلة . بل كان بلدي ولا غرو أكثر من سواي لاني
حديث العهد به .

لذلك اسفت عند ما انخت ذلولي خارج الكويت . ولكني دهشت ومررت ،
ففسيت ما كنت اطل به النفس ، اذ رأيت صديقي القديم يوسف السالم جلبي آل
بدر ومعه الشيخ عبد الله خليفه آل صباح ، وقد جاء من قبل سمو الشيخ احمد
يحملان الي كتاب السلام والترحيب .

كان آخر عهدي بيوسف جلبي في البصرة عند صديقنا الاديب الفاضل
الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسي يوم أدب لنا مأدبة فاخرة في بيته
« الصالحية » على نهر الصالحية هناك . فقلت متصرفاً بالبيت المأثور :
والصالحية جنة والصالحون اليها أمثوا^(١)

كنا يومئذ عشرين ونيف من الصالحين - الصالحين للنزال والطعان .
وكان يوسف قد شحذ سلاحه جالساً الى جنبي يسف الارز سفاً عجيباً . وانا
الطالب في هذه الطريقة اعجب به واتمنى ان يكون لي جزء ما له من المهارة
والاقتدار . سأله عما اذا كنت استحق الشهادة في السف البسيط وهو ان
تأخذ شيئاً من الارز فتعجنه بين اصابعك وتدفعه بالباغ الى فمك . فاستعرض
سني ثم قال : لا يزال ينقصك شيء من العلم والاثقان . عينك . قال هذا ومد
يده الى الارز فادارها فيه ، كأنه يحدد دائرة هي ملكه ، وقبض على كتلة منه
كبيرة قد ملكها ، ثم رفعها وجعلها ، وهو يعصر منها السم ، اكرة متأسكة
شديدة ، فقذف بها اذ ذاك الى فمه دون ان يسقط منها او يتبقى بين انامله بذرة
واحدة . فقلت : سبحان الله الذي جعل الكمال غاية الحياة القصوى . فلا شيء
اجمل في الحياة من ائقان في صناعة او كمال في فن .

قلت ليوسف جلبي ، بعد ان شاهدت منه هذه البراعة ، اني مسافر الى نجد
فاتمّن هناك ، وسأعود ان شاء الله اليه ليعطيني الشهادة . وما كان في الحسبان
ان ستجمعنا التقادير ثانية ، فتصير النكتة بعد اربعة اشهر حقيقة مضحكة .
قال يوسف ونحن سائرون في السيارة نعيد تلك الذكرى : سنفحصك اليوم في

(١) استغفرك ياسيدي الاستاذ اني اعلم ان أمّ تعدى بذاتها ولكن النكتة الشعرية
تعتذر « اليها » .

القصر ونعطيك الشهادة باذن الله .

اول ما يسترعي النظر في الكويت اذ يصل المسافر من البر اليها ذلك السور الكبير الذي بناه اهلها بعد وقعة الجفرة ليصدوا هجمات الاخوان . وهو سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، اطوله خمسة اميال وعلوه نحو اربعة امتار وممكة في بعض الاماكن مترٌ ويزيد فيه المعامل والكوي للرمي والدفاع ، وله بوابات ثلاث يقيم الحرس عندها ، ولتقل في الليل لم تنفق الحكومة روية واحدة على بناء هذا السور ، فقد تبرع اهل الكويت كل بما يستطيع من عمل او مال واتموا البناء في مدة شهرين . انه لمن الاعمال المدنية العامة المدهشة خصوصاً في البلاد العربية .

دخلنا المدينة في الساعة الاولى من ذلك النهار ، فوقفت السيارة في الساحة الكبرى ، فترجلنا ومشينا تجاه صف من الناس جالسين في الفلاة على مجالس من الحجارة والطين الى حائط بيت صغير . فوقف اذ وصلنا من كان جالساً في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح حاكم الكويت . خرج من قصره بمحاشيته وبعض امرته يستقبلنا في المكان الذي يجلس فيه للناس . ليس احب الى السائح وليس اقرب الى الديمقراطية الحقبة والمساواة من هذه المقابلات الملكية في الفلاة .

الشيخ احمد في العقد الرابع من العمر ، ربع القامة ، دقيق الملامح ، حسن الخلق والبذة ، لطيف الاشارة والحديث . وهو اقرب في هياته الى الشكل الآري منه الى السامي . فلو كان في غير النعل والثياب العربية لظننته هندياً من البنجاب او اوروبياً من بلاد الاسبان .

هنا في بوصولي واعرب عن دهشته لسفري في البلاد العربية هذه السفارة الطويلة . ثم قال : العرب انفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها . ومنهم من لا يقوى على تحمل مشقاتها . وكيف تحملتم ركب الدول كل هذه الايام ؟ نهنيكم يا استاذ ونرحب بكم . ولم يشأ ان يطيل الجلسة الاولى رغبة في راحتي . فبعد ان تناولنا القهوة أمر من لاقاني ان يرافقوني الى القصر .

وكانت هناك الفتنة الكبرى . لا اريد بالفتنة ما فيه نسوة او دين او سياسة ، وقد كنت بعيداً عنها كلها . ولكنني فُتنت . اجل ، فُتنت بمفاجآت الترف والرفاه ، انا الذي اُقت عشرين سنة في مدينة تزدحم وتبذل في نزلها نوافل العيش ونفائس الصناعة والفنون ، تلك التي كانت تنحصر في الماضي خصوصاً باوروبة في قصور الاشراف والاعيان ، وهي اليوم هناك لكل من يستطيع من الناس بذل بعض المال .

تالله ما تفعل البيدا^١ وخشونة العيش . دخلت القصر في الكويت كأني بدوي لم ير في حياته قصرأ جميلاً ، تزينه الاعمدة والقناطر ، ولم يجلس مرة في صاعة مفروشة بالفاخر من الرياش . وعندما جاء الخدم الواحد بعد الآخر يحملون الاطباق ، فوضعوها على السجادة ، وجلست انا ورفيقي اليها فُتنت بما احاط صحفة الارز من الالوان المطبوخة بالبقولات .

البقولات ! بعد الارز والرمل واللحم والتراب التي كان يطبخها لنا مسفر ومعاوناته الرياح ، انها من النعم التي يغتفر فيها الابتهاج والامراف . نخرت الالوان نخر العاشق المشتاق ، واخصت بالامراف بندورة الكويت التي يشحنون منها الى البصرة ، وهي صغيرة مدملكة ، يطبخونها بقشرها دون ان تمسها السكين . ثم سمك الكويت المشهور الذي يشبه سمك المشط في طبرية ، ولكنه ارق وادمم . ثم اصناف الحلوى وما اشد حلوها واكثر سمنها وامرارها . وعند ما نهضنا نغسل ايدينا وقف امامي يوسف السالم آل بدر ، وهو كما اشرت من رجال السماط المشهورين في البصرة والكويت ، فصالحني وقال : اهنتك بما احرزت . فقد صرت منا ليس في سف الارز فقط بل في سف السماط .

وبعد ان ودعني في تلك الليلة خرجت الى الايوان ذات العمدة ، المشرف على الخليج ، ففتنت بمشهد البحر والسفن المسرولة بضوء القمر ، وظللت حتى نصف الليل جالساً في كرسي هندي^(١) ، وانا في ثوب النوم ، جلسة اميركية

(١) اذا كنت تبغي كرسياً تستريح فيه ، وتنام فيه ، وتسيء الادب فيه ، فليس اصلح من ذلك الكرسي الهندي وقد جعل لظهره درجات فتبسطه قدر ما تشاء ، ولجانيه عضادتان ترفع عليهما ساقيك ، فتنسى انك انساناً وتكفر بالله .

- وما اخلق ذلك الكرسي بها - رافعاً للقدر رجلي ، مطلقاً العنان للذيذ الاحلام . فما احسست بهواء البحر البارد الرطب الا بعد ساعة ، فدخلت وانا ارتعش الى غرفة النوم .

نمت قليلاً واستفتت اثن من شدة الالم . عاد السحاب في بطني ناراً ، واستحال النعيم جحيماً . فكنت منذ تلك الساعة حتى الفجر احس بشيء بتعقد في ثم ينحل ، ثم ينقطع ، ثم يذوب ، فاذوب معه واكاد من شدة الوجع اموت . بل عابنت الموت في تلك الهیضة التي تندر في غير الوباء . الله ! يارب المسرفين والمقتيرين ، يا ارحم الراحمين ، افي الهواء الاصفر نهاية هذه الرحلة ونهايتي . او انها بندورة الكويت تفعل ما لا تفعله الادوية والاملاح .

جاءني في الصباح يوسف جلبي فخرت لخالي وبادر الى الطبيب . وجاء بعد ساعة الطبيب فاثبت الجرم على البندورة وقال : ان لها شريكه هي الحمى . - ولللاثين عدوة هاكها . غير ان الطبيب نفسه تقني اكثر من عقاقيره . فقد استأنست به ايما استئناس لانه من سورية واسمه شبيه باسمي . هو الدكتور ريجان من بيروت . وما الذي قذف به الى الكويت ؟ اخبرني انه في معية السردار اقدس الشيخ خزعل خاف الذي جاء يقضي بعض الشتاء في قصره خارج المدينة . فكان الخبر هذا كالوردة الحمراء في ضمة من الريحان . لاني كنت عازماً على زيارة الشيخ خزعل في المحمرة فسررت جداً بقربه مني ، وعادت في ذلك النهار العافية مثلما آتت ، وهي تحمل باحدى يديها ادوات العمل وبالاخرى مصباح الامال .

الفصل الثاني

آل صباح^(١)

اقسام العرب - ربيعة وعنيزة آل صباح - تاريخ الكويت - اول من حكمها من آل صباح سنة ١١٩٠ هـ - اولاد صباح - حكم عبدالله - حكم محمد - شقاق في بيت آل سعود - تدخل الدولة - فتح الحسا - مساعدة آل صباح للدولة - الشيخ مبارك - الفرق بينه وبين اخويه - الخلف - الفاجعة - ذبحه محمد وجراح - التجاء اولاد المتولين الى والي البصرة - التجاء مبارك الى والي بغداد - تدخل الحكومة البريطانية - قيام يوسف آل ابراهيم على مبارك - هجومه على الكويت - سفره الى الحجاز - ما عرضته الدولة على مبارك - رفضه والتجاؤه الى الانكليز - مدرعة من امي شهر - انتصار مبارك - يوسف آل ابراهيم في جبل شتر - الحرب بين مبارك وبين ابن الرشيد - وقعة الطرفية - ظهور ابن سعود - وفاة ابن الرشيد وابن آل ابراهيم - الجوى ينجلي - مبارك الحاكم بامرهم - اتفاه مع الانكليز - حكم الشيخ جابر - حكم الشيخ سالم - اخلاقه - سوء سياسته - وقعة الجهرة - طريقة انتخاب الحاكم .

(ليس من يجهل ان العرب كلها تقسم الى قسمين ، قحطان اي العرب العرباء وعدنان اي العرب المتعربة ، وان عدنان تقسم الى فرعين مضر وربيعه . اما مضر فسكنت الحجاز وكانت لها الرئاسة في مكة ، واما ربيعة فكانت منازلها في نجد اي بين البامة والبحرين والعراق .

وهي اي ربيعة تقسم الى عمارتين ، بني كلب وبني اسد ، ويتفرع بنو اسد الى فرعين او بطنين هما جديلة وعنزي . ومن عنزي يتحدرو بكر بن وائل الذي تنسب اليه البيوت الثلاثة الحاكمة اليوم في نجد والبحرين والكويت ، اي آل سعود وآل خليفه وآل صباح .

كانت عنزي تقطن اولاً عين الشعر في بر العراق على مسيرة ثلاثة ايام من

(١) للشيخ يوسف آل عيسى والسيد عبد الرحمن النقيب من الكويت الفضل علي بعض المعلومات في هذا الفصل والفصل الذي يليه .

الانبار . ثم انتقلت منها الى نواحي خيبر فاقامت هناك ومعها احياء من طي ، فصارت تنتجع وتشتي معهم في نجد . انها من اكبر قبائل العرب ، وهي تقسم الى الغاذ كثيرة منها جميلة ، وتقسم جميلة الى فروع كثيرة منها الشرحلان ، ونقسم الشرحلان الى عشائر اكبرها واشهرها آل صباح .

اما الكويت فتاريخها القديم غامض مجهول . وقد لا يكون لها ما بهم منه قبل ان هجر اليها آل صباح قادمين من خيبر منذ نحو مئتين واربعين سنة . والكويت من غير كوت والكوت في اصطلاح اهل تلك النواحي هو بيت محوط بيوت صغيرة . كانت هذه الناحية يومئذ لبني خالد يجمعون فيها زادهم اذا ربعوا في الحجزه ، فجاء آل صباح ، كما هو منقول ، وسكنوها باذن منهم .

ثم انتخب صباح حاكماً على العشائر فيها وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة ، لان المرجح هو انه توفي سنة ١١٩٠ خلفه ابنه عبدالله الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

كان الشيخ عبدالله الصباح اول من حكموا الكويت من هذا البيت . حكمها نحو اربعين سنة ، فانتعت في عهده وشاع ذكرها في الخليج . ثم خلفه ابنه جابر عام ١٢٢٩ هـ وخلف جابراً ابنه صباح عام ١٢٧٦ هـ .

أما نوع الحكم فقد كان قبل صباح شوروياً يشترك فيه رؤساء العشائر ، فلا يقدم الحاكم على امر مهم قبل ان يستشيرهم وهم يستشيرون الجماعات . ولكن هذه الشورى بدأت تضعف في عهد صباح الثاني اي ابن جابر حتى نقلت ظلها تماماً في ايام ابنه مبارك الذي حكم بامرهم ، وخصوصاً في العقد الثاني من حكمه .

من اولاد صباح الثاني ثلاثة تولوا الحكم بعده . الاول عبدالله الثاني الذي حكم ستاً وعشرين سنة ، ثم محمد الذي حكم اربع سنوات ، ثم مبارك الذي استمر حكمه احدى وعشرين سنة . ولكن مباركاً ، وهو على عسفه وشذوذه حاكم الكويت الاكبر ، حاز قبل ان تولى الحكم شهرة في القيادة تقدمت شهرته السياسية .

ففي سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م حدث شقاق بين ابني فيصل آل سعود

عمي السلطان عبد العزيز ففاوض احدهما الدولة العثمانية بواسطة واليها في بغداد يومئذ مدحت باشا ، فاغتنم مدحت الفرصة وارسل جيشاً الى القطيف ففتحها ، ثم الى الاحساء فحاصرها واستولى بعدئذ عليها .

وقد كان لمشايخ الكويت الفضل الاكبر في فتح الاحساء . فقاد الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في ريعان الشباب جيشاً كبيراً من العشائر في طريق البر ، ورافق الشيخ عبدالله القائد العثماني بجرأ . ومنذ ذلك الحين وقبله الى حين الفاجعة التي اولت مباركاً الحكم كانت العلاقات بين حكام الكويت والدولة العثمانية شبيهة بغيرها مع العشائر الموالية لها . فقبلت بان يكون لها سيادة اسمية في الكويت وان يعترف آل صباح بهذه السيادة .

بعد وفاة الشيخ عبد الله تولى الحكم اخوه محمد وكان مبارك واخوه جراح طامعين به . على ان جراحاً والى محمداً وكان فعلاً لا رسمياً شريكه في الحكم . فاشتدت المنافسة بين مبارك واخويه وكان لها من غير السياسة اسباب اخرى . اما مبارك فقد كان ولا شك ابعد الاخوين طموحاً ، وأشدهما بأساً ، واحدهما اطمعاً ، وامضاهما عزمًا . بيد انه كان متهوراً متسرعاً في اعماله . وكان جراح صاحب النفوذ الاكبر في الحكم يحب المال بقدر ما يحب مبارك الحمد والشهرة . بل كان الاول بجيلاً والثاني مبنزراً . الا ان النفوذ الاكبر في العشائر كان لمبارك ، فنزع الى الغزوات ، فغدا في حامية الى المال دائمة . وكان الاخوان محمد وجراح يتعيان عليه دائماً آراءه واعماله ، ويسيثان معاملته ، ويمسكان عنه احياناً ما تقتضيه نفعاته الخصوصية . فصبر مبارك بضع سنين على هذه المعاملة واني ان يصبر على الدوام . وكان يرى فوق ذلك ان اخويه هما عثرة في سبيل الحمد الذي ينبغي للكويت وآل صباح . فعندما فرغت كأس الصبر ، وامتلأت كأس التغيظ والنقمة ، عزم على ان يريح نفسه وآل صباح والكويت من ذينك الاخوين ، فنهض ذات ليلة للامر ونهض معه ابنه ، وكل منهما يحمل بندقيته ، فقتل مبارك اخاه محمداً وقتل ابن مبارك عمه جراحاً . وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣ للهجرة .

فجئت الكويت لهذه الفاجعة ثم اذعنت للشيخ مبارك صاحب الحكم فيها .
 اذعنت الكويت الا ابنساء القتيلين واشياعهم ورجلاً آخر سيجي . ذكره . فرء
 ابناء جراح ومحمد هاربن الى البصرة فشكوا امرهم الى واليها الفريحي حمدي باشا .
 وكان يومئذ رجب باشا والي بغداد فسبق مبارك ابناء اخويه الى ذاك المقام
 الاعلى ، فتسكن بواسطة بعض رجاله من استماته اليه ، فكتب رجب الى
 الاستانة بقول ان الحادث هو من الحوادث العادية المألوفة بين البدو ، وخبر
 للدولة ان لا تتدخل في الامر لان ذلك يؤدي الى تدخل الانكليز .

ولكن الانكليز لم ينتظروا احداً لينقدمهم في عملهم دائماً متأهبون له .
 فكان ان ابناء جراح ومحمد قد لجأوا ايضاً الى قنصل انكلترة في البصرة
 فنصرهم على مبارك ، وسعى في سبيلهم وسبيل السياسة الانكليزية في الخليج
 سعياً عجيباً اثر ذلك الأمر النهائي الذي اصدرته الدولة العلية . فخير ابن صباح
 الكبير بواحد من ثلاثة امور : اما ان يحضر الى الاستانة فيعينه المابين عضواً في
 مجلس شورى الدولة ، واما ان يسافر الى البلد الذي يريد فتخصه الحكومة
 بمعاش دائم ، واما القوة تستخدمها عليه اذا رفض ان يعمل باحد الامرين . مما
 لا ريب فيه ان الدولة العلية اصدرت هذا الحكم ارضاءً لدولة بريطانيا العظمى .
 ومما هو في دائرة اليقين ايضاً ان الشيخ مبارك كان قد بدأ يفاوض رئيس الخليج
 الوكيل السيامي لبريطانية العظمى في ابي شهر ، فسمع هذا قصته وشكواه
 متجاهلاً ما كان من زميله في البصرة .

انها لرواية مخزنة مضحكة معاً . لجأ اولاد القتيلين اولاً الى حمدي باشا
 والي البصرة ، فلجأ القاتل الى رجب باشا والي بغداد . ثم لجأ طالبو الثأر الى
 قنصل انكلترة في البصرة ، فلجأ مبارك الى وكيلها السياسي على شاطي . العجم .
 وكانت دولة بريطانيا العظمى تمثل بواسطة ممثليها دورين معاً ، دور المدعي
 العمومي ودور المحامي عن المدعي عليه .

ضغظت الدولة العثمانية على مبارك فطلب الحماية الانكليزية دفاعاً عن
 نفسه ، فلبت بريطانيا العظمى طلبه حباً وكرامة . لا تدع يسراك تعلم بما تفعله

بيناك . عند وما وصل المركب الحربي العثماني الى الكويت بقل تقيب البصرة
وبعض موظفي الدولة وهم يحملون الى الشيخ مبارك امرها العالي وبنفوس
تنفيذه ، جاء مركب حربي اخر ينقذ الشيخ مبارك ويطرد المركب العثماني
من مياه الكويت .

اقف عند هذا الحد في الماساة لاعود الى اولها . قلت ان رجلاً اخر غير
ابناء القتيبين خرج على الشيخ مبارك وقام بنصر اولادهما . هذا الرجل هو
الشيخ يوسف آل ابراهيم من كبار تجار الكويت واغنام . قد كان يوسف بنفسه
ثورة ، ودولة ، وحرماً على مبارك ، استمرت عشر سنين . فوقف ثروته ،
ووقته ، وحياته للاخذ بالنار . اجل ، قد كان هو الباذل للمال ، وهو القائد
للرجال ، وهو رسول قضيته الى الدولة العلية والى امراء العرب .

اول ما باشره حرباً هو انه جهز اسطولاً من السفن المشحونة بالرجال
المسلحين وتولى قيادته في الهجوم بغتة على الكويت . ولكن ليلة دنا من
الاسكنة رآه احد الثوئين ، فحمل الخبر الى الشيخ مبارك ، فاستعد لملاقاته
وكانت المدينة معه . فلما علم يوسف بان المدينة مستعدة كذلك لمحاربه قفل راجعاً ،
ولجأ بعد ذلك الى الخدعة .

جاء ببعض قاطعي الطرق واوعز اليهم ان يأخذوا سفينة من اسطوله
ويدخلوا بها الكويت ، فيظنهم الشيخ مبارك من اعداء يوسف آل ابراهيم ،
فيقربهم منه فيقتلوه . تمت المؤامرة على هذا الوجه ودخل المتآمرون الكويت
بسفينة من سفن يوسف آل ابراهيم يدعون انهم غنموها بالمحاربة ، فانطلقت الخيلة
على الشيخ مبارك ، فقرب الرجال منه وجعلهم من حرسه الخاص . ولكن
واحد منهم تاب الى ربه قبل الاغتيال وراح يطلع الشيخ مبارك على الدسياسة .
فامر الشيخ بالقبض على الرجال هؤلاء وبنفيهم من البلاد .

لجأ بعد ذلك يوسف آل ابراهيم الى الدولة العلية فساfer الى الحجاز يستعين
بشريف مكة ، وكان في مساعبه السياسية عوناً لسياسة انكثرة في المسئلة ، او
بالحري كانت سياسة انكثرة عوناً له . فصدر ذلك الامر الذي حمل الشيخ

مبارك على ان يطلب الحماية الانكليزية ، فأسقط ابن آل ابراهيم في يده للمرة الثالثة .
ولكن الفشل وان تعدد لم يكن ليثنيه عن قصده ومرامه . فقد سعى لدى
امير الجبل الامير عبد العزيز بن الرشيد فاغراه بدوه في الكويت ، فشن ابن
الرشيد الغارة على عشائرها ، فبادر الشيخ مبارك الى الدفاع بما عنده من الجيوش .
وكانت هذه فاتحة الخير لآل سعود الذين كانوا مقيمين يومئذ في الكويت ،
فنتطوعوا في حرب اعدائهم بيت الرشيد . جهز الشيخ مبارك جيشاً اولاً لعبد
العزيز سلطان نجد الحالي ، ثم جيشاً اخر برئاسة اخيه حمود بن صباح ، ثم خرج
مبارك بنفسه يقود الجيش الثالث ومعه الامام عبد الرحمن آل فيصل والد السلطان
عبد العزيز . فالتقى الفريقان واحتربا احتراباً شديداً في اخر ذي القعدة سنة
١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) في مكان يسمى الصريف ، فقتل خلق كثير من الفريقين
وكان النصر لابن الرشيد^(١) .

بعد وقعة الصريف خرج ابن سعود عبد العزيز في نفر قليل من الرجال
بغني استرجاع الرياض عاصمة اجداده التي كانت يومئذ في حوزة ابن الرشيد .
فذبح عامله فيها واستولى عليها^(٢) . وكانت هذه الغزوة فاتحة غزوات وحروب
ادهشت العرب في شبه الجزيرة وخارجها ، فاعجب العدو والصديق بنبوغ ابن
سعود ، بشجاعته واقدامه ، وبحكيمته وحلمه .

وعندما بُشر مبارك بفتح الرياض خاف ان يعيد ابن الرشيد الكرة عليه
فبعث بنجدة الى عبد العزيز الذي كان قد فاز ايضاً بنصرة اهل الرياض ، فخرج
منها بجيش كبير ، وشرع يحارب ليعتد عليه . فقتل الامير عبدالعزیز
الرشيد في وقعة « روضة مهنا » في سنة ١٣٢٤ هـ^(٣) . وكان قد توفي في السنة
السابقة اي سنة ١٣٢٣ هـ الشيخ يوسف آل ابراهيم فاستراح مبارك من عدويه ،
واخذ تقوده يمتد بعد ذلك الى البادية ونجد .

(١) راجع تاريخ نجد الحديث ، الفصل الاول : وقعة الصريف .

(٢) » » » الفصل الثاني : الاستيلاء على الرياض .

(٣) » » » الفصل الثامن ، ذبحة ابن الرشيد .

كان الشيخ مبارك في سياسته مثله في حروبه موفقاً منتصراً . فامتد نفوذه الى البصرة والمحصرة وكانت كنيته مسموعة في ابي شهر . على انه مع تلك السياسة وذلك النفوذ لم يكن في اعماله شي يذكر من النفع العام . فقد بنى مسجداً واحداً وقصوراً عديدة ، ولكنه لم يهتم بالتعليم ولا ساعد في بناء مدرسة واحدة . اصف الى ذلك انه كان يرهق بالضرائب الرعية والتجار .

اما انفاقه مع دولة بريطانيا العظمى فخلاصته ان الشيخ مبارك تعهد بان لا يكون للكويت علائق مع حكومة اجنبية غيرها اية كانت ، وهي تعهدت ان تحمي الكويت من كل اعتداء خارجي من البحر وليس من البر ، فلا تتدخل في شؤون العشائر ورؤسائها .

وقد تبع هذا الاتفاق في اب ١٩١٣ م . اتفاق بين الدولتين البريطانية والعثمانية بخصوص الكويت وقطر والبحرين ومسقط وعمان . فمتنازلت الدولة العثمانية عن حقوقها في هذه الاسا كل كلها ، واخذت الدولة البريطانية على عاتقها افارة الخليج وخفارته . اما الكويت فظلت علائقها مع انكثرة على حالها السابق حتى سنة ١٩٢٥ عندما تقرر ان يحاكم الاجانب فيها في دار الوكالة البريطانية .

توفي الشيخ مبارك في محرم سنة ١٣٣٤ هـ . نوفمبر سنة ١٩١٥ م . خلفه ابنه جابر الذي لم يحكم غير سنة وشهرين . وكان جابر كريم السجايا يحميه الناس . فقد الغى من ضرائب ابيه المتعددة ، التي يستغرب مثلها حتى في ايام الحرب في تركيا ، ما يتعلق منها بالاملاك . اذ ان مبارك كان قد فرض ضربيتين باهظتين الواحدة عن كل عقار يباع وهي ثلث المبيع ، والثانية على كل عقار يؤجر وهي ثلث الاجار . وكانت تكرر الضريبتان كل مرة بكرر الاجار او البيع .

اما امارة سالم الذي تولى الحكم بعد وفاة اخيه سنة ١٣٣٥ هـ وحكم مدة الحرب العظمى كلها فقد اشتهرت بامر من هما اتساع تجارة الكويت ونسكة الجهرة . فجاء في الاول البرهان على مقدرته التجارية ، وجاء في الثاني الدليل على ضعفه في سياسة البلاد .

اما التجارة فقد كان الشيخ سالم رغم الاتفاق بين انكثرة والكويت ، يسمح

السيرة
١٥٨

السيرة

بدخول البضائع التي كانت تصدر من بلاده الى الاتراك في العراق وفي سورية .
فاتعت لذلك التجارة بالرغم عن مأمور الحصار الذي عينته الحكومة البريطانية
للمراقبة في الكويت ، وبالرغم عن المال الذي كانت تدفعه لرؤساء العشائر مثل
ضاري بن طوالة وغيره ليصادروا القوافل في بادية العراق والشام .

كان الشيخ سالم خشن البادرة ، صعب المراس ، متصلب الرأي ، فلا
ينصح ولا يعتدل . وكان فوق ذلك شديد النزعة في الدين ابي انه كان يكره
الروهابين والاخوان ولا ينقي . فادت هذه الخصال فيه الى خلاف بينه وبين
سلطان نجد . وكان الخلاف سبب التكة التي اثمرت اليها . ذلك ان بضعة
الاف من الاخوان هجموا على الجهرة ، فذبحوا مئات من اهلها وقتل منهم
مئات ، وحاصروا الشيخ سالم في قصره هناك فلم ينجح الا بجيلة احتال
عليهم بها (١) .

تدخل الانكليز فردوا الاخوان عن الكويت . ثم تدخل الشيخ خزعل
فارسل احد انجاله مع الشيخ احمد الجابر الذي اتدب ليفاوض السلطات
عبد العزيز بالصلح فساعدتهم بالمفاوضات الاقدار ، اذ بينما كانوا في الرياض في
شتاء ١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م توفي الشيخ سالم وانتخب الشيخ احمد الجابر خلفاً له .
ان الوراثة او الانتخاب في آل صباح يكون غالباً باتفاق بين الامرة
والحكومة البريطانية . على ان مباركاً رشح ابنه جابراً لولاية العهد دون ان
يستشير الانكليز . ثم تولى سالم الحكم لانه يلي جابراً في السن ، ولم يخل انتخابه
من تدخل الوكيل السياسي ولو في سبيل التحقيق . فقد سأل اعضاء الامرة
والمتوجهين من الاهالي اذا كانوا راضين بالشيخ سالم فاجابوا بالايجاب .
اما اذا كانت تدخل الوكيل السياسي في الكويت لا يتجاوز المراقبة
والاستشارة فهو في غيره من الاقطار العربية ، كما سترى ايها القارىء في البحرين ،
بتجاوزها ، اذا اقتضت السياسة والمصلحة ، الى ما فيه الامر والارهاب .

(١) راجع تاريخ نجد الحديث ، الفصل الثلاثين ، الاخوان في الكويت .

امراء الكويت من آل صباح

- ١ - صباح الاول . حكم في القرن الثاني عشر للهجرة والمرجح انه توفي سنة ١١٩٠
- ٢ - عبدالله الاول خلف صباحاً . توفي سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٣ - جابر بن عبدالله (جابر الاول) تولى الحكم سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٤ - صباح بن جابر (صباح الثاني) = = سنة ١٢٧٦ هـ .
- ٥ - عبدالله بن صباح (عبدالله الثاني) = = سنة ١٢٨٣ هـ .
- ٦ - محمد بن صباح = = سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٧ - مبارك بن صباح = = سنة ١٣١٣ هـ .
- ٨ - جابر بن مبارك (جابر الثاني) = = سنة ١٣٣٤ هـ .
- ٩ - سالم بن مبارك = = سنة ١٣٣٥ هـ .
- ١٠ - احمد بن جابر الحاكم الحالي = = سنة ١٣٣٩ هـ .

الفصل الثالث

مشكل الكويت

معمل الشراع — مصمم السفن — العمال والنوتيون يشتغلون — سفن التجارة والنوس — اللؤلؤ — مدينة تجارية — المسابرة — اهل نجد — التجار والبدو — امانة الاعرابي — المسابرة في نظر السلطان عبد العزيز — جبارك نجد — اهل نجد يمتنعون عن المسابرة — المسابرة في نظر المسابرين — طلب سلطان نجد يرفضه حاكم الكويت — الحق مع الكويت — كتاب الى السلطان عبد العزيز اقترح فيه طريقة للنسوية — وفد الكويت في الرياض — كتاب من السلطان « مثله الكويت تحمل قريباً حسب رغائب الجميع » .

من رواق القصر نشرف على مشهد من مشاهد العمل في الكويت . فان في ساحته الفسيحة المرتكز بها العلم الاحمر وقد كتب عليه « الكويت » نجد دائماً عدداً من الناس جالسين على الارض حول شراع مبسوط . وغالباً نجد ثلاثة او اربعة اشعة كبيرة والى كل منها عشرة ونيف من النوتيين يشتغلون فيها ، يخيطنون جديداً او يصلحون قديماً منها . هوذا معمل الشراع الذي يعيش في ظله اكثر ابناء الكويت .

ودون الساحة اذا ما مررنا النظر في السيف امامنا نرى السفن والادقال وقد اكتظ واشتبك بعضها ببعض ، وفيها العمال يصلحون قديماً او يدقون^(١) سفينة جديدة . هناك مصنع السفن التي تبحر في الخليج وتوصل حبل التجارة بين الهند والعراق ، وبين الاسا كل العربية والفارسية ، فترسو حيث لا تستطيع المراكب التجارية ، وتحمل الصادرات والوردات من شاطئ الى آخر باجور لا يستطيع البخار ان يجاري الشراع بها .

ان سفن الكويت ومراكبها مشهورة بحسن شكلها وجودة صنعها . وهي على انواع ، منها للعبور والتنزه ، ومنها للحمولة ، ومنها للغوص . الكبيرة مثل البوم

(١) دق السفينة بناها في اصطلاحهم او استاجر من يبنها .

والجلبوت تصنع بالخشب المقأفط^(١) المطلي بالفار ، ثم تغشى بالواح من الساج ، وتنقش عرشتها من الخارج نقشاً انيقاً لطيفاً . اما اليوم التي تدعى ايضاً البغلة فهي اكبر السفن واجملها وابعدها ابجراً ، فلا يقل طولها عن الثلاثين ذراعاً وعرضها الاعلى يتراوح بين الثانية والعشرة الاذرع ، ومحمولها مثنا طن ، وهي تصل في اسفارها حتى الى جزائر مدغسكر وزنجبار .

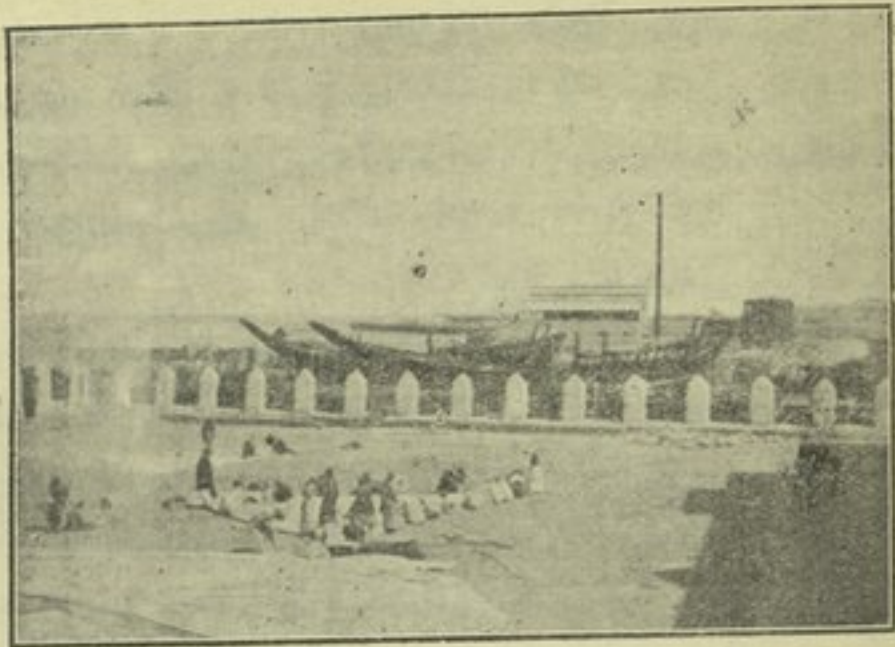
بيد ان اكثر السفن والمراكب التي نراها في الكويت تستخدم لاستخراج اللؤلؤ في موسم الغوص ، وللتجارة بين الهند والعراق . فتخرج من الكويت غالباً فارغة وتعود ملاًى اليها . ذلك لان الكويت مدينة من مدن اللؤلؤ على الخليج ، وقلم يقرن اللؤلؤ بمصدر آخر من مصادر الثروة . هذا ما لها تشتري به ما يلزمها من ضرورات المعيشة ونوافلها . ليس في بر الكويت غير المغالي ، وليس فيها او في جوارها شيء ، يذكر من النخيل ، فهي تضطر ان تجلب حتى التمر من البصرة او من القطيف .

ولكن عندها كما قلت اللؤلؤ الذي تزيد قيمته على قيمة ما تحتاج اليه من ما كول وملبوس ، فتشتري بالزيادة للتجار . وعندها السفن تحمل الى تجارها ما يشاؤون من البنادر القصية ، فضلاً عن البواخر التي تجيبهم بالاحمال الكبيرة من الهند .

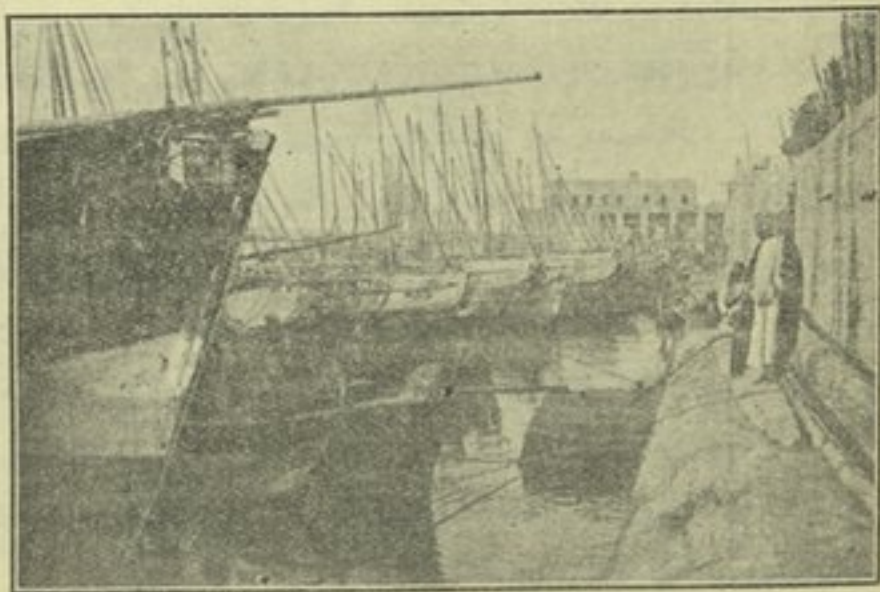
الكويت اذن مدينة تجارية . بل هي مثل جيزان او ميدي على البحر الاحمر ، وان كانت تزيد عليها في عدد السكان عشرة اضعاف ، اذ لا تقوم تجارتها وتنمو بين فيها فقط . فلو اتكلت الكويت على سكانها وعلى العشائر في باديتها لما كانت تجارتها ربع ما هي او بالحري ربع ما كانت منذ سنتين . اما السبب في سوء حالها في السنتين الاخيرتين^(٢) فاذا سألت عنه التجار هناك يجيبونك بكلمة واحدة : المسألة .

(١) قلفط السفينة او جلفطها هو ان يدخل بين مسامير الالواح وخروزها مشاة الكتان وقد غمست بالزيت والفار .

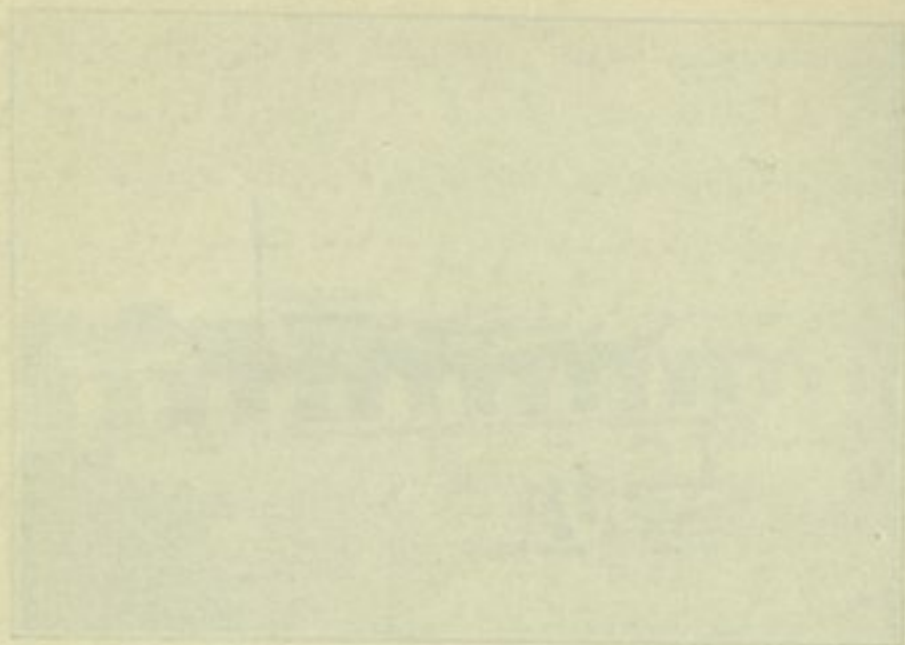
(٢) كانت الواردات والصادرات في السنين الماضية تتراوح بين الخمسة والستة الف روية كل سنة . اما في السنتين الاخيرتين فهي تقدر بثلاثمائة الف روية سنوياً .



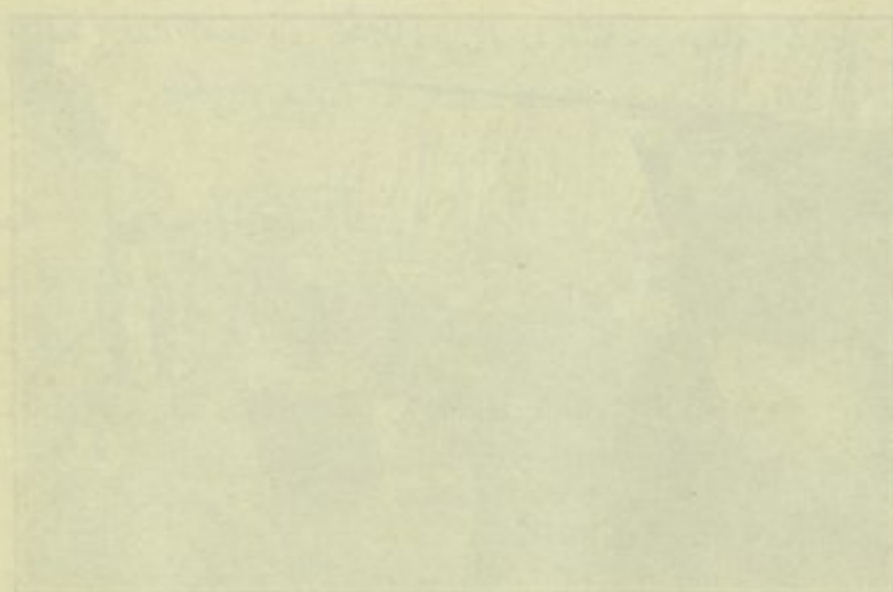
نوتيون يخيظون الشراع في الكويت



مصنع السفن في الكويت



فما كان في سائر ما في هذا من الحرف فغير ان يقرأ من غير
السر والسر في الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف
في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف



في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف
في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف
في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف في هذا الحرف

وما هي المسابلة؟ سأكفيك مؤونة التفتيش في القاموس فقد لا تجدها فيه .
المسابلة هي ان يجيىء العرب الى المدينة فيسابلون تجارها اي يشترون منهم نسبة
ما يحتاجون اليه من ملبوس وما كول . وغالباً يجيئون في الصيف فيشترون ما
يلزمهم في فصل الشتاء كله ، ويدفعون ثمنه بعد ان « يصلحوا » مواشيهم اى
يرتعوها ويستثمروها في اواخر الربيع .

اما اكثر من يجيئون الى الكويت للمسابلة فهم من نجد من رعايا ابن سعود .
يجيئونها ويفضلونها على البصرة والزيبر لاسباب ثلاثة . اولاً لانها اقرب . ثانياً
لانهم يجدون في اسواقها دائماً ما يحتاجون اليه . ثالثاً لان تجارها يتساهلون معهم فلا
ينقضونهم دفع ما عليهم ولو مر على الدين سنتان وثلاث . وهم مع ذلك قلما يخسرون .
واية ضمانه يقدمها البدوي للتاجر؟ قسمه بالله . فهو اذا غاب عشر سنين وعاد
الى الكويت ، وليس معه غير جملة ، يجيىء به الى التاجر قائلاً : هذا حلالك .
واذا مات الاعرابي قبل ان يفي ما عليه ، وكان قد نما ماله اي مواشيه ، يجيىء
احد ابنايه او انسبائه بما يكفي منها لتسديد الدين او بعضه ، فيقدمه للتاجر
قائلاً : هذا حلالك من فلان . ترحم عليه . هي ذمة الاعرابي !

ان رغبة تجار الكويت في المسابلة اذن لمثل رغبة اهل نجد بل هي اشد لان
عرب نجد كما اشرت هم مصدر تجارهم الأهم . وهم يستطيعون ان يتساهلوا بدفع المال
اكثر من سواهم لان رأسمالهم اكبر ، بسبب مدخول الكويت الاخر من تجارة اللؤلؤ .
هذه هي احدى وجهات المسابلة . وهناك وجهة اخرى هي وجهة السلطان
عبد العزيز . ان لسلطنة نجد جمارك ثلاثة في العقير والقطيف وجبيل ، فهو
لذلك يفضل ان يجلب اهل نجد بضائعهم من احدى هذه الاساكل النجدية في
الاحساء ، او ان يسابلوا فيها خصوصاً في القطيف . على انه ليس في القطيف
تجار ذوو يسار فيستطيعون ان يعاملوا النجدي كما يعامله تاجر الكويت . والسلطان
عبد العزيز يدرك ذلك .

ومع ذلك فقد نهى رعاياه منذ سنتين عن المسابلة في الكويت فانتهوا ،
فتأثر التجار من ذلك وشرع الشيخ احمد بفاوض في القضية الرياض . اما

موقف عظيمة السلطان فهو ان رعاياه يشترون من الكويت ويعودون بما يشترون الى نجد دون ان يدفعوا عليه رسماً ما . فكأنهم في هذه الطريقة يهربون الابضعة ليتخلصوا من دفع الرسوم الجمركية . وبما انه لا يستطيع ان يؤسس الجمارك في البادية على حدود نجد والكويت المترامية الاطراف ، وبما ان لسلطنة نجد ميئناً فيها جمارك فقد اصدر امره ان تكون المسابلة في احدها وحقه في ذلك بين لا مقاطعة فيه . لان المقاطعة تكون بين شعبين متعادين ولا عداء اليوم بين الكويت ونجد . ولكن هناك وجهة اخرى لهذه القضية وهي وجهة اهل نجد وخصوصاً البدو الذين لا يستطيعون ان يدفعوا نقداً ثمن ما يشترون كما هي الحال غالباً اذا جاؤوا القظيف للمسابلة . فهم مثل التجار متأثرون ، وبما ان السلطان عبد العزيز يهتم بشؤون البدو اهتماماً خاصاً ويكره الجور والارهاق فقد اقترح اكراماً للفريقين المسابلين ، النجديين والتجار الكويتيين ، ان يعين في الكويت وكلاء له يجمعون رسماً على كل ما يشتره اهل نجد فيدفعونه قبل ان يخرجوا بابضعتهم من المدينة . وطلب ان يكون هذا الرسم سبعة بالمئة . فرفض سمو الشيخ احمد الطلب محتجاً بحق السيادة التي لقطر الكويت المستقل ، اذ ان مثل هذا العمل يحجف بها ، ولا يكون الا اذا اكرهت الكويت عليه فيعد اذ ذلك ضرباً من الاحتلال . هو مصيب في احتجاجه بحق برفضه . ولحسن الحظ ان السلطان عبد العزيز والشيخ احمد متحابان متواليان فلا يتخذ الواحد منهما خطوة تؤدي الى تراخي العلاقات الولاية واقطاعها .

لذلك بعث السلطان الى الشيخ يقول : نحن لا نقيم احداً من قبلنا عندكم ولكننا نوكلكم في الامر ، فتعينون من قبلكم من يجمع الرسم المطلوب من اهل نجد المسابلين ، فترسلونه الينا كل ثلاثة اشهر او كل ستة اشهر او كل سنة مرة كما تشاؤون . ولكن الاكثرية في آل صباح لا يقبلون حتى بمثل هذه النسوية لانهم كما قال احدهم ليسوا جباة خراج لسلطان نجد .

كانت المفاوضات قد وصلت الى هذا الحد عند ما وصلت الى الكويت ، وكان سمو الشيخ احمد على شيء من القلق لتعمد القضية ثانية بين هو يعالجها بالتؤدة

والحكمة . فخطر لي بعد ان مررت بقسم من الارض في تلك النواحي وعرفت الحقيقة الاولى التي تتعلق بالاسفار هناك ، وبعد ان درست المسئلة ورأيت ان ما يطلبه عظمة السلطان عبد العزيز من حكومة الكويت هو في الحقيقة مجحف باستقلالها ، ان اكتب اليه كتاباً اقترح فيه حلاً للمشكل قد يرضي الطرفين .

اما الحقيقة التي تتعلق بالاسفار والتي لا ينكرها العارفون بتلك البلاد فهي ان القوافل الخارجة من الكويت لا تسير الا في طرق معلومة ، غرباً كانت ام جنوباً ، فتمر بما معلوم لتستقي قبل ان تدخل المفاذات . نأما ان تسير عن طريق الجهرة مثلاً اذا كانت مسافرة الى القصيم ، واما عن طريق الصبيحية اذا كانت وجهتها الحسا . وهناك طريق اخرى تمر بخبرة الدويش . ان حدود الكويت ونجد تنتهي الى هذه الاماكن الثلاثة او في جوارها .

فكثبت الى عظمة السلطان افصح عن رأيي في المسئلة واطلب منه ان ينازل لا عن الطاب بالرسوم بل بجمع الرسوم في نفس مدينة الكويت واقترحت عليه ، حباً بحفظ الصداقة بينه وبين آل صباح ، ان يقيم ثلاث نقط جمركية في الاماكن المذكورة اعلاه او قريبا فيتمكن ولا شك من تحصيل الرسوم على البضاعة التي تدخل من الكويت الى سلطنة نجد . ان هذا العمل لا يكلف غير الخيام ورواتب ستة موظفين وبعض النجابة .

ويظهر ان المسألة دخلت بعدئذ في طور جديد لان سمو الشيخ احمد باتفاق مع الاهالي بعث ابن عمه حضرة الشيخ عبد الله السالم الى السلطان عبد العزيز يحمل منه كتاباً يفصح عن خالص الولاء والاکرام ومعه هدايا كبيرة من الارز والسكر والبن . فخرج السلطان بمباشيته لاستقبال الشيخ عبد الله خارج الرياض واركبه معه في السيارة وانزله في القصر ضيفاً كريماً مبعجلاً . فاقام هناك بضعة ايام وعاد الى الكويت مسروراً جداً ، يحمل الهدايا الثمينة وشيئاً مما اشتهر به عظمة السلطان من تلك الصراحة المقرونة باللطف والاکرام .

وقد جاءني من عظمته كتاب يقول فيه جواباً على اقتراحي : اما مسئلتنا مع الكويت فهذه تحل قريباً حسب رغائب الجميع وعلى احسن ما يكون ان شاء الله .

الفصل الرابع

الشيخ احمد الجابر آل صباح

الرجل المسالم - القوة المدخرة في اللين - الشيخ احمد في انكسرة - اعجابه
بالمدينة الغربية . اما رجال حكومتها ! - مداراته للانكسار - استشارة لا امتثال -
امتياز البترول - الشركة التي يفضلها - يحترم رأي الغير - حكمة كل يوم -
الكويت بين شاقوتين - اصحاب الدسائس - الحاكم الحكيم - خطة اللين
والمسألة - نروة الكويت الحقيقية - المدارس - النهضة الادبية - ادباء
الكويت وسفنها - رسل العلم والتهذيب .

لو كان غير الشيخ احمد حاكماً في الازمة الاقتصادية التي سبق الكلام
عليها لما سلم الامر من حادث عدائي بين البلادين نجد والكويت . ولو حدث هذا
الحادث لما اختلف اثنان في نتيجته . فالفضل اذاً في سلامة الكويت وان كان
على ضيق وشدة هو للشيخ احمد ، ذلك الرجل المسالم ، اللين الجانب ، الدمث
الاخلاق . ولكنه في لينه بل في المعروف والحسنى يصل الى حدٍ يساء في الحاكم
فهمه . فهو اذا مال الى السلم والولاء ، او الى المهادنة والوفاق ، لا يشفع ميله
بتلك الكلمة التي فيها العزم الرابض او القوة المدخرة . وقد يألف العزم
الربوض فيتعسر انهاضه ، وقد تهين القوة من الادخار الدائم . الحكيم اذن من
مرن قواه حتى الحيوانية المحضة واستخدمها من حين الى حين . وما يصح في
الرجل الحكيم يصح في الحكومات .

الشيخ احمد مثل الشيخ خزعل ومثل الملك فيصل معجب بالمدينة الغربية
وبرجالها . وهو من امراء العرب الذين لبوا دعوة جلالة الملك جورج الخامس
بعد الحرب العظمى ليزوروا انكسرة ، فنزل هناك ضيفاً على الحكومة ، وساح في
تلك البلاد ، وشاهد من مظاهر الرقي وال عمران المادية والادبية ، من مناجم
الفحم الى المتحف البريطاني ، ما لا يزال يلهج بذكره ويود لو كان للعرب جزء
يسير منه . ولو لم يكن حاكم الكويت وكانت تلك الرحلة دليله الوحيد الى

المدينة الغربية لاخذ منه الاعجاب كل مأخذ فتغيب عنه الحقيقة كلها او القسم
الامم فيها .

ولكنه ، وهو حاكم عربي ، يشاهد احياناً في رجال تلك المدينة ، خصوصاً
رجال الحكومة منهم ، ما لا تجيزه احكامها ولا تبرره دائماً مبادئها . فالوكيل
السياسي الانكليزي مثلاً صاحب مصلحة مثل غيره من الناس شرفيين كانوا او
غربيين . هو لا يختلف عنهم بغير الوساطة ، والاسلوب ، والعدة العقلية او
المادية . متى كان قريباً من امير عربي ، وله بالدنو منه ومن شؤونه بعض الحق ،
يود الامير احياناً لو لم يكن الرجل متمدناً او من امة متمدنة فيعامله اذ ذلك كما
يعامل البدو ، بالحسنى اولا والا فبالصميل .

الشيخ احمد الجابر آل صباح يداري الانكليز ولا يمانعهم منه . يابن
لوكيل بريطانيا العظمى في الكويت ولا ينكسر . قد يستشير ويقبل رأيه في
ما يراه نافعا لبلاده او معززا لسياسته ، ولكنه لا يأتمر بأمره . مثال ذلك ان
حكومة بريطانيا العظمى رغبت الى الشيخ احمد ان يمنح شركة الزيت في
عبّادان امتيازاً في الكويت فابى ذلك لانه بفضل ان يمنح الامتياز شركة اخرى
انكليزية مستقلة عن الحكومة ولا دخل لها بالسياسة ، وشروطها احسن جداً من
شروط شركة عبّادان .

وهو في سلوكه مع رعاياه وامرته مثله في سلوكه مع الانكليز . يستشيرهم
ويتفاوض معهم ، ولا يتبع دائماً الرأي العام . ولكنه لا يزيغ ما لا يريد ولا
ينعي على الناس اراءهم . لكل كلام مقام ، اي ان حكمة كل يوم هي حكمته .
وكثيراً ما يكون الرجل العادي في كرمي الحكم انقع لامته وبلاده من الرجل
الشاذ الشديد المراس .

لا ينتظر من الشيخ احمد وخصوصاً في هذه الايام ان يخرج بعشائه
فيحارب مثل جده مبارك امراء العرب ويدخل البلدان فاتحاً منصوراً . واليك
الاسباب . اولاً لان الشيخ احمد وان كان يحمل السيف هو اميل الى البراع واحب
شيء اليه السلم والاداب . ثانياً لان عشائه وهي قليلة لا تمكنه لو قال : السيف

من ان يقول كذلك : النصر . قد تلبيه فتغلب فتقلب عليه . ثالثاً لان الاحوال اليوم هي غيرها منذ خمس عشرة سنة ، فالكويت التي لعبت بولاة الدولة في الشمال ، وحاربت امراء العرب ومشايخ القبائل في القصيم والاحساء ، اصبحت اليوم بين امتين متحدتين ، وقوتين قاهرتين ، وحكومتين طامعتين بالاستيلاء . ان الكويت بين نجد والعراق لمثل فتاة بين عاشقين ، وكلاهما يبغيها .

حدثني احد رجال الحكومة في بغداد قال : الكويت جزء من العراق واهلها يفضلون الانضمام اليها . اراد بذلك ان الكويت تفضل العراق على نجد اذا كان من ضم وانضمام . فلو لم يكن الشيخ احمد كما وصفت ، لكان ظفر اصحاب الدسائس بما يبغيون ، لان الذين يغرون العشائر خارج هذا القطر فيهبجون عليه او على عشائره ، لا يرومون من ذلك غير احداث ذاك الحادث الذي قد يكون فيه خاتمة استقلال الكويت الاداري .

والشيخ احمد مدرك ذلك ، فلا يذهب مع التيار ولا يستسلم الى الهياج العام . فهو اذا هجمت عربان نجد او العراق على عشيرة من عشائر الكويت او على المدينة ، وقام الاهالي يستنفرون بعضهم بعضاً ، يقف وقد تسليح بالحكمة والعزم في وجههم فيصدمهم ويسكن روعهم . مثال ذلك هجوم ابن حثلين شيخ مشايخ العجمان في هذه السنة فبادر اهل الكويت الى السلاح فصددهم الشيخ احمد ورددهم قائلاً : لنفاوض اولاً ابن سعود هو صديقنا . والذي اظنه انه غير راض عن هذا الاعتداء . فاذعن الناس له وففاوض السلطان عبد العزيز فجاء منه الجواب يقول انه متأسف جداً لما حدث وانه مستعد ان يعرض على الكويت كل ضرر .

قد يختلف الناس في هذه الخطة السياسية ، خطة اللين والمسألة . وفي الكويت من لا يستحسنها . بيد انهم يتيقنون اذا ما ذكروا سياسة سلف الشيخ احمد ونكبة الجهرة ، ان في دار الحكم اليوم رجلاً اقل ما يقال فيه انه محافظ على سلامة الكويت واستقلالها .

ومهما كان من امر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية فات فيها غير

التجارة ثروةً وغير اللؤلؤ كنزاً . فيها ذكاء وجرأة وادب شاهدت منه نماذج جميلة في الحفلات التي اقيمت هناك وفي المجالس .

ومها كان من منزلة الشيخ احمد في السياسة فانه في المساعي الادبية المذكور وان لم يكن من الجميع مشكوراً . وسيعرف عهده بعهد النهضة الادبية التي تشرف العالمين في سبيلها . اجل ان في الكويت نهضة ادبية لها ركنان ، المكتبة الاهلية هناك والمدارس اليومية والليلية ، وهي تتغذى فوق ذلك بما نشره الاداب العصرية والعلوم الكونية في سورية ومصر . ثم تبت روحها في الربوع التي لا تصل اليها الجريدة والمجلة ، ولا ينفع فيها الكتاب لان ليس فيها اليوم مدارس . اجل ، كما ان سفن الكويت الشراعية تصل الى الاسا كل التي لا تدنو منها البواخر الكبيرة ، فكذلك ادباء الكويت في اختلاطهم مع البدو واسفارهم في داخل البلاد العربية يستطيعون ان ينشروا روح العلم والتهذيب ، وروح القومية السليمة العامة ، في العشائر والبوادي وفي المدن الكبيرة دون الدهناء والتفود .

الفصل الخامس

الشيخ خزعل

قل من لا يعرفه - قل من يعرفه - ثروته وكرمه وادبه - ذوقه الشامل -
 الفوائمي - الشعراء - الاجبار - اجل ازاهر الكرم فيه - الكنيسة ومحفل
 الماسون والراقصة - التساهل في غير القبيح الذميم - ولا يأنف من اللعب -
 ولا يروعه تمدد الذناء في الحرير - « من هي امك يا وليد؟ » - الزواج
 السياسي - جاء في الكامل للبرد - ناشين من الملوك - ومن بابا رومه -
 ومن الفيلسوف ايكوروس والصوفي ابن العربي - لماذا ترددت في زيارته -
 كتابي اليه - جوابه - اجتماعنا - حديث عن اطباء الاسنان - وعن
 الاخوان - القهوة في مجالس آل صباح - بلية العالم - الرجوع الى الارض
 بعد الموت - متى يجب ان يرجم الشيخ خزعل .

هو سمو السردار اقدس ، معز السلطنة ، الشيخ خزعل خان بن نصرت
 الملك الحاج جابر خان الجاسبي المحمدي الكعبي العامري ، امير نويان وسردار
 عربستان ، ومؤلف كتاب الرياض الخزعلية في السياسة الانسانية . قل من لا
 يعرفه من قراء الصحف العربية باسمه ولقبه الاولين في الاقل . وقل من
 يعرفه معرفة حقيقية . فهو من امراء العرب وان كان يحكم ولاية من ولايات
 الدولة الايرانية . بل هو اكبرهم بعد الملك حسين سناً ، واسبقهم الى الشهرة ،
 وقرين اعظمهم في الكرم . هذا ما يعرفه اكثر العارفين ببعض البلاد العربية
 وامراتها .

اما ما يجمله اكثر الناس خارج الكويت والبصرة فهو ان هذا الامير العربي
 من طراز الامراء في عهد العباسيين . اعني بذلك انه غني حكيم كريم معاً . فهو
 برمكي في كرمه ، وفي ذوقه ، وفي ادبه . يحب اللهو والغناء حبه الادب والشعراء .
 بل يميل الى كل ما فيه شيء من اسباب السرور كلها ، العقلية والاجتماعية
 والجسدية . وان كلمة فالها معاوية : الدنيا بخذافيرها ، انخفض والدعه . لتصح ان
 تكون من كئانه .

اجل ، ان للشيخ خزعل ذوقاً انسانياً شاملاً فلا ينفر من غير القبيح والذميم في الحياة ، ولا يعرف في مكارمه التفضيل والتعيز . تجي . المغنية من حلب او الشام الى الحمرة وهي لا تملك غير خلخالها فتقيم عدة اشهر في القصر وتعود غنية مثقلة بالحلي . ويجي . الادباء الشعراء وفي جيوبهم قصائد المديح فيعودون من الحمرة وفي جيوبهم اكياس من المال . ويجي . حبر من احبار المسيحيين فينزل على سمو السردار ضيفاً كريماً محترماً ويعود مصحوباً بالهدايا الثمينة . ثم يجي . المبشر بالمسونية فيحل محل الاسقف في القصر الخزعلي ويعود بعد اقامة سعيدة كما عاد المحترم قبله .

ان من اجل ازاهر الكرم في هذا العربي تساهله وهو شيخي المذهب . فهو يساعد في بناء كنيسة في بلاده منكوبي الكلدان ، ويساعد في تأسيس محفل للباسون ، ويفتح خزنته لراقصة او مغنية كما يفتحها لاولي البر والاحسان من الطوائف كلها جمعاء . وهو على مقامه بل بالرغم من مقامه يميل دائماً الى ما فيه هو او تسلية او فكاهة . فاذا ما اتابه الضجر في القصر ، وكان قصر الضيافة فارغاً ، ولم يكن ليرغب في زيارة البصرة ليشراف طاولة « البوكر » فيها ، يتادي اولاده قائلاً : يا وُلد الخير تعالوا . الاتلعبون . فيجي . السردار ارفع او السردار اجل او السردار جامم او نصره الملك او كلهم اجمعون ، فيجلسون مع عظمة الوالد الى تلك الطاولة الخضراء العزيزة الشأن حتى في الحمرة والبصرة . والشيخ خزعل من امراء العرب المحافظين على تقاليد الاجداد في التعريس ، ولا سيما شريعة المتعة عند الشيعة تساعده في ذلك . فقد قيل لي ان له اكثر من ستين امرأة وانك قلما يعرف اولادهن . كثيراً ما يجيئه احد اولئك الصغار فيسأله قائلاً : ومن هي امك يا وليد ؟ ثم اذا ناواه احد مشايخ القبائل وهم بالخروج عليه ، وكانت له بنت سالحة للنكاح ، يزوره السردار اقدس ويشرفه بالمصاهرة ، فتخدم فيه في الحال جذوة التمرد والعصيان . سألت عن سمو الشيخ وانا في البصرة فقيل لي هو متغيب اليوم . فقلت : واين هو ؟ فقال محدثي : راح يتزوج . وهو لا يزال على سنه الذي يتجاوز الستين اهلاً لمثل هذه المهات .

جاء في الكامل للمبرد ان انعم الناس عيشاً من عاش غيره في عيشه . ولا
اظن الشيخ خزعل يحتاج الى شهادة المبرد وشهادتي في انه يعتقد بهذه الحكمة
ويعمل بها . فهو اذا لبس ثوبه الرسمي في صفته السياسية يحمل على صدره
شهادات من ملوك الارض وفيها وسام القديس غريغوريوس من البابا بنادبكتوس
الخامس عشر بابا رومه . وبين تلك الاوسمة والنياشين كلها ارى وسامين لا
يراهما كل الناس بل لا يراهما غير من نظر الى هذا الرجل بعين الشعر والفلسفة .
فهو في صفته الانسانية يحمل وساماً من الفيلسوف اليوناني ابيكوريوس واخر من
الحكيم الالهى الصوفي محيي الدين ابن العربي .

ادين بدين الحب كيف توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني^(١)

هوذا الامير العربي الذي كنت متردداً في زيارته بالمحبرة . وقد ترددت
لسببين ، اولهما لان المتأدبين يؤمنون تلك السدة الشريفة وفي جيوبهم قصائد
المدح الطنانة ، ولست لسؤ الحظ ممن يحسنون النظم ولا المدح الرسمي . وثانيها
انه حاكم بلاد اطلق عليها العرب في الماضي اسم الاهواز وهي اليوم عربستان من
اعمال فارس . على ان رغبتني في الاجتماع بامير عرفته من اخباره انه فيلسوف
الامراء ، بل فيلسوف الحياة العملية ، كادت تتغلب على اسباب التردد كلها ،
فوطنت النفس على ان اعرج على المحبرة في عودتي الى البصرة . ولكن نقادير
الخبر امرضتني فجمعتني بالدكتور ريجان الذي بشرني بوجود سمو الشيخ في

(١) جاء خطأ في الطبعة الاولى ان هذا البيت للشريف الرضي ، وكنت قد نقلت
في الجزء الاول بيتاً له مغلوطاً . فصحح العالم النجفي البتتين باللهجة التي صحح بها ما كتبه
عن صاحب الزمان . (راجع الجزء الاول صفحة ١٢٦) قال نفعنا الله بعله وتسخطه .

« لعل السائح العربي لما أحس بجنابته على الشريف الرضي ما رضي الا ان يتداركها
فنسب اليه في مقام آخر شعراً ليس هو من شعره ، فصارت الجنابة بالبتين والسبئية
ببتين » .

فهل تظن ان الشريف الرضي يرضى من الوجهة البيانية ، بان تحيي السبئية بد
الجنابة . وهلا تظنه ينفو من الوجهة الاخلاقية ، عن الجنابي عليه اذا كان ذلك في سبيل
الحب . واني في هذا السبيل كذلك اشكر للعالم النجفي اهتمامه بكتاب « الملوك » وبساجبه .

المكوت (١) .

فبادرت الى القلم والورق اكتب اليه كلمة استأذنه بالزيارة ، فوقف القلم في رأس الصفحة البيضاء جامحاً . كيف احبي هذا الامير وهو كثير الالتساب والزب والاوسسة ؟ بل كيف احبي من يتحدث الناس من عرب وعجم وافرنج عن مكارم اخلاقه وغرر ايديه ؟ هل احذو حذو الادياء فانظم الاسجاع ، في من كرمه كالمسك ضواع ، ومتفق عليه بالاجماع ؟ قد يظنها قصيدة مدح مني فيعاملني بما يوجبه شرع المحمرة . لذلك طرحت الرسميات جانباً وكتبت الى مولاي الشيخ خزعل كلمة سلام مقرونة بالاجلال والاكرام ، فجاءني منه الجواب الاتي :

اسعد الله اوقاتك

ايها الفيلسوف المكرم ، حياك الله وابقاك ، وحفظك ونجارك ، واني مشتاق الى لقيائك . فيجب ان ازورك قبل ان تزورني لان لكل قادم حق الزيارة وقد سبقتني بالجميل في كتابك الكريم ، فاشكر ذاك الذوق السليم . واني صباحاً ان شاء الله ازورك في محل الجميع واحظى بنور تلك الطلعة واختم كتابي بالدعاء لكم بالتوفيق والسلام عليكم .

المحب لكم

خزعل

وكان اجتماعنا الاول في « محل الجميع » اي عند سمو شيخ احمد في الجناح الجنوبي من القصر في الصاعة المفروشة بالفرش الاوروبي .
الشيخ خزعل في العقد السادس من العمر وهو ، بالرغم عن الطيبين في معيته ،

(١) كان الشيخ مبارك آل صباح والشيخ خزعل صديقين حميمين يتزاوران دائماً فتوقفا الى فكرة جيلة يخلدان بها تلك الصداقة الجميلة . وكان في وسعهما تحقيقها فحققاها ؛ فبنى الشيخ خزعل للشيخ مبارك قصرأ في المحمرة وبني الشيخ مبارك للشيخ خزعل قصرأ في الكويت . ولكنه كان الى جانب قصره في المدينة فبنى بعدئذ الشيخ خزعل قصرأ خارج السور يقيم فيه بعض اشهر الشتاء . وهناك اليوم قصرأ للشيخ احمد آل صباح مجهز بالكهرباء والتلفون ومفروش بالفاخر من الرياش .

على جانب متين من الصحة والعافية . الا انه كان يشكو يومئذ من اسنانه ومن
الطبيين معاً .

— سمعت الناس يشكرون اطباء الاسنان في اميركة . وقد قال لنا احد
افاضل الاميركيين ان اطباء الاسنان هناك وباعة الخيل وممارسة البورص من
طبقة واحدة . فلم تفهم كلامه فهل لك ان تشرحه لنا .

فقلت : اما باعة الخيل فالمشهور من امرهم يا مولاي هو انهم مثل ما يبيعون
المعاليق في حماة فينفخونها قبل ان يزونها . اما ممارسة البورص فلهم اسم آخر في
اميركة فيه اظن الشرح الذي تبغيه . فهم كما يدعونهم هناك اصحاب الدلو الفارغ .
اي انهم يتاجرون بلاشيء ، بالهواء . فيبيعون زبائنهم ما لا يملكون من الاسهم .
وكذلك الزبائن يبيعون ويشتررون . هو ضرب من لعب القمار ، يكثر فيه ما هو
محض شر من الامرار .

— واين وجه الشبه بينهم وبين طبيب الاسنان .

— وجه الشبه في المبدأ يا مولاي — المبدأ واحد هو الوهم والاحتراف به هو
الهواء في المعاليق ، وهو الدلو الفارغ او الهواء في الدلو . فاذا رحت الى طبيب
اسنان تشكو من وجع في ضرس واحد يقول لك بعد الفحص انك جبار لانك
لا تشكو الا من ضرس واحد ، وان بقية اضراسك في حالة مفعجة ، فيقتنعك بما
أوتي من علم ان معالجتها كلها لازمة ولو اقتضى ذلك شهراً من العمل . والا فتسمي
بعد اشهر وليس في فمك سن واحد .

فقال الشيخ خزعل : قد اخطأ الاميركيون اذن . فلو كان هذا الرجل عندنا
لعددناه من النشالين ؟ فضحك الشيخ احمد وقال : بنشل ما في الفم وما في الكيس .
فقال الشيخ خزعل : والحمد لله ان اطباءنا سوريون .

قد كان في معية سمو الشيخ طبيب آخر سوري هو الدكتور رامي . ولكن
الطبيين على ما علمت قلما يصفان من العقاقير غير المنادمة . وهما الصيدليات
كذلك ، فيمزجونها لسيدهم في السمور وحول الغطاء الاخضر المشهور .
جاء الخادم بالقهوة . فعلمت ان مجلس حاكم الكويت الرسمي يختلف عن

بجلسه العام بامرین . الاول ان المجلس الرسمي المفروش بالرياش الفاخر لا يحضره غير افراد من حاشيته وامرته . والمجلس العام المفروش بالوسائد والمسائد يحضره من يشاء من الناس ، فيجلس في المكان الذي يليق به ولا يتعداه . اما الفرق الآخر فهو في تقديم القهوة . في المجلس الرسمي لا يصيح الخدم ويردد بعضهم صدء بعض . وفي المجلس العام بل في مجالس آل صباح اجمالاً اذا ما امر الشيخ بالقهوة بصيح الخدام في الباب : اقهوه . فيهتف الخدام الواقف في الفناء : اي والله اقهوه ! فيسمعه الخدام الجالس عند باب المطبخ فيصيح كذلك : اقهوه ! فيؤمن راعي المعامل على الصياحين اجمعين مردداً كلمة السر : اي والله اقهوه . فتجيء القهوة في الحال ، وان كان المطبخ على نصف ساعة من المجلس .

انقلنا في الحديث من الاسنان الى الاخوان فقال الشيخ احمد : التعصب

بليّة العرب .

وقال الشيخ خزعل : بل بليّة العالم . ولو كان لي ان ارجع بعد الموت الى

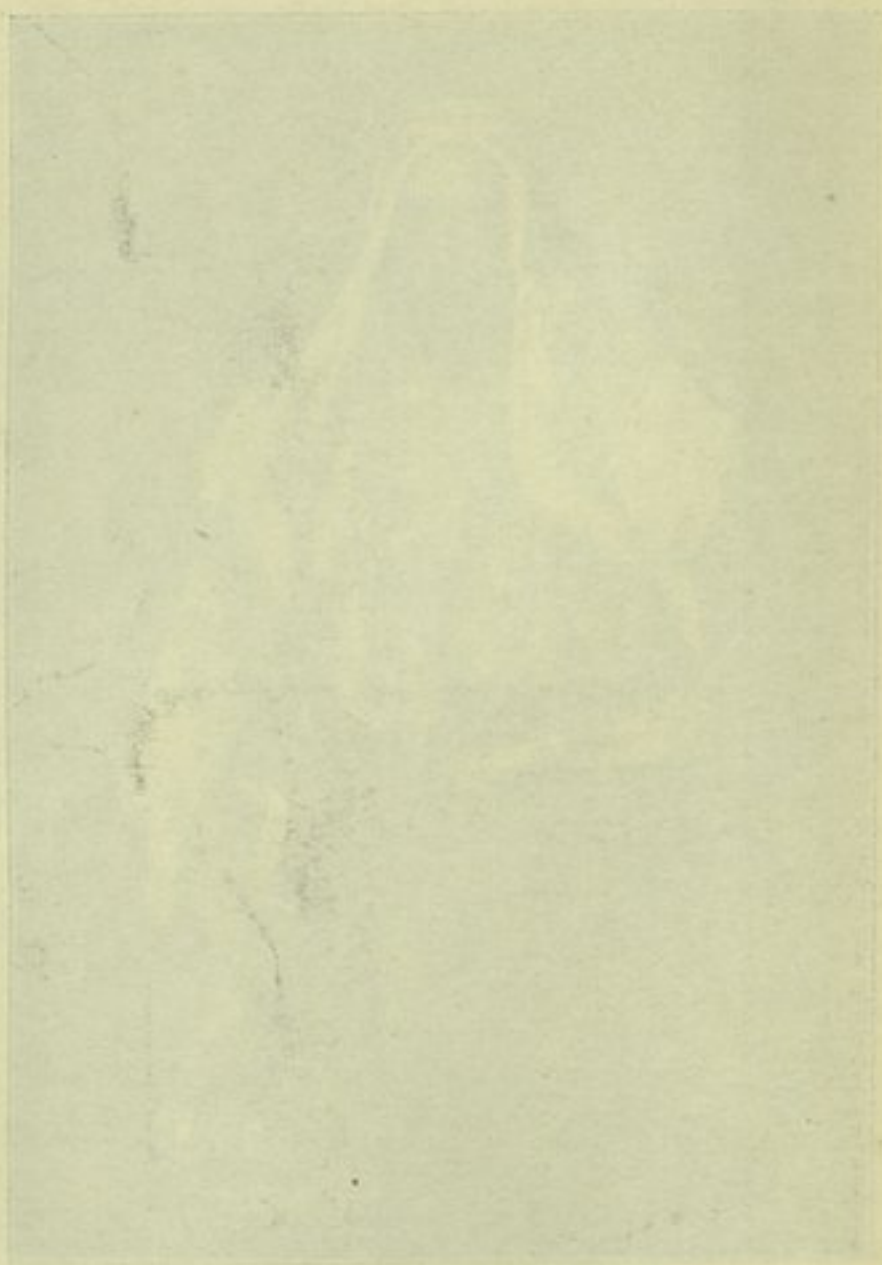
هذه الارض لما احببت ان يكون ذلك الا عندما تصبح ولا اثر فيها للتعصب

الديني . الانسان اخو الانسان احب ام كره .^(١)

(١) اسلفت القول ان المعبرة وما يليها اي عربستان هي من اعمال فارس ، وكان الشيخ خزعل يحكمها حكماً مطلقاً وقلما كان يؤدي الى الحكومة الايرانية السابقة حساباً . اما بعد الاقلاب ، او بالحرري عندما كان رضا خان مسيطراً على الجيش والامة وقبل ان توج شاهاً ، قامت الحكومة الجديدة تحاسب الشيخ خزعل فكانت نتيجة الحساب انه اعتقل واخذ اسيراً الى طهران حيث هو الان .



المقياس النسبي انش ١ = ٦١ ميل



Handwritten text in a cursive script, likely in Urdu or Persian, located below the watermark. The text is faint and difficult to read, but appears to be a single line of writing.



الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

في حيا

القسم الرابع

آل خليفة

شيوخ البحرين

البحرين

مردودها : هي جزيرة مستطيلة في خليج فارس وبضع جزر صغيرة اهمها اثنتان الواحدة شرقاً من المنامة وهي المحرق والثانية غرباً منها وهي البديع . وهذه الجزر قريبة من الخط الواحد والخمسين من العرض الشرقي ويشطرها الخط السادس والعشرين من الطول الشمالي .

مناخها : اربعمئة وخمسون ميلاً مربعاً .

عدد سكانها : مئتا الف نفس .

اهم بلدانها : المنامة والمحرق والرفاع والحمد والبديع .

مذاهبها : السنة من المذاهب الاربعة ، والشيعية من الجعفرين والاممائيين ، ثم الوهابية . وفيها عدد كبير من الهندوس والفرس وبعض اليهود والنصارى .

الفصل الاول

سلسلة من المدهشات

جهلي البحرين - قصور المنامة - الاشرعة والالوان - اسواق المنامة -
تجارها وتجاريتها - النهضة الادبية - الرسالة الاميركية - المستشفى الاميركي -
التبشير لا يفيد - حير الحسا وأثن البحرين - « ما السبب في جملها؟ » - نطمعها
السك والتمر - « دبابه المستر فورد لا تستطيع ان تباري الحمير - ساعة الزجر
هي ساعة التشمير - في مجلس الشيخ عيسى في المحرق - ذنبي في تناول القهوة -
ذنبي في الحديث - في بيت الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة شيخ الادباء والشعراء
في البحرين - حدثنا الشيخ ابراهيم عن جمال الدين الاقناني - ومجلة سر كيس
والمقنطف - اداب السلوك عند العرب - المأذبة والحفلة - كتاب من الشيخ
ابراهيم - بعض اقوال الادباء - نهضة البحرين السياسية .

ما اخطأت الظن مرة ببلاد عربية مثل خطأي بالبحرين . وما دهشت
في قطر من الاقطار التي زرتها دهشتي اول - يوم في هذه الجزيرة في خليج
فارس . ولا غرو فالجهل يحسم الدهشات . قال احد الاصدقاء في الحجاز ، وهو
يصف لي الطريق الى نجد : ستسافر من بياي الى البحرين ومنها في مركب
شراعي الى العقير . فظننت البحرين جزيرة صغيرة حقيرة بأوي اليها الصيادون ،
وظننت شيوخها من العرب الذين يسكنون الخيام . بل كنت حتى عند وصولي
اظنها معبراً الى الاحساء . وماذا ينفع التظاهر بالعلم اذا فضحك اول عمل بعد
الكلام بل اول كلمة بعد السلام ؟ اما واني اناقت الادعاء فلا احاول اخفاء
جهلي وهو جهل عام يكاد يشمل كل ادباء العرب خارج شبه الجزيرة . اني
اعترف عني وعنهم اذن ، وها اني بعد ان تعلمت وكنت في ما تعلمت سعيداً
اشار بهم في التعمتين .

اول ما يدهش الغريب عند وصوله الى البحرين ، خصوصاً اذا كان
قادماً من البحر الاحمر ، عمران مدينة المنامة وقصورها المشرفة على البحر . ثم

المراكب الشراعية « الجلايت »^(١) التي تشق من مياه الخليج ازرقافاً لا صفاء بعد صفائه . ولا حفيف الطف من حفيف هواء الخليج وهو بداعب الشراع ويهمس في اذن الصباح كلمات الامان والترحيب . انه لينطبع في تلك الاونة من اللونين ، لون الشراع ولون الماء ، صورة في الدهن هي كلوحة السينما في تغيرها المستمر وحركتها الدائمة . ذلك لان مياه البحرين قلما تخلو من « الجلايت » السارحة المارحة فيها على الدوام . اما البواخر فهي ترسو على اربعة او خمسة اميال من البر .

واذا ما السائح وطى . ارض الجزيرة وجلال في اسواقها تأخذه دهشة اخرى اذ يرى فيها للتجارة حركة لا ينبيء حتى ظاهرها بكل ما هناك . فهو يشاهد في المخازن من الملبوس والمأكول والمشروب ومن اسباب الزينة والترف ما يندر الا في المدن الكبيرة مثل بمباي والقاهرة . اما اذا دخل احد بيوتات التجارة فيستوقف نظره لاول وهلة الدفاتر الضخمة والكتاب . ها هنا وربك ادارة ونظام ، ودواوين يجلس عليها الزائرون لا الزبائن ، فيشربون القهوة ويدخنون . هو الشرق في مظهره القديم والحديث . وفي هذه البيوتات التجارية صناديق من حديد ، واكياس من النقود ، ذهباً وفضة ، ويريد تراعى اوقات سفره وقدمه ، وحسابات ومراسلات ، وليس فيها شيء من البضاعة ، وقلما يشاهد فيها غير حركة الكتاب وحركة الزائرين . اما السبب في ذلك فهو بعد ان تعلمه بسيط .

ان البحرين مثل الكويت محطة للتجارة بين الشرق وبين الشطر الشرقي من شبه الجزيرة . وبصح ان يقال فيها من هذا القبيل انها سوق من اسواق نجد ، لان قسماً كبيراً مما يدخل اليها من الهند وايران والعراق ومن اوروبا واميركة عن طريق الهند يباع في الاحساء وفي نجد . وانك لترى منه ايضاً في اسواق بريدة وعنيزة وحابل . بل يصل منه حتى الى اليمن وعسير والحجاز لان القوافل من تلك الافطار العربية تجيء عن طرق نجران وقلعة بيشه والخرمسة

(١) جم جليوت راجع الشرح في صفحة ٣١ من هذا الجزء .

الى الرياض والاحساء . تجي بين اليمن وجوبه وتعود حاملة من البضائع ما يدخل الى نجد عن طريق البحرين والكويت .

ولا تزال في سلسلة المدهشات . فان رابع ما بدهشك ، اذا كنت ممن يهتمهم الادب والشعر ، نهضة في البحرين اديبة اجتماعية مباركة . اجل ، ان في هذه الجزيرة من الادباء والشعراء عدداً ليس بقليل ، وذكاء ليس بضئيل . ان فيها نهضة تقارن اخواتها في الكويت وفي العراق ، وتقارنها روحاً وطموحاً على الاقل في سورية . مصر . كيف لا وهذا ناديا الادبي وفيه من المجالات العربية اكثرها واحسنها ، وهذه غرف القراءة وفيها من الكتب الحديثة والقديمة انفسها ، وهذه المدرسة الابتدائية وفيها يُعلم بعض العلوم التي لا تزال تُعد في اليمن مثلاً من بواعث الكفر والضلال . وفيها من المعلمين المصري والعراقي والنجدي . ان البحرين الامير الى نجد ! حبذا المعبر وما فيه من مدهشات التهذيب والعمران . واليك بخمسة منها . لست كما قد يعلم القارى ممن يعجبون بالمرسلين ويستحسنون التبشير بالاديان . ولكن في البحرين معهداً اميركياً ديني الاصل طبي وتهذيبي العمل^(١) وهو مؤلف من كنيسة يخدمها قسيس ، ومدرسة كانت يوم زرت الجزيرة مقفلة ، ومستشفى وصيدلية يديرهما طبيب فاضل وبعض السيدات اللواتي يساعدهن ويثمن عملاً لا قولاً روح التهذيب والارتقاء في زيارتهن اسيرات الحجاب والحريم .

ولكن هذه الرسالة الاميركية المؤسسة في البحرين والكويت والبصرة تستطيع ان تضاعف خيرها وتعممه لو اقلعت عن التبشير بالدين المسيحي وحصرت ما لديها من اسباب البر والحجى في الطبابة وفي التعليم المجرد من حب الهداية الروحية . ذلك لان المسلمين وخصوصاً العرب منهم راضون رضى عجيباً بدينهم ولا يرغبون في سواه بديلاً . واكثرهم لذلك يتعدون عن المدارس التي يديرها

(١) اي الرسالة العربية The Arabian Mission وهي تحت ادارة الرسالة الاجنبية للكنيسة البروتستانتية الهولندية في اميركة Board of Foreign Mission of the Dutch Reformed Church of America .

المرسلون . فلو فرضنا ان في مدرسة الكويت او البحرين ، وهي تجعل من دروسها التوراة ، عشرين تلميذاً فان هذا العدد يزداد اضعافاً اذا الغي التعليم الديني او قرئت التوراة في المدرسة كما يقرأ التاريخ . ان المرسلين انفسهم ليعلمون ذلك ، وهم في مدة خمسين سنة لم يتمكنوا من هداية خمسة من المسلمين ^(١) فما الفائدة من التبشير اذن ؟ جبذا مدارس اميركية لا مفرعات دينية فيها تهرب المسلمين منها .

عفواً ايها القارىء . ليس ما بدهش في الانتقاد ، ولكن المرسلين في ثباتهم العقيم مدهشون . فلا تزال اذاً في الموضوع . ومما ادهشني في اليوم الاول من اقامتي في البحرين - وليس فيما اقول غير الجذ والاعجاب - تلك الاتن البيضاء التي تفوق حسناً ونشاطاً حمير الحساء . ومعلوم - عند العرب - ان حمير الحساء احسن ما في العالم على الاطلاق . حمير الحساء ملوك الحمير . واتن البحرين اميرات الاتن . اما السبب في حسنها وسميتها وتقدمك ربلايتها ، وفي نشاطها المقرون بالحكمة ، فهو ان اهل البحرين يطعمونها السمك ثم يفكونها بالتمر . وهوذا مخزن السمك . لا تبادر الى التصليح ، ايها الاستاذ ، فالساحة لا تقيد المعنى . انما المخزن بعينه اريد . وكأنه مخزن قمح او شعير ، ترى فيه السمك الصغير الذي يصنعون منه السردين في اوروبة مراكوماً كركام الرمل . فهم يحففونه وبيعونه مثل القمح او الشعير بالاكياس .

اما « دبابية » المستر فورد الاميركاني التي تزعج السياح حتى في البادية وفي اقصى زوايا الارض الموحشة ، فهي اليوم من السمكالات في البحرين . ولكنها غداً تصبح من المبتذلات المجلجلات شأنها في كل مكان . فيلحق شرها بتلك الاتن الطاهرة العجيبة . الا ان في البحرين صعوبات في السفر لا يصلح

(١) « وكان الشيخ ينهض ويخرج من المجلس عندما أفتح موضوع الدين . فسألت السبب في ذلك فقبل لي انه خرج ليدخن . . . اما شيخ صور (صور بلدة على شاطئ عمان) فلم يكن يسمح بالمباحثات الدينية ولا الحديث عن الدين . وقد قال لي : هذه المباحث لا تفيدها ، فلا العرب يغيرون دينهم ولا اتم تغيرون دينكم » .

الدكتور فان بورسم في مجلة « البلاد العربية المنسية » عدد ١٢٢ سنة ١٩٢٢

لها آلة او انسان . جاء في ذات يوم بعض الادباء يدعونني لزيارة الشيوخ في المحرق^(١) وكانت ساعة الجزر فلم نستطع الوصول الى الجلبوت الذي كان في البحر الا اذا اخترقنا السبخة حفاة وخضنا المياه حتى الركاب . فركبنا الاتن الى الجلبوت وشكرنا الله ان في هذا المصهار لا تباري « الدبابة » الحمار .

ليس كل من يبحرون من المنامة والمحرق او اليهما يركبون الاتن ساعة الزجر ، بل ان اكثرهم رجالاً ونساء ، وقد شمروا عن السيقان وعمما فوقها في بعض الاحيان ، يخوضون المياه بين الشاطي ، والجلايت وهم يمزحون ويضحكون كأنهم يسبحون ويلعبون . لا اخن ان مشهداً من مشاهد الرقص في باريس او من مشاهد السباحة في مياه بيارتر في الصيف يضا في العري والبهاء هذا المشهد البحرافي وقد رُفِع ستاره للشمس والسما . بيد ان مسرحه مسرح الفطرة والسذاجة ، فلا سبيل للهمس ، ولا باب لماساء من الفكر والايام . واغرب ما فيه ان النساء المحجبات يشمرن كالرجال . لم املك مرة ان اظهرت دهشتي ، وبدي آلة التصوير ، اذ رأيت احدي النسوة تنزل من الجلبوت الى المياه وقد شمترت بكرم فضاح ، فقال رفيقي : شيء . ألوف . خذ صورتها ولا بأس ، فصورت آية النشور ، اما الوجه فمحذور .

نزلنا في المحرق ومرنا الى قصر الحاكم صاحب السمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ، فاذا في الزقاق الى اصل الحائط عدد من العربان عاقدون الحبة ، واذا في الفناء الكبير جمهور آخر لا يقل عن المئة جالسين على مجالس من اللبن والحجر كل يحمل سيفه او عصاه ، وقد خيم عليهم السكوت كأنهم الاصنام . مشيت في الفناء لا ادري أفي مجلس الحاكم انا او في معبر آخر اليه . ولما وصلت الى وسط تلك الساحة الرهيبة وقف احد الجالسين في الصدر ، وهو شيخ صغير القامة ، قصير اللحية ، طاعن في السن ، فنقدمت اليه وسلمت عليه ، فاجلسني على مجلس من الحجر الى يمينه . هو الشيخ عيسى بعينه . رحب بي ولامني لاني نزلت في المنامة ولم انزل في المحرق ضيفاً عليه .

(١) اي شيوخ آل خليفة وفي البحرين والكويت كما في نجد يطلقون الجمع على الحاكم .

ثم امر بالقهوة بخاءت في ابريق من النحاس كبير جميل ، يحمله رجل اسود عمليق ، لابس معطفاً احمر مزر كسفاً بالقصب ، يتبعه ولد في ثوب رسمي كذلك يحمل الفنجانين . وقف الاثنان امام سمو الشيخ وقوف الجندي امام القائد العام فسلا واليد على الرأس ، ثم اخذ صاحب الابريق فنجاناً من الولد فصب فيه وقدمه لمولاه ، ثم صب ثانية وقدم الفنجان للضيف فتناولته باليد اليسرى دون ان ادرك وقتئذٍ خطأي . لست ادري ما حل بي تلك الساعة فكنت في حديثي كما كنت في عملي متعتراً . قل هي سلسلة من المدهشات . وقد كنت هذه المرة مصدرها لا موضوع تأثيرها .

دُهِش الشيخ عيسى ولا ريب من فعلتي الاولى . وعند ما شرعت احده امام ذلك الجمع الصامت الساكن في موضوع رحلتي نظر الي وفيه شيء اشد من الدهش . وما كنت اذكر امراء العرب وحاجتهم الى التعارف والتفاهم حتى وثب عن المجلس ، فوقف الحضور كلهم مثله بغتة ، وتقدم مني بشيران اتبعه . مثبت وراه بصحبنا بعض حاشيته وانا بينهم مثل مذب يساق الى السجن . على ان سمو الشيخ ، عند ما صرنا في الشارع ، التفت الي وقال : هؤلاء العربان لا يفهمون ، ونحن لا نتكلم في السياسة امامهم . نمشي الى البيت فنتحدث هناك .

مشينا الى بيته الخاص فصعدنا الى غرفة فيه على السطح لا يدنو منها العربان ولا يصل اليها من الرقباء اذن او عين . وكان معنا حفيده الشيخ محمد بن عبدالله واثنان اخران من الامرة الشريفة . جلسنا وانا لا ازال الوم نفسي على ما بدا مني فقال سموه دون ان يقصر اللطف في لهجته : تكلم الان . فجمعت شتات الفكر وافضت في الموضوع وهو منصت بهز برأسه . ثم قال : العرب لا يتحدون . فقلت : وهل تلبون دعوة الملك حسين الى اجتماع يعقد في مكة من اجل البحث في شؤون العرب والاسلام ؟ فاجاب قائلاً : اذا لبي سلطان نجد الدعوة فنحن نلبيها .

وقفنا عند هذا الحد في السياسة ورحنا بعد ان ودعنا سموه نزور ابن عمه

الشيخ ابراهيم بن محمد المشهور الذي حكم الجزيرة عدة سنين وكان له والانكليز مواقع سياسية انتهت بنفيه وبوفاته في المنفى كما ساذكر فيما بعد . اما ابنه الشيخ ابراهيم فهو اشد ميلاً الى الادب والشعر منه الى السياسة . بل هو شيخ الادباء والشعراء في البحرين ، ومن خيرة رجالها . تلقى العلم في الحجاز من كبار العلماء وله المسام بجُلّ الفنون . هو رجل عصري في ارائه واحكامه ، يطالع المجالات العربية ، ويتبع الحركة الفكرية والادبية في العالم ، ويسعى ، وهو الرئيس الثاني لمجلس المدارس ، في تمهيد السبيل في البحرين الى بعض خيرها .

حدثنا الشيخ ابراهيم في مجلسه عن جمال الدين الافغاني الذي عرج مرة على البحرين قال : لم يكن في تلك الايام من يعرف لجمال الدين مقاماً ولا من يكثر به . حتى انه لم يجد في هذا البلد من يضيفه . هذا منذ ثلاثين سنة . اما اليوم فالفرق كبير بيننا وبينهم في ذلك الزمان . ترانا اليوم نرحب بالعلم ورجاله . وان ادباء البحرين يفتخرون بزيارة الاديب اللبناني الذي قال فيه
سر كيس . . .

ثم انتقل محدثي من مجلة سر كيس الى مجلة المقتطف والهلل ، فسر في ثناؤه على اصدقائي البعيدين كما سر في ما اخصني به لانه خلو من المبالغة والمجاملة . وما كدت اقول لنفسي ما احلاه حتى جاءت القهوة وجاءت معها كلمة استفهام طيبها التأنيب . قال الشيخ ابراهيم وانا امد يدي الى الساقى : وما السبب في تناولك فنجان القهوة في مجلس الشيوخ باليد اليسرى ؟ قد انتقدوا عليك ذلك . فقلت وانا صادق في عذري : ان في يدي اليمنى وجعاً عصبياً يضطرنى في بعض الاحيان الى استعمال اليد اليسرى . فقال فضيلة الشيخ : عذر مقبول وسنشره في البلد دفاعاً عنك ودفعاً في ما بعد للانتقاد . فقلت وعسى ان يعلن العذر بسرعة اعلان الذنب . فضحك فضيلته ومن في المجلس .

قد يدهش القارىء اهتمام عالم لمثل هذه الامور التافهة . ولكنها ليست بتافهة عند العرب ، وهم اشد شعوب الارض شغفاً بالرمميات . فانهم على اختلاف طبقاتهم يواظبون على اداب الجلوس في المجالس ، وعلى المائدة او الى السماط ،

مواظبة الطبقة العالية من الاوروبيين . فترى البدوي في مضربه مثل الامير في قصره يحافظ على المقامات ويرعى حقوقها ، كما انه يحافظ على العادات والتقاليد ويحسن التمييز في ادق خصائصها .

اما امتناع الشيخ ابراهيم عن مشاركة ادباء البحرين في الحفلة التي اقاموها للاديب اللبناني فلا اظنه من هذا الباب . فلو كان المقام السبب في الاجمام لما ترأس الحفلة الشيخ محمد حفيد الشيخ عيسى ولما حضرها غيره من الاسرة الشريفة . انما الحقيقة هي ان الشبان الذين اقاموا الحفلة ارادوا ان تنحصر بهم فلم يقدموا لها الشيوخ . وكنا قد اجتمعنا حلقة حول السماط في دار الشيخ ابراهيم العامرة كان هو فكرها اللامع ، فحدثنا في احوال البحرين وتاريخها حديثاً فيه لذة وفائدة . ثم شرفني بكلمة تفصح عن وطنية جلبابها الحكمة وتاجها العلم انقلها الى القارىء مثلاً من ثره وفضله :

حضرة الاستاذ الكريم .

دعاني لكتابة هذه السطور ، والدواعي حجة ، ما يدعو المشتاق لبث اشواق ، والرفيق للتحديث مع رفاق . ومجال القول في الشؤون الانسانية واسع كل يأخذ فيه بحسب امياله ، ومقتضى حاله . واهم ما يتحدث به الاخوان وان تناهت بينهم الاوطان ، هو ما يتواصلون به من رفع شأن امتهم بين الامم وتنبية اذهار خاصتهم الى مطالب عصرهم . واذا نظرنا الى ذلك بعين الاستحسان من وجه عام فلا شك اننا ننظر اليه بعين الوجوب من وجه خاص على من رزق من الاقتدار على الكتابة حظ وافر ، وتفرغ لها بعد ان خاض البحار والقفار ، وفاز بصحبته الكبار والصغار ، وحاز مزية الاختيار . وقدر له قبل ذلك ان يعيش في العالمين القديم والحديث ، ويرى مظاهر الحياة من الفريقين . فلا ريب انه يكون لكلامه التأثير التام في بني امته . فعسى ان لا يحرم ابناؤا الامة العربية

من اخيهم الامين ما يقوي نهضتهم من اختباراتهِ الثمينة ونصائحهِ المفيدة .
فالرائد لا يكذب اهله ، والفاضل لا يمنع فضله . من المخلص

ابراهيم بن محمد آل خليفة

الرائد لا يكذب اهله . ما اجملها كلمة من شيخ ادباء البحرين . وقد ردد
صداها الشبان ثراً ونظماً و اضافوا اليها كلمات فيها من الحماسة والصراحة ما يجدر
بالشباب . اني لا ازال اذكر من كلام الشيخ محمد رئيس النادي الادبي قوله :
احمل سلامنا الى جميع اخواننا الناطقين بالضاد وبلغهم اتنا قد اخذنا على عاتقنا
السعي في تحقيق امنيتنا وهو رفع شأن امتنا عن طريق العلم واتنا مستعدون
لمصافحة كل من يمد يده الينا للتعاون والتعاوض والتعارف والتواد .

والشيخ محمد هو ابن الشيخ عبد الله كبير انجال امير البحرين ، كبيرهم
عقلاً ووطنية وعزماً ، فلا يخلو كلامه من اشارة سياسية .

اما الصراحة كل الصراحة فما كفا . ان بين ادباء تلك الجزيرة العربية
الجميلة شاباً ورد ادبه بواسطة المجالات العربية الغرب والشرق فاستقى من
الموردين ، فصفت روحه واشتدت لهجته ، وما كان في الاثنتين غير صراحة
رائدها الصدق ودليلها الحصافة . هو عبدالله بن علي آل زايد ، سلك الكهرباء بين
الادباء . وكأني به يكمل كلام الرئيس في خطبته تلك الليلة اذ قال :

— قل للغربيين اني زرت مصر والحجاز واليمن والعراق ونجد والبحرين
فرايت في هاته الامصار شعوباً نقضت عنها غبار الكسل واستعدت للعمل ،
شعوباً تتوق الى مصالحتكم وانتم الاصدقاء والى مصادقتكم وانتم الزملاء .
ولكنها لا ترضى بحال من الاحوال ان تكونوا لها بمثابة الاسياد قل لهم ان
الشعب العربي هو استاذكم الاول ، ومعلمكم القديم ، فلا تقابلوا الاحسان
بالاساءة وتجعلوا ثواب ارشاده اطالة استعباده قوموا لم بمقام الناصح المحرر ،
لا الجبار المسيطر . دعوا الزمان الذي كيتفكم بكيتفه ، والعوامل التي اعدتكم
تعدّه

هذا من عبد الله بن علي ثر فيه صراحة ، فيها حقيقة ، فيها جرأة

واخلاص . وقد عم ذلك كله بقصيدة جاء فيها وهو يصف اهل الشرق :

غنيمهم بخيل والمداوي عليل والاجانب اولياء

نعم غنيمهم بخيل في المشاريع العامة التهذيبية والصحية ، والمداوي عليل بما في خروجه من عقاقير الخزعبلات والتقاليد السقيمة . فاذا ما اصبح الغني في ما ذكرت كرمياً ، والمداوي سليماً من مسموم الخرافات ، فتيقن يا اخي عبد الله بن علي بان الاجانب يصبحون اصدقاء وزملاء .

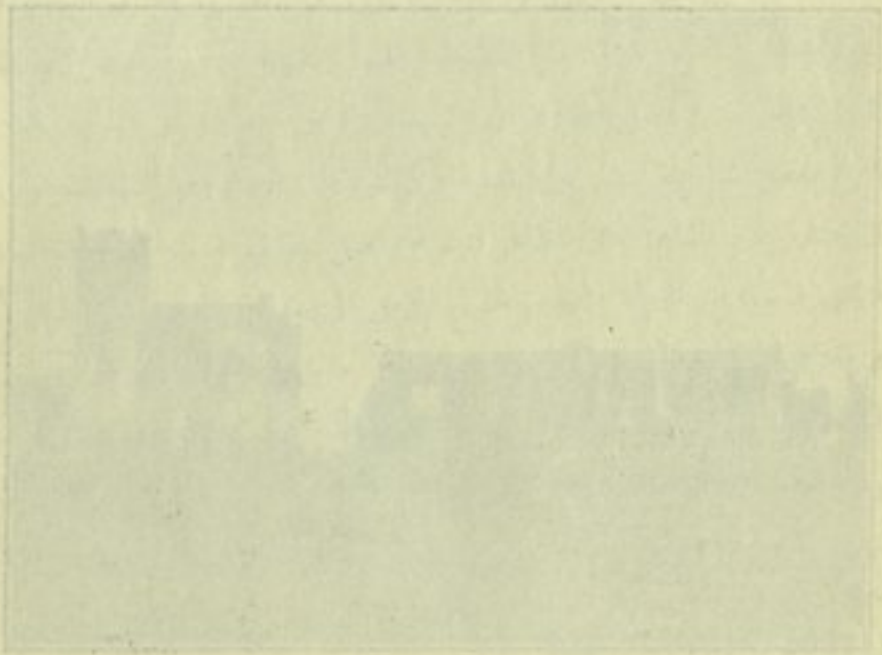
في البحرين اذن نهضة سياسية هي قرينة النهضة الادبية . اجل ، ان في البحرين من ينشدون الوحدة العربية ، وفي نادي البحرين من يرفعون النهضتين الى مستوى الفلسفة العالي ، ومستوى الانسانية الاعلى . فقد ادهشني ايضاً تلك الليلة اديب من ادباء الفرس ، والفرس مهد الفلسفة والحريّة الروحية ، في ذكره الشعراء الصنويين عمر الخيام وابي العلاء المعري . قال محمد صالح الخنجي : اني احب المعري والخيام واني شغف باشعارهما . وقد مررتي بنوع خاص ما بلغني من ميلك اليها وغرامك بافكارهما . . . ان البشر لم يزالوا كما كانوا في ما سلف من الزمان وكما وصفهم المعري والخيام . . . ان الاديان الخفيفة روحها واحد وانما تختلف الشرائع التي تتضمن احكام المرافعات وفصل الخصومات . . . فالاديان بروحها ومغزاها تدعو للاجتماع والاتحاد . . . الشرفيون كلهم عائلة واحدة . . . خلاصهم وسعادتهم في ان يسود النظام بينهم والوفاق والتضامن .

مرحى ، مرحى .

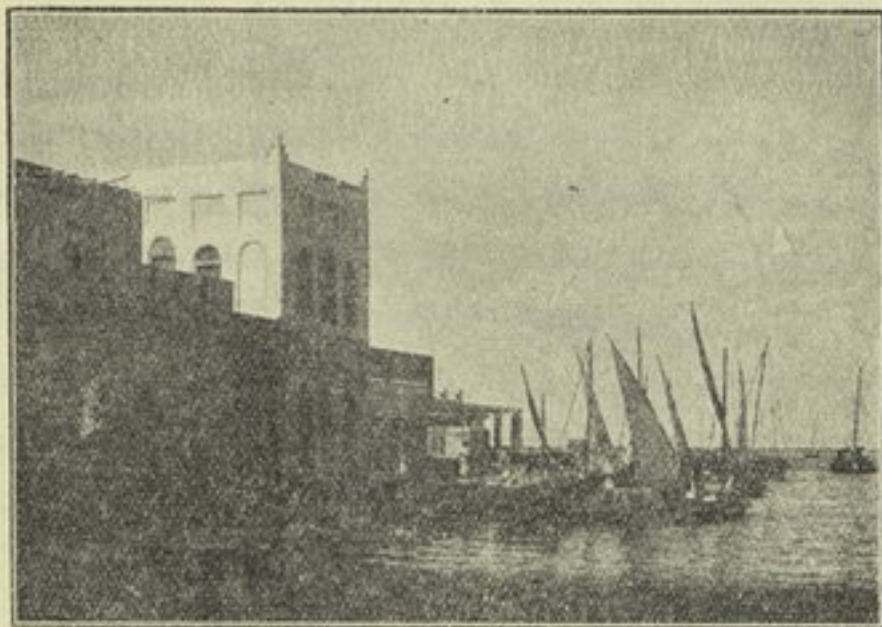
وها قد اطلعت القاريء بالقرائن والامثال على بعض ما يدهش في البحرين — وهناك مدهشات تاريخية وطبيعية سيجيء ذكرها — واسمعته في اصوات الادب والشعر شيئاً من الشكوى والائين . فينبغي لي ان اطلعه اذن على الاسباب . على ان البحث في احوال البحرين يجيء نافصاً اذا لم نتقدمه نبذة في تاريخ هذه الجزيرة وفي حالتها الطبيعية والاقتصادية .



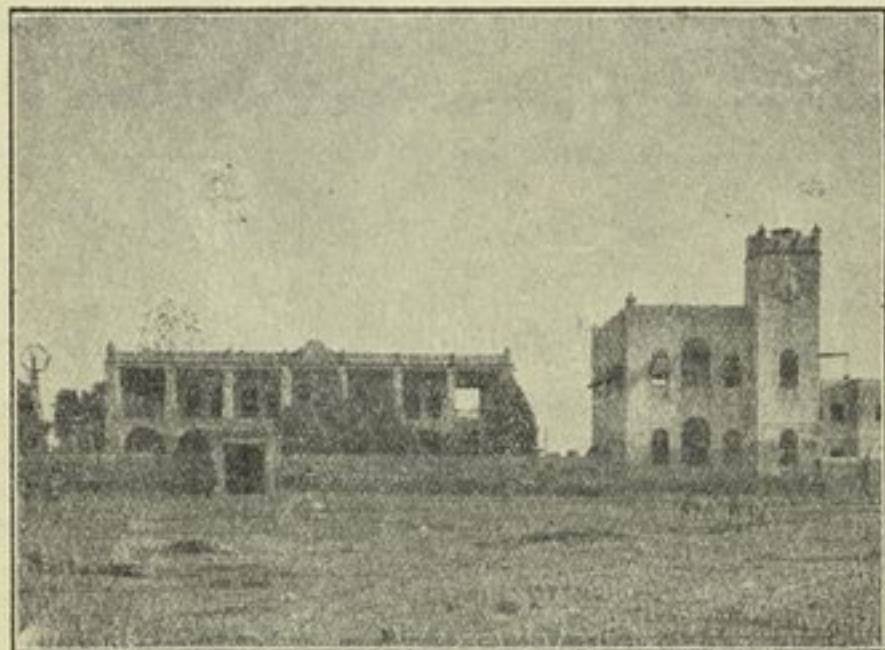
Handwritten text in Arabic script, likely a caption or description of the illustration above.



Handwritten text in Arabic script, likely a caption or description of the illustration above.



ميناء البحرين



بناية الرسالة الاميركية في البحرين

الفصل الثاني

مهد الحضارة والشراع

اصل الفينيقيين — شهادة التاريخ — مدافن البحرين — انار فينيقية —
 قائد من قواد الاسكندر بزور بلداً فينيقياً في خليج العجم — صور وجبيل
 هناك — العرب والفينيقيون من اصل واحد — عشاق اليم واسياد الشراع —
 — التجارة الجديدة — لؤلؤ البحرين — كمية ما يستخرج من الخليج — ما
 هي اللؤلؤة — كيف تنشأ في المعار — رأي العلماء ورأي القزويني — القوس
 والقبص — اصطلاحات هذه الحرفة — كيف يقسم مجموع اللؤلؤ بعد القوس —
 تجار اللؤلؤ — اخطار القوس — الدؤل — السبب في حسن لؤلؤ البحرين —
 عجائب العاطية وعجائب القزويني — الماء العذب تحت الماء المالح — تحدر
 الارض من نجد الى الاحساء — اهل البحرين يشربون من مياه العارض واليهامة.

قال بعض المؤرخين ان خليج العجم هو مهد الحضارة بل مهد الجنس البشري
 وان سكانه الاقدمين اي سكان الجزر فيه هم اول من رفعوا شراعاً في البحار ،
 وافتحموا اخطار الاسفار ، فمارسوا الملاحة واقتنوا علمها ، وكانوا الصلة العاملة
 بين الشرق والغرب . وقال آخرون ان الفينيقيين هم من هذه الديار العربية .
 فقد جاء في بعض كتابات المصر بين القديمة ذكر البُنْط Pount وهو اسم الفينيقيين
 قبل ان يحتلوا بلاد الشام . « والظاهر انهم من اصل عربي فقد نقلت التقاليد
 القديمة انهم ظعنوا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر المتوسط »^(١)
 و جاء في التاريخ القديم تأليف رولنسون الانكليزي الذي يسند كلامه الى
 اصح النقات مثل هيرودوط واسترابون : ان اقدم الدول الاسيوية تأسست عند
 فم الخليج العجمي^(٢) ناهيك بالاثريين الذين يقولون ان القرنة اي البلدة
 الكائنة على ملتقى دجلة والفرات اليوم هي المكان السعيد العالمي الذي سقط منه

(١) لغة العرب الجزء الثاني صفحة ٢٧٠

(٢) موجز التاريخ القديم تأليف جورج رولنسون صفحة ٢٨ و ٢٨ Ancient History
 by George Rawlinson

الابوان الكريمان — هي جنة عدن ، او كانت . ولا تزال شجرة الخبير والشمر قائمة فيها — ومشجرة — حتى اليوم .

ان علماء التاريخ وعلماء الآثار اذن متفقون مع الانبياء . على انه مهما كان امر الاساطير وبعدها عن الحقائق الطبيعية والتاريخية ، او قربها من تلك الحقائق ، فمن المعقول ان الفينيقيين ، وهم من الشعوب الشرقية السامية ومن رجال البحار الاولين ، نشأوا في جوار الخليج او فيه ، وكانت اسفارهم في البداية بين الهند والشام ومصر ، ثم ظعنوا الى سواحل سورية وخاضوا البحر الابيض ، فوصلوا الى قادش وبلاد الغال ، واصبحوا في تلك الايام الصلة التجارية الوحيدة بين الشرق والغرب الاقصى .

ومما قاله رولنسون انهم كانوا يسافرون من ارواد بيلوس براً الى الخليج العجمي فيبحرون منه الى الهند وسيلان ، ثم يعودون وهم يحملون الذهب من اوفير^(١) كأنهم بعد ظعنهم غرباً الى سورية كانوا يعودون الى بلاد هي بلادهم وقد توارثوا علومها مع علم الملاحة بعضهم عن بعض . ولا عجب اذا كان الخليج وجواره منشأ الفينيقيين ومطلع انوار المدنية الاولى ، فان ابنا هذه الربوع هم الذين مصرروا ارض الكلدانيين وشيدوا قصور بابل وآشور .

من المؤرخين من يقول ان الصينيين كذلك نشأوا في جوار الخليج وظعنوا شرقاً الى البلاد التي هي اليوم بلادهم . ولكننا وان عدنا مع علماء التاريخ خمسة آلاف سنة فلا يلزم ، وموضوعنا البحرين ، ان نعود الى الاساطير قبل ذلك العهد او بعده . ان في جزيرة البحرين نفسها ما ثبت رأي رولنسون ، بل رأي هرودوت واسترابون ، في اصل الفينيقيين . ان في الجزيرة اثراً تاريخياً قديماً لم يكشف بعد كل مره .

ركبتنا ذات يوم السيارة ومسرنا من المنامة جنوباً فمررنا بارض ظل نخيلها

(١) اوفير هي البلاد الشرقية التي اشتهرت قديماً بكثرة نضارها . وقد اختلف المؤرخون في موقعها فمنهم من قال انها كانت على الشاطئ الهندي قبالة عمان ومنهم من قال انها في افريقية الشرقية .

خليل ومياهها الجارية في القني غزيرة ، ثم بخرائب قديمة عربية ، ثم بغابات وآكام افضت بنا الى ارض نقفر تارة وطوراً تزدهي اخضراراً ، حتى اذا اجتزنا بضعة اميال وصلنا الى قرية علي ، فانكشف امامنا مشهد غريب عجيب خصوصاً وهو في جزيرة صغيرة مجهولة كالبحرين . تلال او اطلال تظنها لاول وهلة اثار مدينة قديمة . ولكنها آكام هرمية اصطناعية قائمة في سهل فسيح بل في قفر سبب بين المتنامة والرفاع يدعى المراقيب .

هي مدافن البحرين وقد نبت فيها العوسج والقيصوم . هي مدينة الاموات في كف الزمان ، وفيها احياء كالمدينة متفرقة متعددة . وفي كل حيّ مئات من القبور . مدينة دارسة لا يعرف لها تاريخ . كأن سكانها خلقوا وماتوا قبل ان يكتشف الانسان للقراءة سماً وللكتابة سماراً .

صعدنا الى رأس اكمة علوها زهاء خمسين قدماً ثم نزلنا الى جهة منها فيها اثر البناء — باب كبير وعضادة ونصف عضادة وعتبة امست اسكفة تحت الاقدام . دخلنا فاذا نحن في بيت فيه غرفتان بنيتا بالحجارة الضخمة الواحدة فوق الاخرى . ويظهر ان الاموات كانوا يدفنون في هذه الغرف واقفين او جالسين . او ان هذه القبور العالية كانت لامراء الجزيرة واعيانها . هي تختلف علواً ولكنها لا تنقص عن الثلاثين ولا تزيد على الخمسين قدماً . ولكن شكل الغرف والمعابر فيها واحد لا يتغير وكلها في جوار قرية علي . اما المقبرة الفسيحة الارجاء ، المقبرة العامة على ما اظن ، فهي تمتد بعيداً في جهتي الشرق والجنوب ، وفيها من القبور ما يزيد على الستة الاف قبر يتراوح علوها بين الخمسة والعشرة اقدام . هي من اكبر مدافن الشرق ولا يبعد ان تكون اقدمها عهداً .

ومع ذلك لم يهتم لها علماء الآثار والتاريخ اهتمامهم لغيرها . وقد يكون السبب في ذلك نحول ذكر الجزيرة عند عامة الناس وبعدها عن جادات السياح المألوفة . بيد ان رجلاً انكليزياً اسمه دوران^(١) جاء الى البحرين سنة ١٨٧٩ م وكان

اول من فتح مدفناً من تلك المدافن على ما اعلم وباشر الحفر والتنقيب ، فوجد هناك مع عظام الانسان قطعاً من عظام الخيل ، وشققاً من الفخار ، وآنية من العاج ، وسجقاً وستائر بالية ، واخشاباً نخرها السوس والديدان . الا انه لم يذكر انه عثر على كتابة او صورة محفورة في تلك القبور .

ثم جاء في سنة ١٨٨٩ سائح انكليزي اخر هو تيودور بنت^(١) وامعن بالتحري والتنقيب ، فعثر على اثار صناعية بعث بشي . منها الى المتحف البريطاني ، فدرستها لجنة المتحف وقالت انها فينيقية الاصل . فاثبتت في ذلك رأي المؤرخ رولفسون الذي مر ذكره ، واثبتت ضمناً ان هذه القبور قديمة جداً لان هجرة الفينيقيين من هذه الجزيرة الى البحر المتوسط هو منذ خمسة الاف سنة كما يرثي المؤرخ رولفسون . ان هناك دليلاً آخر على قدم عهد هذه المدافن وهو ان لا اثر فيها على اهميتها للكتابة او للتصوير الرمزي .

ان في التاريخ القديم برهاناً آخر على فينيقية البحرين . فقد كتب احد القواد المقدونيين عندما جاء الى خليج العجم من قبل الاسكندر مستقصياً طريق الهند انه زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج ، ثم جزيرة تدعى نيرين ، وهي على ما يظهر دارين العرب ، ولا تزال قريتها اليوم اسكنا بحرية تدعى جبيل . وادهش من ذلك ان على شاطئ عمان الشرقي بلدة كبيرة اسمها صور ، سكانها عشرة الاف واكثرهم نوتيون ، عندهم مئة سفينة كبيرة والفان من السفن الصغيرة تسافر الى الهند والبصرة وبورت سعيد . وصور هذه من المدن القديمة ، وقد كانت في الماضي ، مثل صور الشهيرة على البحر المتوسط ، محطة تجارية بين الهند وبلاد بابل .

هاك ادلة التاريخ والاثار والديار التي لا تزال عامرة على ارض الفينيقيين ظعنوا من خليج العجم بل من بلاد العرب الشرقية الى البحر المتوسط . واذا كان يريب القاري شي من ذلك فلا مجال على ما اظن للريب في احد امرين : اما ان الفينيقيين من اصل عربي ، وهم مثل العرب ساميون ، واما ان العرب

Theodore Bent (١)

من اصل فينيقي . فاذا صحت رواية رولنسون ثبتت القضية الاولى واذا صحت رواية قائد الاسكندر ثبتت القضية الثانية . اما اذا كان لا ريب في الروايتين فنشأ الفينيقيين ومعادهم كلاهما في هذه الجزر وهذا الساحل العربي من الخليج . ولا فرق عندي في كل حال اذا كان العرب الاصل او الفرع . فاذا كانوا الاصل فمرحبا بالفينيقيين ابنائهم ، واذا كانوا الفرع فمرحبا بالمتحدرين من الفينيقيين . لست من الذين يتلذذون بتعليل النور ، وتحليل روائح البخور . وان ما اتيقنه هو ان بين الشعبين العربي والفينيقي صلة جوهرية قد لا ترى ولكنها لا تنكر . بل هي ترى في سنة الوراثة وادلة الحياة في الحال . اليها اذن اعود بالقارى .

ان اهل البحرين مثل اهل الكويت بل مثل كل العرب الساكنين على سواحل الخليج لا يزالون من عشاق اليم واسياد الشراع . بل هم اليوم الملاحون السائدون في الخليج وفي البحر الاحمر ، هذا اذا استثنينا السفن البخارية . اجل ، ان العرب اليوم مثل الفينيقيين قديماً قابضون على زمام الملاحة ، رافعون فوق ساري الجدة علم الشجاعة والاقدام . الا انهم اكتشفوا من مصادر الرزق والثروة غير نقل الابضعة والمتاجرة في الامصار البعيدة . فقد اعتاضوا عن التنك والزجاج بالخفيف النفيس ، باثمن ما يستخرج من اعماق البحار .

لا اعرف من تاريخ اللؤلؤ غير شي من حياته الطبيعية . اما اكتشافه واول من تاجر به من الرجال ، واول من خدع به امرأة ، واول من تحلى به من النساء فتلك امور اجملها . وقد يكون فائني ما قاله المؤرخون في اول من فتح صدفة واستخرج الدر منها ، وما قاله الاثريون والروائيون في اول من صاغها واستغوى الغواني بها . قد جاء في التاريخ القديم ذكر ذهب اوفير ولم يذكر على حد علمي لؤلؤ خليج العجم الذي هو مهد الحضارة والشراع ومهد تلك الصدفة التي يكمن فيها المال والجمال .

ان اللؤلؤ مصدر الثروة الاكبر في البحرين واشهر ما اشتهرت به الجزيرة فقد

قدر ما يخرج منها سنوياً بثلاثين مليون روية اي مليونين ليرة انكليزية^(١) وقد اجمع الاخصائيون ان مغاص البحرين هو اكبر مغاص في العالم مثلما اجمع الصاغة ان لؤلؤ البحرين يفوق صفاً وحسناً سائر اللآلي . لا بأس اذن ونحن في الموضوع من الامام بسيرة هذه المخلوقة العزيزة الغالية . وان ما اورده الان هو من كتب العلم والخبراء لا من دواوين الشعر والشعراء .

اللؤلؤة بنت الحمار ، بيتها الصدفة ، وبيت الصدفة البحر على الدوام لولا يد الانسان . اما الحمار فعرب البحر الاحمر يقسمونه الى قسمين ، الصدف وهو الكبير الذي ينذر اللؤلؤ فيه والبأبيل اي صغير الصدف منبت اللآلي . فاذا ما استخرجوا الدرّة من البلبيل يرمون بصدفتها ولكنهم يحتفظون بالصدف الكبير فيتجرون به . وقد قيل لي ان قيمة ما بصدّر من الصدف واللؤلؤ من البحر الاحمر لا تتجاوز المليون روية لان مغاص اللؤلؤ فيه قليلة صغيرة .

اما قصة الصدفة فما كفا بالايجاز . هي في يوم الولادة تلقي بيضها الاصفر على وجه الارض في قعر البحر ، وهو مثل حب الخشخاش يتجمع حفاً فيتلون منه القعر . ثم نشأ البيضة فتغدو كحبة العدس ، فينبث لها عروق خضراء براقية مائلة الى الازرقاق ، فتتمو العروق حتى تصير كالانامل طولاً وهي دقيقة كالشعر ، شديدة كجيل من مسد . وعندما تنمو عروق الصدفة ترسب فتثبت في مكان صلب من القعر . ومنها ما تطفو فتتحرك بحركة البحر وتنفرك بعضها عن بعض ، بل تظل تتدحرج حتى تلتقي صخراً او شجرة او مكاناً صلباً من القعر تدق اوتادها فيه ، تمكن عروقها منه . وهي لا تأخذ بالنمو الا بعد ان تنتهي من

(١) وقدّر ما يخرج من الكويت بقيمة ثمان ملايين روية ، ومن القطيف بأربعة ملايين ، ومن جيبيل بستمئة الف روية ، ومن عمان بخمسة عشر مليوناً ، ومن لنجه وقيس بمليون ونصف فيكون المجموع من الخليج سبعين مليون روية منها مليون ونصف من جزيرتي لنجه وقيس وهما قرب الساحل المعجمي الجنوبي . قد يكون في هذه الأرقام بعض المبالغة ولكنها لا تقل عن ثلاثة ارباع القيمة المذكورة . وقد اخبرني العارفون بان مغاص اللؤلؤ يمتد من دُنَي في عمان الى راس المشعاب جنوبي الكويت وكماله في الجانب الغربي من الخليج .

الدوران ، وثبتت في مكان . ففتتح اذ ذاك فمها اي صدفيتها للغذاء وجبله من الطين . اما ما قيل بان المحار يصعد الى سطح البحر وقت الشتاء ليشرّب الماء القراح فالخطأ فيه لا يحتاج الى برهان ، وقد اتضح مما تقدم انه يعيش ملتصقاً بالصخور او بالارض الصلبة .

كأني بالقارى . يقول : وعدنا بترجمة اللؤلؤة فحسبنا بقصة المحار . على اني قلت ان اللؤلؤة بنت المحار ، وفي القول من الشعر اكثر ما فيه من العلم . اما الحقيقة العارية الباردة المؤلمة فهي ان اللؤلؤة بنت مرض يصيب المحار ، او بالحري نتيجة خلل يعترى نظام الافراز فيه والذي يظنه علماء الحيوان هو ان حبة رمل او بيضة او حشرة تدخل مع الغذاء فتتهيج منها اغشية المحار ، فينتج عن ذلك افراز غير طبيعي يتكون منه كتلة ككسبية لماعة هي اللؤلؤة^(١) . فاذا جاءت الكتلة هذه متوسطة في اللحم كانت نفيسة ، واذا لامست او قاربت الصدف كانت رديئة .

وفي سبيل هذه الكتلة الكسبية يفادي الكثيرون من رجال الغوص بصحتهم وبارواحهم . فاكثروا يرفعون حينما يرفعون الى وجه البحر ، ومنهم من يصابون بداء الرئة . ذلك لان الغوص يلزمه مع الجراة والحفة نفس طويل . والنفس اذا طال تعبت به الرئتان ، واذا طال تحت الماء جاء فوق الامساك ضغط تنفجر منه في بعض الناس الشرايين .

اما موسم الغوص فهو « من اول برج الثور الى اوائل برج الميزان »^(٢)

(١) اما رأي علماء العرب فصاحب كتاب عجائب المخلوقات اجدرهم بالذكر . قال القزويني في الجزء الاول من كتابه صفحتي ١٩٩ و ٢٠٠ على هامش كتاب حياة الحيوان للدميري ، ان الرياح وقت الريح تحمل الى بحر فارس رشاشات من بحر اوقس وفيه ماء شبيه بالزئبق ارج مثل الغراء فيتولد منه الدر بان تقع تلك الرشاشات في محل الصدف فيلقه الصدف كما يلغم الرحم المني . وربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتعقد دراً كبيراً ، وربما تقع رشاشات فتعقد منها اجزاء صغار كما ترى في اكثر الاصداف . هذا رأي القزويني وليس فيه شيء من العلم او من الشعر .

(٢) برج الثور و برج الميزان يشتملان في دورتيهما على الاشهر التي تعرف عندنا باشهر الريم والصف ، اي من ايار الى ايلول .

كما يقول الشيخ النبهاني^(١) الذي يعود الى الافلاك مثل كل اعرابي ليحدد الازمنة . وقد اخبرنا في كتابه انه « اورد صفة الغوص » وان كانت معلومة لانه اطلع على رحلة ابن بطوطه فرآه يصف مغاص الجواهر بخلاف ما يشاهد في هذا الزمان .

السفن التي تستخدم اليوم للغوص هي على نوعين السنوك والجلبوت^(٢) اما في الماضي فقد كانت على انواع شتى منها البغلة والبقارة وكلها شرعية . واهل الغوص يعبرون عن مجموع السفن بالخشب ويسمون ابتداء الموسم الركبة وانتهائه القفال وهم يدعون اللؤلؤ قماشاً والجواهر دانات .

في البحرين يبلشر صغار الغاصة العمل قبل ابتداء الموسم فيجيبون في فصل الشتاء الى ساحل البحر بغوصون في عمق ذراع او يزيد يلتقطون ما يجيدونه من الصدف . وهو لاء يسمى « المجنى » . فاذا ابحروا وغابوا يرمين او ثلاثة يسمون « العزاب » لعزوبهم اي بعدهم عن المدينة . وهناك صنف اخر هم « الخانجية » اي الذين يتجهزون لغيبية اسبوعين في الغوص او ثلاثة اسابيع . ثم يتأهب اهل البحرين للغوص العام اذا مضى النصف الاول من برج الثور ، ويقفلون راجعين اذا دخل برج الميزان ، فيبيعون ما يغمون من البحر وينقسمون .

لكل من يشتغل في الغوص اسم يعرف به . فيدعي كبير السفينة « ناخوذاه » والذي بغوص « الغيص » والذي يجرب حبال الغيص « السيب » والمساعد لهم « الرظيف » ثم الخادم التلميذ وهو « التياب » . هو لاء والبحرية يخرجون في جلبوت مزود بالزاد والماء الى مكان من امكنة الغوص المعروفة التي بعد ابعدها ثلاثين ميلاً عن البر ، ويتراوح العمق الذي بغوصون فيه بين ثلاثة ابواب اربعة عشر باعاً . يسرون الى موارد الخطر والثروة وهم يغنون او يرددون بعض الايات انغاماً ساحرة . يسرون في ظل الشراع مطمئنين ،

(١) قد قرأت في وصف النوص ما كتبه الشيخ خليفة بن محمد النبهان وهو ينطبق على ما سمعته من التفات فلتخصت بعضه لآ في الموضوع حقه .
(٢) راجع الشرح في صفحة ٢١ من هذا الجزء .

وإذا اشتدت الرياح فيجاهدونها في سبيل الدر والحياة . — توكلنا على الله . . .
صلِّ على النبي . . .

ها هم في مكان الغوص ، وقد طوي الشرع ورسا الجلبوت . هات الحبال
يا سيب . هات الحديد ^(١) يا رظيف . هات الدَّيَّين ^(٢) يا قَيَّاب . وهوذا
الغيص وقد وضع الفظام ^(٣) في انفه ، والحديد في رجله ، والدَّيَّين في عنقه ،
ثم يسك نفسه وقد حجب وجهه بكفيه ويطيح . توكلنا على الله ! صوت موجة
تتقلقل فتتأبَّن حلقات ، فتكبر ، فتتفكك ، فتتلاشى . راح تحمها الغييص ببغي
الجواهر في المحار .

وهو حالما يصل الى القعر يفتح عينيه وينزع من رجله الحديد او الحجر
فيرفعه السيب بالزَّيْبِل ^(٤) الى السفينة . ومنهم من يلبس قفازاً من جلد ثم
يشرع يمشي على يديه ، ورجلاه مرفوعتان والجدا ^(٥) بين ابهامها ، وهو يلتقط
الصدف ويضعها في الزنبيل . فاذا ضاق ذرعه او امتلأ زنبيله جذب الجدا اي
حبل الزنبيل فيصيح السيب : « نَبَّر » ^(٦) بين هو بسحب الحبل والغييص
تمسك به . فاذا صار على وجه الماء نزع الفظام من انفه وتنفس ، وأخذ
السيب الزنبيل فيفرغه في وسط السفينة ويدفعه اليه فيعود الى الغوص . وهكذا
الى ان ينتهي النهار . وهم يسعون المرة الواحدة من النزول والصعود « تَبَّه »
وهي لا تقل عن الدقيقة ولا تزيد على الثلاث دقائق اي مقدار ما يستطيع ان
يستمر الغييص تحت المياه . بعد انتهاء الغوص كل يوم عند الغروب او قبله

(١) وقد يكون حجراً او رصاصاً يتراوح وزنه بين الاثني عشر والخمسة عشر رطلا
يجعله الغييص في احدى رجليه ليدفع به الى قعر البحر .

(٢) الدَّيَّين زنبيل من حبال اللبف مشبكاً مثل الغزال الا انه واسم الخروق .

(٣) الفظام مثل المقرض مصنوع من قرن الوعل او من عظم السلحفاة يجعله الغييص
في انفه ليعتم النفس .

(٤) الزَّيْبِل حبل مربوط به الحجر ومتصل بالسفينة .

(٥) الجدا حبل آخر مربوط به الزنبيل . والاتان يتولاهما السيب .

(٦) « نَبَّر » كلمة يرددونها عندما يجذب الغييص الحبل برجله اي يطلب من رفاقه
بهذه الاشارة ان يرجعوا الى وجه الماء .

يفلقون الصدف ويخرجون ما يجدونه من اللؤلؤ فيها . اما اذا فرغ زادهم او ماؤهم
 فيأتون الى البر ليتزودوا ويعودون الى العمل حتى انتهاء فصل الصيف .
 الناخوذاه هو مدير العمل فيجمع اللؤلؤ كله ويتولى بيعه ، فيأخذ من
 مجموع قيمته الخمس ويقسم الاربعة اخماس بين رجاله بعد ان يحسم من قسمة
 كل واحد قيمة زاده ، فيعطي الغبيص نصف قيمة الاربعة اخماس ، والرظيف
 ثلثا الباقي ، والسبب الثلث الاخر . اما التياب فليس له غير اكله وفائدة
 التمرين على الغوص . هؤلاء هم الغاصة اي الذين يستخرجون اللؤلؤ بانفسهم
 وعلى حسابهم .

اما الذين يغوصون لحساب غيرهم فهم يستأجرون السفن ومنهم من يستدين
 المال . والذي يكري السفن ويقرض المال يأخذ خمس قيمة اللؤلؤ الذي يجمعونه ،
 ثم نصف الخمس اجرة السفينة ، ثم نصف خمس اخر فائدة المال . وهم اي الغاصه
 ينقسمون الثلاثة اخماس الباقية بحسب القاعدة التي مر ذكرها . اما اولئك الذين
 يكترون السفن فقط فلا يدفعون غير نصف خمس اللؤلؤ اجرة السفينة . الا ان
 الغالب في الطريقتين الطريقة الاولى اي التي ينال بها صاحب السفن والمال خمسي
 قيمة اللؤلؤ المجموع .

وهناك تجار اللؤلؤ واكبرهم في البحرين . فهم يبيعون ما لديهم منه في الجزيرة
 من تجار اوروبيين ومن البنيان الذين يجيئونها في الموسم لهذه الغاية . او انهم
 يسافرون به الى بيمساي فيبيعونه هناك . ومن هؤلاء التجار من يسعون
 « بالطواو يش » وهم الذين يخرجون الى محل الغوص و يشترون من النواخذة بعض
 الجواهر ، فيدفعون ثمنها اما نقداً واما تمراً و زاداً . والنواخذة يفضلون الزاد في
 بعض الاحايين لانه يكفيهم مؤونة الرجوع الى البر للتموين .

اشرت في ما اسلفت الى اخطار الغوص والى صفاء لؤلؤ البحرين
 وحسنه . فعلي اذن ، قبل ان انتقل من الموضوع ، ان الحق الاشارة بكلمة
 ايضاح وجيزة . قلت ان من الغواصين من يصابون بداء الرئتين واكثرهم حينما
 يخرجون من الغوص برعفون . وقلما بهمهم ذلك . فهم لا يخافون الا من الدؤل

عدوم الاكبر . وما هو الدول ؟ عدت الى الدميري والقزويني فلم اعثر في بحر علومها على الدول . ولا جاء ذكره عرضاً حتى في الكلام على اعجب المخلوقات . في كل حال افي ، وان ذكرت ما قاله القزويني في الصدف وتكوين الدر ، اميل الى سواء من الثقات وخصوصاً اذا كانوا من هذا الزمان . لذلك افسح للشيخ خليفة بن محمد النهائي الذي خبر الغوص بنفسه ورأى بام عينه الدول . قال وقاه الله شره :

الدول حيوان هلامي لا يهتدي في سيره لجهة ، وانما تقذفه الامواج على وجه البحر . وهو بقدر الكف قاصفر ، مدور له خيوط طوال نحو ذراع فاطول ، كانه حرير مشتبك . فاذا لامس هذا الحيوان جسم ابن آدم احرقه حرقاً مبرحاً . وربما اتاب الموضع الذي لامسه . ولورفع هذا الحيوان من الماء واصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماء ولم يبق له اثر . . .

اهل الغوص يلبسون ثياباً ضيقة ملاسة للجسم انقاء شره . ويوجد كذلك نوع اخر يسمى اللويبي ، وهو مثل الدول هلامي ، ولكنه احمر اللون وضرره اخف من ذلك فاذا لامس الجسم احرقه بدون تبريح فيرم اللحم فيبقى اثره والمه نحو ساعتين . اما اذا سخن الجسم المملدوع على النار فالالم يزول منه . (١)

بقي ان اذكر السبب في نفوق لؤلؤ البحرين وهو من عجائب الطبيعة في هذه الجزيرة . قد اجمع العارفون بان الماء الحلو يحسن اللؤلؤ ، فاستنتج من ذلك ان المطر هو سبب ذلك الحسن ، وان الصدف يصعد الى وجه البحر ليشرب من ماء السماء . غير ان الحقيقة العلمية في التصاق المحار بالصخور قبل نموه تفسد هذا القول . ولو صح ان المطر هو سبب الحسن لكان لؤلؤ جزيرة سيلان ، لكثرة

(١) تاريخ البحرين صفة ٢٦

الامطار فيها ، احسن ما في العالم . وقد فانت هذه الحقيقة القزويني الذي نقل
عن البحرانيين كلمة نصفها صحيح ونصفها خطأ^(١) . قال : ان صدف الدر لا يوجد
الا في بحر تصب فيه الانهار العذبة . والحقيقة كل الحقيقة هي خلاف ذلك .
فلو قال ان احسن صدف الدر اطلع لجاء بالصواب .

الماء الحلو اذن يحسن الدر ولكنه اذا صب في البحر فقد صفاته . اما الانهار
فليس منها في البحرين ، وانما هناك ينابيع من المياه العذبة هي من عجائب الطبيعة .
ينابيع في وسط البحر تحت المياه المالحة . ومنها ما هي قريبة من السواحل .
في البحرين نحو خمسة وعشرين نبعا مشهورا بعد بعضها عشرين ميلا عن
البر ويعلوها البحر من الثلاثة الى السبعة ابواع . مياه عذبة تحت المياه المالحة
تفور من الارض على الدوام . وتلك التي تقرب من الساحل تظهر ساعة الزجر
للعيان فيستقي اهل المحلة منها . على ان البحارنة يفوصون للبعيدة العميقة كأنها
اللولؤ فيملاون منها القرب بان يجعلوا القربة او الاناء فوق الفوارة الى ان
يتملئ . ومن هذه الينابيع التي يشرب منها اكثر اهل البحرين القريبين من
السواحل تشرب كذلك الحمار ، فتنحس فيسه تلك الكتلة الكلسية البراقة .
هي السبب ولا مراة في جمال لؤلؤ الجزيرة ذاك الجمال الممتاز .
واغرب من كل ذلك ان تلك المياه العذبة تصل الى سواحل القطيف

(١) لصاحب كتاب عجائب المخلوقات اراء اخرى مضحكة في الموضوع منها : ان
الصدفة اذا ابتغت المطر خرجت من قعر الماء الى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس
وغروبها . ولا تخرج في وسط النهار لان شدة حرارة الشمس ووهجها يفسد الدر (كأن
الصدفة مدركة عمالها وطالبة الكمال فيه) فاذا خرجت فتحت فاهها ليقع الشمال على الدر
حينئذ من اثر الشمال وحرارة الشمس ويتكون في الصدف كما يتكون الجنين في الرحم .
واذا تم الدر في الصدف ينتقل الصدف الى موضع صلب ويثبت عروقه فيه . انتهى كلام
القزويني .

اما الحقيقة فمكس ذلك كما تقدم . ولا يستغرب هذا الخطأ في كتاب جله عجائب واوهام
هاك انموذجا آخر منه . قال القزويني : بارض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجري من المشرق
الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق .
وليس هذا باعجب من جبل هرmez بطبرستان (الجزء الاول ، صفحة ٢٧٩) الذي ينزل
عنه الماء وينصب الى وهدة فاذا صاح الانسان صيحة يقف ! واذا صاح اخرى يسيل !

والاحساء ونجدي، البحرين من مرتفعات نجد، من وراء الدهناء . فقد تتبع علماء الجغرافية الذين ساحوا في البلاد مجاري مياهها ومصب انهرها الغائرة . من المعلوم مثلاً ان الرياض تملو عن البحر الف وثمانمئة قدماً وان جبال العارض هي فوق الرياض وهي ككسبية تمتص جل ما ينبخر من المياه فتجري تحت الارض وتصب في وادي حنيفة . بل ان مياه العارض ووادي حنيفة تجتاز الدهناء والنفود فتصل الى الخليج .

قال المستر هوغارث (١) : لا شك ان قسماً من هذه المياه (اي مياه العارض واليامة) عملاً بتحدد الارض ترشح تحت ما يعترضها من ظهور الجبال فتجري خلال الطبقات الحصوية وتظهر على الساحل فتسقي واحات الاحساء والقطيف ، وتكون منها يتابع العذبة في مياه البحرين .

D. G. Hogarth , Penetration of Arabia . P. 342 (١)

في كتابه « التوغل في بلاد العربية » صفحة ٣٤٢

الفصل الثالث

البحرين

البحرين في قديم الزمان — بلاد عربية لم يبقَ منها غير الاسم — جزيرة صغيرة كبيرة — جوهرة في جيب الخليج — مركز للتجارة والحرب — سكان البحرين وسكان نجد — اربعمئة وخمسون نفس في كل ميل مربع — مدن البحرين — المنامة ميناء الجزيرة — الرفاع مدينة الامراء — الصخير حي الصحة والسكنة — جبل الدخان ولا دخان فيه — البديع مقر الدواسر — جو وكان فيها قصور شائخة الى الجو — المحرق عاصمة البحرين — الحد وفيها السادة العلويون — غزارة المياه والابار — طريقة عبد الملك بن مروان في الاستيلاء والاستعمار — علي وعليهم يارب — دواليب الهواء — اليابان تحذو حذو المعارج .

ان البلاد الواقعة على الساحل العربي الشرقي كله ، من البصرة الى عمان ، كانت تدعى في قديم الزمان البحرين ، وقد اطلق العرب الاسم عليها لانها على ما اظن على شاطئ البحرين ، بحر عمان وبحر فارس ، وجعلوا عاصمتها هَجَرَ . ثم خص هذا الاسم بقسم منها بين القطر والقطيف وهو الاحساء لان الطامعين بالسيادة من امراء العرب تنازعوها فنقاسموها ، فاستمرت لتجزأ وتصغر حتى كاد الاسم يسي بلا مسمى . ولكن الذين نزحوا الى اقرب الجزر الكبيرة من الساحل الشرقي ، او بالحري هربوا من الجور طالبين الاستقلال والاطمئنان ، احتفظوا بالاسم فاطلقوه عليها .

كانت قبلئذ تدعى أوال ، ذكرها باقوت في معجم البلدان قال : انها جزيرة يحيط بها البحر في ناحية البحرين . وأوال صنم لبكر بن وائل واخيه تغلب ، فسميت الجزيرة باسمه لان بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها في ذلك الزمان . ساجي ، في ملخص تاريخها في الفصل التالي على ذكر من استولى عليها بعدهم من الامم والشعوب .

اما الان فموضوعي الجزيرة نفسها الحاملة اسم تلك المقاطعة التي تكبرها مسئة ضعف . هي جزيرة صغيرة ومع ذلك كبيرة . صغيرة في مساحتها التي لا

تتجاوز الاربعمئة وخمسين ميلاً مربعاً ، كبيرة في غرائب تاريخها الطبيعي والسياسي . وهي على صغرها عامرة بمئتي الف من العرب والاعاجم من الشرق والغرب . بيد انها لا تزال عربية الاصل والحكم ، وعربية اللغة والروح ، لان اكثر سكانها من العرب الاصليين ، عرب نجد ، وفيهم من المذاهب الاسلامية المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي والجعفري . اما الجعفريون فهم مثل الهنود يعدون من الاجانب لانهم ايرانيون او ايرانيو التبعة .

ليس بين مسقط والبصرة اجمل من مركز هذه الجزيرة . وليس اصحح منه للتجارة او للحرب . فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة منه ، كأنها بارجة راسية في جون منسع بين قطر والقطيف . او كأنها باخرة دنت من الساحل الذهبي المحيط بها ترفع علم السلم والتجارة . بل كأنها ، وهي عند مهد اللؤلؤ ، جوهرة كبيرة في جيب الخليج . فلا عجب اذا تسابق اليها الفاتحون في قديم الزمان ، وئنازعها من الامم ذوات الصولة والعرفان . وهي لا تزال محط رحال التجار يجيئونها من الهند وفارس ، ومحط رحال الطامعين بالسيادة المطلقة على خليج العجم .

ان البحرين لمثل مدينة كبيرة في ازدحام سكانها . ولولا موارد الثروة من اللؤلؤ فيها ، ولولم يكن مجال التجارة فيها منسجماً ، لانتزع عنها نصف سكانها . اذ قلما نجد في العالم خارج المدن بقعة من الارض معدل سكانها في كل ميل مربع اربعمئة وخمسون نفساً . قابل بين البحرين ونجد مثلاً فتدهشك المقابلة . في مملكة ابن سعود اليوم مليونان ونصف مليون من العرب على الاكثر يعيشون في ارض مساحتها اربعمئة الف ميل مربع في الاقل . فيكون معدل سكان الميل الواحد المربع ستة انفس لا غير . ولكن نصف هؤلاء من البدو ، اية الرعاة واصحاب المواشي ، ونصف ارضهم من الرمال والمفاوز التي لا ماء فيها ولا كلاء . فالميل المربع قليل اذن على اعرابي واحد مع عياله وانعامه ، كما ان الميل المربع في البحرين ، على كثرة مياها وخصب تربتها ، قليل جداً على اربعمئة وخمسين من عباد الله - لولا اللؤلؤ كما قلت ولولا اسواق نجد والحسا .

جاء في التاريخ ان هذه الجزيرة كانت عامرة بالسكان في قديم الزمان . فقد كان فيها من المدن ثلاثون مدينة ومعها ثلاثمائة من القرى . ولكنها ، وهي دائماً مطمح الفاتحين والمستعمرين ، ابتليت بما ينقدمهم ويرافقهم ويتبعهم من الفتن والحروب ، فتداعى قسم من عمرانها واضمحلت ، ولم يبق فيها اليوم سوى ثماني مدن وبعض القرى التابعة لها . اما سكانها الذين لا يغوصون ، ولا يركبون لرزقهم البحار ، فهم يزرعون الارض . والذين لا يزرعون يتاجرون .

اكبر مدن البحرين المنامة ^(١) وهي على الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة . عدد سكانها اربعون الفا من العرب والايرائيين والهنود والاوروبيين ، وفيهم المسلم والمسيحي واليهودي والفارسي ^(٢) والهندوس . هي الميناء العام للبحرين ومركز احد فرعي حكومتها المزدوجة ، اي الفرع الانكليزي ، ومحور التجارة ، فيها بيت البريد والبرق ، والمحجر الصحي ، ومرفاً ومخازن كبيرة للجمر كامر بينائها الشيخ عيسى آل خليفة . وفيها ايضاً « قلعة الديوان » التي بناها احد ملوك العجم ، وكثير من البيوت الفخمة الهندسة والبناء . الا ان ارضها سبخة يفسد منها الهواء فتكثر فيها الحميات . وعلى مسافة نصف ساعة من المنامة غرباً بجنوب اثر تاريخي قائم في ساحة تدعى سوق الخميس لان هناك تقام كل اسبوع سوق للبيع والشراء . ذلك الاثر التاريخي هو من عهد عمر بن عبد العزيز الاموي ، وهو بقية مسجد قديم ومنارتان مقابلتان طول الواحدة نحو خمسين ذراعاً . وهناك بالقرب منه عين تسمى ابا زيدان وفي جوارها ما هو اهم من الاثار القديمة اي اثر بنايع من زيت البترول .

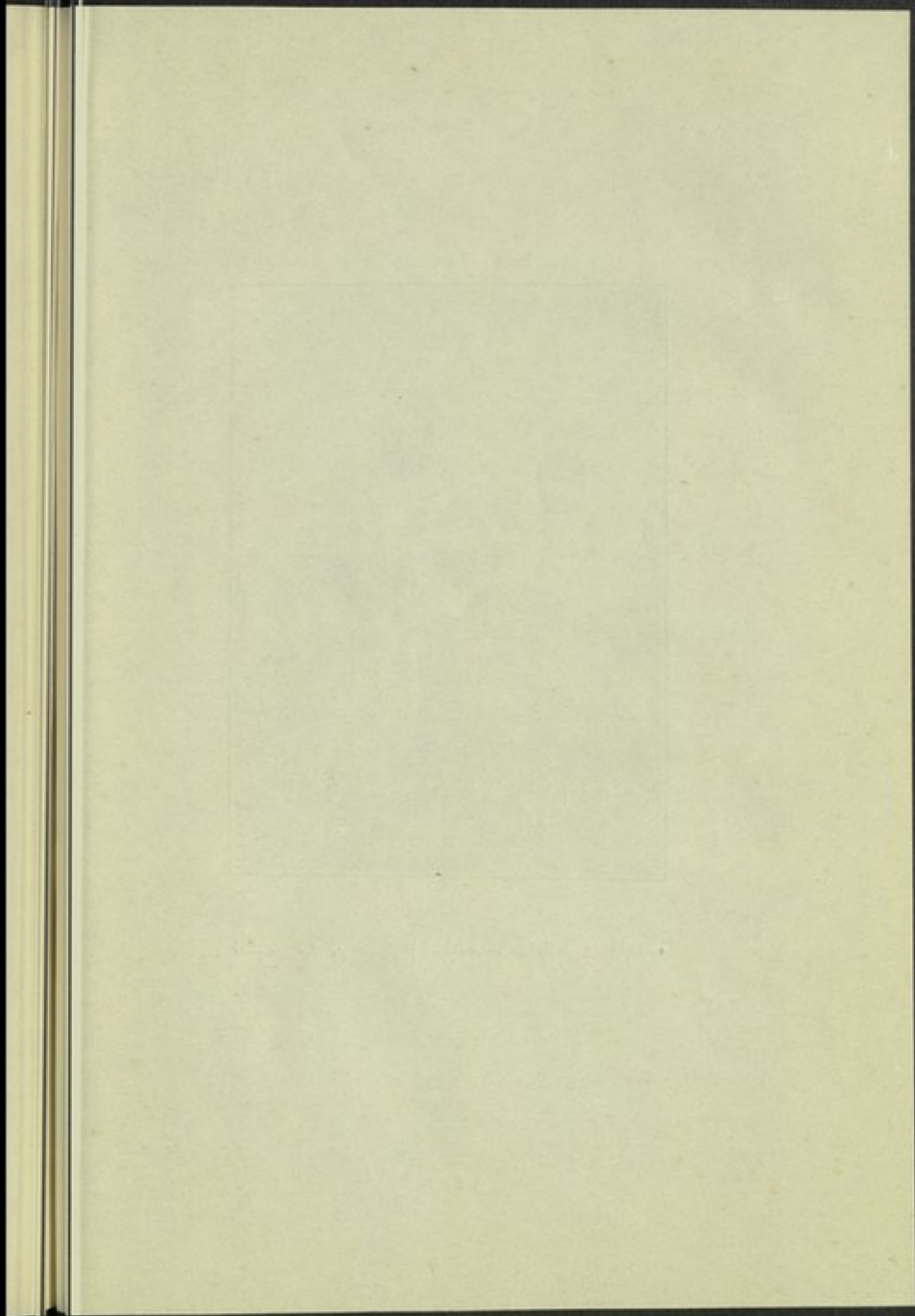
اذا سرنا شرقاً بجنوب من هذا المكان واجتازنا المراقيب ، حيث مدافن البحرين القديمة التي مر ذكرها ، نصل بعد ساعة الى الرفاع ، مدينة الامراء السابقين من آل خليفة ، وفيها بقية قلعة قديمة تبدو في اساس القلعة الجديدة

(١) كانت تسمى المنامة فعرفها الاعداء الذين استولوا عليها . ومن قائل انه كان فيها قصر لثمام احد ملوكها السابقين فسميت به .

(٢) اي المجوسي من اتباع ازدرشت . وهو يعرف اليوم بالفارسي . Parsi



الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين وابنه *



التي شيدها الشيخ سليمان بن احمد . وحول الرفاع رياض مشهورة اهمها الصُخَيْر
تكثر فيها العيون والآبار والنخيل . اما الصُخَيْر فهي على ربوة الى جانب الرفاع
الغربي اسمها الشيخ حمد الحاكم الحالي ، وهي لطيفة الهواء ، عذبة الماء ، فسيحة
الفناء . الصخير هي حمى الشيخ حمد ، وحمى الصحة والسكينة .

من الصخير نشرف على جبل الدخان ، ولا دخان فيه اليوم لا لبركان
ولا لانسان . هو جبل مستطيل ، فيه غار كبير ، داخله بيت بقباب منحوتة
كأنه من بناء الانسان ، وفي رأس الجبل برج قديم متهدم . واذا استمر السائح
شرفاً من الرفاع يصل الى «سترة» او كما يقول البحارنة «حالة سترة» ثم
يسمون «حالة» كل قرية تحيط بها الماء فتجعلها شبه جزيرة . وهي مقيظ
الشيخ خالد اخي الشيخ عيسى ، وفيها وفي القرى التابعة لها عيون كثيرة ونخيل
وبساتين .

هذه من المدن والقرى في الجهة الشرقية . اما في الغربية فالبدية قبالة
الرفاع وعلى ساعتين من المنامة هي مسكن الدوامر وغيرهم من العرب الاشواص .
ومن قراها قرية «جوز» نزلها في قديم الزمان احد مشايخ العرب المشهورين
بالهمة والاقدام يدعى الشيخ احمد رزق فعمرها وبني فيها المساجد والبرك
الكبيرة لحفظ المياه ، فقال احد المؤرخين فيه : مسكن الشيخ رزق بلدة الجو ،
وبني قصوراً شامخة الى الجو . ثم ظعن ونزل الزبارة في رأس برقطر . وكان في
نيته ان يفصل هذه البلدة عن قطر بتخليج يحفره بينها وبين البر طوله ثلاثون ميلاً .
ولكن قومه ، وهم من اهل البادية ، لم يرضوا بذلك لاحتياجهم الى المقاتلي في
بر قطر يجعلونها مرعى لانعامهم .

اما عاصمة البحرين الرسمية العربية ابي المدينة التي يسكنها الشيوخ فهي
المحرق الكائنة في جزيرة صغيرة شرقي المنامة على مسافة نصف ساعة منها في
الجلبوت . وهي تفضل المنامة بطيب هوائها لبعدها كما يزعم العرب هناك عن
النخيل . فهم يظنون ان الاوبئة تكن في ظلاله . والاصح انها تكن في
المستنقعات التي يسببها نقص او اهمال في ري النخيل . المحرق مركز النهضة

الادبية اليوم وفيها المدارس والنادي الادبي والشبان الغواة بالادب والعلم . وفي جزيرة المحرق مدينة اخرى اسمها الحد يسكنها السادة العلويون وبعض آل ابن علي المشهورين في تاريخ البحرين . ويتبع كل من هاتين المدينتين خمس قرى يشرب اهلها من ينابيع البحر العذبة .

ان الماء القراح غزير في البحرين لو انهم يحفرون له الابار والقني فيجمعونه في عيون يستقي منها اهل المدن والذين يسكنون داخل الجزيرة . اما اليوم فالينابيع كلها هي قرب البحر لذلك يقصدها سكان المدن في الصيف فيقيمون حولها بيوتاً من جريد النخل موقفة يتفنون في بنائها لتقيهم حر الشمس ولا تمنع عنهم الهواء . وقد قيل ان مياه هذه الجزيرة معاً ردم من ابارها تزيد على ما يلزم ارضها وتحتاج اليه سكانها .

نعم ، قد ردم في الماضي كثير من ابارها . والقصة كما يرويها العارفون من اهل البحرين وبعض المؤرخين هي ان عبد الملك بن مروان الاموي لما رأى من اهل الجزيرة بطراً في غنائهم وتمرداً على خلفاء بني امية ، امر بردم العيون ليقل زرعهم واموالهم فيفتقروا ويخضعون للامراء . هو من اغرب مادونه التاريخ من اساليب الحماقة في الاستيلاء - والاستعمار . وان من يقارن بينه وبين سياسة الامويين في الاندلس ، وما اوجدوه وانقنوه من اسباب الزراعة هناك ، يستغرب جداً هذا الامر ويكاد ينكره . على اني شاهدت في رحلتي ما يثبت ان العرب في احقادهم وثاراتهم وحرورهم ينكون مثل هذا التنكيل باعدائهم وبانفسهم . قد رأيت عيوناً في نجد كانت سبب الشقاق بين القبائل ، فلما استولت عليها القبيلة القاهرة دمرتها وردمتها لكي لا يشرب منها العدو اذا خرجت بعدئذ من حوزتها . علي وعليهم يارب . فلا تستغرب اذن فعلة الاموي عبد الملك بن مروان الذي امر بردم عيون البحرين ليفتقر اهلها فيطيعوا امراءهم .

ومع ذلك فالجزيرة لا تزال غزيرة المياه كثيرة النخيل والبساتين . فيها من انواع التمر مئة نوع ويزيد حتى انه كان يضرب بها المثل فيقولون :

الفصل الرابع

البحرين في التاريخ الاسلامي (١)

مستعمرة فارسية حاكمها وسكانها من العرب — النبي بعث العلاء الحضرمي ليدعوهم
للاسلام — عبد قيس ووائل وتميم يسلمون — الردة — رجوع العلاء — خالد
بن الوليد — نادب اهل البحرين — فتح قطر وبلاد فارس — البحرين في حكم
الامويين — في حكم العباسيين — صاحب الزنج — القرامطة — ابو طاهر في
الكعبة — الامارة العبوتية في البحرين — جنكيزخان ونيبورلنك — فسكو دي غاما
والفونسو البوكركه — البرتغاليون في البحرين — الاتراك بخرجون البرتغاليين
من البلاد العربية — الانكليز يساعدون الاتراك — الفرس في البحرين — مستعمرة
فارسية — فساد الحكم الفارسي وتلاشه — آخر عامل من عمال الشاه .

كانت البحرين ، اي البلاد التي على الساحل من البصرة الى عمان ، مستعمرة
فارسية قبل الاسلام وفي السنين الاولى من البعثة النبوية . ولكن عمالها كانوا
غالبا من امراء العرب ، وكان سكانها من الجوس واليهود والنصارى ومن عرب
بجد واكثر هؤلاء من عبد قيس ووائل وتميم . وفي السنة الثامنة للهجرة ارسل
النبي محمد احد الصحابة العلاء الحضرمي (٢) ليدعو اهل هذه البلاد للاسلام او
للجزية . كان المنذر بن ساوي التميمي يحكمها يومئذ من قبل ملك الفرس ، فلم
يتردد في التفضيل بين الوثنية ودين التوحيد بل بين حكم قريش وحكم الاعاجم .
جاء العلاء الحضرمي ، وقد كان من رجال الصحابة وصاحب كرامات ،
يدعو المنذر واهل البحرين للاسلام ، ولكنه لم يتمكن من هدايتهم كلهم . قيل
الدعوة المنذر وعربانه حبا بالجنة ورجاء التخلص من ملوك الفرس ، ورفضها
الآخرون . تتركهم العلاء في ضلالهم يعمهون بشرط ان يقاسموه غلاتهم من

(١) قد اعتمدت في كتابة هذا الفصل والنقل الذي يليه على تاريخ البحرين تأليف
الشيخ خليفة بن حمد النبهان المطبوع في مطبعة الاداب بغداد سنة ١٣٣٢ هـ .
(٢) هو عبد الله بن عماد بن بكر بن ربيعة بن مالك بن اكبر بن عوف بن الحزرج بن
زياد الحضرمي .

الحب والتمر . فقبلوا بذلك . وعاد الصحابي الحضرمي الى مكة يحمل الى النبي بشري النصر المبين وكثيراً من الغنائم والاموال .

بيد ان اهل البحرين بعد موت النبي ارنذوا قائلين : لو كان نبياً لما مات . فجاءهم العلاء ثانية ومعه جيش من المسلمين ، فادب اهل الردة وقتل كثيرين منهم ، ولكنه لم ينتصر كل النصر عليهم . فكتب الى ابي بكر يستمده ، فكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ، وهو يومئذ في اليمامة ، ليتوجه الى البحرين ينجد فيها العلاء . جاء خالد فرعاً ، كما يقول العرب حتى اليوم ، وكان قد فرّ كثير من اهل الردة الى الجزيرة وتحصنوا فيها فامر العلاء رجاله بالزحف عليها .

كان هذا الصحابي كما قلت صاحب كرامات 'مجاب الدعوة' . وهاك منها اثنتين . بينما كان رجاله يجتازون مفازة لا ماء فيها خلصهم من الموت عطشاً بان صلى ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا . فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقت عليهم وامطرت حتى مسلاً والآنبة وسقوا الركائب . ثم جاؤوا الساحل فوصلوا الى الخليج فلم يجدوا سفناً فيه ، وكان المرتدون قد احرقوها ، فصلى العلاء ركعتين ثم قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اجزنا . واخذ بعنان فرسه وهو يقول : جوزوا باسم الله فمشى ومشى وراءه جيش عدده اربعة الاف ، فلم يبتل لهم قدم ولا خف ولا حافر (١) .

بعد ان ادب العلاء اهل البحرين وردهم الى الصراط المستقيم حمل علي الزُبارة في قطار وقتل فيها مكة بر عامل كسري ، ثم عاد الى البحرين فأمر عليها ، اجابة لطلب اهلها . ثم خاض عباب الخليج فوصل الى الشاطئ العجمي ودخل بلاد فارس فاتحاً . وبعد ذلك دعاه الخليفة عمر الى المدينة وولاه على

(١) في رواية اخرى انهم اجتازوا الى دارين لا الى اوال . وكانت يومئذ دارين جزيرة عامرة يؤمها عرب نجد للمسالة . قال الشاعر :

يمرون بالدهننا خفافاً عابهم ويرجعن من دارين ببحر الحقاب
ودارين لا تبعد كثيراً عن التقطيف حتى انه يستطيم الناس ساعة الجزر ان يشوا
من البر اليها . فالرواية الصحيحة اذن وان كانت تنفي كرامة العلاء الحضرمي ، هي انهم اجتازوا الى دارين لا الى اوال .

البصرة بدلاً من عتبة بن غزوان ، وولى على البحرين عثمان بن ابي العاص ثم الربيع بن زياد الحارثي . سافر العلاء صاحب الكرامات والفتوحات الى البصرة ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يصل اليها ، فاستدعاه اليه في الطريق وهو قريب منها . قلبى العلاء الدعوة ولا يزال قبره معروفاً هناك .

دالت البحرين للخلفاء الراشدين ثم لبني امية الى زمان عبد الملك بن مروان ، ذلك الذي امر بدم عيون الجزيرة ليفقر اهله فيلينوا للامراء . ولكن عبد الملك لم يكن من المفلحين . فقد سبقه الى استثمار الفقر رجل يدعى ابا فديك الخارجي ، فاستولى على الجزيرة سنة كاملة ، وكانت جنود ابن مروان قادمة اليها فدخلتها منتصرة وقتلت ابا فديك وستة الاف من رجاله الخوارج ، فعادت اذ ذلك السيادة الى بني امية في الشاطئين العربي والعجمي من الخليج .

ولكنها لم تخلص من الاغتصابات . ففي سنة ١٠٥ هـ خرج على العامل الاموي في البحرين مسعود بن ابي زينة العبدي فتغلب عليه ونصب الاشعث بن عبد الله الجارودي مكانه ، فحكم الجارودي الجزيرة تسع عشرة سنة . ثم اعاد الامويون الكرة عليها ، فتم لهم الاستيلاء الذي لم يدم بعد ذلك طويلاً ، لان دولتهم كانت قد بدأت تنقلص وتضمحل ، فصار العباسيون يحلون محلهم في البلدان والامصار ، فاحتل عقبة بن سليم البحرين من قبل ابي جعفر المنصور ، وظل عمال الخلفاء ببغداد يحكمون في الجزيرة والاحساء حتى سنة ٢٤٩ هـ عندما استولى عليها رجل يدعى صاحب الزنج^(١) احد الانبياء الكاذبين .

كان صاحب الزنج شاعراً بل شوبيراً في بغداد يحوم مستجدياً على مجلس المنتصر بن المتوكل وحول حاشيته . ثم جاء البحرين وهو يدعي انه من السادة العلويين فدعا القوم لطاعته فتبعه اناس وخالفه آخرون ، فادى الخلاف الى التحزب فالتعصب فالقتال . وكان اصحاب البحرين اول من آمنوا به ، فرفعوه الى مقام النبوة ، وجمعوا له الخراج ، وقاتلوا من اجله الاعداء . وقد قضى صاحب الزنج فترة في البادية اقتداء بالانبياء يستنزل على نفسه الوحي ،

(١) هو علي بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد قيس .

فأوتي في تلك الايام - وهو الشاهد على ذلك - آيات من آيات النبوة ظاهرة ، فطفق يسب الخلفاء الراشدين ومعهم عائشة والزبير . كأن النبوة تبدأ بالمسبات !

قال ابن الاثير وابن خلدون ان صاحب الزنج كان يرى رأي الخوارج . وقد دُعي بهذا الاسم لانه في بادى امره كان يدعو الغلمان من الزنج الذين يسكنون في نواحي البصرة فيعدهم بالعتق في الدنيا وبالجنة في الآخرة . بل كان يستغويهم بشيء من الجنة سلفاً . قيل انه كان يأمر بالقبض على النساء من ولد الحسن والحسين والعباس وبيعهن في عسكره بيع الاماء والامتعة بدرهمين وثلاثة ، فيشتري الزنجي عدداً من الثمر يقات بيضة دراهم .

لا عجب اذن في تلييتهم دعوته للجهاد ، فطفق يشن الغارات الواحدة تلو الاخرى وله في اكثرها الغلبة والغنائم . وفي سنة ٢٥٥ هـ ادعى صاحب الزنج النبوة وكتب على رايته الآية : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لم الجنة ، وراح وزوجه يسلبون وينهبون باسم الله . ان الغريب في حكم اولئك العباسيين ان مثل هذا الطاغية يثبت اربع عشرة سنة في طغيانه ، فيحكم في هجر اليوم وفي البصرة غداً وتارة في الاحساء وطوراً في البحرين ، فاراكراً ، صائلاً طائلاً ، قبل ان يتمكنوا منه فيقتلوه .

قال احد المؤرخين ، وهم يبالغون في الكلام على حروب صاحب الزنج ، انه قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف شخص . ولم يقتل في اكبر مواقع الحرب العظمى هذا العدد او نصفه من الناس . فتأمل .

كانه كتب لاهل البحرين مثلاً كتب للعباسيين ان لا يدوم السلم والامن طويلاً في ملكهم السعيد . قُتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ فتنفست بغداد الصعداء . ثم ظهر في سنة ٢٧٨ هـ ابو سعيد القرمطي . وبالحول القرامطة .

جاء ابو سعيد حمدان من خورستان الى العراق فنزل في الكوفة فرض ذات يوم فساعده رجل يدعى كرميتة لجرة في عينه (اللفظة نبطية ومعناها حمرة العين) فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل ، فخفف الاسم بعدئذ

فقيل قرمطة . وكان ابو سعيد قرمطة من الزاهدين المنقشفين ومن تلامذة
عبدالله القداح الاهوازي الاسماعيلي الذي اسس في يومه جمعية سرية باطنية من
مقاصدها الظاهرة التوفيق بين العرب والعجم والتأليف بين الاديان كلها .
اما مقاصدها السرية ، السياسية والدينية ، فقد ظهرت بواسطة القرامطة
بافطع مظاهرها .

دعا ابو سعيد وهو في العراق الى امام من اهل البيت قيل انه محمد بن
اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقيل انه محمد بن الحنفية . كانت القرامطة بعدئذ
يدعون تارة لهذا وطوراً لذلك ، وفي كلتا الدعوتين فتنة على العباسيين . بل ان
نهضة القرامطة ، اصلاً وفعلاً ، هي نهضة ايرانية دينية سياسية ضد الخلافة
والعرب . وان ما ارتكبه الخلفاء العباسيون من المظالم وما اعتري ملكهم
من الخلل والضعف والفساد ، خصوصاً في عهد المعتمد والمعتمد والمعتز
والمقتدر — القاب مملكة ! — كان ينفّر منهم الناس ويساعد كل من قام عليهم
من الاعداء .

لذلك اجتمع على ابي سعيد خلق كثير وجلهم من البادية لانه خفف عنهم
اثقال العبادة ، فاخصر الصلاة وجعلها فرضين صباحاً ومساءً ، وعفاهم من
صوم رمضان . فأحب البدو ابا سعيد واكبروه وعظموه ، وقالوا انه الامام
المنتظر بعينه . فنشأ مذهبه ينتشر انتشاراً عجيباً ، فأشفقت دار السلام على
اربابها منه ، فجنحت عليه الجنود ، فصدّها بعربانه وحاربها في اماكن عديدة
وهزمها . ثم راح السيف ينشر في البلدان الدينية والقصية ما تأصل في قلوب
القرامطة من عقيدة فيها نفي العقائد كلها . فاشتدت حروبهم على الخلفاء
واتزع زعمائهم الملك من عمال العباسيين في عمان والحسا والقطيف
والبحرين . اما شمالاً فان جيوشهم اجتازت البادية والحماد فوصلت الى بعلبك ،
ومنهم من غزى الحجاز واليمن .

وقد نظم الشاعر ابن مقرب العيوني تاريخهم فأشار في قصيدته الى ما كان

من امرهم اولاً ودمارهم آخراً بواسطة جدوده . قال :

سل القرامط من شطى جماعهم فلقاً وغادرهم بعد العلى خدماً
من بعد ان جل بالبحرين شأنهم وأرجفوا الشام بالفارات والحرماً
ولم تزل خيلهم تغشي سناكبها ارض العراق وتغشي تارة أوما^(١)
وحرقوا عبد قيس في منازلهم وصيروا العرّ من ساداتها حمماً
وابطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا شهر الصيام ونصّوا^(٢) منهم صنماً
وما بنوا مسجداً لله نعرفه بل كلما ادركوه قائماً هدموا
وقل المؤرخ الانكليزي غابن : ان القرامطة هم احدى الاسباب الاول في
سقوط الدولة العباسية . قد استمرت فنتهم ستين سنة وتزيد وبلغ القتال
بينهم وبين جيوش الخلفاء اشده في السنوات الوسطى منها اي منذ سنة
٢٨٩ هـ ٩٠٢ م الى ان دخلوا مكة بقيادة زعيمهم ابي طاهر سنة ٣١٧ هـ ٩٣٠ م
فكان في ذلك النتج ختمة المجد وختمة الفطائع والهول .

دخل ابو طاهر سليمان بن حسن القرمطي بجيوشه راكبين خيلهم وأعملوا
السيف بالحجاج ، فقتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين الف
رجل والوف من النساء . ووقف ابو طاهر عند الكعبة وسيفه بيده وصفر لفرسه
فبالت هناك ، ثم صعد على باب الكعبة وشرع يقول ، بينما كان رجاله يرمون
رؤوس الشهداء في بئر زمزم :

أنا لله والله أنا يخلق الخلق وافنيهم أنا

بعد ذلك امر بقلع الحجر الاسود من محله فحمله القرامطة الى الحسا ،
ولكنهم بعد اثنتين وعشرين سنة اعادوه كما قيل الى مكة . اما ان الحجر الذي
اعادوه هو ذاك الحجر بعينه فالله اعلم .

دخلت البحرين في حوزة القرامطة في عهد المكتفي بن المعتض وظلت في
حوزتهم الى ان ضعف امرهم وبدأت سيادتهم تتلاشى . فقام لقتالهم عندئذ

(١) اسم بلدة من بلدان عمان

(٢) اي نصبوا صنماً

ثلاثة من العرب هم الامير عبد الله بن علي العيوفي في الاحساء ، ويحيى بن العياش في القطيف ، وابو البهلول محمد بن يوسف الزنجاج في البحرين . ثم اقتتل هؤلاء على ما غنموا . وقد كان ابو البهلول ضامناً لخراج الجزيرة فعصي فيها فجهز عليه القرامطة جيشاً من عرب عبد قيس ، فبرز لهم بجيش من البحارنة فكسروهم في اول وقعة وطرد عمالهم من الجزيرة . ثم خطب له فيها بالامارة فاستقام امره بضع سنين فظهر عليه اذ ذلك زكريا بن العياش الذي استولى ابوه يحيى على القطيف وكان يطمع بالاستيلاء ايضاً على البحرين .

وما عثم ان استولى ابنه زكريا عليها بعد ان كسر البهلول في وقعة شديدة ، فطمع بضم الاحساء ايضاً الى ملكه ، فقاد جيوشه من القطيف على الرجل الذي حارب القرامطة سبع سنوات وما انفك يحاربهم حتى انتزع الملك والسيادة منهم . هذا الرجل هو الامير عبد الله بن علي آل ابراهيم العيوفي . جاءه العياش ببني ما بيده في الاحساء ، فلاقاه بجيش جرار في الطريق فكسره في الوقعة الاولى وقتله في الثانية ، ثم استولى على القطيف والبحرين . وفي ذلك قال شاعرهم ابن مقرب :

وصار ملك ابن عياش وملك ابي ال بهلول مع ملكتنا عقداً لنا نظماً
تم النصر للامير عبد الله فاسس الامارة العيونية التي استمر حكمها في
البحرين نحو مئتين وخمسين سنة . ثم انتزع العجم الحكم ثانية من العرب .
وذلك ان احد ملوك فارس الزنجيين^(١) الذين استولوا على المملكة بعد انقراض
الدولة السلجوقية ، وهو ابو بكر بن سعد الزنجي ، حمل على العرب في جزيرة
قيس فهزمهم واحتلها ، ثم اجتاز بجنوده البحر الى جزيرة البحرين ، فاخذها ، واستولى
بعدها على الاحساء والقطيف وغيرها من بلدان الخليج . واستمر حكم الزنجيين
حتى بعد ان ظهر جنكيز خان^(٢) فشابه القرامطة بمدة دولته — ستين سنة —
وباهاؤها .

(١) لا علاقة لهؤلاء بصاحب الزنج .

(٢) ولد جنكيز خان سنة ١١٦٢ وتوفي سنة ١٢٢٧ م .

وبعد مئة سنة من عهد المغول الاول جادت الليالي ، ليالي الدمار والبلاء ،
بابنها الثاني تيمورلنك ^(١) فكمل اعمال جده جنكيزخان الفظيعة واستولى على
البحرين في ما استولى عليه من البلدان قبل دخوله بغداد . ثم خرجت الجزيرة
بعد موته من حكم المغول ودخلت في حوزة شعب جاء من الغرب هذه المرة
لا من الشرق ، شعب ينشد ولا شك التجارة ولكنه يسعى في طلبها سعي
المعتر لا المدتر .

فيينا كان المغول في الشرق حاملين على كل مظهر من مظاهر الحضارة
والعمران ، يفتحون البلدان ويدمرونها ، وينهبون العباد ، ويزرعون الوهيل
والاحزان في كل مكان ، بينا كانت هذه الغيمة السوداء ، الكثيفة مخيمة على
الشرق الادنى ، تحجب عنه النور ، وتفسد كل ما في الحياة من عوامل النشو
والبر ، كان قد راس الفكر البشري في اوروبه فشرع يجول في مباء العلم
والبحث والاكتشاف . وكانت الملاحة التي هي يد التجارة اليمنى اول من
انتفع بثمار الفكر والعلم ، فراحت ترفع علم الجد والاقدام وراء الاوقيانوس في
البلدان الغربية القصية .

جاء زمن ابطل البحار . ومن اولئك الكشافين الربان البرتغالي
فسكو دي غاما ^(٢) الذي ابجر حول « رأس الرجاء الصالح » ومخر عباب
الاوقيانوس الهندي فوصل الى سواحل تلك البلاد العجيبة ، تضاللة الامم الغربية ،
وكان اول من اسس لدولته ملكاً في الشرق . وجاء بعده زميله الفونسو
البوكركه ^(٣) فرفع علم دولته في مسقط ودخل المضيق ، مضيق هرمز ،
فاستولى عليه وحصنه تحصيناً ، وتقدم في الخليج متفقداً الجزر والاسا كل فيسه
وهو يبغى الوصول الى البصرة ، ليفتح طريقاً لمستعمرة بلاده في الهند . ثم

(١) ولد تيمورلنك سنة ١٣٣٦ وتوفي سنة ١٤٠٥ م

(٢) فسكو دي غاما Vasco de Gama ولد سنة ١٤٥٠ وتوفي سنة ١٥٢٤ م

(٣) الفونسو البوكركه Alfonso d'Albuquerque ولد سنة ١٤٥٣ وتوفي سنة ١٥١٥
اول سفرائه الى الهند كانت في سنة ١٥١٣ وهو الذي حاول ان يأخذ عدن سنة ١٥١٣
فلم ينجح ، فتقدم باسطوله الى البحر الاحمر . واحتل فيه جزيرة قران القريبة من الحديدة .

استولى البرتغاليون على جزيرة البحرين وعلى القطيف فحصنوهما كما حصنوا هرمز
ومسقط . الا انهم لم يستولوا على الاحساء لان العثمانيين كانوا قد سبقوهم اليها ،
وبسطوا سيادتهم عليها ، فعدوها يومئذ جزءا من اليمن الذي كانوا قد احتلوا
بعض نواحيه .

كان خليج العجم في قديم الزمان كما هو اليوم مفتاح الطريق للتجارة بين
الشرق والغرب . ولا تطمن دولة غربية في الهند ولا يستقر امرها اذا لم تكن
هي القابضة بيدها على هذا المفتاح . اما ان اخليلج اسهل واصح الطرق لتجارة
الهند فغني عن البيان . هو اقل اخطاراً من البحر الهندي ، واقرب خطأ واسهل ،
لانه في ما من من العواصف والرياح . هو حصن اذا شئت وبابه مضيق هرمز
حيث تكاد بلاد ايران تتصل ببلاد العرب . فضلاً عما في هذه الطريق من
البلدان العامرة ، فمن سواحل الهند الى جزائر اخليلج الى البصرة فيبغداد
فورية فمصر فاوروبا - هي طريق الكنوز .

ادرك ذلك اهل البرتغال قبل ان يدركه الانكليز . ولكن ابنا الجزيرة وان
كانوا قد جاءوا الى الهند بعد مئة سنة من مجيء فسكو دي غاما ، فقد تغلبوا على
البرتغاليين بعد جهاد طويل مستمر ، تحلله الجح من الحيف والتعسف ، فاخرجوهم
كما اخرجوا الفرنسيين من تلك البلاد .

اما حكم البرتغاليين في البحرين فلم يدم اكثر من اربعين سنة . يستدل
على ذلك من كتابه على صخر في جزيرة صغيرة غربي المنامة تدعى جندا^(١)
اخذ للبحارة حجارة منها لتجديد القلعة التي كان قد شيدها اهل البرتغال .
وهذه القلعة التي تدعى قلعة عجاج جددت بعد ان جلا البرتغاليون عن البحرين .
قال المؤرخ : شكاً حاكم دهلي وهي عاصمة الهند الى العثمانيين ظلم البرتغال
للمسلمين وطلب منهم المساعدة فجهز لهم السلطان سليمان القانوني اسطولاً وجاء به

(١) هذه صورة الكتابة التي على حجارة جبل جندا : نقل من هذه الجزيرة مئة الف حجر
لتجديد قلعة البحرين على يد العبد فيروز في زمن وزارة جلال الدين شاه في شعبان
سنة ٩٦٩ هـ و ١٥٦٨ م تاريخ البحرين للشيخ خليفة بن النبهان

الى الهند فتحاربوا مع البرتغال حتى اخرجوهم منها ٠٠٠ ثم جاء الاسطول العثماني الى مسقط والبحرين واخرج من كان فيهما من البرتغال كذلك^(١)

وقد كانت للانكليز في اخراجهم نهائياً من الهند يد قوية عاملة ، عاملة في سبيل شركة الهند الشرقية لا في سبيل العثمانيين .

اما جلاء البرتغاليين عن البحرين فالمؤلف يزيدنا علماً بذلك . جاء في صفحة ٦٢ ما يلي : حصل اختلاف شديد بين امراء جزيرة البحرين وكان اكثرهم من الشيعة فرفعوا شكواهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعاً^(٢) ومذهباً .

فاجاب الشاه عباس طلبتهم وخاصهم من السيادة الغربية الاوروبية . ولكنه بسط عليهم حمايته الشاهانية ، فعادت البحرين الى حوزة من حكوا مراراً في سالف الزمان والاولان ، عادت مستعمرة فارسية كما كانت يوم جاءها الصحابي العلاء الحضرمي بدعو اهلها الوثنيين والمجوس للاسلام .

ولكن الحكم الفارسي في البحرين ، وقد تسرب اليه ما كان قد اعتري الملك في بلاد فارس من الخلل والفساد ، تجلله فترات من حكم العرب ، حتى ان اخر عامل عربي من عمالمهم وهو الشيخ نصر آل مذكور استنجد حكومة ايران في حملته على آل خليفة في الزبارة فلم تنجده . وكانت الوقعة بينه وبينهم (سنة ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م) السبب في فراره الى ابي شهر وفي دخولهم الى البحرين منتصرين .

(١) بعد ان قلب السلطان سليم على المماليك سنة ١٥١٧ م فكر في احتلال عدن ليجعلها مركزاً لحملة على البرتغاليين في الهند فجاء ابنه سليمان في سنة ١٥٣٨ باسطول كبير يحقق رغبة ابيه فاحتل عدن واقام حامية فيها . ولكن العرب قاموا بعدئذ على الترك فذبحوا الحامية فيها وساموا البلد الى البرتغاليين ، فجاء الاسطول العثماني ثانية الى عدن فأخرج البرتغاليين منها واعاد الحكم العثماني فيها ، ثم استأنف السير الى الهند ليم حمله على اهل البرتغال هناك .

(٢) كانت اصفهان في تلك الايام عاصمة ملوك فارس .

الفصل الخامس

آل خليفة

من الافلاج الى الكويت الى الزبارة — تجارة اللؤلؤ — آل خليفة في الزبارة —
فتح البحرين — ظهور ابن سعود عبد العزيز الاول — سلطان مسقط —
البحرين بين الاثنين — سلطان مسقط يستولي على البحرين — رجوع آل خليفة
الى الزبارة ومفاوضتهم لابن سعود — النجدة من نجد — ابن عفيصان ينتصر
ويؤمر نفسه — آل خليفة عند ابن سعود — وآل خليفة عند سلطان مسقط —
الرجوع الى البحرين واخراج ابن عفيصان منها — العدو في قطر — ابن عفيصان
وأرجمه حليفان — الحرب بين اسطول الحليفيين واسطول البحرين — أرجمه
وابن عفيصان ينجران على لوحة من خشب — أرجمه وسلطان مسقط حليفان —
المهجوم على البحرين — أرجمه ينكسر ثانية — أرجمه يعيد الكرة على البحرين —
البطل الضرب — « يدي لا بيد عمرو » . — الفتنة في بيت آل خليفة — حزب
آل عبد الله وحزب آل سلمان — الشيخ محمد آل سلمان — آل عبد الله يستنجدون
ابن سعود — الشيخ محمد ينتصر على اعدائه — اسطول البحرين وتدخل الانكليز —
« احرقوا اسطولكم ونحن نحميكم » — النزاع بين الشيخ محمد واخيه علي —
الفتنة — المدرعات الانكليزية في البحرين — نفي الاخوين — الشيخ
عيسى بن علي .

كانت الزبارة^(١) في الماضي من البلدان العربية العامرة ، تجارتها الكبرى
اللؤلؤ ، وسكانها من آل ابن علي والجلahme ، وهم من عرب العتوب اي بني عتبة ،
وهؤلاء فصيلة من جميلة ، وجميلة نخذ من عنزي^(٢) . وكان آل خليفة ، وهم من
اكبر عشائر بني عتبة ، يسكنون بارض الهدار من بلدان الافلاج بنجد .
فنزح الشيخ خليفة واهله الى الكويت في اواخر القرن الحادي عشر للهجرة
واقاموا هناك عدة سنين . وبعد وفاته هجر ابنه الشيخ محمد الكويت وجاء باهله
الى الزبارة فنزلوا على ابنا عمهم الجلahme وآل ابن علي .
كان الشيخ محمد بن خليفة ورعاً نقياً ، حسيفاً حكماً . جاء من الكويت

(١) بلدة في قطر على شاطئ البحر قبالة جزيرة البحرين .

(٢) راجع الفصل الثاني من القسم السادس صفحة ١٥٢ من هذا الجزء .

مغلوباً على امره وظاهر قصده شراء اللؤلؤ . جاءه ببغية التجارة لا السيادة فكان
حظه من الاثنين وافراً . احبه اهل الزبارة لورعه وبره وكرمه واصالة رأيه ،
فرغبوا اليه والى قومه ان يقيموا بينهم ثم امروه عليهم .

وعندما توفي الشيخ محمد تاجر اللؤلؤ السيامي الابن خلفه ابنه الشيخ خليفة
الذي لم يرث من ابيه غير شيء من البر والنقوى . مزجها بشيء من الشعر .
وقد حج سنة ١١٩٧ هـ وتوفي في مكة ، فتاب عنه ثم خلفه في الحكم اخوه
الشيخ احمد . وهو يدعى الفاتح - احمد الفاتح الذي احترق وآخر عامل من
عمال الفرس في البحرين ابي الشيخ نصر آل مذكور الذي سبق ذكره ، فغلبه
واستولى على الجزيرة .

الدول اليوم تفتلق الاعذار اذا شاءت الاستيلاء ، والشيخ احمد لم يشأ
غير ما شاءته النقادير . فلما استقر حكم آل خليفة في الزبارة ، عاد اهلها الى
التجارة ، فكانوا يجيئون الى البحرين لشراء اللؤلؤ الذي كانوا يبيعونه في
الهند . وكان البخارنة من اهل الشيعة وهم يومئذ يكرهون اهل السنة
ويضربون لهم العدا . فحدث ذات يوم خلاف بين الفريقين افضى الى قتال قُتل
فيه احد خدم آل خليفة ، فثار له اهل الزبارة ، وحملوا على البخارنة فاستغاث
هؤلاء بمحاکمهم الشيخ نصر ، فجهز لهم اسطولاً من السفن مشحونة بالجنود
وتولى بنفسه القيادة . ولما دنوا من الزبارة خرج عليهم اهلها بالسفن فحاربوهم
وكسروهم شر كسرة ، فأقلعوا هاربين الى ابي شهر . اما البحرين فكانت قد
خلت من الحامية ، فسار اليها الشيخ احمد بقومه واستولى عليها سنة ١١٩٧ هـ
١٧٨٢ م وهي السنة التي توفي فيها اخوه الشاعر الورع في مكة . كانت تجارة
اللؤلؤ كذلك من عوامل الفتح الاحمدي كما كانت سابقاً من دواعي الفلاح في
امارة ابيه الشيخ محمد علي الزبارة .

اقام الشيخ احمد عاملاً من قبله على البحرين ، وعاد الى عاصمته في قطر .
على انه لم يستمتع وقومه بثار النصر غير بضع سنين . لان ابنه الشيخ سلمان الذي
خلفه كان خواراً ضعيف الرأي والارادة . وكان قد نبغ في تلك الايام رجل

في نجد فراح بكنسج البلدان والامصار ويستولي على القبائل الدانية والقاصية .
هذا الرجل هو الامير عبد العزيز آل سعود امام الوهاية الذي كان قد وصل
بجيشه الى الاحساء ، تخاف عرب الزبارة ان يستولي عليهم ، فظعنوا بنقدمهم
الشيخ سلمان الى البحرين .

هربوا من الوهاية القاهرة ، من خطر البر ، فوقعوا في خطر ادحى واشد جاءهم
من البحر يقوده ويدفعه السيد سلطان حاكم مسقط . وكأنت السيد سلطان
ادرك اعوجاجاً في حكم البحرين الجديد نجاء يقومه ، باسطوله وسيفه . فبادر اليه
الشيخ سلمان موالياً لا معادياً ، لانه لم يرغب باكراه البحارنة على القتال . وكان
قد اطلع ، كما يقول المؤرخ ، على بعض مكاتباتهم الى حاكم مسقط يرغبونه في
الاستيلاء على بلادهم . هذا من الشيخ سلمان انصاف في الحكم وعدل في الرعية .
الارادة للشعب ! ولكن الصلح الذي عقده والسيد سلطان والذي بموجبه قدم
احد اخوانه رهينة الى حاكم مسقط الظافر ، لا يُعَد في عين عنزي وربعة
من شيم الرجال . ولّى السيد سلطان ابنه السيد سعيداً على البحرين وعاد بالرهينة
والغنائم الى مسقط .

اما العتوب فعادوا الى الزبارة بذلم وهم لا يزالون موكلين امرهم الى الشيخ
سلمان . ولكنهم نهضوا لاسترجاع البحرين ، بعد ان توفي اخوه الرهينة في
مسقط ، وشرعوا يفاوضون امير نجد بذلك . طلبوا منه المساعدة فاجاب طلبهم
حبا وكرامة . ولم يدركوا ما كان قد ظهر وشاع من مقاصد الرجل القومية
والدينية ، مع انه كان قد استولى يومئذ على الحرمين .

ابشروا يا عتوب ! هذا ابراهيم بن عفيصان احد قواد ابن سعود الاباسل
جاء بجيشه يسترجع ملككم — يسترجعه يا بني عتبة ليضمه الى ملك اهل التوحيد
وابن سعود . وكذلك كان . دخل جيش الزبارة ونجدة نجد الى البحرين فضربوا
السيد سعيداً فهزموه واخرجوه من الجزيرة .

وكان الكلام اذ ذاك لابن عفيصان : البحارنة مشركون ولا يصلح المشركين
الا اهل التوحيد . اما آل خليفة فعقائم القائد النجدي من الاصلاح ، فاعلاماً

او مفعولاً ، واذن لهم بالرجوع الى الزبارة . فعادوا ثانية مدحورين مغبونين ،
وشرعوا يفكرون برفع امرهم الى حضرة الامام في الدرعية عله يرسل من قبله
من يؤذّب ابن عفيصان ، او عله في الاقل يأذن لهم بالرجوع الى البحرين . وبينما
هم يفكرون والشيخ سلمان صدرهم يفكر اكثر من الجميع ، اذ اقبلت عليهم سرية
من سرايات الفاتح الكبير فاستولت على الزبارة وامرت آل خليفة بالسفر الى
نجد . وكان الامير سعود قد خلف وقتئذ اياه عبد العزيز .

سافر في سنة ١٢٢٤ هـ ثلاثة من آل خليفة ليقابلوا امام الوهاية في الدرعية .
فلما وصلوا اليها اكرم الامير سعود وفادتهم ولم يأذن لغير اعيان الزبارة بالرجوع .
اما آل خليفة فأنزلهم في القصر ضيوفاً عليه ، وامرهم بين يديه . ولا اخن انه
خطر في بال احد منهم قول الشاعر :

والمستغيث بعمره يوم كربته كالمستغيث من الرمضاء بالنار

لانه لو خطر ذلك في بال احد منهم لما استبشروا بقدم ابن عفيصان ولما
استمروا يعالجون سياسته حتى اوصلتهم الى الاسد في عربته .
ولكن هناك غير آل خليفة من العرب بلجأون الى مثل هذه السياسة وهم
يظنون ان الرجل بين عدوين يخادع الاثنين ، فيستخدم اذا كان حكيماً الواحد
منهما على الآخر . وقلما يسير الفكر بهم الى ما دون ذلك من نتائج المساعدة .
قد كانت سياسة آل خليفة مطردة في مثل هذه الحال . اي انهم كانوا يستعينون
بجناحهم اذا ضايقهم حاكم مسقط ، وبجناحهم مسقط اذا كانوا في خطر من
حاكم نجد .

فلا يستغرب اذن رجوعهم الى السيد سعيد بن سلطان الرجل الذي اخرجوه
من البحرين ، يستنجدونه هذه المرة ليخرجوا ابن عفيصان منها . وكان الشيخ
عبد الرحمن بن راشد آل فضل رسول اخواله آل خليفة الى حاكم مسقط .
ولكنه ، على عزمه ودهائه ، لم يظفر من السيد سعيد بغير المال عوناً . اخذ
الشيخ عبد الرحمن المال وسافر الى بلاد فارس او بالحري الى قرص المقاطعة
الجنوبية وفيها مستعمرة عربية من عرب النصور فألف منهم جيشاً — بالمال تقوم

الحروب - وارسل الى اخواله يخبرهم بذلك ويطلب منهم ان يتأهبوا للهجوم .
فجاء آل خليفة برجالهم من الزبارة واتحدوا مع ابن اختهم عبد الرحمن وجنوده ،
فتوافقوا مع جيش ابن عفيصان وكسروه واخرجوه من الجزيرة . اقلع النجدي
هارباً الى قطر ونزل هناك على رجل يدعى ارحمة بن جابر الجلاممة . ولا رحمة
هذا دور كبير مهم في تاريخ البحرين سأروي شيئاً منه .

بعد ان استولى عبد الرحمن آل فضل على البحرين ونقل آل خليفة اليها تبعهم
قوم من العرب كثيرون . ولما علم الامام سعود بخروج ابن عفيصان مهزوماً
حاول استرجاع الجزيرة من الشيخ عبد الرحمن بواسطة اخذ اخواله الامراء في
الدرعية . فأرسل الشيخ عبد الله بن احمد منهم بصحبه بعض رجاله ليستطلعوا
خبر عبد الرحمن ويروا ما اذا كان استولى على البحرين لنفسه او ليعيد اليها
سيادة آل خليفة . هي السذاجة في النوايع وفي من لا يزالون على الفطرة الاولى .
لا نعلم ما اوصى به الامام سعود رجاله ، ولكن المؤرخ يقول انهم جاءوا الى
الشيخ عبد الرحمن بالخشن من الكلام . - كيف يجراً العيال ان يستولوا
على البحرين وآبؤهم في قبضة الامام ؟ فقال الشيخ عبد الرحمن : دونكم العيال ،
فانهم حاضرون . فنقدم اذ ذاك الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان وقال :
نحن اخذنا البحرين لانفسنا ولا حاجة لنا بأبائنا . وقد يشنا منهم ومميننا
باسمائهم (١) .

كفر الولد الشجاع عن ضعف ابيه فاغضب رجال نجد ، فقالوا يهددون
الشيخ عبد الرحمن : لو كان يمكن للخف والحافر ان يطأ البحرين لنثرناها
حصاة حصاة . فأجابهم قائلاً : لو كان يمكن أقبيت الجابري (٢) ان يطل على
الدرعية لجعلنا عاليها اسفلها .

ولكن الاقدار بعثت على الدرعية بغير « قبيت الجابري » ليهدمها . ففي
تلك السنة او بعدها بقليل جاء ابراهيم باشا المصري يحارب اهل نجد فشغل

(١) يقول العرب عندما يفقدون احداً من اهلهم ، سبينا باسمه .

(٢) القيت انت السبينة والجابري اسم سفينة المتكلم .

الامام ابن سعود عن الاجزاء الصغيرة مثل قطر والبحرين في ملكه المتراحي الاطراف ، فاطلق سراخ بني خليفة وتركهم وشأنهم ، فعادوا الى الجزيرة يتولون فيها زمام الاحكام .

لم يصف لهم الجو مع ذلك ، لان قطر قريبة من البحرين ، وفي قطر ارحمة ، وعند ارحمة ابن عفيصان ابراهيم . وكان ارحمة بن جابر الجلاممة عزيزاً في قومه جباراً عنيداً . فلم يدن لآل خليفة ، بل كان يباريهم في السيادة ويسعى في انتزاع الامارة من ايديهم . ثم جاء ابن عفيصان يزيد غلاً ونفوراً فوحدت النزعتان والثاران ، وكان ينتظر من رجلي قطر مباشرة القتال . ولكن آل خليفة ، عندما استقر امرهم في البحرين ، جهزوا اسطولاً من السفن الشراعية واهجروا الى قطر . توكلنا على الله ! نحرقها ان شاء الله ! وكان ارحمة وابن عفيصان قد علما بذلك فتأهبا للحرب . توكلنا على الله ! هي لنا ان شاء الله ! .

خيم الليل فاقف الخليفون سفنهم امام المكان المقيم فيه ارحمة وابن عفيصان وهو يدعى الخوير . وكان ارحمة ملاحاً ماهراً وقائداً خبيراً . فلم تسره مناورة اسطول العدو اذ رأى انواره . — تعبئة هذه السفن يا ابراهيم تنبيء بوجود الشيخ عبدالله بن احمد فيها . فقال ابراهيم متمكماً : والشيخ عبدالله من المحبوسين في الدرعية . هات الدليل على نبوتك يا ارحمة .

— تعبئتها تعبئة قائد خبير ، ولا يمكن ان يكون غير الشيخ عبدالله . ثم استدعى زورقاً واشعل فيه سراجاً وامر احد رجاله ان يقف به وراء السفن ، فلما رأى قائد الاسطول ذلك خشي ان يكون النور نور سفن ارحمة ، فامر سفنه ان تقف وراءه دفعاً لهجوم يجعله محصوراً بين العدو والبلد . فلما رأى ارحمة ذلك تيقن ان الشيخ عبدالله قائد الاسطول واعجب بدهائه وبمقدرته الحربية .

لا تسرفي هذه الحركة يا ابراهيم . هيا بنا الى البحر .
خرجوا بالسفن الى البحر ، وعند انبلاج الفجر تقابل الفريقان فادرك ارحمة ان من الحزم الا يقاتل القوم لان قوته لم تكن كافية . فاغتاض ابن

عفيصان عند ما قال له ذلك وظنها جبانة منه ، فاعز الى احد رجاله ان
« يحورب »^(١) .

لا خير في رجل يجر جريرته واذا تضايق دربه خلاها^(٢)
فغضب ارحمة واعتزى قائلاً : لا بالله ما نخليها . ثم امر بنشر الشراع
وبرز للقتال .

اشتبكت السفن بعضها ببعض ، فتلاطمت الاشرعة ، وانّت الاخشاب من
الصدّامات ، ولصقت سفينة ارحمة بسفينة راشد بن عبدالله ، فجاء ابوه يدعمه
بسفينة من الجنب الاخر كيما يمنعه ساعة الخطر الاشد من الفرار . وكأني بارحمة
وقد عين الشيخ عبدالله يقول لابن عفيصان : اتبغي الدليل على نبؤتي ؟ خذه
يا ابراهيم .

حمي الوطيس بين الجمعين ، فدوت البنادق بالرصاص ، وابرقت خلال
الدخان السيوف ، وسالت الدماء من المراكب فخضت الامواج ، واشتعلت
النيران في الخشب والاشرعة ، فتطايرت منها الشهب وتساقطت الشظايا
الملتهبة . — تبغي الدليل على نبؤتي ؟ خذه يا ابن عفيصان . راحت القتلى تسابق
الرصاص الى قعر البحر ، وفيهم راشد بن الشيخ عبدالله . ثم حجبت النيران
والدخان سفينة ارحمة ، وقهقهت فوق عرشها زبد الموج المخضب بدم الابطال ،
فنجبا سيد الجلاممة وحليفه ابن عفيصان على لوحة من خشب . — هل رأيت
حرب العتوب يا ابراهيم ؟ ولكن الهول أصم ابراهيم وعقل منه اللسان .

اما ارحمة فلم يكن ممن تسكتهم الهزيمة وتصمهم الاهوال . لم يوفق في
شركته وابن عفيصان الى مراده ، فسافر بعد تلك الواقعة الى مسقط ليخطب ود
حاكمها سعيد بن سلطان .

— آل خليفة اعداؤك ياسعيد واعدائي . كسروك مرة وكسروني . ولست
ياسعيد ممن ينامون على الضيم . لا بالله .

(١) حورب اي هزج وهي من اصطلاح اللبنانيين وعرب نجد .

(٢) هذا من الشعر الذي يدعى في نجد بالنبطي اي العامي .

وحلف أرحمة بعز العُتوب ، وحلف سعيد برأس ابيه .
 ثم ناصب صاحبُ مسقط الخليفين العدا . وذلك انه قبض ذات يوم على
 تجار من البحارنة كانوا يقصدون الهند ، وفيهم الشيخ عبد الرحمن آل فضل
 عدوه الاكبر ، فخرجوا على مسقط فاعتقلهم في برج القلعة هناك . وكتب الى
 اهل البحرين يطلب منهم الطاعة والخراج . فأجابه الحاكم الشيخ سلمان ، وكانت
 منه حيلة من حيل السياسة والحرب : اننا بغنى عن هؤلاء وقد نسيناهم وممينا
 ابنائنا باسمائهم .

اما السيد سعيد فكان قد تاهب للحرب فجاء باسطوله الى البحرين بصحبه
 أرحمة الجلامه ، فنزلوا في سيرة^(١) على شاطئ الجزيرة ، واقاموا هناك ثلاثة
 ايام فلم تظهر طلائع البحارنة . فتهكم سعيد قائلاً : عتوبك غابوا — اي ماتوا —
 فغضب ارحمة لانه عتوبي ، وعندما ظهرت اعلامهم خلال النخيل في صباح اليوم
 التالي صاح قائلاً : هم عتوبي ظهروا ياسعيد . توكل على الله .

ولم تكن ساعة بعد التحام الجيشين حتى اسفرت الواقعة عن هزيمة اهل مسقط
 وفرارهم الى البحر . فلما رجع السيد سعيد الى بلاده هم بقتل تجار البحرين
 المعتقلين عنده . ولكن اخته موزة نهته عن ذلك وأقنته قائلة : هم في جوارنا
 وامرى بيدك فأبي نخر في قتلهم . دول على البحرين وخذ بثأر اخيك . اي
 جهز عليها مرة ثانية . واخوه كان قد قتل في وقعة سيرة .

اثر في سعيد شهامة اخته موزة تأثيراً حسناً فعاد الى البحرين . ولكنه
 سالم اهلها هذه المرة فعقد مع اميرهم الشيخ سلمان الذي سلم الجزيرة سابقاً
 الى ابي سعيد دون قتال ، ومن شروطها ان يدفع اهل البحرين قسماً من الخراج
 الى حاكم مسقط فيطلق سراح المعتقلين عنده .

وبعد وفاة الشيخ سلمان الرجل المسالم تولى الحكم اخوه الشيخ عبد الله ،
 وهو الحاكم الثالث من آل خليفة في البحرين . وكان أرحمة لا يزال حياً
 يرزق وخصماً لا يموت الا قتالاً . لكن الزمان والكروب أوهت منه العظم

(١) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٠٢

وذهبت بالبصر . اما القلب الذي تعشّق الاخطار في سبيل المجد فلم يعتره وهي
او نصب ، ولم يحمد فيه ذلك النور الذي لا يرى شرقاً في غير الشجاعة والثبات .
قام ارحمة ومعه بعض قومه يعيد الكرة على البحرين ، ارحمة وحده هذه المرة
لا حليف ولا شريك له . فدخل القطيف راكباً سفينة المشهورة « غطروشة »
فجرّد عليه الشيخ عبد الله السفن وقد شحنها بالرجال وخرج يقودها بنفسه .
احاطوا بارحمة البطل الضريير في ميناء القطيف ، فأمر بنشر الشراع وطلب
ميداناً منسماً للقتال . فاجيب الى طلبه . أفسحوا لغطروشة فخرجت الى عرض
البحر ، ثم انقضوا عليها من كل جانب . وكان ارحمة وهو جالس عند خزانة
السفينة ومعه ابن له صغير الى جنبه وعبد طرار واقف فوق رأسه يسأل عن
السفن الهاجمة عليه وعن قوادها فيخبرونه فيقول : هذا لا يجراً على مقابلتنا -
هذه لا تلحقنا . ثم يصدر الاوامر للنوتية بينما رجاله يبادلون العدو اطلاق
الرصاص . وعند ما دنت سفينة الشيخ احمد بن سلمان من « غطروشة » اخبروه
بها فقال : هذا يطابقنا لا محالة ، لان جنبه لم يلامس ناعمات الابدان . اي انه
لم يتزوج .

بعد قتال بالرصاص شديد تلاصقت السفينتان ، فتجالد الفريقان ، واشتد
الضرب بينهما والطعان ، بينما ارحمة الضريير يحارب بلسانه وجنانه ، فيعرض
رجالاً ، ويصدر اوامره ، ويسأل تارة ابنه ، وطوراً يستخبر عبده طراراً .

- ابن صاروا يا وليد .

- عند الدقل^(١)

- جتّبوا . جتّبوا . . . والآن ابن صاروا ؟

- صعدوا النيم^(٢)

سكت ارحمة سكوته الابددي ، اذ قرن كلمته الاخيرة بالعمل ، فاخذ ابنه
ووضعه في حجره ، وعمد الى نار فالقاهما في ذخيرة البارود التي كانت تحته .

(١) الدقل الصاري .

(٢) النيم سطح مؤخر السفينة .

«بيدي لا بيد عمرو» . فدوى دوي غرقت فيه اصوات البنادق كلها ، وضحك الزيد المخضب بالدماء فوق عرشه العظروشة .

تسمى هذه الواقعة في تاريخ البحرين « ذبيحة أرحمة الجلاممة » . قل هي مجده وتخليده . رحم الله كل من مات بطلاً في ساحة الوغى .

كان لأرحمة ابن اخر اسمه بشر حاول الاخذ بثأر ابيه فراح الى صاحب مسقط السيد سعيد يستنجده على آل خليفة . وبما انهم كانوا قد امتنعوا عن دفع الخراج جاء سعيد ، اكراماً لبشر ابن أرحمة ، يعلمهم حفظ اليهود . فخرج له الشيخ عبدالله بجيشه وكسره في اول وقعة وقتل من رجاله ثلاثة الاف .

عجايب يا بني عتبه عجايب ثلاثة الاف ما فيهم شايب
وقد حارب في هذه الواقعة مع آل خليفة مزيد بن هذال وبعض قومه
العمارات (١) .

اخذت نشوة النصر مأخذاً من الشيخ عبدالله فحببت اليه الفتح والاستعمار . وكان قد تجدد بينه وبين امير نجد الخلاف فجهز جيشاً بحرياً وسار به الى دارين ففتحها ، ثم الى ناروت فاستولى عليها ، ثم الى سيهات في القطيف فحاصرها . فجاءت جيوش نجد توقفه في فتوحاته ، وقامت تساعدهم الفتنة في بيته . بل افقدته تلك الفتنة ما كان قد استولى عليه في القطيف .

ان السبب في مثل هذه الفتن المألوفة في بيوت امراء العرب الحكاميين هو غالباً تعدد الزوجات التي ينشأ عنه ضغائن بين الاشقاء ، ومنافسات بين الامهات خصوصاً اذا كن من قبائل مختلفة (٢) .

(١) لا يزال بنو هذال وشيوخهم اليوم فهد بك مؤمّرين على هذا الفخذ من عذرى الذي يسمى العمارات . وهم من عشائر الشمال يقبضون في ارض عند وادي حوران بين سورية والعراق .

(٢) « ان تعدد زوجات الملك يزيد بعدد السباهلة في البلاط ويوجب بناء القصور المدينة التي يقتضي لها نفقات طائلة ، ويقتل الشعور في الاسرة ، الشعور الابوي والبنوي والاخوي ، ويضعف الاخلاق ، ويضعف القوى الجسدية ، ويبعث على التخنث والترفة ، ويمكن من النفوذ والسيادة في الاحكام طبقة منحطة من الناس . »

جورج رولنسون في كتابه « موجز التاريخ القديم » صفحة ٢٧

كان للشيخ عبدالله عشرة اولاد منهم ثلاثة امهم من آل بني علي ، العشيرة التي مر ذكرها في الكلام على اهل الزبارة . فخرجوا على ابيهم يطالبون بالامارة وقصدوا الى الحويلة^(١) يستنجدون اخوالهم فيبسا . فارسل الاب عليهم جيشاً بقيادة حفيد اخيه الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان فهاجمهم في الحويلة وهزمهم في الواقعة الاولى ، فتابوا وقالوا لابيهم : اتنا من الطائعين ، فعفا عنهم واذن لهم بالرجوع الى البحرين .

هذي هي البداية والنهاية في معقة ابنائه . ولكن روح الفتنة التي خرجت منهم حلت بالرجل الذي حمل عليهم باسم ابيهم وظهرت قرونها بعد ثماني سنوات من وقعة الحويلة . ذلك ان الشيخ محمد ، حفيد الرجل المسالم الشيخ سلمان ، قام على الشيخ عبد الله كأن يتقاضاه اجرة تأديب اولاده ، فحاصره في المحرق . وكان ابنا اخيه سلمان الساكنان يومئذ في الرفاع^(٢) يميلان الى عمهما وهو يثق بهما . فاستنصرهما على ابن اخيهما الثائر عليه ، وجيز لكل منهما جيشاً كبيراً . فاحتربوا في دقتين فاندحر في الثانية الشيخ محمد بن خليفة . وبعد ان وكل اخاه الشيخ علي بان يرعى الفتنة سرّاً راح يستنجد الاعداء على الاقرباء .

سافر اولاً الى نجد فصدّه اميرها ، فعاد الى قطر وارسل الى آل ابراهيم الذين كانوا يومئذ في جزيرة قيس من اعمال فارس بدعوتهم لقتال اعدائهم السابقين حكام البحرين . فلبوا الدعوة مسرعين ومعهم الجلاممة برأسهم بشر بن أرحمة . وكان الشيخ محمد في قطر والشيخ علي في البحرين يتعاونان في اضرام نار الفتنة وتجهيز الجيوش لها .

أزف يوم القتال ، فخرج الشيخ علي بجيش على الشيخ عبد الله فكسره وتقدم الى الرفاع فاستولى عليها . ثم جاء الشيخ محمد بجيشه فزحف على المنامة ودخلها منتصراً . وكان الشيخ عبد الله في المحرق فعبر اليها ووقع بينه وبين عم

(١) الحويلة قرية في الطرف الشمالي من قطر .

(٢) راجع الفصل الثالث من هذا القسم صفحة ٢٠٢

ايه قتال كان عليه وبالآ . فلجأ وبعض رجاله الى القلعة فتحصنوا فيها ، وما كان الحصن حصيناً . فرّ الشيخ عبد الله من القلعة هارباً الى بلاد فارس ، ومنها جاء الى الكويت يستنجد حاكمها فلم ينجده ، فسار منها الى نجد وكان نصيبه هناك الفشل ايضاً ، فسافر بعدئذ الى مسقط فمرض فيها ، ومات بعد بضعة ايام حزيباً طريداً .

حكم الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن خليفة في البحرين اثنتين وعشرين سنة ، قضى جلها في قمع الفتن ، وفي ما عقت من الحروب . وخلفه محمد الثائر ، الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان ، الذي كان السبب في انقسام آل خليفة الى حزبين حزب آل عبد الله وحزب آل سلمان . وهذا الشقاق بما نشأ عنه من الفتن والحروب أدّى الى تدخل الانكليز ، ففتح الثلثة التي يتعشقها «سفين» السياسة . ساقص قصة الانكليز في حينها ومكانها .

اما الآن فالخاتمة التي نحن فيها من هذا التاريخ تتعلق بالشيخ محمد بن خليفة آل سلمان . وقد علم القارىء مما تقدم من سيرته انه كان شجاعاً عزوماً مقداماً ، ولكنه لم يعلم بانه كان ذا بدهاء عجيبة تدنو من الرؤيا فتتمكنه من تفسير الاحلام ، والتنبؤ بما تخبئه الايام . اما في السياسة فقد كانت الحربا . مثاله الاعلى . ولا غرو ، فالدولة العثمانية كانت قد بدأت ترمق الكويت والاحساء والبحرين بنظر الام الرؤوم ، وكانت الدولة الايرانية لا تزال تحلم برجوع ابنتها الضالة قترأم حبل سيادتها في الخليج ، وكان الانكليز ، بعد ان ثبت قدمهم في ابي شهر ، يسيرون في المضيق بين الدولتين الى مقاصدهم الكريمة . فهل يلام الشيخ محمد اذا قام بينهم كالبهلوان يدهشهم تارة ، وطوراً يضحكهم ، ولا يرضي باطنا احداً منهم . قيل انه كان ينشر في القلعة علمين ، علماً عثمانياً فوق البرج الغربي منها وعلماً ايرانياً فوق البرج الشرقي ، حتى اذا حاولت احدى الدولتين التحكم باموره ادعى النسبة الى الثانية . ولكن الانكليز ادركوا سر هذه السياسة وعلّموا ان في العرب انفسهم من لا يسره نجاحها . اما قصة الانكليز فلم يحن بعد حينها .

تولى الشيخ محمد الحكم سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م فحكم مطمئن البال ست سنوات لم يخرج عليه اثناءها احد من اعدائه . ويظهر ان ابناء سلفه الشيخ عبد الله الذين هربوا بعد سقوط ابيهم الى الدمام في القطيف كانوا يتأهبون لذلك . فقد كان في القطيف يومئذ آل ابن علي وزعيمهم عيسى بن طريف الطامع بملك البحرين . فاتحد وآل عبد الله وجاءوا الى قطر يشهرون الحرب على الشيخ محمد . فبعث اخاه علياً على رأس جيش كبير نازلهم في أم سوية فقتل في الواقعة عيسى بن طريف وقفل الشيخ مبارك بن عبد الله واخوانه هاربين الى الدمام ٠٠٠ - يلزمنا يا اولاد بوي حليف آخر ٠٠٠ - دونك يا مبارك وابن سعود .

وكان امير نجد يومئذ فيصل بن تركي الذي نهض للحرب يسترجع ملك اجداده . فأجاب طلبتهم بأن بعث بدمهم بجيش في البحر وسار يقود بنفسه جيشاً برياً . وعندما ابجر آل عبد الله وانصارهم الى البحرين كان الشيخ محمد قد حشد الجيوش برأً وبحراً لمقاومتهم . فغلبهم ثانية في واقعة بحرية قتل فيها الشيخ مبارك وابن عدو آل خليفة الالد بشر بن أرحمة . ثم حاول آل عبد الله الثالثة ان يأخذوا بثأر ابيهم فلم يفلحوا . فبعد ان حاصرهم الشيخ علي اخو الشيخ محمد في الدمام احد عشر شهراً واضعف شوكتهم لجأوا الى ابن سعود ليكون هذه المرة واسطة الصلح بينهم وبين ابن عمهم ، فقام الامير فيصل بهذه المهمة المبرورة وكانت من المفلحين . فعاد آل عبد الله الى البحرين فعفا الشيخ محمد عنهم واكرمهم غاية الاكرام .

ومع ذلك لم يصف الجو للشيخ محمد . فلم يكد يخمد نار الفتنة في القطيف حتى اشتعلت في قطر التي كانت يومئذ تابعة للبحرين ، فقام اهلها وعلى رأسهم الشيخ قاسم بن ثاني يخلعون نير الطاعة ويهددون آل خليفة بابن سعود . فارسل الشيخ محمد اخاه علياً ليؤدب العصاة . فوصل الشيخ علي بجيشه الى الدوحة عاصمة قطر ، ودخلها بغتة ، فاعمل في اهلها السيف ثم دمرها تدميراً . جاء بعد ذلك الشيخ قاسم الى البحرين يلتمس العفو فالفاه الشيخ محمد بفي

السجن ، فهاجت لذلك قبائل قطر بامرها وفي مقدمتهم عرب النعيم وجاؤا باسطول من السفن يهاجمون البحرين . فلما وصلوا اليها وجدوا جيشا في البحر مستعدا للقتال ، فحدثت في مكان اسمه دامية معركة شديدة ، تلاصقت فيها السفن فشُبكت بكلايب الحديد ، وتجالد الفريقان فاحمر وجه الماء من دم القتلى وكان الفوز للبحارنة .

وكانت وقعة دامية هذه - ١٢٨٤ و ١٨٦٧ م - السبب في تدخل الانكليز بشؤون البحرين .

لست ممن يشكّون في ان الانكليز يبعثون السلم ويسعون في توطيد الامن في الخليج العجمي . بل هم يبعثون السلم ويسعون في توطيده في كل مكان يتخذونه طريقا لتجارتهن وسبيلا لتأييد سياستهن في الهند . وقد بان لك ايها القارىء في ما سردته من تاريخ البحرين ان الخليج ، وهو اهم هذه الطرق ، كان دائما مسرحا للفتن والحروب التي يسببها حب السيادة والاستعمار . جاء الانكليز بعد اهل البرتغال وقصدوا الاستيلاء عليه ، والحفاظة فيه على الامن والسلامة . فبسطوا شيئا من سيادتهم ونفوذهم على بعض الجزر والاساكن على الساحل العجمي ، منها ابو شهر التي هي اليوم مركز الحاكم العام .

وراحوا يشدون الامن والسلامة - والسيادة طبعاً - في الجهة العربية منه . نريد الخليج طريقا آمنة للتجارة في ايام السلم ، ونريده في ايام الحرب وهو مفتاح الهند بيدنا وحدنا . انما هذه هي غاية الانكليز الاولى والاخيرة . ولا ريب بذلك . اما الوسائل التي اتخذوها لتحقيق هذه الغاية والسياسة التي اتهمجوها لتعزيز سيادتهم في الخليج ، فلتلك قصة اخرى لا احرم القارىء ، طرفاً منها .

قلت ان الشيخ محمد بن خليفة كان شاذاً في بدايته الى درجة تصيح البداهة فيها ضرباً من الرؤيا . ولكنه لم ير شيئاً وأأسفاه مما كتبه الاقدار في تقرب الانكليز منه . جاءه الوكيل السيامي من ابي شهر بخطب وده ويدعوه

لعقد معاهدة تضمن له سلامة بلاده ومساعدة بريطانيا العظمى^(١) فمن يرفض هاتين النعمتين ؟ كان الشيخ محمد كما اوضحت محوطاً دائماً بالاعداء من القبائل ومن آل بيته ، تزعزع حكمه الفتن والحروب . فرأى المحكمة والمصلحة في عقد المعاهدة ، وان كان من شروطها ان يتنازل حاكم البحرين عن حقوقه في تجهيز الجنود البحرية والسفن الحربية . فقد تعهدت بريطانيا العظمى في مقابلة ذلك ان ترد عن البحرين كل غارة بحرية . هذه خلاصة المعاهدة او الاتفاق .

فلما نار اهل قطر على حكومة البحرين وجاؤا بهجومون على الجزيرة خشي الشيخ محمد من استيلائهم عليها بينا هو يفاوض الوكيل السيامي في ابي شهر^(٢) ويفتظر النجدة منه . فكانت وقعة دامية وكانت فاتحة المحنة الكبرى .

ركب الوكيل السيامي مركباً حربياً وجاء يحنج على الشيخ محمد بانه خرق المعاهدة بينه وبين بريطانيا العظمى . ولكن الشيخ محمدا وكل اخاه علياً بالامر وسافر الى قطر قبل ان يصل الوكيل الى البحرين . فعاد الوكيل ذلك اعترافاً منه بنكث العهد وفراراً من التبعة والجزاء . فامر باطلاق مدافع البارجة على القلعة التي كانت تزدهي بعلمي تركية وايران فهدمتها . ثم طلب من الشيخ علي ان يتولي الحكم بدل اخيه الذي سقطت امارته بخرقه المعاهدة . قبل الشيخ علي وكان في قبوله الشقاق بينه وبين اخيه . فقد اشار الى ذلك

(١) حدثني احد افاضل البحرين قال : كان للبحرين اسطول شراعي كبير مسلح بالمدافع والذخيرة استفحل امره . فاستولى حكام الجزيرة على قطر والتطيف فخشي الانكليز عاقبة ذلك لان مصلحتهم تقضي بان تبقى بلدان الخليج متنافرة متشاقة لكل منها امير مستقل . فاحطروا امراء البحرين بان القتال في البحر ممنوع وان لبريطانية العظمى حقاً بمنع تعترف لها به الدول الكبرى . فلا يجوز اذن ان يخرج اسطولكم الى عرض البحر واذا خرج فالاسطول الانكليزي يقوم بواجبه . فاحتج الشيوخ الامراء ان بلادهم جزر مفتوحة تتورها لا حصن لها الا الاسطول . فان لم تدفع به الاعداء ملكوا بلادنا ورقابنا . واذا لم نهاجم هوجنا . فاجاب الانكليز : اذا كان الامر كذلك فان حكومة بريطانيا العظمى اذا امتنع من الهجوم البحري ، تمنهد برد الاعداء عن بلادكم .

(٢) ابو شهر هي على الشاطئ الفارسي وتبعد نحو مئة وخمسين ميلاً عن البحرين شرقاً بشمال .

ابن اخيه شاعر البحرين اليوم الشيخ ابراهيم في القصيدة التي يرثي بها والده
حيث قال :

فنازعك الشقيق وكان قدماً حسامك والامور لها انتزاع
واغرى الدهر بينكما وهاجت على الافساد بينكما الرعاع
كان الشقيقان متحابين يخلص احدهما للآخر ، ولم يبد في خلال ثلاثين
سنة التي فيها حاربا وادارا الشؤون معاً اقل ميل في علي الى منازعة محمد الحكم
والسيادة . كانا والحق يقال مثال الوداد والوفاء حتى مجي الوكيل السيامي من
ابي شهر . فكان الاخلاق به ان يكفني بما فرضه على البحرين من المال ، اي
مئة الف روبية ، تعويضاً وتاديباً ، ولا يزرع في سياسة البلاد الداخلية تلك البذرة
التي تاصلت في البيت المالك ولا تزال تنتج الفتنة والشقاق .

بعد ان تولى الشيخ علي الحكم سافر اخوه الشيخ محمد الى الكويت فتدخل
آل صباح بصلحون بين الشقيقين . فكتب الحاكم يومئذ الشيخ عبد الله الى
الشيخ علي يسأله ان يرجع الامر الى ما كان عليه ، فقبل الشيخ علي بذلك . فجاء
اخوه الشيخ محمد يصحبه حاكم الكويت واخوه الى البحرين ولكنهم علموا قبيل
ان ينزلوا الى الجزيرة بان الشيخ علي عدل عن رأيه واصر على امره . ولا شك
ان اليد التي كانت تؤيده هي اليد التي اقامته حاكماً .

لا يحكم الصياد اشباكه الا اذا عكر بطن الغدير

عاد الشيخ محمد ، الذي لم يقهر مرة في حياته ، الى ما فيه من قوة ودهاء
فنزل في دارين وشرع يتأهب هناك للقتال . فحشد جيشاً من بني هاجر واطن
الحرب على اخيه . فخرج له الشيخ علي بجيشه فاقتتلوا قتالاً شديداً ذبح فيه
الشيخ علي وفترق جيشه . فعاد الشيخ محمد الى الحكم الذي ما دامت الفتنة
تشتد فيه والحزن تزداد يوماً فيوماً .

كان ابناؤ الشيخ عبد الله من الذين نصروا الشيخ محمد على اخيه ، وهم
مسرورون بما حدث بين الاخوين المقتصبي الحكم من ايهم . ثم بادروا الى
الانتفاع بما اسلفوه من مساعدة فادعوا انهم كانوا السبب في انتصار الشيخ محمد

وقاموا بناهضونه . ثم قبضوا عليه فسجنوه في القلعة التي كان يرفع فوقها العلمين
التركي والایراني . وقد قال لهم الشيخ محمد عند ما اعتقلوه وكان في نبوته
صادقاً : ان نظل مدة حكمكم اكثر من ثلاثة اشهر .

وصار الامر بعد كما (١) لقوم (٢) له حبلا ولمكن لم يطاعوا
وكان الامر كذلك ، اذ قبل ان يتم الشهر الثالث جاء الوكيل السيامي من
ابي شهر في مركبه الحربي وتولى امور البحرين المضطربة . «فاستشار» الاهالي ،
بعد ان اطلق بضعة مدافع على مرامي المنامة ، في من يختارون حاكماً عليهم .
فأجمع رأيهم على الشيخ عيسى بن الشيخ علي الذي قتل في الحرب الاخيرة .
ثم طرد من البحرين بني هاجر وهم اتباع آل عبدالله ، وأخرج الشيخ محمد بن
خليفة من القلعة فاصطحبه ومحمداً بن عبدالله في البارجة ، فانزلا في جزيرة
كانت منفي احد المحمديين ومحطة لمنفى الثاني اي محمد بن خليفة بن سلمان بن
احمد الفاتح . فقد نقل من تلك الجزيرة الى مبياي ، ثم الى عدن ، فأقام فيها
عدة سنين اسيراً . بعد ذلك شفع فيه السلطان عبد الحميد الى الحكومة
البريطانية فأذنت له بالسفر الى مكة ولكنه لم ينعم فيها ، فقد مات هناك
سنة ١٣٠٧ هـ كما مات الشيخ عبدالله في مسقط حزينا طريداً ، فرناه ابنه الشيخ
ابراهيم بتلك القصيدة التي نقلت بعض ابياتها وفيها يقول :

واسلمك الزمان الى خطوب تذل لبعض اصغرها التبعاع

الى ان قال :

فان مكارم الاخلاق علق نفيس لا يعار ولا يباع
الا يانفس جدي واستعدي فان الامر جد واضطلاع
وياقطب المعالي انت قصدي وهل يخشى مع القطب الضياع

(١) اي بعد ابيه وعمه . (٢) اي ابناء الشيخ عبدالله .

الفصل السادس

الشيخ عيسى والانكليز

الطريقة المثلى في التاريخ — الشيخ عيسى في نظر السجّاع — في نظر المؤرخ —
سجّاءه — كرمه — وفاءه — اخلاصه للانكليز — محافظته على القديم — مقاسد
الانكليز الخفية — ثبات الشيخ عيسى على اليهود — مدحت باشا والي بغداد
بمرض عليه مساعدة الدولة — اعتراف الانكليز باستقلال البحرين — مساعي
الانكليز في تقويض الاستقلال — الحوادث عدوة اليهود — ثلاث حوادث خطيرة —
وكالة سياسية بريطانية في البحرين — حرق الاسطول — عزل الشيخ عيسى .

عند ما قُتل الشيخ علي آل سلمان آل خليفة ، كما ذكر في الفصل السابق ،
سافر ابنه الشاب الشيخ عيسى مع اخوته وبني عمه الى قطر فنزلوا على قبيلة
النعيم فيها . وعند ما استفتى الوكيل السيامي الانكليزي اهل البحرين بعدئذ
في حاكمها اجمع رأيهم على الشيخ عيسى ^(١) فكتب اليه الوكيل يخبره بذلك
و يسأله ان يعود . فعاد بن كان معه من عشيرته وقبيلة النعيم ونزلوا في المحرق .
ثم نُصب حاكماً على البحرين في آخر شعبان سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م وهو في
الواحد والعشرين من سنه ^(٢) فعاد الحكم الى آل سلمان وكانت فيه خاتمة الفتن
والحروب الاهلية .

قد انتهجت في كتابة هذه النبذة ما اظنها الطريقة المثلى في التاريخ .
فغربلت الحوادث ، واخترت منها الاعم والاهم ، وعلقت عليها في بعض المواضع
بالايجاز الذي يوجب المقام ، وافضت ببعض المواقع لتتميماً للصورة الذهنية ، صورة

(١) هو عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد الفاتح بن محمد ، تاجر اللؤلؤ ، ابن
خليفة الذي نزع من الافلاج بنجد ونزل في الكويت . وآل خليفة من بني عتبة وهي فصيحة
من قبيلة وجيلة فخذ من عتري ، وعتري نمت الى بني اسد فريضة فعدنان .
(٢) ولد الشيخ عيسى في محرم سنة ١٢٦٥ هـ وامه ابنة عيسى بن طريف آل ابن علي
الذي خرج على الشيخ محمد عم الشيخ عيسى لما كان حاكماً .

الزمان والمكان والاحوال ، واجتنبت اولاً و آخراً الاطراء والاطناب ، فوصفت الرجال بما تمليه اعمالهم على المؤرخ .

ولو اني تمثيت على اسلوب التاريخ الذي بين يدي لكان ينبغي لي في الكلام على الشيخ عيسى بن علي ان اقول انه « استلم زمام الملك بيد الحزم والتدبير ، فدانت له القبائل والعربان ، ونشر رايات العدل والامان ، وقمع بسيفه البغاة والعدوان ، وشاد بعلمه وحلمه وثقواه ركن الدين ، واظل باغصان فضله الارامل والمساكين ، فالتقى السعد عصا تسياره بقصره ، وخصه بين الانام بنصره . » الخ .

ولكن التاريخ هو غير السجع . يجب ان يكون للتاريخ عينان ، وعقل ووجدان . ولا بأس اذا كان له شيء من البدهاة والتصور . اما القلب فلا حاجة له فيه ، ولا يجوز . ان التاريخ الصادق هو شاهد لا قلب له . وهو الان يشهد ويقول ان للبارجة الانكليزية التي كانت في ثغر البحرين يوم استفتي البحارنة ، بدأ قوية في ذلك السعد الذي « التي عصا تسياره » في قصر الشيخ عيسى . ويقول ايضاً ان ملكه الذي استمر خمس وخمسين سنة كان اكثر عدلاً وسلاماً واصلاحاً من ملك من تقدمه من اجداده . ولذلك اسباب منها ما يتعلق بشخصه الكريم ، ومنها ما يتعلق بالانكليز ، ومنها ما هو ناشئ عن روح الزمان في المدينة والعمران .

كان الشيخ عيسى كريماً جواداً ، فقد انعم على القبائل التي كانت معه في قطر بمبالغ جسيمة من الاموال يوم نقلت الامارة . واعطى في جلسة واحدة اربعين رأساً من الخيل الاصائل ، ووصل بني عمه بالطرف النفيسة والجواهر والبساتين . هي السجية الاولى التي كان يسترسل اليها ويعتمد على ما فيها من قوة البرهان والافتناع . حتى انه لم يكن ليرى غير الكرم في بعض الاحابين سبيلاً الى توطيد الحكم وتعزيزه . وقلما استبقى من واردات البلاد شيئاً لنفسه . بل كان ينفقها كلها ، منذ كانت تعد بالالوف الى ان صارت تعد بالملايين ، على وفود العرب ، وافراد عشيرته ، ثم في الاصلاحات العامة .

اعتمد الشيخ عيسى على الكرم وقلما اعتمد على غيرها من مزايا النفس .
اريد بذلك انه لم يكن ليثق كثيراً بنفسه او يعتمد عليها . بل كان في جل
اموره وكلا . فاذا جرب انساناً ولو تجربة طفيفة اعتمد عليه ووثق به على الدوام ،
فيصم اذنه عن كل ما فيه ذكر مساوئه او الاشارة اليها . وقد نشأ من هذا
الضعف خلل في الاحكام وفي جباية الخراج .

اما العدل فقد كان غالباً معزراً في عهده . والحق يقال ان الشيخ عيسى
نفسه لم يظلم انساناً ، عرضاً او عمداً ، في مدة حكم استمر خمس وخمسين سنة .
فقد كان دائماً يتحرى العدل والانصاف . ولكن ذلك لا ينفي ما كان يحدث
من المظالم في دوائر احكام البحرين ، وان أُسدل عليها ستار من التمويه ، لان
الرجل كما قلت كان وكلا فلا ينتبه الا بعد حين الى اعمال معتمديه .

ولم يكن الشيخ عيسى يميل الى الجديد والتجدد ، بل كان منذ حداثة
محافظة كل المحافظة على القديم ، فلا يغير شيئاً مما درج عليه ، ولا يرغب بشيء .
فيه بعض الخروج عن المألوف في التقاليد والعادات . وظل كذلك حتى اصابه
في آخر ايامه سهم من روح الزمان وحاقت به سنن الرقي وال عمران ، فقام يساعد
في انشاء المدارس ويأمر ببناء المحاجر والمرافق العامة في بلاده . وقد وضع اول
حجر في اول مدرسة بيده ، وخصصها يران شهرري بعد ان افتتح جريدة
الاكتتاب بمبلغ وافر من المال .

ومن سجايه الممتازة فضلاً عن الكرم وحب العدل انه كان صادقاً في ولاءه
وفياً . فقد احسن الظن بالسياسة الانكليزية لاعتقاده ان انكلترة لا تريد الا
نشر تجارتها وتعزيزها . ولكنه جهل كما يجهل الكثيرون حتى من الانكليز انفسهم
ما كان مطوباً من مقاصد تلك السياسة^(١) ، فأمن مناوأتها . اجل ان اخلاص
الشيخ عيسى للانكليز خمس وخمسين سنة — للانكليز الذين ساعدوا في اقامته

(١) حدثني احد الذين كانوا موظفين في الوكالة السياسية الانكليزية بالبحرين قال ،
كان يجيئنا ويخرج من عندنا كثير من الرسائل والبلاغات السرية . ان في دار الوكالة منها
ما يملأ بضعة صناديق ويدهش فعواها كثيرين حتى من رجال الحكومة بلندن .

حاكماً ، ثم اذآوه وامتمنوا حرمة ملكه مراراً ، ثم اسقطوه عن العرش الذي رفعوه اليه — ان اخلاصه لهم ، وحسن ظنه بهم ، لمن الفضائل التي قلما نجدتها في غير العرب من الشعوب الشرقية . وما كان ذلك الا لانهم ساعدوه في بداية امره ، ولانه عاهدهم على اشياء منها الاعتراف بالاتفاق السابق بينهم وبين عمه الشيخ محمد ، ذلك الاتفاق الذي قضى على اسطول البحرين وجعل البلاد متكئة على بريطانيا العظمى في الدفاع عن نفسها .

مع ذلك لم يحنث الشيخ عيسى بعهدده ، ولا عقد اتفاقاً مريباً مع دولة اخرى من الدول . كتب اليه مدحت باشا عندما كان والي بغداد يعرض عليه مساعدة الدولة بعقد اتفاق ودي بينه وبينها ، فدفع الكتاب الى اصدقائه الانكليز وكتب الى مدحت يقول : حسبي بريطانيا العظمى صديقة وحليفة . وقد فاضته كذلك الحكومة الالمانية بواسطة معتمدها التجاري في البحرين فكان جوابه : لا اقدم على بريطانيا العظمى احداً ، ولا اعاون عليها عدواً . كثيراً ما اعترض بعض رجاله على هذه الثقة المطلقة ، وفيها التفاضي عن المساوي . فكان الشيخ يقول : ان بريطانيا العظمى اثبتت الامم الاوروبية في المعاهدات ، فقد اعترفت باستقلال بلادها وحرية حكومتها ولا اريد اكثر من ذلك .

فهل قام الانكليز بما توجب عليهم الصداقة بل العهود بينهم وبين شيوخ البحرين ؟ قد اعترفت انكثرة باستقلالهم ، فهل احترمت هذا الاستقلال ؟ سألتخذ من تاريخ البحرين في عهد الشيخ عيسى بن علي ثلاث حوادث فيها الجواب على هذا السؤال ، وسأروها بما يجيزه التحقيق من الايجاز .

اما اول هذه الحوادث فهو ضرب الزبارة سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م التي كانت اول ما حكم آل خليفة في قطر عندما جاؤوها من الكويت . وبعد ان نقلوا منها الى البحرين غدت عشاً للفنن والثورات . ذلك لان فيها الجلاهمة وآل ابن علي وبنو هاجر^(١) النازعين دائماً الى الفنن طمعاً بالسيادة والحكم .

(١) هم الذين كانوا في البحرين عندما تولى الشيخ عيسى الامارة فطردهم الوكيل الانكليزي منها لانهم كانوا مواليين لآل عبد الله اعداء آل سلمان .

تقاموا سنة ١٣١١ هـ ينفخون في نار الفتنة فاضرمت في الزبارة ونواحيها ، فكثرت جموع الثائرين وقد تاهبوا للهجوم على الخليفيين في البحرين . فرأت الحكومة وجوب اخماد الفتنة ولم تر الى ذلك سبيلاً وواسطة غير الاسطول الذي كان لا يزال عندها قسم منه . فتشاور الشيوخ واقروا ذلك ، ثم بعثوا يعرضون الامر على الوكيل السيامي لبريطانية العظمى في ابي شهر ويستأذونه . فحذرهم الوكيل من نقض الاتفاق . فطلبوا منه الدفاع عن البلاد ، ذلك الدفاع الذي يوجبه الاتفاق . فتعلل الوكيل اولاً ، ثم اشترط في مقابلة الدفاع شروطاً جديدة منها ان يكون لبريطانية العظمى وكالة في البحرين ، ويكون للوكالة الحق بالمشاركة على قضايا الرعايا البريطانيين . فماذا يفعل شيوخ آل خليفة في مثل هذا الموقف الحرج ؟ ويلهم من الثائرين الزاحفين على بلادهم ، وويلهم من البوارج الانكليزية الراسية في الخليج اذا هم دافعوا عن البلاد . قبلوا بالشروط الجديدة ، فاجبرت اذ ذلك البوارج الى الزبارة وفرقت بقنابلها الافوام الثائرين .

والحادثة الثانية حدثت بعد عشر سنين سنة ١٩٠٣ وهي بنفسها طفيفة ، ولكنها خطيرة في نتائجها . خادم الماني اهاتف ابن اخ الشيخ عيسى فضربه ، فشكاه الخادم الى رئيسه ، فرفع الرئيس الدعوى الى الوكيل السيامي الانكليزي^(١) والى حكومة المانية . وبعد بضعة ايام انفقت الحكومة المحلية والرئيس الالماني فاعتذرت عما فرط من ابن اخ الحاكم ، ودفعت الى الخادم ثلاثة الاف روبية . على ان هذه النسوية لم ترض ، على ما يظهر ، الوكيل السيامي في ابي شهر وكان يومئذ السريرمي كوكس ، فجاء براكبه الحربية فرست في مياه البحرين

(١) ليس لانكثرة قنائل في الخليج العجمي لان وظيفة القنصل محض تجارية . ومصالحها في الخليج تقتضي ان يكون لها هناك ممثلون سياسيون . وهؤلاء في المنصب اثنان الموظف السياسي Political Officer والوكيل السياسي Political Agent وفي الخليج وكييل سياسي اول مركزه في ابي شهر يرجم اليه الوكلاء والموظفون السياسيون في الكويت والبحرين ولنجه وغيرها من الاساكل والجزر . اما مرجم الوكيل السياسي في ابي شهر فهو حكومة الهند . وبما ان في البحرين كثيرين من الهند فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً هندياً فهو يدعى هناك بلتيوس .

وانزلت بعض جنودها الى البر . ثم عرض الوكيل لائحة بما تطلبه الحكومة البريطانية جزاء ضرب الالماني ، فنفذت مادة مادة . حرق ما تبقى من سفن البحرين الحربية ، وحكم على ابن اخ الشيخ عيسى بالنفي خمس سنين قضاها في الهند ، وأحيل الى الوكالة البريطانية بالبحرين النظر والفصل في دعاوي الاجانب كلها .

اما الحادث الثالث في سياسة الاستيلاء التدريجي فقد حدث في شهر ايار من السنة الماضية . ولا بد قبل ان ارويه من تمهيد . قد علم القارىء مما تقدم في هذا الجزء شيئاً عن اهل نجد وشيئاً في ما تقدمه عن اهل الشيعة وخصوصاً الايرانيين منهم . فمهما كان من اسباب الوثام تجارة واجتماعاً بين الشعبين اذا جمعتهما مدينة واحدة ، فالخلاف الديني ، وقل الغلو في الدين ، فضلاً عن الخلاف الجنسي والسيامي ، كلها متأصلة في القلوب ، متأهبة في ساعة الشر للوثوب . وفي البحرين من التجار والعمال النجدي والایراني ، وقد علم القارىء ان الاثنين بموجب الاتفاق الاخير بين حكومة البحرين وحكومة بريطانيا العظمى به يعدّان من الاجانب ، فيجب ان تسمع دعاويهما في دار البليوس اي الوكيل السيامي الانكليزي بالمنامة .

وهذا البليوس ، ابتغاء حزب له من الايرانيين ، سعى في عزل رئيس بلدية المنامة ونصب مكانه احد تجارهم محمد شريف خان بهدور الذي اشتهر بكرهه للعرب . وقد كان لهذا الرئيس صنيعه البليوس نفوذ في الاحكام يدنو من نفوذ الحكومة الوطنية ويتجاوزه في بعض الاحاين . هذا هو التمهيد .

اما الحادث فهو انه في ادائل ايار سنة ١٩٢٣ سرقت ساعة من بيت تاجر نجدى ، فاتهم بالسرقة رجل فارسي فقام بعض اهل بلاده يدافعون عنه ، فأدى ذلك الى خلاف بينهم وبين اهل نجد ، فتحزب الفريقان واشتعلت في القلوب الاحقاد الكامنة ، فافضى النزاع الى القتال ثم الى السلاح . وكان خان بهدور محمد شريف رئيس البلدية يغري العجم في هذه

الفتنة على قتل العرب^(١)

اما الحكومة فبما ان المنقائلين كلهم من الاجانب اكتفت بحفظ الامن ما استطاعت . ولا اظن . مما شاهدته في البحرين يوم كنت هناك انها كانت تستطيع كثيراً .

أبرق البايوس خبر الفتنة الى الوكيل السيامي في ابي شهر فحاء مسرعاً تصحبه بارجتان . وكان اول ما طلبه من الحكومة ان يعزل الشيخ عيسى الحكم . فأبى الشيخ ، فأصر الوكيل ، وجمع فريقاً من الناس فأعلن فيهم عزل الشيخ عيسى وتولية ابنه الشيخ حمد مكانه . وهذه البوارج في الثغر نلت اليها نظر الوطنيين المشاغبين .

ثم تبع العزل والنصب سلسلة من الاجراءات خطأ فيها التطور السيامي والاتكال الوطني خطوات كبيرة . فقد الغيت المحاكم الوطنية ، وعينت من واردات الجمرك وغيرها ، التي تحولت الى بنك انكليزي في المنامة ، رواتب شهرية للشيخ حمد ومن دونه من افراد الامرة الحاكمة . وقد تأسس ديوان يدعى مركز الحكومة ليقوم مقام المحاكم الوطنية يحضره الشيخ حمد والبايوس فينظران معاً في شؤون البلاد الداخلية .

هذه هي قصة البحرين والانكليز في عهد الشيخ عيسى بن علي . من حكومة مستقلة ذات اسطول حربي ، الى حكومة ولا اسطول ، الى حكومة يراقبها وكيل سيامي انكليزي ، الى حكومة تشارك في ادارة شؤونها الداخلية والاجنبية حكومة بريطانية العظمى بواسطة بليوسها ووكيلها في الخليج ، الى والليالي بالحداثات جبالي !

(١) « فلما كان رمضان حدث خصام بين فارسي ونجدي فكانت النتيجة ان رئيس البلدية والبوليس ، تعصباً لجنسيتهم ، حضوا العجم على اطلاق الرصاص . فتحول الخصام البسيط الى فتنة دموية » من عريضة قدمها وكلاء الامة البحرانية لرئيس الخليج في ابي شهر في ١٧ ربيع اول سنة ١٣٤٢ .

الفصل السابع

النهضة الوطنية

شكل الحكومة الماضية - انقلاب ايار - احتجاج سلطاني نجد - عزل رئيس البلدية - حكومة مزدوجة - نكبة النهضة الوطنية - من المسؤول؟ - حقيقتان جوهريتان في تاريخ البحرين - عبء لامرأه العرب - عبءه للانكليز والاوروبيين - حكومة انكلترة لا تعلم بكل ما يجري على يد وكلائها - الوكيل المضرب بالموكل والموكل من اجله - اولئك الذين لا يفهمون العرب ولا يحبونهم - حكومة الخليج وسلسلة الاحالات فيها - اوامر الحكومة في لندن وتنفيذها - مطالب اهل البحرين الوطنية - القوة لا تحترم غير القوة - الوكيل ينذر البعارة - ما جنى على العرب غير انفسهم .

لم يكن للوكيل السيامي في البحرين قبل انقلاب ايار سنة ١٩٢٣ غير حق النظر في قضايا الاجانب . ولكنه كان يتدخل بشؤون البلاد على قدر ما تسمح به الاحوال وتمكنه منه السياسة التي تستمد قوتها من مصالح التبعات الاجنبية ومشاكلها ، ومن البوارج الراسية في الخليج . وكان هذا التدخل بنعم وبخس ملبساً بالنسبة الى البليوس ، اي الوكيل ، وصفاته الشخصية . اذ ليس بين بريطانيا العظمى وحكومة البحرين معاهدة مسجلة ، بل هناك اتفاقات كما اتضح مما اسلفت تضمن للانكليز ما حازوه تدريجاً من نفوذ في البلاد ، وتضمن للبلاد حربتها واستقلالها .

سألت عن شكل الحكومة عند ما كنت هناك فعلت انها ثلاثة اشكال ، وطنية واجنبية ومختلطة . وكان سمو الشيخ عيسى يومئذ يدير الاولى ، والبليوس يدير الثانية ، ورئيس البلدية العجمي صاحب الحكمة النافذة في الثالثة . وقد انشأت هذه الحكومة المثالثة الزوايا اربعة انواع من المحاكم الاهلية ، اية الشرعية وهي التي ننظر وحدها في دعاوي الوطنيين ، والاجنبية ، اي دار الوكالة الانكليزية ، وهي ننظر وحدها في دعاوي الاجانب كلهم . والمختلطة اي التي كان رئيس البلدية يومئذ عضواً من اعضائها للنظر في الدعاوي بين الوطنيين

والاجانب! . ثم محكمة الغوص ولها قانون خاص يتساوى به الاجانب والوطنيون .
ولكن انقلاب ايار ذهب بالشكل والشعار . فعزل الشيخ عيسى كما قلت ،
والغيت المحاكم الوطنية ، ثم عزل خات بهدور شريف رئيس البلدية اجابة
لطلب ابن سعود . اذ عند ما وصلت اخبار الفتنة الى القصر بالرياض ، وعلم
السلطان عبد العزيز بما كان لهذا الرجل في اثارها واغراء قومه بعرب نجد ،
طلب من الانكليز عزله فعزلوه حالاً . ثم ادغمت المحاكم على انواعها بالمجلس الذي
يشترك في رئاسته الشيخ حمد بن الشيخ عيسى والبليوس ، فأمنت الحكومة
المثلثة حكومة مزدوجة ، وامسى الحاكم الوطني شريكاً للحاكم الانكليزي .

ها قد وصلت الى بعض السبب او كله في ما سمعته من الشكوى والانسين
هناك واشرت اليه في الفصل الاول من هذا القسم من الكتاب . قلت ان في
البحرين نهضة وطنية ، ولكنها سياسياً مقيدة . كانت قبل ايار قانطة فأمنت
بعده منكوبة . وكان السبب في القنوط نفس السبب في النكبة ، لا يختلف الا
في درجتي الشدة والاستمرار . ومن المسؤول ؟ اذا سألت البشارنة يجيبون :
الانكليز واذا سألت الانكليز يجيبون : العرب البشارنة .

هناك حقيقتان في تاريخ البحرين وسياستها الخارجية لا اظن احد من
الفريقين ينكرهما . الحقيقة الاولى التي الفت اليها اولاً نظر البشارنة هي ان
البحرين ، عندما كان لها اسطول حربي قبل عهد الشيخ عيسى بن علي ، كانت
وحيراتها في احتراب دائم . وقد علمت مما شاهدته وتحققته في البلاد العربية
كأنها ان بلية العرب الكبرى — كانت ولا تزال — هي النزوع في كل قبيلة ،
بل في كل عشيرة ، الى الاعتزال والاستقلال . لا يعرف العرب من مبدأ
التضامن غير ما توجهه القبيلة ، او يدعو اليه في بعض الاقطار المذهب الديني .
لا يخضع العرب بعضهم لبعض الا كرهاً ، ثم ينزعون الى السيادة المستقلة اذا
وجدوا الى ذلك سبيلاً . الجهل ايها الادياء هو عدو التضامن ، والجهل المسلح
ايها الامراء هو عدو الرقي وال عمران . فالسلاح بيد العرب اليوم ، اللهم اذا
كانوا لا يخرجون على روح البداوة فيهم اولاً فيجمعون شملهم تحت عام واحد

او علمين في الاكثر ، هو مضر بهم ، مضر جداً . لا يزال اكثر الامراء جاهلين ، او انهم من المحافظين على القديم البالي ، المقاومين لمبدأ النشوء والتجدد . فما الفائدة من القوة بايديهم ؟ اوجه هذا السؤال الى الشبيبة الراقية . ما الفائدة من اسطول يمكننا من الاستيلاء على قطر والقطيف والاحساء اذا كنا لا نوسع في الملك غير القوة الفاشمة ، الجاهلة ما في روح الزمان من اسباب الرقي وال عمران ؟ يلزم البلاد العربية في هذا الزمان عشرون سنة في الاقل من السلم الدائم المستمر ، فتؤسس المدارس اثناءها - نفتح على الدوام - ونفتح لابنائها الاذكياء ابواب العمل في الصناعة والزراعة وفي علوم الادارة والاقتصاد . هذي هي الحقيقة الاولى التي لا يجربها احد من ادباء وعقلاء البحرين .

اما الحقيقة الثانية التي الفت اليها نظر الانكليز فهي ان السياسة العربية التي تمشوا عليها في الماضي لا تصلح اليوم لاهم ولا للعرب . هي تضر بمصالح بريطانيا العظمى ليس في البلاد العربية فقط بل في الشرق اجمع ، وتضر بالاسم الانكليزي وكل ما يرمز اليه من ادب وعلم وكرم اخلاق وثقافة . السياسة الانكليزية في البلاد العربية تخبطت في مضيق جانب منه مظلم ، وجانب يراق فيه وشل من الماء خدع المحبين ، يخفيه سراب خدع الاعداء . مثل ذلك في البحرين وعدوها الشيوخ بالدفاع عن البلاد اذا هم دمروا اسطولهم الحربي . على ان كل دفعة من ذلك الدفاع افقد البحرين كما بينت شيئاً من حريتها واستقلالها . اجل ، قد كانت الدفاع درجات الى الاستيلاء . فمن بشق بعد ذلك بوعود الانكليز وعهودهم ؟ اما اذا كانوا يبغون رفع العلم البريطاني فوق دار الحكم في الجزيرة فليس اسهل من ذلك . ان دولة من الدول الصغيرة التي لا تزيد قوة اسطولها على ربع قوة الاسطول البريطاني لتستطيع ذلك في يوم واحد . ولعمري ان مثل هذا الاحتلال خير من تلك السياسة التي هي كالبركان او الزلزال ، لا يظهر شيء من قصدها الحقيقي الا مرة كل خمس او عشر سنوات .

حدثني احد ادباء البحرين قال : اذا كان هناك فرق بين الاستعمار

الانكليزي واستعمار الدول الاخرى فهو ان هذا كالجزار الذي يقتل شاته دفعة واحدة وذلك كمن يعذب الشاة وخزاً بالابر حتى الموت . فاي الميئتين اولى ؟ ولو لم اكن شاهدت ما شاهدت ، وسمعت ثم تحققت ما سمعت ، لكنت اقول ان محدثي انما هو شرقي يتكلم . واكثرت وباللاسف الحقيقة بعينها لا مبالغة فيها . اما ان سياسة انكثرة في البحرين هي غير سياستها في الاقطار العربية الاخرى فما لا شك فيه . قد اوضحت مبدأها المرن في معالجة شؤونها الخارجية بحسب اختلاف المكان والزمان ، وشرحت ذلك المبدأ في سياستها العربية في كلامي على لحج والنواحي التسع المحمية . وبما ان وزارة المستعمرات تدير هذه السياسة بواسطة وزارة الهند بلندن ، ثم بواسطة حكومة الهند بيمباي او بسمله ، فلا اظن انها عالمة كل العلم بما يحدثه من المشاكل وكلاؤها السياسيون في البلاد العربية ولا سيما في خليج فارس . فضلاً عن ان الوكيل يموه في بعض الاحايين دفاعاً عن عمله وحفظاً لمركزه . قد توخيت الصراحة التامة في ما اكتبه بهذا الشأن غير على الاسم الانكليزي وجباً بتحسين وتعزيز العلاقات الودية بين انكثرة والبلاد العربية . ومما ينبغي لي ان اذكره ان كثيراً ما يسود صحيفتها احد ابنائها المقربين الذين لا يكونون في الشرق مؤامرين لولا نفوذ بعض اصداقائهم واقاربهم في الحكومة بلندن .

حدثني احد الموظفين في حكومة العراق عن ثورة ١٩٢٠ ، وعندما علم اني مسافر الى البحرين قال : ستجتمع هناك بواحد ممن وصفت . وكان قد افاض بالحديث في طبقة من الموظفين الذين يتخذون السر آر نلد ولسون مثلاً في الحكم ، فيحذون حذوه في سياسته ، وليس لهم شيء من حسناته ، هم من الضباط الذين لا يصلحون لغير الخدمة العسكرية ، فلا يفهمون العرب ، ولا يحبونهم ، ولا يعطون اقل العطف على قضيتهم .

جئت البحرين وما تمكنت من الاجتماع بالوكيل الانكليزي^(١) فيها . ولكنني

(١) بما ان الحكومة البريطانية عنت وكبلا في البحرين بدله ، بعد الحوادث التي مر ذكرها ، فالغرض من تعريفه باسمه في الطبعة الاولى قد انقضى ولا لزوم للتكرار .

مما سمعته - وقد حدثني به الكبير والصغير والوطني والاجنبي - تحققت ما قاله زميله في حكومة العراق . فقد كان يقاوم كل فكرة اصلاح في الجزيرة غير التي يكون له فيها الكلمة الاولى والاخيرة ، ولا يرى حقاً في غير القوة ، ولا عدلاً في غير سياسة العسف والاستبداد . فهل هي ياترى سياسة دوتن سترت بلندن او سياسة ابي شهر ؟ وما هي اذا كانت من الاثنين سينات الموكل وسينات الاصيل ؟ ان البليوس موظف له رئيس في ابي شهر ، وللوكيل في ابي شهر رئيس في سمانه^(١) ولولي الامر في سمله رئيس في دائرة حكومة الهند بلندن ، ولرئيس تلك الدائرة مستشاران او وزيران في الوزارة الخارجية ووزارة المستعمرات ، ولهاتين الوزارتين سياسة ثابتة قديمة التقليد غامضة المقاصد في الشرق وفي البلاد العربية لتتمشى دائماً عليهما . اذف الى ذلك ان كثيراً ما تصدر الاوامر من احديهما مبنية على هذه الخطة لا على الجديد المهم من الاحوال في البلاد التي تختص بها ، فتجيء الاوامر وما فيها غير النزر من العدل والحكمة ، بل ما فيها شيء احياناً من الحكمة والعدل . فتصل الى رجل متصلف متعسف ، قصير النظر والاناة ، فينفذها بالحرف ويشير على امته غضب الاهالي وكوامن بغضائهم . فلو كان الوكيل حصيفاً حكماً ، مدركاً عوامل النشؤ في البلاد التي هو فيها ، عطوفاً ولو بعض العطف على مساعي الوطنيين في سبيلها ، لكان يطلع حكومته على حقيقة الحال ويسألها التبصر بها والاسترشاد بشيء من حقائقها في تكييف الخطة السياسية وتلطيفها . ولو كان الوكيل رجلاً كبيراً ، مثله الاعلى العدل في كل الاحوال ، او لو كان في الاقل دمث الاخلاق ، لين الجانب ، محباً للعرب ، لكان يتمكن من خدمة بلاده بما فيه كذلك مصالح البلاد التي وكل بها . ليس هذا بالامر المستحيل ، وليس مثله بالرجل النادر في الحكومة او في الامة الانكليزية .

اعود الى الحادث الذي اوجب هذا البيان . طلب اهالي البحرين في الثلاث السنين الاخيرة ثلاثة مطالب من الحكومة كلها ولا شك عادلة . فوفقت السياسة

(١) المرثر الرئيسي للحكومة الانكليزية في الهند .

الانكليزية تصدم وتقاوم مسعاهم . طلبوا تشكيل جمعية تشريعية فاجاب الشيخ عيسى بالايجاب وابي البليوس . طلبوا تنظيم بوليساً وطنياً فرضي الشيخ عيسى ورفض البليوس وأصر على الرفض . قدموا لائحة اصلاح استحسنها الشيخ عيسى وعزم على تنفيذها فقامت عليه وعلى الوطنيين قيامة الوكيل وبذل ما لديه من قوة وتقوذي حبوطها .

سمعت شكاوي الوطنيين في البحرين ، وسمعتها في ما اتصل بي من اخبارها بعدئذ في الفريكة ، فافسحت لها مجالاً في هذا الكتاب تستحقه ،^(١) وكتبت الى احد الافاضل هناك كتاباً اقتطف منه ما يلي :

« ان في الامر ما يضعف الامل بالانكليز . ولكن التاريخ لا يثبتنا بمجاذب من الحوادث كانت فيه احدى الامم القوية الاستعمارية متغلبة وحدها على امة اخرى صغيرة . بل نرى غالباً ان المغلوب يساعد على نفسه الغالب المنتصر . ماذا يحمله على ذلك ؟ الجهل ياسيدي والضعف والجهن والخنوع والمصلحة الخاصة والطاعة العمياء . — اما الطاعة العمياء فقد نفيد في سبيل وطنية عامة كبيرة كما لو كان العرب كلهم بطيعون ابن سعود مثلاً او الملك حسيناً او الامام يحيى بن حميد الدين ويمثلون او امره . عندئذ يعز العرب وعندئذ يصلح الاوروبيون سياستهم في الشرق ، وعندئذ ، اذا طغى في البحرين او في قطر آخر طواغيت اجنبي او وطني تذكرونه بكلمة ذاك العربي الى الخليفة الثاني وتقوتمون امره بحمد السيف .

« اما الآن فعليكم ان تقتبسوا العلوم وتصيروا . واني اعتقد ان العلم بالاقتداء هو امرع فعلاً واثبت . لذلك استحسّن وجود الشركات الاجنبية المجردة من كل صبغة سياسية في البلاد . فانها تعلمنا الاقتصاد والنظام والادارة من حيث لا ندري او نشاء . والعرب في حاجة شديدة اليها كلها

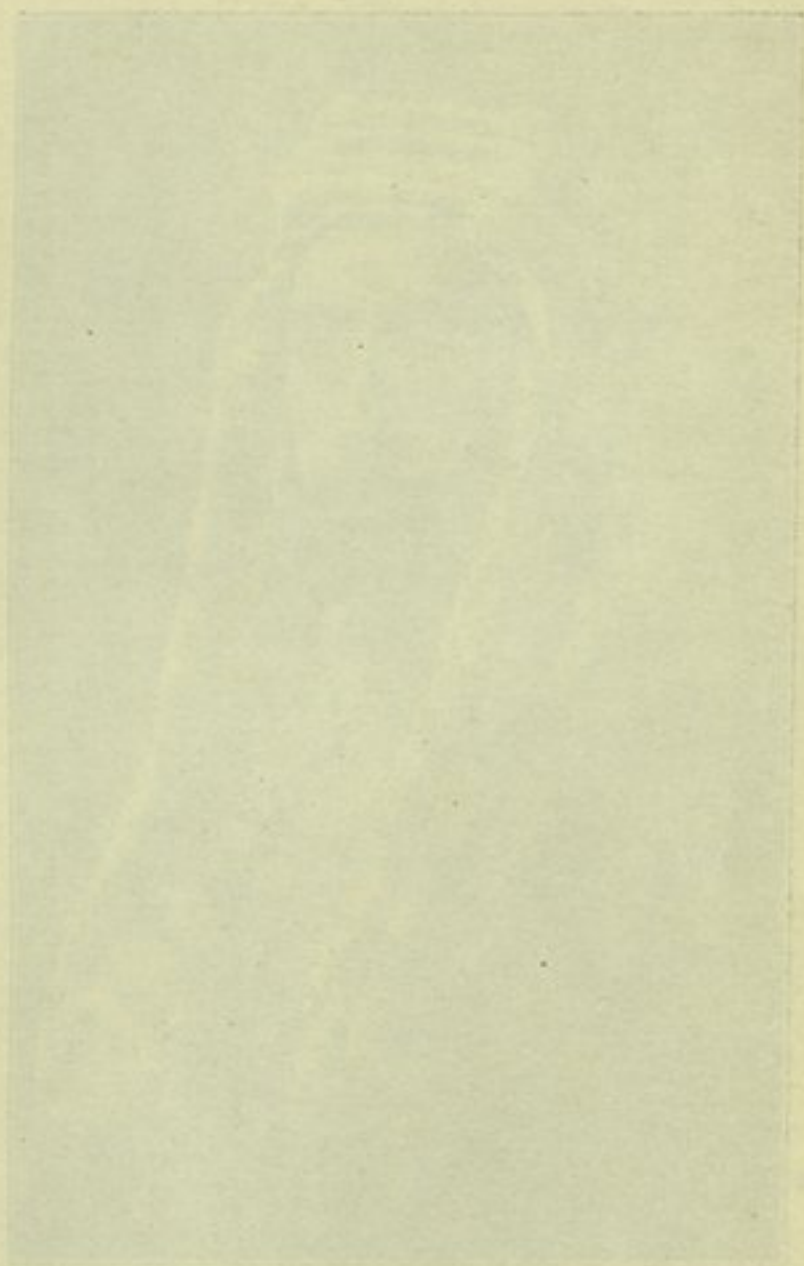
« ما جنى على العرب يا صديقي العزيز غير انفسهم . كئنا وكئنا وكئنا —

(١) جاء في الطبعة الاولى بعض التفاصيل التي اصبحت ولا قيمة لها سياسية او تاريخية - بعد تغيير « البليوس » وتقرير المصير الذي رضي به الاهالي مكرهين .

حديث مبتذل . يوم اقلت المدارس في البلاد فعم الجهل وتوارثه الابناء . كنا
الجانين على انفسنا ، المقيدون بالجهل ارواحنا ، وبالخرافات عقولنا . واليوم نرى
العلم والمال بيد الاوروبيين . ويوم كان الاثنان بيد العرب اخذهما الاوروبيون
عنهم . فهلا امتدنا بهم في الماضي فذاخذ عنهم اليوم ثم نأخذ عنهم ؟ ونربي في
الوقت نفسه روح القومية الشاملة فينا . لو كنت في سورية وعرفت سبب بليتها
لقلت : اما نحن فعرب من صميم العرب وديننا الاسلام . فلا سبيل اذنت الى
التفرقة جنساً ومذهباً . ولو كان لكم عشر سنوات من التعليم المدني العام انقمم
غيركم في الربع الساحلية . وهذا ما ابغيه لكم . التعليم في المدارس . التعليم
بالافتداء . الا ان العربي الكسلان اذا رأى ما هو مدفون في ارضه من
الخيرات لتغير نفسيته وعقليته وكذلك اعصابه فلا تياس يا صديقي ، ولا تظن
ان الله يخص جيلاً واحداً من خلقه بالكلمات كلها .

« واذا شئت ان احدثك كطبيعي لا كألهي اقول : ان الناموس الطبيعي
الذي يعمل في عالمي الحيوان والنبات يعمل كذلك في الانسان وفي الاجتماع
البشري . ومن النادر ان يرى الانسان نشوءاً تاماً ، بداية ونهاية ، في نوع
واحد من النبات او جيل واحد من الناس . اما نحن الذين تقاسمنا ما تقاسمه في
هذا الزمان فقسمتنا قسمة من يجي . في آخر دور النشوء او في اهم اطواره .
فترى بعين البصيرة نتيجة ما مضى وما هو كائن فتتألم لانها دنية منا وقصية ،
دنية لاننا نراها ، وقصية لان اليد لا تصل اليها . لنحمد الله اننا نراها في
الاقبل فنقبل قسمتنا قانعين وعاملين في نفس الوقت في السبيل الذي هو روح
الناموس والتطور .

« نلذ لي محادثتك وانت من المفكرين . فكل مفكر يتألم ، ولكن ليس كل
من يتألم واحد . منهم من يقتلهم الألم ، ومنهم من يزيدهم قوة على العمل .
الامة المتألمة اليائسة تموت - تساعد المتغلب عليها . والامة المتألمة الطويلة
الامل الناهضة الثابتة في نهوضها ، انها لتنجيا ، وانها لتساعد ابناؤها على المتغلبين . »



THE UNIVERSITY OF CHICAGO

1912



جلالة الملك فيصل بن الحسين بن علي

بقا بها

الفصل الثامن

الملك فيصل والعراق

العراق

محدوده : شمالاً ، جبال ارمينية والاناضول . شرقاً ، بلاد ايران .

جنوباً ، خليج فارس . جنوباً بغرب ، البادية وحدود نجد .
غرباً ، البادية وحدود الشام .

الوية : ١ الموصل ، ٢ السليمانية ، ٣ كركوك ، ٤ شبه لواء اربيل ،

٥ ديبالى ، ٦ بغداد ، ٧ الكوت ، ٨ الدليم ، ٩ الحلة ،

١٠ كربلاء ، ١١ العمارة ، ١٢ المنتفق ، ١٣ البصرة .

عدد سكانه : نحو مليونين وتسعمئة الف نفس ، منهم مليون ونصف مليون

من الشيعة ، ومليون ومئة وخمسون الفاً من السنة . وثمانية

وثمانون الفاً من اليهود ، وثمانون الفاً من النصارى ، واثنان

واربعون الفاً من الاديان الاخرى .

صاحبه : نحو مئتي الف ميل مربع

سكوبه : العرب والفرس والاكراد والاتراك والارمن والاشوريون .

اهم قبائله : المنتفق وبنو لام والبو محمد وربيعه وتميم والدليم وعنزى

وشمر والاقرع وعفك وما يتفرع عنها كلها من الانحاذ

والبطون العديسقى

مذاهبه : الشيعة : جعفريون وبعض الزيديين والاسماعيليين .

السنة : حنفيون وشوافع وحنابلة .

المسيحية : يعاقبة ونساطرة وكلدان وسريان وكاثوليك وروم

ارثوذكس وبروتستانتيون . ثم اليهود والصابئة واليزيدية

والفرس والهندوس والبهائيون .

الفصل الاول

من العروبة الى التغرب

الاسلوب الغربي في المراسلة - الارقام والاسماء - اقتصاد قبيح - شرقي متعذر - لهجة من البصرة وشتائم من لندن - مسيحي يتفوق ويتسكك - شهم انكليزي - الفرق بين العرب والهنود - شرب الوسكي - رطانات البصرة - محطة سكة الحديد - قطار مستشرق - عربة اوردية خنثارية - القاطرة تكسر رجلها - النجدة من اور الكلدانيين - الاعرابي وعياله المسافرون الى بغداد - القطار ينتظرهم خمس ساعات - ضابط انكليزي يحمل على الرئيس ولسون - في محطة بغداد - واين انت يا بغداد؟ - رجل ينادي ، بابو ، بابو - الرطانات الاوردية - عربة الموتى - ركبت في جنازتي - سيارات النقل - جسر «مود» - من نزل الى آخر - اين امين الكسباني؟ - الامنيان يلتقيان - كاتب سر جلالة الملك المعظم يزبن روحه في كوخ مفجع - الحرية والاخاء والتنازل عن المساواة عند كاتب السر الاول - في القصر - الملك فيصل .

اجرت من عدن اقصد الى العراق . فلما وصلت الى بيباي التي لا بد من التعرّيج عليها اذا كان السفر في احدى بواخر الهند ، لقيت في قنصلية اميركة كتاباً من الديوان الملكي في بغداد كتب على الآلة الكاتبة العربية هذا نصه :

بغداد - ١٠ / ٦ / ١٩٢٢

حضرة الفاضل امين افندي ريجاني المحترم

اما بعد التحية والاكرام . فقد تناول صاحب الجلالة الملك فيصل كتابكم الصادر من لحج في ٧ شعبان وامرني بالكتابة اليكم معرباً عن سروره بقدمكم العراق ومشعنياً لكم سلامة الحل والترحال في طريقكم اليه وتوفيقكم في ما تزعمت بهذه الرحلة لاجله .
وقد ارسلت الكلمة الى بيباي لاجل تصديق جواز سفركم الى العراق .

واما توجهكم الى الرياض فقد أرسل السؤال به الى عظمة السلطات
عبد العزيز ومتى جاء جوابه بعثنا اليكم به والسلام . رستم حيدر
هوذا غير ما الفتى في اليمن والحجاز . كتاب غربي الاسلوب حتى في
تاريخه ، خلو من الدباجة والتنميق . وفيه الدليل على النفرة من تلك الطريقة
القديمة التي تبدأ غالباً بالبسملة وننتهي ب ان شاء الله ، ويُخبأ الغرض من
الكتابة فيها بين مدبجات التبجيل والتعجيد او بضمن قصاصة عنوانها
« حاوي خير » . فتكون هي الكتاب بقينا ، ويكون الكتاب الرسمي ترهه
من الترهات .

قد احسن الديوان الملكي لدولة العراق المتغربة . ولكن الاحسان في
الاقتباس درجات نتجاوز الخروج من المؤلف العربي الى المؤلف الغربي . على
اني وان كنت افضل الخط على هذه الاحرف العربية السمجة ، وأرى في الكلمة
المخطوطة حساً لا تظهره بل نقتله احرف الآلة الكاتبة ، فقد استبشرت بهذا
الكتاب لما يرمز اليه ، وان كان في اول سطر منه ما هو في نظري من فيج
المقتبسات الاوربية . فان الاستعاضة عن اسماء الاشهر بالارقام في التاريخ لمن
المباليغات الحديثة بالافتصاد عند الغربيين . وما كل مظاهر الافتصاد آية في
الحكمة والجمال . اما اذا قيل ان المسئلة ذوقية فجوابي هو ان ذوق الشرقيين فيها
ارفع من ذوق الغربيين . وفي كل حال ان الالفاظ اجمل من الارقام نظراً
وممعاً ومعنى . اذا كتبت زانها الخط ، واذا لفظت زانها النطق . مثلاً : ابار
وحزيران وتموز — ٥ و ٦ و ٧ او شعبان ورمضان وشوال — ٨ و ٩ و ١٠ . فأية
الطريقتين اجمل ، بل اي الذوقين اصح ؟

١١ " طفيفة ولكنها حربية بالاعتبار في ما نومي . اليه من عقلية مقابلة .
سبست مع ذلك بكتاب الديوان الملكي لما قرأت خلال سطره من
المقاصد الحميدة في دولة العراق الجديدة . ورأس هذه المقاصد انما هو فك قيود
التقاليد القديمة العقيمة وان كان في تاريخ الرسائل وانشائها . بيد انه يتبادر
الى الذهن فكر في سؤال : هل يعد مجرد التقليد الخارجي من مظاهر الارتقاء ؟

سافرت من مينيبي الى البصرة في باخرة انكليزية من بواخر الخليج . وكان حظي فيها اني شاهدت مثالا آخر من الرقي العراقي قبل ان اصل الى العراق . اجاب احد المسافرين سؤالي دون ان يدرك ذلك ، ودون ان يتحدثني . هو رجل ابيض الادم ، اشقر الشعر ، ازرق العين ، دخل ورفيقاً له يتقدمان انمراً من الخدم يحملون امتعتهم . وكان احد اولئك الخدامين اخطأ في ما فعل فانتهال عليه المسافر الاشقر بالشتائم والمسبات بلغة انكليزية فيها لكنة قبيحة . اللهجة من البصرة والشتائم من حانات لندن .

عرفت بعدئذ ان رفيق المسافر ارمني وهو يعرف الانكليزية ايضاً ولا يتحدث حتى رفيقه بسواها . وما شككت بانهما عرفا اني عربي لاني كنت معلناً ذلك على رأسي بالكوفية والعقال . مرّ اليوم الاول والثاني والثالث فانفق ان التقينا على ظهر الباخرة صباحاً فسلمت باللغة العربية فرد سلامي باللغة الانكليزية . فقلت : انه ولا شك ارمني . ثم عرفت انه ورفيقه من تجار التمر في البصرة ، فلم يتنازلا لمحادثة غير بعض الانكليزية في الباخرة . الا انه سألتني ذات يوم عن الشهر الاسلامي الذي كنا يومئذ فيه ، فأجبت بكلمة ، فشكرني باخرى كانت الخاتمة .

بعد ثلاثة اشهر كنت وبعض الاصحاب نشاهد سباق الخيل خارج البصرة فرأيت هناك رفيق السفر الاشقر الامجد وهو يحمل ناظوره كالانكليز معلقاً في عنقه ، فبسم لي ابتسام التزلف ثم دنا من احد رفاقي وسلم عليه باللغة العربية — التي لا لكنة فيها . فاستطلعت بعدئذ خبره اليقين فقال صديقي : هو من البصرة ، من مسيحي البصرة ، سمارتمر . فقلت : يظهر ان عندكم في العراق طبقة من الناس شبيهة بطبقة المتفرنجين في سورية . المتحدلقين المتفوقين بين قومهم ، المتسكسين امام الاجانب . فقال : نعم ، وهم يتشبهون بالانكليز كما ترى بحمل الناظور ولبس القفازات في الصيف .

اعود الى سؤالي : هل يعد مجرد التقليد الخارجي مظهرآ من مظاهر الارتقاء؟ ان في رفيق السفر هذا جواباً واحداً لا اخذن القارىء برتاب بصحته . ولكن

هناك رفيق سفر آخر وجواباً ثانياً . هناك طيب انكليزي كان على عادة قومه الاماجد في السفر يعتزل الناس ، فيجلس في الزاوية او في كرسيه على ظهر الباخرة يدخن الغليون ويطالع كتاباً . وهو قلما يكثر بلبسه . يسد انه وان كان «نظلولونه» غير مكوي و «ساكوه» اشبه بالكيس منه بثوب مخيطة ، فاذا وقف ومشى مشت المهابة في ظله وافصحت عن كريم محتمه . دنا هذا الرجل يوماً مني فاعتذر وسلم وجلس الى جنبي قائلاً : انت عربي . فقلت : نعم . فقال : وعلى ما اظن من العلماء . فقلت : سائح طالب علم . فقال : هذا تواضع منك . قد سمعت من حدث عنك في بيباي . ثم قدم بطاقتة فبادلته الاكرام .

— اني مما اعرفه عن العرب وهو قليل احترم الامة العربية كل الاحترام . اقمت زمناً في الهند ، في خدمة الهنود — وليس في الطب سياسة كما تعلم — فما لقيت جزءاً مما لقيته في بضعة اشهر في بلاد العرب على هذه السواحل — كرم الاخلاق ، الاخلاص ، الضيافة ، انك لا تجدها في الهنود . اما الشجاعة والرجولية فهما في المسلمين منهم فقط . لا اظننا تقاسي في الهند ما تقاسيه لو كان في الهنود شيء من وفاء العربي واخلاصه اذا آذاك . قد تكون طالعت تاريخ الانكليز في تلك البلاد فتعرف كم من مرة طعننا الهنود في الظهر — خانونا وخذروا بنا — بعد ان عاهدونا على الولا .

قال هذا ودعا الخادم فطلب كأساً من الوسكي والسودا وسألني مستردداً عما اذا كنت اشاركه . فأجبت بالايجاب فقال : اعرف من المسلمين من يشرب الخمر . فقلت : اني مسيحي واني آسف ان من المسلمين العصر بين من يظنون التشبه بالانكليز منحصرأ بشرب الوسكي . حبذا المسلم المواظب من هذا القبيل على دينه . فقال الحكيم : صدقت . نحن الانكليز نبالغ في الشرب — نشرب كثيراً . خذني مثلاً . اني اشرب الوسكي قبل الاكل ، واثناء الاكل ، وبعد الاكل ، واثرب بين الوجبات كما ترى . . . نعم ، الانكليزي في الهند ، او بالحري خارج انكلترا ، يشرب اكثر مما يشرب في بلاده . والسبب في ذلك البعد على ما اظن عن الوطن والاهل ، ثم ساعات الفراغ بين ساعات العمل وليس

ما يبلاها من الاجتماعات او الملاهي . ثم — وهو الخطأ الاكبر — ما نظنه منها للحواس في ما يصحب كأس الوسكي . وبودي لو اقتدى الانكليز بالمسلمين . فقلت ممبياً : المسلمين الذين لا يقتدون بكم في شرب الوسكي . وكانت الضحكة مسك الختام .

عندما وصلنا الى البصرة سعد الى الباخرة موظفو الجمرک والصحة والشرطة واكثرهم من الهنود . وكنت قد ارسلت تلغرافاً من بمباي الى صديق لي في الديوان الملكي ببغداد عليه يأمر في البصرة من بلاقيني ليهديني في الاقل الى محطة سكة الحديد . فوجدت نفسي ، ولا احد يسأل عني ، أغرب في هذا البلد العربي القديم مني في « كارنشي » الهندية . وانا العربي الذي قضى الايام والليالي يطالع الحريري والجاحظ ، ويطحن كريات دماغه في طواحين الكساء وسيدويه ، — ولا اقول الرحالة الشهير القادم من اليمن — اراني قد نزلت من الباخرة بين قوم لا افهم لغتهم . فيكلمني الحوذي بعربية يضطر ان يترجمها الى شيء من الانكليزية يفهم . هو ايضاً هندي . ساق جواده الاعرج يجر عربة مكسرة وفيها بقية آمال مبعثرة تدعى الريحاني .

رحنا في قفر سبب خارج البصرة ، فاجتزنا معسكراً مهجوراً ، ثم آخر فيه بعض الجنود الهندية ، ووصلنا بعد ساعة الى محطة السكة بل الى بقعة ينتهي عندها الخط . ولا محطة غير كوخ لبيع التذاكر وجدناه مقفلاً . ووجدنا خارج الكوخ ولداً عربياً ، والحمد لله ، نلطف فراح ملبياً طلبنا يبحث عن الموظف . فعاد بعد ساعة يتبعه رجل — هندي — هو مدير السكة ولكنه يحسن الانكليزية . فسألته سؤالاً نعمدت فيه التعريف عليه يكرمني في الاقل بان يخصني بشقة في العربة وحدي . وكان الرجل فهياً كريماً ، فكان لي ماشئت . اعطاني تذكرة واحلني في القطار محلاً فسيحاً فيه ماء وحمام . وكنت قد كتبت برفية الى الصديق امين الكسباني في الديوان الملكي بالعاصمة وهممت بالرجوع الى بيت البرق لارسلها فاخذها مني قائلاً : سارسلها من هنا رأساً . ثم امر بن يعتني بامتعتي وودعني قائلاً : اذكرني لدى نوري باشا .

الوداع صاحب .

الوداع صاحب . انت وان كنت كبرياً لمن اغلاط الانكليز في العراق .
والمسيحي المتفرنج وان كان عالماً لمن اغلاط التاريخ في العراق . والمتغرب
اليوم في القشور فقط ، مسيحياً كان او مسلماً او امرائيلياً ، لمن اغلاط
الاجتماع في العراق ، بل في الشرق كله . حبذا مدينة جديدة تمتع الشعوب على
السواء بثمارها اليانعة . والحق يقال ان ما ترمي اليه المدينة الحقة ، غربية كانت
او شرقية ، هو تعميم وتعزيز قياس واحد في اداب المعاملة واداب السياسة
بين الامم . فلا يستشرق الغربي ولا تستشرق الصناعة الغربية اذا ما لفحتها
شمس الشرق ، ولا يتغرب الشرقي في سطحيات الحياة اذا ما بسم له خادم
السيد الاوربي .

صفت القاطرة وجرت ، فخرت وراءها قطاراً مستشرقاً جيء به وبعماله
من الهند — قطاراً عسكرياً من بقايا الحرب . لا اظن امة من الامم الاوربية
او الاميركية تستخدمه لغير الشحن ، فتصلحه مع ذلك وتجده . والقاطرات في
اشد حاجة الى التصليح من العربات . بل قد تكون اجتازت زمن الخدمة فامست
لا تصلح للعمل ولا يصلح فيها للبيع غير الحديد .

خرجنا من ضواحي البصرة مساء في قطار البريد « السريع » الذي يصل
الى بغداد ساعة الغروب من اليوم التالي ، اللهم اذا سلمت القاطرة من عاديات
الطريق . قد سلمت والحمد لله ليلاً . فنهضنا صباحاً فاذا نحن في أور الكلدانيين
في الوقت المعين بلائحة السفر . وهذا خادم عربية الاكل جاءنا بفنجان من الشاي
قدمه من النافذة اذ لا مائتي في هذه العربات تصل الواحدة بالآخرى .

سرنا من أور الى الدراجة فوقنا فيها وقفة تفذت بالعظم صدمتها .
وقفنا فجأة وثبتنا تجاه العاديات ثبات الابطال . نظرت الى لائحة السفر فاذا
فيها : الفطور في سماءة . ولكن خادم المائدة جاء بعد ساعة يدعونا للاكل
فخرجنا من منازلنا وسرنا نلبي دعوته ونستطلع خبر القاطرة . فعلمنا انها ،
خرسك الله ، كسرت رجلها ، وانهم قد ارسلوا الى أور يستحضرون قاطرة اخرى .

ولت ساعات الصباح واشتد الهجير ، فصعد الزئبق في الميزان الانكليزي الى درجة المئة والست درجات ، فعمدنا الى المراوح في العربات فاذا هي مثل كل شي في ذلك القفر نائمة ولا حياة فيها . ثم جاء الخادم بدعونا ثانية للاكل — الغذاء . فوددنا لو ان ساعات الانتظار كلها ساعات اكل وشرب وحديث ، فتسبنا مصيبة القاطرة ومصيبتنا في فيافي العراق وقبظه .

جاء ونحن في الدراجة اعرايي يركب حماراً يتبعه حريمه وعباله ماشين . جاءوا يبعون السفر الى بغداد في قطار البريد السريع ، وكان وصولهم الى المحطة بعد الميعاد بخمس ساعات فقط ، فقال الاعرايي يخاطب الحرمة ام عياله ، ما قلت لك ياسعيدى ان القطار ينتظرنا . وقد انتظر غيره من البدو هذا القطار المستشرق اللطيف . ثم جاءت القاطرة الصالحة من اور بعد الظهر فخرجت بنا من الدراجة وراحت تشيل بذنيها ، بارك الله فيها ، فاوصلتنا الى السجادة ساعة الشاي . ثم الى الديوانية التي كان قد أعد لنا الغذاء فيها فقدم عشاء بارداً .

جلست الى المسائدة واثنين من الانكليز منهما ضابط علمت من الشرائط الصفراء والحمر والخضراء التي على صدره انه من ابطال الحرب ، وعلم ، والله اعلم ممن علم ، اني قادم من اميركه . فسد تواء الى الرئيس ولسون اسهم غضبه . — قد نزع من يدنا السلاح الذي لا يصلح لضبط امور العراق سواء ، سلاح القوة ، العزم ، الشدة .

فقال رفيقه : لولا تدخل اميركه لكانت اليوم نحكم العراق كما يجب . فكل الضابط قائلاً : ولخير العراق . . . وما الانتداب ؟ وما تقرير مصير الشعوب ؟ الفاظ هي ليس الا . قد حكم القوي الضعيف مئات من السنين قبل ان اخترع لنا رئيسكم ولن هذه الكلمة — الانتداب . وحكمه حيناً بالعدل وحيناً بالعسف والشدة ، بما تسمونه ظلماً . وكان الظلم احياناً انفع له من العدل . وهل تظن ان هذه الكلمات الجديدة — الانتداب — تقرير مصير الشعوب — تصلح الشؤون وتحرر الامم ؟ ترانا مقيدين في هذه البلاد بارادة عصابة لاسيادة لها ، نعم ، عصابة

الامم ، وباراء رجل نظري يحلم الاحلام هو رئيسكم المستر ولسون ، فلا نستطيع عملاً مفيداً لا لانفسنا ولا لاهل البلاد .

اعجبني من الرجل يقينه وصراحته ، فالجراحة الادبية مستحبة دائماً . وما هو بعسكري فقط بل من غواية الادب ايضاً . رأى معي كتاباً للمؤلف الشهير المستر وأنس فاستعاره ولم يُعده الي . لعل التبعة في ذلك على القطار لاننا بعد ان دخلنا كل الى منزله لم يرَ بعضنا بعضاً . وعندما وصلنا الى بغداد الساعة الثانية بعد نصف الليل — اي بعد الميعاد بثاني ساعات — كان هو ممن خرجوا من القطار وانا ممن ناموا فيه . والسبب في ذلك ان ذاك الضابط ، وان كان غريباً ، كان له في البلد بيت ياوي اليه اية ساعة كانت اما انا فلم انتظر احداً من اصدقائي ان يوافيني الى المحطة بعد نصف الليل ولم أجز لنفسي طرق ابوابهم او ابواب الفنادق في تلك الساعة . فتمت ، فلم يشأ على ما اظن ان يزعمني ، فغنم بلطفه الكتاب .

تمت ساعة فابقظني صوت بنادي : بابو ، بابو ! ففتحت النافذة فاذا باحد الحمالين يبغني خدمتي ، فطرده وعدت الى النوم . ثم بعد دقائق سمعت طارقاً يطرق زجاج النافذة ، فنهضت فاذا بجمال آخر ينادي بالهندية بابو ، بابو ! فعمدت الى العصا وكلمته بها . أتبعني لغات الهند الى العاصمة عاصمة العباسيين وقطب دائرة الشعراء المحدثين ؟ رح يا ملعون الوالدين ! وبعد هذا السب والضرب تمث ثالثاً ونهضت باكراً ، فنظرت من النافذة يميناً ، ثم من النافذة يساراً ، فلم اجد لبغداد اثرأ من الآثار ، ولا رأيت على الرصيف احداً من الناس . فساورني شيء من الغم ، كثير من الغم . فقلت في نفسي : الماء البارد للغم خير دواء . وعندك الماء يا رجل . فاستحممت ولبست ثيابي هادي . البال منشبتاً بالآمال . عل وجهاً من وجوه الاحباب يشرق على المحطة مع شروق الشمس .

جاءت الشمس وحدها ، ولم اجد عند المحطة حتى من ينقل امتعتي الى البلد . فبعثت الولد الذي ضربته بالعصا يستحضر عربية وبت انتظر ، واقفاً وحدي في ذلك القفر المفجع ، افتش في الآفاق الاربعة عن بغداد . وبعد نصف ساعة ظهر

في جهة النخيل عربية لماعة ، يقودها جوادان مطهمان ، يزين رأسيهما الريش الاسود الكبير . فذكرني الريش بنخيل عربات الاموات في جنازات النصارى . فقلت في نفسي : وانت في جنازة يارجل - في جنازة آمالك ، وغرورك - في جنازة ما كنت نتمثله ولتصوره ببغداد .

ركبت في جنازتي ، فساق الخوذي خيله شرقاً الى النخيل فبدأ لنا عند ما دخلنا على جانبيه شيء من حركة المقاهي في ظلال تخلفتها اشعة الشمس . ثم سمعت صوتاً بذبح ، وقرقعة ترجرجت الارض منها . هي عربات النقل - سيارات الجيش الهائلة - يسوقها جنود الانكليز . والغريب ان غبارها وروائحها نعتني تلك الساعة فأخرجتني من الجنازة . هي طلّاع الحياة في بغداد اليوم . اما ببغداد الامس ففي كتاب الف ليلة وليلة تجدها .

وصلنا الى الجسر ، جسر «مود»^(١) وهو مثل الارجوحة معلق بشاطئي* دجلة ، بيدانها ارجوحة من المراكب لتحتي تحت ارجل المارين ، وتئن تحت دواليب العربات ، وتصفق تحت سنابك الخيل ، ونصرخ صرخات مزعجة تحت اقبال سيارات الجنود . وكان النهر في صباح يوم من ايلول صغير الموجة لطيفها ، يسير سيراً بطيئاً هادئاً ، ومجذاف البلام^(٢) يحرك اللجين فيه فيستحيل ذهباً في اشعة الشمس . وهناك في الجهة الشرقية تبدو ببغداد بقبايها الزرقاء وماآذنها البيضاء ، وقصورها على الشاطي* تعيد الى من كان شغفاً بمجد الزمان الغابر شيئاً من البهجة والانشراح . بيد ان تلك البهجة قصيرة الاجل ، فهي لا تراققه الا في النهر او الشط بلغة اهل العراق .

عبرت الجسر فاذا في شارع مهشم حزين ، كأنه بجاناته ومقاهيه قد خاض عباب الحرب العظمى ، ووصلت الى نزل «مود» فوجدت العمال يشتغلون

(١) Gen. C. F. Maude, K. G. B. C. M. G. D. S. O. هو قائد الجيوش البريطانية الجنرال ث ف مود الذي فتح ببغداد في ٢٤ جمادى الاولى عام ١٣٣٥ - ٩ اذار سنة ١٩١٧ فسمي الجسر باسمه .
(٢) النوتي صاحب البلم . والبلم - اللفظة هندية - زورق للعبور والنزعة .

في الترميم ، فقصدت الى نزل آخر ، فاذا الخدم يغسلون الصحن وكان صاحب
النزل لا يزال نائماً . فخاطبني احد الخدم يقول : ولا غرفة واحدة فارغة ولا
سرير . ثم دلني على فندق في الجوار المبارك فبادرت اليه ، فاذا هو كالامل
الضائع في صدر الجائع ، فانزلت مع ذلك امتعتي ودفعت الى الخوذي ما تبقى من
ثروتي ، ودخلت الغرف واحدة بعد الاخرى ابغني احسنها فاذا هي مثال المساواة
الاعلى — كلها صغيرة مظلمة باردة عفنة . فقلت : لا حول ولا ، قد يكشف
الفتور البلا .

فطرت ثم سألت الخادم عن الهاتف فقال انه لا يزال نائماً . فقلت : التلفون
اريد . فقال : تجده في « المدجستنيك » فسددت خطوات اليأس الى النزل
ذي الاسم الجليل ، فلقيت صاحبه في الباب يستنشق هواء الصباح ، فقلت :
عندكم تلفون ؟ فقال : نعم .

— وهل تظن ان احداً في قصر الملك يجاوبني الآن اذا تكلمت ؟

— ومع من تريد ان تتكلم ؟ مع امين الكسباني ؟

بهيت حقا ثم قلت : اسأحر انت ام نبي ؟ فقال : انا من تل كيف (١)

وامين الكسباني عندي . ثم نادى الخادم وامره ان يدلني على غرفته .

كان الباب مفتوحاً اذ لا نوافذ للغرفة غير واحدة لفتح مثل الباب على
الرواق . وكان الامين في ثوب النوم واقفاً امام المرأة يزين روجه ، وكانت
ذقته قد ابيضت بالصابون فلما رأني ابيض منه الوجه كذلك ، ووقعت الموسيقى
من يده . ثم رشقني بالشتائم السوداء .

— متى وصلت ؟ وكيف تصل قبل الوقت المعين ؟ هذه قباحة منك . تشغل

اصحابك بك فيستعدون للقائك ثم تباغتهم هذه المباغثة . وانت الاديب المشهور
بالذوق والادب .

— ألا تسمح بكلمة ؟

(١) تل كيف بلد في الموصل واهله موصوفون بالحدق والنشاط .

— سامحك الله . ماذا اقول لمن ناموا باكراً البارح لينهضوا باكراً اليوم
لملافانك ؟ القطار وصل قبل الوقت المضروب ؟ يقولون لي : ولماذا لم ينتظرونا
في المحطة . واذا قلت : انه رجل مثل القطار شاذ الطبع والسلوك ، فهم لا
يفهمون ولا يعذرون .

— ألا تسمح بكلمة ؟

— سامحك الله . قد خاب ظني بذوقك وادبك .

قلت وانا لا ازال واقفاً في الباب ، صابراً على ذي السباب : وانت الذي
قضيت حياتك في انكلترة ، وكنت على العمل في الليل ادأب منك عليه في
النهار ، ايزعجك الزواح الى المحطة نصف الليل او بعده ؟ وهب انك علمت ان
القطار لا يصل قبل الصبح افما كان يجب عليك ان تحيي الليل ، اكراماً لصاحبك
على الاقل ، لاعتباً بـ «البريدج» ثم تخرج ساعة الفجر الى المحطة تستنشق
الهواء ؟ الحق يقال يا امين ان سنة في بغداد اورثتك الكسل والخمول .

بعد هذه المشاقمة تصافحنا وسلمنا سلام الاحباب . وجلست اطالع آخر اعداد
جريدة «تيمس» الانكليزية التي كانت على الارض .

— نحن علمنا ان القطار تأخر ولكنه من عاداته ان يتأخر اثنتي عشرة
ساعة .

— مالنا والقطار . عسى ان يكون حالك احسن من حاله . يظهر انك الفت
الظلمة في انكلترة فأجبت الاقامة في هذا النزل وفي مثل هذه الغرفة .

— هذه بغداد ، فنادقها شبيهة بعضها ببعض ، ولا فرق بينها في غير
الاسماء والاجور .

— أحقاً ما نقول ؟ الا يوجد في هذا النزل غرفة ترمقها الشمس ولو
بلحظة ؟

اجاب الامين متبرماً : هذا احسن نزل في بغداد وقد نجد لك غرفة فيه .
قلت مصراً على المشاكسة : مثل هذه الغرفة ؟

— افلا نتنازل الى مساواننا ؟

— اذكر ان للمساواة اقبولين آخرين هما الحرية والاخاء . وبما اني قد
آخيت النجوم واقترنت ثانية بالحرية في بلاد العرب فسأتنازل عن المساواة وانام
على السطح .

فسبني بالانكليزية ثم بالعربية ثم قال : جرحت عشقوني — الا تحشى البرد ؟

— اخشى العفونة اكثر من البرد . اين قصر الملك ؟

— لا قصر لجلالته .

— واين هو نازل ؟

— خارج السور — خارج المدينة .

— او لا يؤذن لي ان انصب خيمتي خارج المدينة ؟ صدقني يا اخي اني امراض

في مثل هذه الظلمات . قد صرت بدويًا فلا يطيب لي غير الفلاة . اليس عندكم

بدو خارج المدينة انزل عندهم — معهم — عليهم ؟ . . . اذن تزورهم .

فقال الامين متهمًا : ولكنك نتنازل فتزور جلالة الملك اولًا . اليس

كذلك ؟

— طبعًا ، طبعًا . لا تؤاخذني .

فضحك وفرح بغلبي . فأخبرته اذ ذاك بما جرى لي منذ وصولي الى البصرة

حتى وصولي الى محطة بغداد ، فرثي لحالي وغفر لي نزقًا انساني الواجب . وكنت

قد علمت وانا في ببلي بالعملية الجراحية التي اجررت لجلالة الملك واخبرت

في الطريق الى العاصمة انها نجحت وان جلالته قد تماثل الى الشفاء .

— أفلا ينبغي ان اكتب الى جلالته كتابًا اهنئه بصحته واعلمه

بوصولي ؟

سنكفيك مؤونة الكتابة .

وكان قد اتم صدقتي تزهبين روحه ، ولم شعث طبعه ، فعادت اليه

السكينة ، وتجلى فيه الحلم والوقار ، فصار اسلس من الماء ، كما يقال ، وألين من

اعطاف النسيم . ام الهاتف في النزل وعاد يقول : ستقابل جلالته اليوم . فسررت

جدًا بذلك .

وبعد ساعة ركبتنا سيارة اميركية سارت بنا هاتجة نثير النقع في شارع بغداد الجديد ، الطويل المستقيم الوحيد ، الذي يمتد من اول المدينة جنوباً الى اخرها شمالاً ، وخرجنا من البوابة عند نظارة الدفاع ، فمررنا بشكنة الى اليمين وواصلنا السير في طريق الاعظمية حتى وصلنا الى بستان على احدى حواشيه بيت صغير انبأت المواعين في فناءه بانه بيت فلاح يكثر عنده الخليب واللبن . بل هو بيت مدير الزراعة الخاص لجلالة الملك . ثم نزلنا عند بيت آخر صغير داخل البستان ، شبيهه بيوت الـ « اسبتوس » التي كانت تبني في ايام الحرب بساعة وتنقل من مكان الى مكان ، فاذا هو مفروش بالفرش الاوروبي ببساطة افصحت عن ذوق لطيف ، وفيه خزانة كتب معلق فوقها صورة الملك فيصل مع الكاتب الافرنسي الشهير اناطول فرانس ، ومنضدتان وراء الواحدة منها شاب عصري ، وضاح الحيا ، عالي الجبين ، حسن البزة ، يادر الى استقبلتنا ، وكان في ترحيبه مثله في لبسه انيقاً دقيقاً — رسمياً . هو رستم بك حيدر السكرتير الاول لجلالة الملك ، وصاحب الكتاب الذي صدرت به هذا الفصل .

شربت القهوة في ديوانه ، وتلمست في محدثي بالرغم عن حجاب الرسميات نفساً هادئة كيسة ، وعقلية راقية ، وتمتعت بعدئذ اثناء اقامتي في بغداد بشيء منها وراء الحجاب ، سأشاركك ايها القارىء به . اما الان فهو الذي عجل ، شكرآله ، بتحقيق ما جئت من اجله . عمد الى الهاتف على منضدته ثم قال : سيدنا يقابلکم الآن .

سرنا في ظلال النخيل الى بيت لا يعد في القاهرة او في بيروت فخماً ممتازاً . ولكنه مبني على شاطئ دجلة في بستان من النخيل ، في جوار الامام الاعظم ، وقبل المكان الذي ازدهرت يوماً فيه المدينة المدورة ، مدينة المنصور . دع عنك ذكر المنصور والامام الاعظم . البيت قصر حتى ولو كان مجرداً عن المحاسن الطبيعية والتاريخية والدينية كلها . هو قصر لان ملك العراق الاول مقيم فيه .

حيانا جنديان في الباب ، ثم استقبلنا احد الضباط فدعانا لغرفة فيها طاولة عليها سجل الزائرين ، ثم جاء احد الامناء يدعونا الى الطابق الاعلى

فدخلنا وراءه ردهة للجلوس ، وبعد هنيهة فُتِح باب افضى بي الى غرفة النوم .
وكان الاسبوع الثالث من العملية الجراحية وكنت الاول الذي حاز شرف
الاستقبال بعدها .

الامير فيصل بن حسين بن علي بن نُمَي ، ابن بنت الرسول ، قائد جيش
الشمال العربي في الحرب العظمى ، ممثل العرب في مؤتمر فرساي ، حامل لواء
الوحدة العربية في اوروبة ، حاكم الشام ، ملك سورية ، ملك العراق ! قد تنبعت
وانا في نيويورك هذه المراحل الباهرة في ذلك التاريخ ، تاريخه القصير المجيد ، وانا
معجب به كل الاعجاب ، مكبراً منه الاعمال والاقوال والمقاصد العالية ، متأسفاً
اني لم اجتمع به في باريس او في لندن او في الشام ، محتفظاً بكل شاردة من
شوارد الشوق والأمل . ثم وفق الله فارتحلت شرقاً الى البلاد العربية فكانت
عاصمة العباسيين ، خصوصاً لان فيها بطل احلامي ، نوراً من الانوار المقصودة ،
ومحجة من المحجات المنشودة .

لم اشعر وانا داخل الى غرفة النوم ، على ما تقدمها من الرسميات الملكية
العربية ، بانني داخل على ملك من ملوك العرب ، هو اكبرهم في اوروبة شأناً
واصغرهم في البلاد العربية سنناً . ذلك لان الخيال مني رافق فيصلاً في الخمس
السنوات الاخيرة فادنا في منه فاحسست تلك الساعة ان وراء الستار صديقاً لي
واخاً في الجهاد الوطني . وما كان الحس ولا التصور خوؤناً .

دخلت فاذا بجلالة الملك جالس على الدبوان مكشوف الرأس ملتقاً بعباءته .
فوقف وتقدم بلا قبني وسلم علي سلام الاخوان . وكان وجهه الذي شبهه احد
كتاب الافرنج بوجه المسيح اشبه به يومئذ على ما اظن منه في الماضي . لان
المرض اكسبه لوناً تخف فيه حدة الحياة وتكاد تضمحل ، فيمتزج امتزاجاً لطيفاً
بالنور الناعم الجالس هادئاً في عينيه ، ثم جوفه قليلاً تحت العظم الاعلى فصار
يظهر ما فوقه اي الجبين اكثر اتساعاً ورفعة ، وما دونه مستطيلاً مسناً . اما
في صوته وابتسامه واشاراته فقد كان اشبه بجلالة الملك ابيه .

شكرته على جميل تعطفه في استقبالي يوم وصولي وهو لا يزال في حال

التقه . فقال انه يشار كني في الشوق الى المشاهدة . ثم هنأته بصحته وبعيد جلوسه - العيد الاول للملك العراق الاول - فابتسم ابتسامة فيها بعض الغم وانتقل بالحديث الى رحلتي .

- انها رحلة عجيبة يا امين وسيكون فيها ولا شك فوائد كثيرة للعرب . كنا مرافقين لك معجبين بكل ما وصلنا من اخبارك وبما طالعناه في الجرائد . ثم سألتني بعض سوالات عن البلدان التي زرتها وعن امرائها وحكامها . وكان لا يزال الضعف يمنعني عن الافاضة بالحديث .

- احب ان تخبرني كل شيء وسنجتمع في ما بعد اجتماعات عديدة . فاستأذنت بالانصراف فوقف وهو يقول : سنجتمع في ما بعد . ثم اعتذرت ، وكان ذلك من جميل التواضع فيه ، عن تقصير في القيام بواجب الاكرام والضيافة .

ولكنه بعد ان خرجت دعا الكسباني فحدثه بكلمة ، فعاد الصديق الي يقول : امش - الى النزل بامر جلالته . وقد امر ايضا بسيارة اثناء اقامتك في بغداد .

الفصل الثاني

لا حكومة ولا انتداب

بركان الثورة - الملك في يد الاطباء - سقوط وزارة النقيب - عيد الجلوس
غير المأنوس - اتحاد الاحزاب - مطالبها - ملحق من النهضة الوطنية
العراقية - استبعاد الف سنة واستبعاد سنة واحدة - وفد الاحزاب في قصر
الملك - الشيخ مهدي البصير يخاطب في الجسم - رئيس الامناء يعقب على
كلامه - وصول المندوب السامي مهيناً بعيد الجلوس - الشعب يهيج : يسقط
الانتداب اليسقط الانكليز - مطالب زعماء النجف - عريضة العشار -
عزل رئيس الامناء - الفرق بين السرارند ولسون والسر برسي كوكس -
اقفال الاحزاب الوطنية - نفي الزعماء الوطنيين - الامة ساكنة ساكنة -
وحجج الاسلام لا يحتجون - تاسيس حزب وطني معتدل - سياسة الملك
فيصل - لا حكومة ولا انتداب .

يوم وصلت الى العراق كان بركان السياسة قد انفجر من كل جانب ،
فترامت من النجف اللحم ، واستعرت في بغداد النيران ، وتصاعد بين الرافدين
اللهيب والدخان . في ذلك الحين قام الزعماء بطابون رفض الانتداب ، وانتخاب
المجلس النيابي ، واعلان الاستقلال التام ، وتأيد العرش . وسمع بين الاصوات
صوت الشاعر الحكيم يقول :

« انا شاعر ببغي الوفاق موحد بين الشعوب سبيله الارشاد
ما الفرس والاعراب الا كفتنا عدل وما الاتراك والاكرد
لم تكفنا هذي المطامع فرقة حتى تفرق بيننا الاحقاد »

وكانت الحركة قد اشتدت قبل عيد الجلوس بايام قلائل ، فأثرت بصحة
الملك وزادت بآلامه التي كانت الزائدة المعوية سببها ، فأشار الاطباء بعملية
جراحية فاجلها جلالته الى بعد العيد . اما الوطنيون ، المتطرفون منهم والمعتدلون ،
فلم يؤجلوا مما سمعوا اليه شيئاً . ويظهر ان صوت الشاعر اثر فيهم يومئذ تأثيراً

حسناً فحملهم على توحيد المطالب والآمال .

وقد كان لحملاتهم ثلاثة اهداف ، اي الوزارة والحكومة والملك نفسه ، فاستخدموا لها ثلاثة انواع من السلاح سلاح الكلام . صوبوا مدفعيتهم على الوزارة التي كان يرأسها السيد عبد الرحمن النقيب فاستقلت ، وطاروا بطياراتهم الخطائية فوق دار الانتداب فأزعجت المندوب السامي فبات حائراً لا يدري ما يفعل ، ولا سيما ان الجيوش يومئذ لم تكن تكفي لاسخام فتنة صغيرة .

اما جلالة الملك فجاءته الوفود يوم العيد ، اول عيد لتاج العراق ، عيد الجلوس - غير - المأنوس - يهتفون ويطالبونه والحكومة المشاركة بالوعود التي مر العام الاول عليها دون ان ينجز شي منها . وكان في البلاد حزاب سياسية ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، فاتحدا بعد ان تشافا واجتمعا اجتماعاً خصوصياً في اليوم السابق لعيد الجلوس قررا فيه بالانفاق رفع احتجاج الى « اعتبار صاحب الجلالة المعظم » ونقطة الدائرة فيه ان الامة كانت تنتظر بعد التتويج حكومة دستورية نيابية ، فمرت السنة الاولى ، والحكومة لا تعرف أ دستورية هي ام نيابية ام ملكية مطلقة . - ان الامة يا صاحب الجلالة تكابد انواع الاضرار الناتجة عن سوء الادارة « المتغلب عليها نفوذ البريطانيين المنافي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياسة التفريق وغيرها من الاعمال غير المشروعة رائداً لهم » . وهذه الوزارة وزارتهم اسقطناها لانها كانت العامل الاعظم في مناهضة آمل الامة . وبما ان المجلس النيابي لم يتألف حتى الآن ، وبما ان خطر الانتداب يهدد استقلال البلاد وحريه العراقيين ، فقد اجتمعت هيئتنا المركز العام للحزب الوطني العراقي والمركز العام لحزب النهضة العراقية وقررنا عرض الحالة على جلالتم مسترحمين صدور الارادة الملكية في ما يلي :

اولاً - الكف عن الاعمال المار ذكرها لاسيما التدخل البريطاني في الامور الادارية .

ثانياً — تأليف وزارة من ذوي الجدارة المخلصين لكي تطمئن الامة باصلاح الحال .

ثالثاً — ان لا تعقد اية معاهدة ولا تجرى اية مفاوضة بشأنها قبل تأليف المجلس النيابي .

ولم يكتف المرکز العام لحزب النهضة العراقية بهذا الاحتجاج وهذه المطالب فأصدر مذكرة خصوصية من قلب البرلمان ، فيها لفتات الى الماضي وأتت ، شكاً للحزب سياسة الحكومة التي لم ير الشعب في خلال سنة منها فرقاً بينها وبين سياسة الحكومة الاحتلالية ، ورفع احتجاجه الى العالم المتمدن ، والى كل من يؤمله صوت الشعب المهزوم الحقوق ، المنبعث من طيات افئدة ملأى بالآلام والاماني . — اننا نحتج على سياسة حكومة بريطانيا الاستعمارية ، وعلى الانتداب وانصاره المحقوتين في البلاد ، في هذه البلاد العراقية التي كانت تستعيد في مثل هذا اليوم من العام الماضي ذكرى المنصور والرشيد والمأمون ، « مؤلمة ان يكون بلسماً للجروح البليغة التي احدثها الاستعباد السنة الماضية في جسمها النحيب »^(١)

وهذه الامة ذات الجسم النحيب والقلب المنعم بالآلام والآمال تعيد عيدها السعيد بتتويج جلالته مليكها وارثائه عرش العراق الذي « شيد فوق جماجم الشهداء » وتبعث بالوفود ليرفعوا الى جلالته اصدق عبارات التبريك وبالخطباء ليسمعوه انينها وشكواها .

جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وفد الحزبين المذكورين ومعهم جمهور من الانصار احتشدوا في فناء القصر ، فطلب الزعماء من الملك ان يأمر بمن يمثل جلالته لسماع الخطب هناك . فأمر جلالته رئيس الامناء لينوب عنه . فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي ، الشاعر الضربير الشيخ مهدي البصير ، فهبج في رئيس الامناء الشجون فانتصب

(١) والتريب العجيب ان امة استعبدت الف سنة ظلت حية سليمة الحواس لتشكو استعباد سنة واحدة في هذا الزمان ، ولم يسمع لها في الالف سنة مضت لا صوت ولا صدى .

خطيباً . وحق له الكلام اذا كان الملك انا به عنه وحق له ايضاً ان يبرهن على حماسة — وقيل حماقة — فيه أنسته انه موظف في البلاط ، وان المندوب السامي لبريطانية العظمى قادم في تلك الساعة ليهنئ جلالة الملك بعيد الجلوس ، وان عليه هو واجب الاستقبال والترحيب . وقد اتفق انه بين كان حضرة الاستاذ رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي السر برسي كوكس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم الجمع صارخاً : ليسقط الانتداب ! ليسقط الانكليز !

وكان قد وصل لسعادة المندوب في اليوم السابق برقية من زعماء التجف يؤكدون له فيها انهم لا ينكرون « صداقة حكومة بريطانيا العظمى ، صداقة خالية من المحاباة » ويعلمونه برغائب الامة العراقية « التي لا يمكنها التنازل عنها مها كلفها الامر » وهي المواد الآتية : اولاً — رفض الانتداب بتاتاً واعلان حكومة بريطانيا العظمى بالغائه رسمياً . ثانياً — مراجعة حكومة جلالة ملك العراق لوزارة الخارجية لا لوزير المستعمرات . ثالثاً — رفع تدخل ممثلي اية سلطة اجنبية لان في الامة نفسها الجدارة لادارة شؤونها .

هذا من علماء الشيعة وجلالة الملك يومئذ معهم . الا ان بعض العشائر لبوا الدعوة التي قيل ان دار الانتداب مصدرها ، فاجتمعوا يحتجوا على العلماء ويعلمون ولاءهم للانكليز . ثم قدموا عريضة بذلك الى المندوب السامي ، فكانت بيده حجة على جلالة الملك . وقد اشار فخامته بان سيعلن العريضة اذا كان الملك يرفض المعاهدة . فلم يكن لينتظر والحال هذه . مثل تلك المفاجأة القبيحة في القصر . اما اذا قيل ان من حقوق الشعب — واليوم يومه — ان يفاجئ السياسيين في اي وقت واي مكان كان فيجب ان يكونوا متاهبين له دائماً ، فمن النادر ان يحدث في بلاط ملكي — في غير وقت الحرب او الثورة — مثل هذا التظاهر الرسمي — رسمي هو بوجود مندوب الملك واشترآكه به — ضد دولة من الدول العظمى . بل هي اهانة اقتبلها السر برسي كوكس هاديء البادرة ساكناً . واظنه سر بها . فقد كان متردداً كما قلت في اتخاذ خطة الشدة لقمع

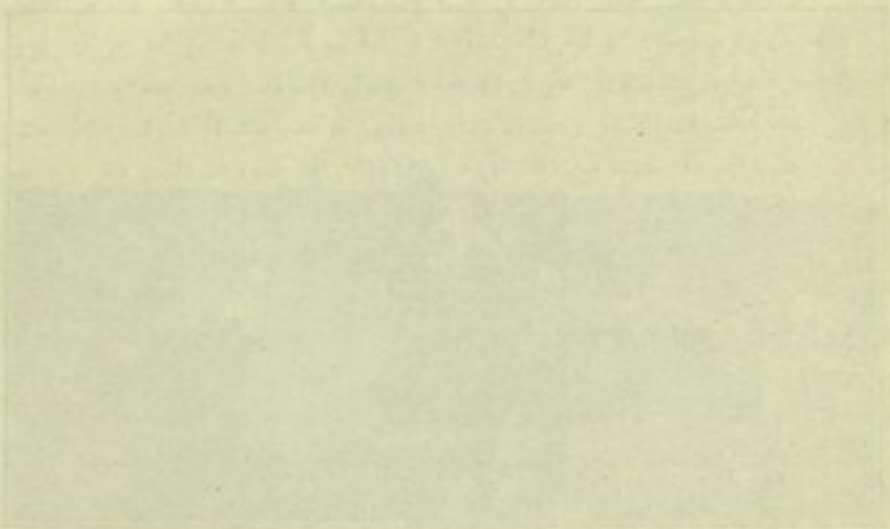
ما كان بنذر بثورة اخرى في العراق مثل ثورة سنة ١٩٢٠ ، فزالته حادثه البلاط التردد ، وشجنت فيه عزماً كان موضوع ريب الناس .
ولكنه انكليزي واكثر الانكليز في مثل هذا الموقف واحد . فلم يدع السر برمبي الحادث المؤلم يحول دون واجبه تلك الساعة ، بل دخل على الملك وهناه بعينه الاول . ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت له نتيجتان ، الاولى في البلاط الملكي وهي عزل رئيس الامناء ، والثانية في دار الاعتماد وهي الخطة التي اخمدت النيران التي كانت لتصاعد من بركان السياسة المتفجر .
لا ريب ان الاقدار ساعدت السر برمبي كوكس في عمل لم يكن من طبعه ومبادئه . لانه رأياً وخلقاً وسياسةً تقيض سلفه السر آرند ولسون الذي سبب او عجزت ثورة ١٩٢٠ فالسر آرند حاد المزاج ، سريع الغضب ، شديد البأس ، عالي الهمة ، قصير النظر ، يضرب ولا يحسب للعواقب حساباً . والسر برمبي لين العريكة ، هادى . البادرة ، طويل الاناة ، يعالج الامور بالحكمة التي قلما تلجأ الى القوة . على انه ادرك ما في الحادث من الخطر على منصبه اذا كان لا يقف موقف كل انكليزي بل كل انسان اهين رسمياً واهينت حكومته وامته . قد يقال ان الملك في عزله رئيس الامناء اعتذر ضمناً وصراحة عما بدا . ولكن ذلك لا يكفي . بل قد يزيد الوطنيين شغباً وهياجاً . فاقدم على العمل الذي اقتبله العراق ساكناً ساكناً .

قلت ان الاقدار ساعدته في سياسة الشدة ، لان جلالة الملك بعد عيد الجلوس سلم نفسه الى الاطباء ، وكانت الوزارة قد استقالت فاصبحت الحكومة كلها بيده - خلاله الجو - فاصدر امره باقفال الحزبين ، الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية ، وتوقيف جرائدهما ، ثم نفي الى هنجام^(١) الزعماء وفيهم الحاج جعفر ابو الشنن وحمدي افندي الباججي والشيخ مهدي البصير ، واخطر بمهدي الكاظمين السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالصي بتسفير نجليهما ، وهما ، من زعماء النهضة ، الى ايران ففعلا دون تردد او احتجاج .

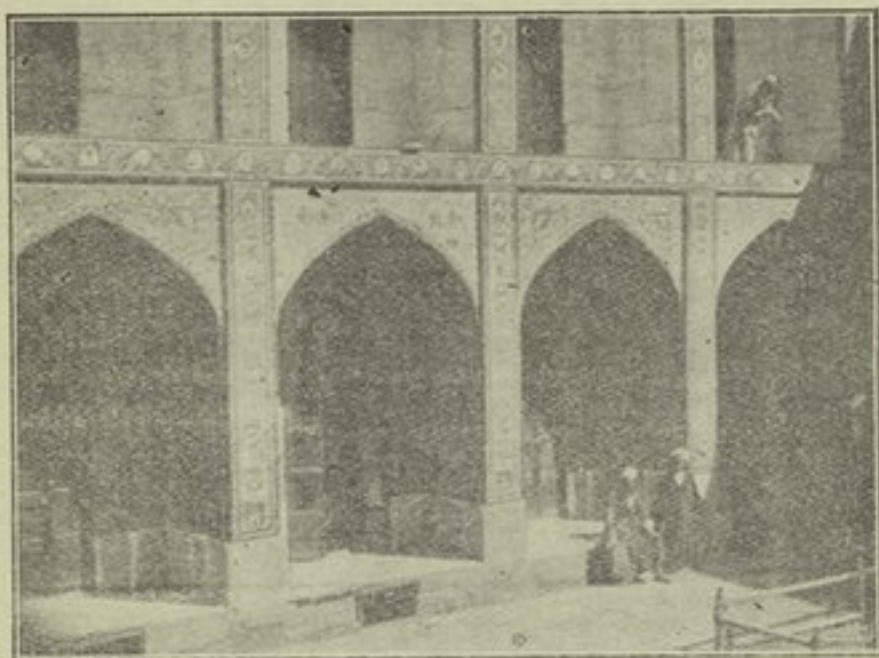
(١) جزيرة في الخليج الفارسي تجاه بندر عباس .



Handwritten text in Arabic script, likely a title or description of the drawing above.



Handwritten text in Arabic script, likely a title or description of the drawing above.



زاوية في كلية النجف



النجف ومشهد الامام علي

وكان جلاله الملك رهين الاطباء وموضوع الاشاعات المتعددة ، منها اشاعة موته التي ضجت لها العاصمة واتخذها انصار المنفيين ومن تبقى من الاحزاب الوطنية حجة على سكوتهم واخلادهم الى السكينة . غير انه يستغرب سكوت ثلاث من « حجاج الاسلام » المجتهدين وهم : السيد ابو الحسن الاصفهاني والسيد حسن الصدر^(١) والشيخ مهدي الخالصي ، وقد كانوا كلهم من زعماء النهضة واعلامها . على ان بعض العشائر الموالين للعلماء ، من لم يعلموا بسكوتهم ، ظلوا يطالبون بسقوط الاتداب ، فسودت الحكومة الانكليزية صحيفتها في ارسالها الطيارات ترمي اكوأخهم بالقذائف النارية . وقد كانت في غنى عن ذلك لان من ينادون مع المجتهدين يسكتون اذا هم سكتوا .

اما اذا نظرنا في الامر نظرة اجمالية فقد افلح المندوب السامي وان كان قد اخمد في عمله ولو الى حين نار الوطنية التي رأى نفسه بعدئذ في حاجة اليها ليقاوم بها الاتراك ودماسنهم في الموصل وفي بلاد الاكراد . ولكنه في ذلك الحين لم يكن ليبغي غير امرين ، عقد المعاهدة الانكليزية العراقية وتأسيس مجلس

(١) قد زرت السيد حسن صدر الدين في بيته بالكاظمية فالفيتنه رجلاً عظيماً الخلق والخلق ، ذا جين رفيع وضاح ، ولحية كثة بيضاء ، وكلمة نبوية . له عينان هما جمرتان فوق خدين هما وردتان . عريض الكتف ، طويل القامة ، مفتول الساعد . وهو يعم بعمه سوداء كبيرة ولبس قيصاً مكشوف الصدر رحب الاردان فيظهر ساعده عند الاشارة في الحديث . ما رأيت في رحلتي العربية ائمة من اعاد الي ذكر الانبياء كما يصورهم التاريخ ويمثلهم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل الشعبي العاملي الكبير . وما اجل ما يعيش فيه من البساطة والتشف . ظننتني ، وانا داخل الى بيته ، اعبير بيت احد خدامه اليه . وعندما رأته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير وبضعة مساند ، وقد كنت علمت ان لغتواه اكثر من مليوني سبيع مطبخ ، وان ملايين من الرويات تحبته من المؤمنين في الهند ويران لبرفها في سبيل البر والاحسان ، وانه مع ذلك يعيش زاهداً متقشفاً ولا يبذل مما يحبه روية واحدة في غير سبيلها ، اكبرت الرجل ايما اكبار وودت لو ان في رؤسائنا الدينيين الذين يرفلون بالارجوان ، ولا ينذر في اعمالهم غير الاحسان ، بضعة رجال مثله .

حاشية اخرى : قد اعترض العالم النجفي ابو الحارث المحترم علي ما جاء في هذه الحاشية من « الملايين » فقال ان مقلدي الصدر « في كافة مواطن الشيعة لا يلغون الالوف فضلاً عن المليونين . وان جميع ما ورد من الرويات من اول عمره الى يومه هذا لا يبلغ المليونين فضلاً عن الملايين . »

اني من المعجبين بالسيد الصدر وان قلت « ملايين » .

نيابي يجهزها . وكان متيقناً ان الامر الاول لا يتم الا في ثبات الولاة والمؤازرة بين دار الانتداب وبيت النقيب . فسعى اولاً في تأسيس حزب سيامي معتدل . دُعي بالحزب العراقي الحر برأسه السيد محمود بن السيد عبد الرحمن النقيب ليكون عوناً للحكومة في انتخاب المجلس . ثم سعى في اعادة الوزارة المستعفية لانجاز المعاهدة . وكان جلالة الملك يؤثر غير النقيب رئيساً ، والمندوب السامي للاسباب التي بسطتها لا ينبغي سواه . وسترى بعدئذ كيف ان خذل صديق الانكليز الاكبر في العراق بعد توقيع المعاهدة المشهورة .

على ان هناك فترة مشؤومة مظلمة ، قبل التوقيع وبعد رجوعه الى الرئاسة ، كانت السيادة الانكليزية فيها مشلولة حقيقة ومعنى . فلم يكن في البلاد لا حكومة وطنية تذكر ولا انتداب . ذلك لان الملك فيصلاً عمداً بعد شفائه الى سياسة ازعجت دار الانتداب ، فقبل محوئلاً برئاسة النقيب ، وظل متمسكاً باهداب احزاب تلاشت ، ووطنية لجأت الى التقية واستشعرت السكون .

الفصل الثالث

مآدب الغم

حديث الملك - وعد المستر تشرشل - المعاهدة - الانتداب - فضل الحكومة الانكليزية في تنويع فيصل - الشيخ خزعل - السيد طالب النقيب - الملك بين جبلين - الملك محاط بالاعداء - الفرزيس والأتراك والعجم وابن سعود - « لبدافم عن البلاد من بغى احتلالها » - الكآبة والغم - مأدبة ملكية - حديث الخوانسين الانكليزيات - سكوت الملك - احد الاربعه الذين يكفرونهم في العراق - مأدبة في الهويدر - الخانون - الطيبور والازهار وانواع التمار والملك الكتيب - مائدة الملك الخاصة - سؤال في التطور والانتداب - رأي السكرتير البلشفي - الثقة والعمامة والظربوش - مصادر الغم ومآدبه .

سمعت الانكليز في العراق يقولون : هذا فيصل الذي افناه ملكاً بنقاب علينا في السنة الاولى . ولكن للمسئلة وجهه اخرى ، وجلالته قصة غير قصة الانكليز قصها عليّ في المقابلة الثانية .

كان لابساً صباح ذاك اليوم ثوباً مديناً وصدارة^(١) من لونه . وكان لا يزال في وجهه اثر من العياء والضعف . بيد انه في حديثه كان شديد اللهجة صريحها . صوت ناعم فيه قوة اليقين ، وعين شهلاء ، يضطرم احبائاً نورها الهادي . ولا يروع . - يطلبون . في عقد المعاهدة وفيها نص صريح على الانتداب . وفي بعض موادها غموض ، فتحتمل التفاسير العديدة ، فيفسرها القوي في المستقبل لتوافق مصلحته وسياسته . وهذا لا يجوز . هذا غير ما عاهدوني عليه في لندن . قد صارحتهم هناك كما اصارك الان . قلت للمستر تشرشل اني لا اقبل ان اكون ملكاً على العراق الا بشرطين اوليين ، وهما استقلال البلاد والغاء الانتداب .

(١) الصدارة قبعة يلبسها جلالة ومتوظفو البلاط وهي شبيهة بالشبقة وقد جردت من حرفها ، تختلف لوناً وتلائم الثوب تحتها ولا تختلف شكلاً .

فقبل المستر تشرشل بذلك ، ووعدني وعداً أيده بكلمة الشرف . وهو ان الحكومة الانكليزية تعترف باستقلال العراق وتساعد العراقيين بتأسيس حكومة وطنية ذات سيادة تامة وتلغي الانتداب . كل ذلك في مقابلة معاهدة نعقدتها والحكومة البريطانية تضمن لها الحق ان يكون المستشارون والاختصاصيون في حكومة العراق من الانكليز فقط وتضمن لها ايضاً بعض الحقوق في اقتصاديات البلاد وهم اليوم يقولون اني انقلبت عليهم . وليس في ما اقول وافعل غير الثبات على العهد والولاء . هذا وعد المستر تشرشل . كلمة شرف بالغاء الانتداب . والآن يا اخي امين تيجيني حكومته بمعاهدة تبتدي . بذكر الانتداب وعصبة الامم ثم تكرر هذه الالفاظ في اكثر موادها . لا والله . لا اوقعها ولا اأذن بتوقيعها . ولا لتألف وزارة جديدة^(١) قبل ان يجيئوني بخطة صريحة وكلمة صريحة بانهم سيبرون بالوعد .

هب ان هناك سوء تفاهم او ان المستر تشرشل وعد وعداً حالت بعد ذلك السياسة الانكليزية دون تنفيذها ، فموقف الملك فيصل مع ذلك لا يقدر به واكثر العراقيين يرفضون الانتداب ويمقتونه . فهل يلام ياترى اذا فضل ان يكون ملك العراق على ان يكون فعلاً مأمور الانتداب وفوق يده يد المنسذوب السامي ؟ ولكن هناك امراً آخر لا يتغاضى عنه من أحب العدل والانصاف . ان فضل الحكومة الانكليزية في تنصيب الملك فيصل يوازي في الاقل فضل العراقيين الذين بايعوه . فقد كان في البلاد يوم وصوله الى العراق وقبله عدد من طلاب الملك منهم الشيخ خزعل خان حاكم عربستان فانسحب بايعاز من الانكليز . ومنهم ذاك الداهية العراقي بهلوان الامة السيد طالب النقيب الذي كان بطوف البلاد يومئذ في صفته وزير الداخلية ساعياً في سبيل المجد الوهاج ، طالباً العرش والتاج ، فتعقبه الانكليز والقوا القبض عليه بجيلة لا تليق بهم واجلوه عن البلاد . وكان نقيب بغداد السيد عبد الرحمن عونهم الاكبر على ابن نقيب الموصل السيد طالب . لذلك

(١) كانت حكومة الانتداب تحاول يومئذ اعادة تأليف وزارة النقيب .

فيل ان النقيب كان النصير الاعظم ليفصل . وهناك الامير عبد الله الذي كان
 يؤثره العراقيون على اخيه . اما طريقة الانتخاب فيكفي ان اقول ان الموظفين
 السياسيين في الالوية كانوا يدبرونها .

ليس الملك فيصل ممن ينكرون الجميل . ولكنه بين جميلين ، هما احرق من
 نارين ، جميل من سعى في سبيله وجميل من بايعه . وفي الاثنين مبدآ ان لا يخطأ
 من بروم الحقيقة الوطنية في تفضيل مبدأ من بايع منها على مبدأ من سعى . على
 انه من الخطل ان يعادي الملك الانكليز او ان تعادي الامة العراقية الحكومة
 البريطانية . قال جلالته بصراحة لا صراحة بعدها : - تراني اليوم محاطاً
 بالاعداء ولا صديق لي غير الانكليز . فمن اين لي بحليف لو شئت المخالفة . في
 الغرب في سورية الافرنسيون وهم اعدائي . وفي الشمال الاتراك وهم يكرهونني .
 وفي الشرق الاكراد وقد تقاتلوا من يدي . والمعجم وهم يدسون الدسائس بواسطة
 الشيعة على حكومتي . وفي الجنوب ابن سعود وهو دائماً يهددنا بالاخوان . من لي
 اذن غير الانكليز ؟ وهل يعقل اني انقلب عليهم ؟ بل هم المنقلبون يا اخي امين ،
 هم يعدون الوعود ولا يبرون بها .

عاد جلالته الى وعد المستر تشرشل فذكرني بجمالة ابيه يوم كان يضرب لي
 الامثال ويرمز بالرموز ليبرهن على انه من النادر ان يجد المرء من يفوق الانكليز
 في المراوغة والتلون وتقض العهود . - يطلبون مني التصديق على معاهدة
 لا تمكنني من تأسيس حكومة ثابتة قوية . والحقيقة انه لو عقدنا هذه المعاهدة
 يستحيل علينا القيام بها ترانا الان نعجز دون تأسيس جيش وطني لان
 العراقيين لا يلبون النداء ، لا لان الوطنية فيهم ضعيفة . لا . لا . ولكنهم
 يقولون : اذا كان الانكليز ينوون احتلال البلاد تحت طي الانتداب فليدافعوا هم
 عنها . أو لا ترى الحق يا اخي في هذا القول ؟

كان يتكلم جلالته بصوت هادي . وكان النور في عينيه ساكناً . مع ذلك
 كنت ارى في انامله دليل الاضطراب اذ كان يخرج الخاتم من بنصره فيلمب
 به كأنه مسبحة ثم يعيده اليه . وعندما كان يتكلم عنم يحيط به من الاعداء رفع

الصدارة عن رأسه ووضعها على الديوان . فانار جبينه العالي وجهه قترأى فيه شيء من الحسن جليل ، لا سيما ولونه الخنطي كان لا يزال مائلاً الى الاصفرار . ان في الملك فيصل حسناً جذاباً ، وان في حديثه لطفة بليغة مقنعة . ولكن الغم الذي يكن في قلبه يظهر مراراً في طرفي فمه وفي ابتسامه .

اني اعتقد ان في الملك فيصل مزية روحية تحبب اليه المثل الاعلى في الحياة . على انه وان كان ملكاً يرى نفسه في هذا المضمار مثل كل من تعشق الكمالات ، وسعى اليها جاداً ، فرأها كقوس القزح بعيدة دائماً عنه . وهذا في نظري احد اسباب الغم ، رفيق جلالته الدائم ، وان نواري احياناً عن الابصار . هو الغم الروحي الذي بتضاعف في علو المناصب واهميتها فيكون في الملوك ، وان ندر ، اشد منه في غير الناس .

قد تشرفت بمقابلة الملك فيصل ومجالسته ومحادثته في احوال شتى ، رسمياً وغير رسمي ، في البلاط وخارج البلاط ، على المائدة الملكية والى السباط البيتي ، فلم اراه مرة وحده ناعم البال مطمئناً . بل كان الغم مثل الظل في اذار يظهر في بجلسه ويختفي اذا ما تكلم واذا ما سكت .

دُعيت الى مأدبة اعدّها في القصر كان جالساً اليها في صفيين متقابلين عشرون من كبار موظفي الحكومة العراقية والوجهاء وعشرون من رجال حكومة الانتداب وبعض حريمهم . وكان جلالاته جالساً في الوسط والى يمينه قرينة المندوب السامي اللادي كوكس والى شماله القائد العام للجيش الانكليزي في العراق . وكان قبال الملك اخوه الامير زيد والى يمين الامير المندوب السامي والى شماله آية النساء في العراق وشمعة سياسته الخانن جرتود بل . وكان بيني وبين المندوب السامي سيده انكليزية ، وقبالي سيده اخرى ، فعلمت من الواحدة انها حزينة جداً لانها تحب الموسيقى ولا تستطيع ان تفتني « بيانو » في بغداد ، واخبرتني الاخرى بان زوجها ، وهو احد المستشارين ، لا تهتمه الازياء ولا قراءة الروايات . وكان القائد العام يحدث جارته بما صدر حديثاً من الروايات في لندن . ثم سمعت السر برمي كوكس ،

وهو من غواة الصيد وله الملم بعلم الحيوان ، يسأل ما اسم ال Badger في اللغة العربية . فساح السؤال حول المائدة شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً ، وعاد الى نخامة المندوب خائب الامل .

اما جلالة الملك فكان اثناء المأدبة ، منذ قدم الحساء الى اب جاء الخدم بالقهوة ، صورة من صور اليأس المحزنة ، وقد احاط نفسه بسيدة لا تحسن العربية وبقائد قائم الجبين لا يحسن لا العربية ولا الافرنسية .

قد رأيتهم غير مرة يتشابها وما سمعته والمندوب السامي يتحدثان ولو عن الطقس . وقلما هم ذلك الانكليز . فلا اظنهم ما عدا المس بل احسوا بواجب في مثل هذا المقام تفرضه عليهم في الاقل آداب المائدة فلا يتحدثون بامور خصوصية لا تهم جلالة الملك . ولا تهم المدعوين من الوطنيين . فقد رأيت حتى جعفر باشا ، وهو يحسن الانكليزية ، يجتهد في محادثة جارته التي ابت ان تخرج من موضوع الرواية الانكليزية الاخيرة . وماذا يهم العراقيين بل الشرقيين باترى من رواية انكليزية تبحث في احوال اجتماعية محلية وقتية في قرية من قرى انكلترا ؟

اما جاري الآخر مجيد بك الشاوي ، وهو احد الاربعة الذين يكفرونهم في العراق^(١) والرجل الوحيد الذي تجاسر ان يلبي الدعوة الملكية في ثوب عادي ، فلم يكن ليهمهم بمديث الخواتين والمستشارين . بل كان يحسب الشهبانبا الكأس نلو الكأس ، وبضحك لنكات جاره سكرتير مجلس النظار السيد حسين افنان . وقد كان لمجيد بك فضل على جلالة الملك تلك الليلة لانه في سلوكه فتح باباً للمعجون . كان واقفاً عند الوداع الى جنبي فقال له الملك وهو يشير الى شربه الخمر . شفتك والله شفتك . فأجاب الشاوي وهو يشير الي - لم ادرك وجه الشبه في ذلك الحين - هذا صديقي لانه صديق المعري . ونحن بامولانا لا نعرف غير المعري والخيام . فضحك الملك فيصلى وكانت ضحكته الاولى في

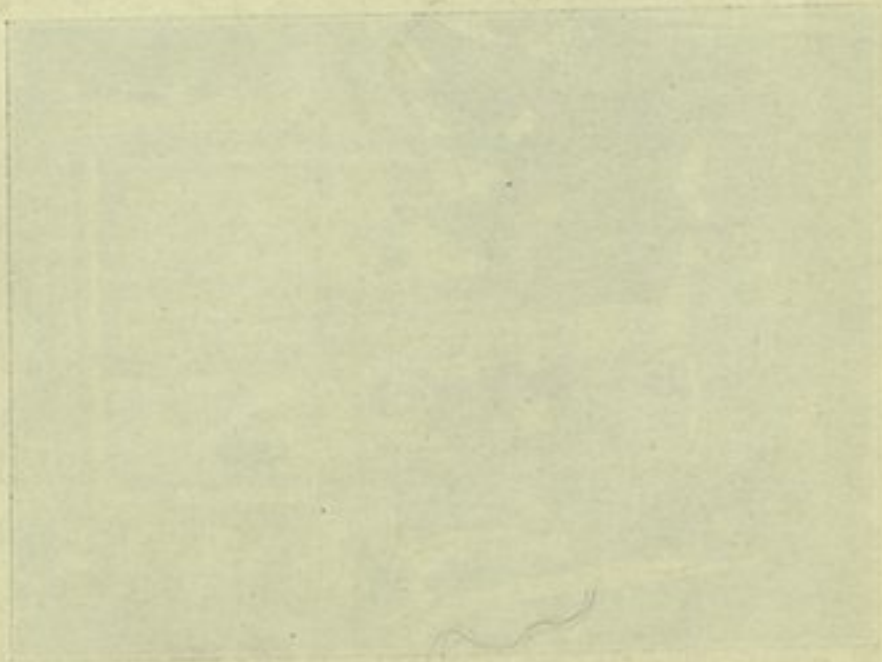
(١) الثلاثة الآخرون هم ، جبل صدفي الزهاوي ومعروف الرصافي وكاظم الدجيلي وسبيحي ، الكلام عليهم ولهم .

تلك الليلة الحافلة بكبار العراقيين والانكليز المشعشة بنياشين الوزراء وحلي
الخوانين .

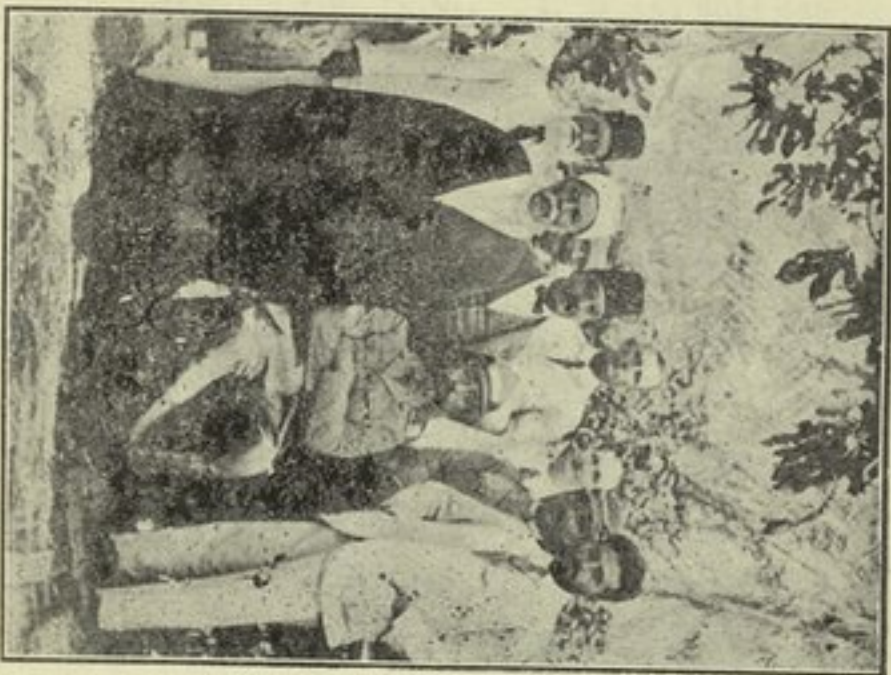
اني اذكر مأدبة اخرى خارج القصر وخارج المدينة ، مأدبة ويوماً في
البساتين وفي معزل عن الرسميات الغربية . هناك في شرقي بغداد على نهر ديبالى
ناحية بعقوبة وهي جنة العراق الشمالي ، وبالقرب من بعقوبة بلدة على شاطئ
النهر تدعى الهوى بدر ، فيها ملاك كريم هو فخري بك آل جميل دعا جلالة الملك
وحاشيته لقضاء يوم في ضيافته . ودعا ايضاً بعض الانكليز ، منهم المس بل
والمستر كورنواليس مستشار الداخلية ، وصديقهم السيد محمود ابن النقيب .
نصب السرادق بين اشجار الليمون والمان ، وفرش الطريق اليه بالسجاد ،
ومدت المائدة تحت النخيل المزين بالذهب والياقوت من التمر ، وكان الهواء
مفعماً بطيب الرياحين والازهار ، والطيور تغرد على الافنان وفي محبتات الادغال ،
والكروم مثقلة بانجر العنب المتعدد الانواع والالوان ، والمس بل تروح وتجي .
حاملة غصناً من الرمان او عنقوداً كبيراً من العنب فتقدمه جاثية لجلالة
الملك .

وجلالة الملك — لله من غم يبني المحصر في القصور ، فيرافق صاحبه الى
البساتين في اجمل بقعة من ارض الله . لله من غم يجلس فوق العرش ويلصق
بصاحب العرش حيثما حل وجال . لله من غم لا يحترم حتى الانكليز ، وقد يكون
له في الانكليز ما يرويه ويغذّيه . اظن ان المس بل كانت تدرك ذلك فتحاول
بما لها من فصاحة ولطافة ان تخفف وطأته ، وتبدد في الاقل ظلاله من بساتين
آل جميل في ذلك اليوم الجميل . ولكنها واأسفاه لم تفلح . وقد تكون في ما
اسرفت زادت الظلال قتاماً .

جلس الملك في الخيمة بعد ان جال في البستان يلعب بسبخته ويدخن
السيكاره تلو السيكاره . وكان التعب بادياً في وجهه والحديث لا يجي . الا
تكلفاً واجتهاداً . هي السياسة وهموم العرش . اصف اليها هماً جديداً جاء من
الشمال . فقد كان لا تنصار مصطفى كمال وقع في العراق لم يسر الملك ولا

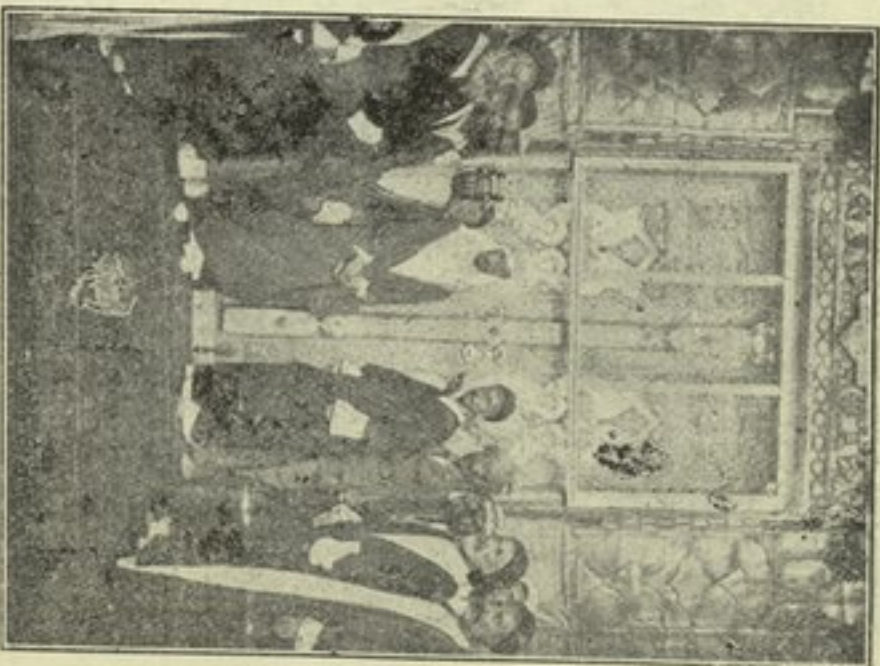


ملوك ٢ - ٦٩



في بستان نخري بك آك جميل بالمويدر

جلالة الملك فيصل جالس . الوقوف من اليمين الى الشمال : مولف الكتاب .
 الادميرال . الادميرال . الميجر كورنو الادميرال مستشار الامامية . مصري بك آك



جلالة الملك فيصل في قيامته العربية

الادميرال بك مستشار الامامية

الحكومة . وكان بعض الموظفين في الموصل يفاوضون بطل الترك في الاناضول .
وهؤلاء الانكليز لا يدعون جلالته ساعة وحده ، يلزمونه كالظل في كل مكان .
حبذا الحكمة في سلوكهم وفي سلوك الوطنيين الذين يظنون ان المآدب لا تتم
بدون ان يدعى اليها احد من دار الانتداب .

ان الملك فيصلاً لا أقرب ملوك العالم اليوم الى الديمقراطية ، الامر الذي
لا يروق على ما اظن الانكليز الشغفين بابهة الملك . وقد يضر بجلالته سلوك لم
يتعوده الموظف الانكليزي فيسيء فهمه او يتعمد الاساءة . لا احد ينكر ان
يوماً في البساتين لجدير بان يكون عدو الرسميات . فلا بأس اذا جلس الملك على
الديوان ، وهو في ثوب قائد الجيش العراقي ، ورفع خوذته . ولكن الموظف في
الحكومة الذي يجلس قبالة على كرسي ويمد رجله ، كما لو كان في بيته ، ولا ينزع
قبعته عن رأسه ، يسيء الادب ويمتهن حرمة التاج . لا اظن ان موظفاً انكليزياً
مهما علا منصبه يجلس كذلك في حضرة جلالة ملك بريطانيا العظمى . والملك
فيصل رقيق الشعور ، شديد الحس ، لا يستطيع ان يقول الكلمة التي تؤلم او
تسيء . ولا يتسبط في الحديث ويجيد اذا كان في حضرته من لا يرتاح اليه .
خصوصاً اذا كانت مجالسه كلها مثل التي حضرت خالية من الذكاء الحر او من
الخرية المنشردة - البدوية .

اجل ان الملك فيصلاً لني حاجة في بلاطه وفي مجالسه غير الرسمية الى من
يحسن النكتة ، الى ظريف خفيف الروح ، الى نديم رسمي . قد عرفت اكثر من
في القصر وما عرفت فيهم من يستطيع ان يقوم بهذه الوظيفة المهمة .

كنا ذات ليلة جالسين الى مائدته الخصوصية ولم يكن غيري وناجي بك
السويدي وحسين افنان من خارج البلاط فسألني جلالته سؤالاً ادهشني لاول
وهلة ، ولكنني علمت انه كثيراً ما يتباحث وكاتبه مره الفيلسوفين بمثل هذه
المواضيع . قال جلالته : ما رأيك يا امين في التطور وفي الثورة ؟ أتعتقد ان
عوامل العمران والتقدم الحقيقية هي اصح في التطور او في الانقلاب ؟ فقلت :
اني ممن يعتقدون بالنشؤ والارتقاء في الطبيعة وفي الاجتماع ، وان التطور معراج

الاتقلاب الحقيقي المفيد الثابت ، وان الطفرة محال ، وان للثورات دائماً رد فعل يعود بالناس الى ما كانوا فيه ، وغيرها في هذا الباب .

فعارضني كاتب مر جلالته رسم حيدر ، وهو شيعي سوري من بعلبك ، فشرع يتكلم بالثورات والاتقلابات في السياسة وفي الدين كأنه دكتور او كأنه لوتيروس . النشوء بطيء . التطور ضرب من البلادة . والامة التي ننتظر وثوكل عليه نفقد مثل الامة الانكليزية كثيراً من مزايا النفس الجميلة التي تظهر في الفنون وفي الاجتماعيات .

حانت مني اذ ذاك التفاتة الى الفيلسوف الآخر في الديوان الملكي ، الي ذاك الانكليزي في خلقه وعقله ، العربي في قلبه وشعوره ، الي امين الكسباني فرأيت يرفع بجناحيه ويهز برأسه ، ثم سمعته يقول مخاطباً الملك : رسم ياسيدنا بلشيفي في آرائه .

فقال حسين افنان : والحمد لله انه كذلك في آرائه فقط . فضحك جلالته ضحكة كانت الاولى والاخيرة تلك الليلة . ثم سألتني سؤالاً آخر ظننته مضحكاً ولكنه لم يضحك احداً .

— ما رأيك يا امين في العمامة والبرنيطة . واي شكل تظنه يصلح لنا في

العراق ؟

فقلت : ان العرب في تهامة وفي اليمن يلبسون الشبقة اي البرنيطة وهي صنع ايديهم ليقوارؤوسهم حر الشمس . وهم عرب مسلمون . فما ضر العرب في الاقطار العربية الاخرى وخصوصاً في التي يشتد فيها الحر مثل العراق لو اقتدوا بهم ؟

وكان ما قلت بخصوص الشبقة في اليمن جديداً عند كل الحضور ما عدا جلالته لانه قاد مرة حملة على الادريسي في تهامة . وله علم بتلك الشبقات الكبيرة المصنوعة من القش . فدار الحديث على الخوذة وقبعة البلاط ، الصدارة ، والطربوش ، ولم يجيء احد بكلمة تضحك اثناء البحث على اننا عندما صعدنا من غرفة المائدة الى ردهة الاستقبال وجلس الملك ورستم والسويدي والكسباني

الى طاولة صغيرة يلعبون الـ « بر يدج » خرجت والباقيين الى الزواق فاسمعنا هناك افنان نكات وددت من اجل جلالته لو انه اسمعنا بعضها على المائدة .
 لا اظن ان ما يسود الملك فيصلاً من الغم ناتج عن همومه الحاضرة فقط .
 لا اظن ان تاج العراق وحده مصدر تلك الابتسامة الناعمة المحزنة وذاك السكوت الذي يسبق الكلام الى القلوب . ان فيصلاً ، في ما لمع من نجم سعده وهوى في السبع السنوات الاخيرة ، لمن الامراء القليل عددهم في العالم اليوم . فقد دانت له ساعة قصيرة من الزمان ، فظلمته الحوادث في تسابقها حوله وعليه ، فلم يتمكن لسرعتها وتعددتها من الانتفاع بها .

هوذا امير عربي كريم في دائرة خضراء من الشهرة ، حولها دائرة حمراء من السياسة الوطنية ، يمازجها اصفرار من دسائس السياسة الدولية . وهذه لعمرى حقيقة مآدب الغم — مأدبة الشهرة التي يتلوها وجع الرأس ، ومأدبة النصر في الحرب يتلوها فشل في السياسة ، ومأدبة الكرم العربي الممدودة فوق ضريح المطامع العربية .

اما وقد اشرت الى اسباب الغم في جلالة الملك ، فينبغي لي ، وانا من المعجبين بالبيت الهاشمي الذي نصر الاحلاف وجند الوفا من العرب على الاتراك والالمان في الحرب العظمى ، ومن المحزونين لانه لم يفز بكل ما كان ينبغي ويحارب من اجله ، ومن الطالبين الحقيقة قبل كل شيء ، فينبغي لي ان اعيد النظر في تلك الحوادث التي كان الامير فيصل قطب دائرتها . هي جزء من سيرة حياته التي اصبحت جزءاً من التاريخ العام .

الفصل الرابع

الامير فيصل في الحرب

مختصر ترجمته حتى سنة ١٩١٦ - مع انور وجمال في المدينة - رجوعه الى الشام - الخطر والحيلة والنجاة - قائد جيش الشمال - مصادر التاريخ - تحامل كاتب افرنسي على العربان - شهادة التاريخ - اعتراف العرب لقبيرهم بالفضل - الكرنل لورنس والعرب - الجيش النظامي - الزحف شمالاً - سقوط العقبة - شهادة الجنرال آلني بفضل العرب - جيش فيصل يتصل بجيش الجنرال آلني - كسر الانزاله في الطفيل وفي البحر الميت - الزحف على الكرك - اغانة منكوبي الارمن هناك .

عندما زار انور باشا المدينة المنورة في طلائع سنة ١٩١٦ سافر في معيته من سورية وفد من العلماء وفيهم شاب عربي يناهز الثالثة والثلاثين من العمر خصه رئيس الوفد الشيخ اسعد الشقيري بالذكر لذي دولة الوزير قائلاً : مما يثبت لكم تعلق الموحدين ومكانتكم في قلوبهم انه بمناسبة هذه الزيارة وجد في معيتكم من آل الرسول صلى الله عليه وسلم الامير فيصل نجل امير مكة المكرمة^(١) .

(١) هو فيصل ثالث انجال الملك حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن ابن عبدالله بن حسن بن محمد المعروف بابي نجي المنصل نسبة بالحسن ابن الامام علي بن ابي طالب . وُلد في مكة سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م فارسله والده عملاً بتقليد هاشمي قديم للرضاع في احدي العشار المجاورة فنشأ في الفلاة بينهم وعلي طريقتهم . ثم اخذه والده مع اخوته الى الاستانة فقرأ هناك على اساتذة خصوصيين العربية والتركية وبعض العلوم . ولما عاد والده الى الحجاز سنة ١٩٠٩ عاد معه وتقلب في مناصب الحكومة ، وتطوع مرار بصفة جندي بسبط لقتال العشار المتردة ، ورافق اخاه الامير عبدالله في الحملة الاولى سنة ١٩١١ على الثأرين في عسير . ثم اتدبه والده ١٩١٣ لقيادة الحملة الثانية على الادريسي حليف ايطالية علي الترك فظفر بالقنفذة التي دخلت بعدئذ في ملك الحجاز . وبعد عقد الصلح مع ايطالية انتخب مبعوثاً عن مدينة جده فذهب الى الاستانة وظل فيها الى ابتداء الحرب العظمى ، فعاد الى مكة . ولم يطل عليه الوقت حتى كثر راجعاً الى الاستانة للاطلاع على نيات الاتراك نحو العرب وامانهم . ثم استقدمه والده الى مكة للمفاوضة بشؤون البلاد العربية ، وانفذه بعدئذ الى دمشق ليسانال جمال باشا الرفق بالعرب ، فاقام هناك بقية

وكان الانكليز قد باثروا بامم الاحلاف مفاوضة امير مكة يومئذ ، الملك حسين اليوم ، لينهض بالعرب على الاتراك^(١) فبعث جلالته يعتذر لانور على عدم تمكنه من زيارته في المدينة المنورة ، وارسل سيفين مرصعين بالاحجار الكريمة هدية منه اليه والى رفيقه جمال باشا .

وبنما كانت تقام الحفلات في المدينة لدولتي « الانور والجمال » وكان الوزيران الورعان ، وقد ظهرا في مظهر الدين وترديا برداء اليقين ، يقومان بالمراسم الدينية ويرددان الصلوات ، ويجلسان كالتلاميذ في حضرة العلماء ومشايخ الطرق وهم يتكلمون في علم الجهاد ويفسرون الآيات التي لها تعلق بالعلوم الحربية^(٢) كان الامير فيصل بك ملازماً لها مشاركاً في كل مظهر من مظاهر الحفاوة والاكرام . ولكنه لم يكن ليستوقف الانظار اذ كان ظله الصغير يومئذ يضيع بين ظلي بطلين من ابطال العثمانيين — وهادي ملكهم .

بعد ثلاثة اشهر من هذه الزيارة المباركة كان فيصل ايضاً من المشتغلين في التهديم . ولم يكن ليخطر في بال الوزيرين او احد من حاشيتهما انه سيكون كذلك ، وانه سيبدأ في البلد الطيب الذي هم فيه فيهدم الركن العربي من ملك بني عثمان . اما ان الامر كان يجوز في صدر الامير نفسه فما يحمثل الرب . لانه لو ادرك ان اياه سينفر قريباً في النفير لما كان رافق الوزيرين في عودتهما الى الشام ، وكاد يقع هناك في قبضة جمال لولا حيلة دبرها ابوه^(٣) .

عاد الامير فيصل من الشام في صيف تلك السنة باربعة الاف بندقيّة

سنة ١٩١٥ وكان الصلة بين جلالة ايه وجمال فيها يختم بتجنيد جيش عربي يزحف مع الجيش التركي على ترعة السويس . وقدم يومئذ انور باشا من الاستانة فراقته — ها قد وصلنا الى بداية هذا الفصل — الى المدينة .

(١) راجع الفصل السابع من القسم الاول صفحة ٥٩ ، الجزء الاول .
(٢) كقوله تعالى ، واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . وقوله ، ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . وقوله : لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرية محصنة او من وراء جدر .

(٣) راجع الجزء الاول صفحة ٦٠

وعشرة الاف ليرة ليجوز حملة من العرب تشتبك في الزحف مع الترك والامان على ترعة السويس . فلما وصل الى المدينة سمع النفير يستنفر من ظلال الكعبة القبائل لمحاربة الاتراك « اعداء العرب والاسلام » . فاطاع طبعاً اباه الذب كان قد بدأ بتأليف جيش من القبائل تحت قيادة نجله الامير عبدالله فانظم الامير فيصل في هذا الجيش . ثم أسندت اليه قيادة جيش الشمال المشهور . فباشتر عمله في حصار المدينة وتخريب قسم من سكة الحديد قرب العسلا ليؤخر في الاقل وصول النجدات من الشام الى العدو .

وصلت اخبار النهضة الى سورية فرددت صداها الاستانة . ولكن اولياء الامر هناك لم يهتموا في البدء لها ^(١) فادر كوا خطأهم عندما صدرت الاوامر بالزحف ثانية على ترعة السويس ، اذ وجدوا العرب الذين كانوا قد اتكلوا عليهم يحاربون مع الاحلاف . بيد انهم لم يأتوا في بداية الامر بعمل في الشمال بذكر . اي انهم لم يؤثروا لا سلباً ولا ايجاباً في حملة السويس الثانية .

التي في كتابة هذه النبذة ارجع الى اربعة مصادر طالباً الحقيقة المجردة من الاهواء والتعصب . ومع ذلك اراني في بعض الاحابين حائراً بين الشهود الاربعة . هذا يبلغ ، وذلك يجامل ، وواحد يزيغ الاعمال ، وآخر يزخرفها . فقد جاء في كتاب افرنسي طبع في السنة الماضية في باريس ^(٢) ان الفضل كل الفضل في انتصار العرب في شرقي الاردن هو لشردمة من الجنود الانكليزية وطاقبور من الفرانسيس الالباسل . وقد قال المؤرخ الانكليزي : ان العرب في

(١) دليل ذلك ما جاء في تقرير اركان الحرب السامة في الاستانة المؤرخ في ٢٥ ت ١ سنة ١٩١٦ اي بعد اعلان الثورة باربعة اشهر ، « قد حمل العرب على الاتراك في خط طوله ستون كيلو متراً جنوباً بغرب من المدينة . والثورة تمتد بسرعة توجب الاهتمام فلا يجب ان تصدق الاخبار التي تصورها لنا انها حركة بسيطة لا اهمية لها » .

خمس سنوات في تركية تأليف ليمان فون سندرس صفحة ١٦٥ . Cinq Ans en Turquie. par Liman von Sanders. Payot, Paris. P. 165

(٢) « كيف استقرت فرنسا في سورية » صفحة ٤٥ Comment la France s'est installée en Syrie, par Comte R. de Gontaut-Biron, Paris. Librairie Plon 1923

الحرب خفيفو الحركة ، سريعون ، مرنون ، لا يحملون الثقل من العدة . وهم في القتال شجعان اشداء^(١) اما شهادة العرب انفسهم فاسجل منها ما فيه الاعتراف بفضل غيرهم . فقد اجمع من حدثتهم ممن شاركوا في تلك الحملة وسمو الامير فيصل في مقدمتهم ، على ان الفضل الجم في جمع شمل العربان في بداية النهضة والتأليف بينهم انما هو لشاب انكليزي يحسن اللغة العربية كأهلها ويحسن كذلك التخليق دون تكلف باخلاقهم ، هو الكرنل لورنس . وقد اخبرني بعض من حاربوا تحت قيادة الامير زيد انه لم يكن ليأمر جنوده مرة بالهجوم الا وكان هو في الصف الاول . فاذا فات ذلك الكونت دي غنطو بيرون المتحامل على العرب والانكليز تحاملاً لا يليق بافرنسي كريم ، فكيف يفوته ذكر الكرنل لورنس ولو بكلمة في كتابه ؟

اني اصجل الحقيقة كلها ، فلا انسى من له الفضل الاكبر في نجاح النهضة ، وهو « الخيال » الانكليزي ، الذي لبي دعوته كثيرون من العربان وفيهم من عشائر القصيم ونجد . قد ينكر جلالة الملك حسين ان احداً من نجد اشترك في جهاد الاتراك ولكنني اجتمعت ببعض اولئك المتطوعين فأخبروني بصراحة عرف العربي بها انهم كانوا يحاربون اولاً مع الاتراك فزاد الملك حسين الزائب فالتحازوا اليه .

وما كان امراء العرب انفسهم ليركنوا دائماً الى البدو . فقد قال الامير علي الذي كان في المدينة عندما وصل فيصل اليها ، فاشتركا في حصارها ، انه لم يتمكن باديء ذي بدء من عمل كبير لان البدو لم يلبوه دائماً ولم يثبتوا اذا كانوا مليون . وكذلك الامير فيصل الذي حاول متابعة الهجوم بعد تخريب سكة الحديد عند العلا ، فخرج الاتراك من حصونهم في شهر آب وحدث بينهم وبين العرب قتال خارج المدينة خسر فيه الامير خمسمئة من رجاله وخسر الاتراك ضعف هذا العدد ، فعادوا الى المدينة وطفقوا يضطهدون اشيعاع الشريف من

(١) تاريخ الحرب لجريدة التيمس الانكليزية الفصل ٢٤٨١ الذي عنوانه نهضة العرب .
The Times History of the War, Chapter CXLVIII, The Arab Uprising.

اهلها وينكسون بهم . على ان الامير لم يتمكن من متابعة ماعده نصرأ في تلك الواقعة لان قواته لم تكن منظمة . وبالاخرى لان قواته كانت لا تزال من العربان الذين لا يأتمرون بغير اوامر شيوخهم وينفرون من التنظيم .
 اما اندحار الاتراك في مكة فقد اثر تأثيراً عظيماً في قوى العدو المادية والمعنوية . فتوقف جمال باشا عن شنق الاحرار في سورية ، وامر انور قائد الحامية في المدينة ان يدافع عنها حتى الموت ، وتضاعفت الحامية في معان للاحتفاظ بخط الحديد ، واستؤنفت المواصلات بين الشام والمدينة بالرغم عما خرته العرب من الخط قرب العلا .

كذلك اوقف الاتراك الامير فيصلاً ، فاتخذ لنفسه مقراً حريباً بين العلا وينبع ، ولبت ينتظر انشاء جيش نظامي بدير جيوش البدو . اذ ان الانكليز كانوا قد اسروا كثيرين من العرب وضباطهم الذين حاربوا في صفوف الاتراك ، فجاؤوا بهم الى مصر حيث بدأ التجنيد لجيش العرب الشمالي . كان اكثر الاسراء من العراق وسورية وفلسطين فلبوا مهللين دعوة الشريف حسين ، وفيهم من الضباط الذين اشتهروا بعدئذ في ساحات القتال مثل جعفر وجودت ونوري السعيد وغيرهم . بيد ان تنظيم هذا الجيش لم يتم حتى اوائل سنة ١٩١٧ ، فلما ظهر في الحجاز ازداد عدد الفارين من جيوش الاتراك^(١) المنضمين الى جيوش العرب .

من انكر فضل الملك حسين وانجاليه في النهضة لا يستطيع اذا كان منصفاً ان ينكر فائدتين في الاقل فيها ، فائدة للاحلاف وخصوصاً للانكليز^(٢)

(١) « قد كانت خسارة الاتراك في هذه الواقعة (وقعة غزه الثانية) ٣٩١ من القتلى و١٣٢٦ من الجرحى و٢٤٢ من الفارين . »

ليون فن سندرس في كتابه (خمس سنوات في تركيا) صفحته ١٩٦
 (٢) « بعد دخول العرب في الحرب بدأ الانكليز في الزحف على بادية سيناء (٣) »

ليون فن سندرس صفحته ١٧١
 (٣) وفي الهجوم على مراكز العدو في العراق . بدأت وقعة غزه الثانية في ٢٦ اذار ١٩١٧ واستمرت الى ٢١ نيسان . وحدث في العراق قتال عنيف في ٢٢ نيسان انكسر فيه الاتراك وتقهقروا الى ناحية سامرا . هو هجوم . مثلت كان العرب الضلع الثالث فيه .

وفائدة لعرب سورية وفلسطين الذين اثاروا فيهم مظالم جمال كوامن الضعيفة والغضب ، فوجدوا في صاحب النهضة الاكبر زعيماً يتبعون ، وقطب نار فيثأرون ، ومحط زحال آمال يحققون .

جاءوا كما تقدم من مصر يقود قسماً منهم الامير لواء السيد علي باشا فانضموا الى جيش الامير فيصل الذي شرع يزحف شمالاً في شتاء تلك السنة حتى وصل الى حدود بادية التيه . وكان الامير علي مشتغلاً في ضرب مراكز الاتراك العديدة على جانبي سكة الحديد ، فحصى بذلك مؤخر جيش اخيه الذي استولى في زحفه على خط مسافته ستون ميلاً يمتد من البحر الى معان . اما اكايل انتصارات العرب في هذه السنة فهو سقوط العقبة ودخول الامير اليها في ٦ تموز . ولم يكن ذلك ليذكر لولا تأثيره الحسن في حركة الجنود الانكليزية في هجومهم على غزة وبيبر السبع .

كان الجنرال آلبي قد استلم آتئذ قيادة الجيش ، فاعترف بفضل العرب الاكبر في ردهم مريات الاتراك التي كانت تجبي من معان الى بادية سيناء فتضرب الانكليز في مؤخرهم . ولو لم يكن للعرب غير هذا الفضل ، اي تأمين مؤخر جيش الجنرال آلبي ، لكفى به فضلاً . الا ان فوائده المعنوية ظهرت في كل ساحة من ساحات الحرب الشرقية . فلولا تقدم فيصل الى حدود سيناء لما ضرب آلبي غزة وبيبر السبع ، ولولا سقوط العقبة لما سقطت تلك البلدة على البحر التي دافع عنها الترك والالمان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولما عاد الانكليز الكرة على بغداد لولا ثققتهم بالنهضة العربية ورجالها وجنودها .

جاء في نشرة من نشرات الوزارة الحربية في آب ١٩١٢ : ان خطة العرب في بداية نهضتهم لخطة وجبهة فيها حذق وحزم ودهاء . فقد خربوا اقساماً من سكة حديد الحجاز ، واستولوا على مراكز الاتراك الى جانبي السكة . وكانوا في اعمالهم على جانب عظيم من الجرأة والبسالة ، فيتغلبون غالباً على جيش اكثر منهم عدداً وافر منهم عدة .

وجاء في كتاب الكونت دي غنطوب بيرون^(١) « لا قيمة حربية لجموع العرب ، فهم يظهرون ويختفون كيفما يشاؤون وساعة يشاؤون ، ولا يستطيعون رد الصدمات الشديدة ، بل يتفرقون ويهربون اول مرة تطلق عليهم النار » .
وجاء في الاعمال وهي اصدق الشهود : عند ما سقطت غزة في منتصف تشرين الثاني كانت قد وصلت سريرات الامير فيصل الى ما بين عمان ودرعا ، فهدموا جسراً هناك ، وغلبوا الاتراك في واقعة صغيرة قتل فيها خمسة من العرب ومئة وعشرون من الترك ، ونسفوا القطار الذي كان مقللاً جمال باشا ، وهو عائد من القدس الى الشام وقد كُتبت له السلامة .^(٢)

في الشهر الاول من سنة ١٩١٨ استأنف الامير القتال والهجوم . فانصل جيشه بطرف من جيش الجنرال آلبي في ناحية البحر الميت قرب رجم البحر ، وتجددت الهجمات على معان التي كانت لا تزال في حوزة الاتراك . ثم امعن العرب في الغزوات شرقاً فوصلوا الى ناحية الجوف حيث كان الترك يحاولون مقاوضة ابن الرشيد في حابل ليغروه بالشريف . استولى العرب على تيماء . وقطع العرب الخط على العدو فاستحال عليه بعدئذ ارسال النجيدات من معان الى المدينة . نسف العرب قطاراً قرب تبوك مشحوناً بالجنود فقتلوا كل من فيه وغنموا كل ما فيه مع اربعة وعشرين الف ليرة .

قد كانت خطة الامير فيصل في بداية هذه السنة تنحصر ظاهراً في الاستيلاء على معان ، ولكنه اراد في اشغال الترك هناك ان يستولي على بقعة ارض خصبة في شرق الاردن وهي الكرك . فارسل سرازم من جنوده على معان بدوام الهجوم والمفاجآت ، وساعده الجنرال آلبي بما ساق من الطيارات على البلد . قد غنم العرب في هجماتهم مدفعين جبليين ، وثمانية عشر مدفعاً رشاشاً ، وثمانمئة بندقية ، ومئتي رأس من الخيل ، واستولوا على

(١) « كيف استقرت فرنسا في سورية » صفحة ٤٢

(٢) « وقد ساعدنا العرب في هذا الشهر العسير شهر تشرين الثاني ، مساعدة تذكر في هجماتهم على الخط بين عمان ومعان فاوقفوا الانقلابات بضعة ايام في الوقت الذي كان الاتراك يحاولون امداد جنودهم في القدس . » تاريخ الحرب العظمى : نهضة العرب

جوف الدرويش فأحاطوا بالعدو ومنعوه من ارسال نجدات الى المرابطين من
الأتراك في الكرك .

كذلك تقدم الامير ، وهو امين من الغدر ، الى محجته فقسم جنده قسمين
قسماً مشى من العقبة فاجتاز خط الحديد شمالاً ورد العدو الى مركز بعد خمسة
اميال من معان ، وقسماً مشى من وادي موسى فأخرج العدو من مراكزه في
الطريق حتى الطفيل التي هي على مسافة ثمانية عشر ميلاً من البحر الميت . فلما
سلمت حامية الطفيل اضطرب الأتراك في الكرك وخرجوا باحد عشر طابوراً
وبعض الخيالة والمدافع يستعيدونها ، فالتقى الفريقان في ٢٦ كانون الثاني على
شاطئ سيل الحساء ، وهي على مسافة احد عشر ميلاً شمال الطفيل ، فانهزم
الأتراك وكانت خسائرهم اربعمئة من القتلى وثلاثمئة اسير .

لم يقف الامير فيصل عند هذا الفوز ، بل استمر زاحفاً حتى وصل بعد
يومين الى البحر الميت ، فضرب جيشه مركزاً للترك هناك ، فاغرق مركباً حربياً
صغيراً وعدة سنابيك ، وغنم كثيراً من الحبوب ، وامر عدداً من الجنود . ثم
اعاد الامير تنظيم جنوده ، بعد ان ثبت قدمه على شاطئ البحر شرقاً ، ليواصل
الزحف على الكرك . وكان الجنرال آلبي قد استولى على اريحا وعبر بجنوده
الاردن فتقدم نحو عمان . لا شك ان الهجوم الانكليزي شرقي الاردن كان
عوناً للامير في ما سعى اليه . وكان من حظه ايضاً ان الطيارات التي جاءت لتساعد
الجنرال في زحفه الى عمان ساعدت كذلك العرب في زحفهم على الكرك التي
استولوا عليها في ٧ نيسان ، فقطعوا عن الأتراك في معان مورد تموين مهم .
وقد كان في الكرك مئات من الارمن المنكوبين ، الذين ساقتهم مظالم
الأتراك الى تلك الجهات ، فلقوا في الامير وجنوده العطف الجرم ، بل كانت ايدي
الاحسان تنبارى في انقاذهم من البؤس والجوع .

الفصل الخامس

عمان وعمان

مساعدة فرنسة للعرب — وفد الجزائر والهدية المشهورة — الضباط المشارفون —
حاجة فرنسة الى الجنود — مشاركتها في حملة السويس — ثلاثة طواير من الجزائر
والمستعمرات — الغرض السياسي — انشاء الفرقة الشرقية — البدو وضباط الجيش
النظامي — تحامل الفرنسيين على العرب — خطبة في مجلس النواب — تزييف
الحقائق — الاتراك يحمون عمان — العرب والانكليز يتقهرون — سقوط عمان —
الهجوم العام — انهزام الجيش الرابع — سقوط درعا — الدخول الى الشام .

قد اثرت في الفصل السابق الى مساعدة الفرنسيين للعرب وما يدعيه بعضهم
من الفضل في انتصارات جيش الشمال . فلا بأس ، وقد وصلت الى هذا الحد ،
ان ابين بما لدي من المعلومات ، واكثرها من المصادر الافرنسية نفسها ، مقدار
تلك المساعدة .

عندما كانت المفاوضات جارية بين الانكليز والشريف او بعدها بعثت
الحكومة الافرنسية وفداً من مسلمي الجزائر الى الحجاز يحمل الى اميره الاكبر
تلك الهدية المشهورة ، تلك الساعة التي رمزت الى هدبة مثلها من خليفة العرب
الى ملك الفرنجة في سالف الزمان . ثم ارسلت بعض المواد والمعدات الحربية
وبعض الضباط الى جده ليشرفوا لتنظيم الجيش الحجازي^(١) .

غني عن البيان ان فرنسة في تلك الايام كانت تحتاج في بلادها الى كل
جندي تستطيع تجنيده ، ولم تكن مشاركتها في الحملة على الاتراك في فلسطين
الا اسمية في البداية . فشاءت ان تتجاوز هذه الحال ليحقق لها كلمة سياسية

(١) هم الكولونيل بريموند Col. Brémond والقومندان كوس Commandant Cousse الذي قام مقامه بعدئذ في جدة الملازم بيزاني Capitaine Pisani والملازم راهو Capitaine Raho وضابط آخر يدعى كادي Lieutenant-Colonel Cadi ويظهر ان هؤلاء الثلاثة الاخيرين رافقوا بعدئذ جيش الشمال فدخلوا معه الشام .

بعدئذ في ما يختص بمصير البلاد ، فأرسلت ثلاثة طوابير من جنود الجزائر والمستعمرات لتشارك في الدفاع عن ترعة السويس وفي الهجوم على فلسطين . وكانت قد باشرت في اوائل عام ١٩١٢ انشاء الفرقة الشرقية من متطوعي الارمن والسوريين ، فنقلت الى ساحة القتال بعد فتح القدس من كانوا منهم يتمرنون في قبرص وبورت سعيد .

بيد ان هذه العساكر التونسية والجزائرية والسورية التي رافقت الجيش الانكليزي لم تشارك العرب في شرق الاردن بشيء ، يذكر . اما الضباط الانكليزي والفرنسي فليس من ينكر ان بعضهم رافقوا الجيش النظامي وساعدوه في تنظيم العربان وتحريضهم على القتال .

كان عدد من انضم من البدو الى الجيش العربي يناهز المئة الف . اما العسكر النظامي فلم يتجاوز الخمسة آلاف ، وكان ضباطه كثيرين ولا غرو بالنسبة الى عدده . غير انهم لم يبلغوا عشر ما ادعاه ساسة الفرنسيين المتحاملون على العرب ، المشنعون بهم في الصحافة وفي مجلس الامة^(١) . وقد فاتهم ان عدد الضباط ، في مثل هذه الحال ، يجب ان يقاس بالنسبة الى عدد المقاتلين كلهم لا بالنسبة الى الجنود النظامية فقط .

اعود الى الحوادث . بعد شهر من سقوط الكرك في حوزة الامير اي في ٨

(١) خطب الموسيو لينيل M. Lenail في مجلس النواب الفرنسي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ قال : « وما هو الجيش العربي ؟ اربعة الاف جندي يرأسهم ستمئة قائد والفت وثمانمئة من الضباط . ولم يحارب العرب مرة واحدة وخدمهم ، بل كانوا دائماً محاطين بثلة من الانكليزي او الفرنسيين . وعندما كانت تطلق المدافع كانوا يفرون هاربين^(*) . لم ينتصروا غير مرة واحدة عندما اخذوا البلدة الصغيرة معان . او تعرفون كيف اخذوها ؟ كانوا على مسافة خمسة او ستة كيلومترات منها فتقدم الملازم بيزاني بثلة افرنسية صغيرة عددها مئة واربعون رجلاً فهجموا على القرية واخذوها وسلموها الى العرب . »
من كتاب كيف استقرت فرنسا في سورية الفصل الثالث صفحة ٤٤

(*) « في مدة سنتين من الحرب اخرج العرب الترك من الحجاز ، ومن سواحل البحر الاحمر ، وخربوا قسماً كبيراً من سكة الحديد ، وقتلوا واسروا اربعين الفاً من احسن جنود الدولة العثمانية . »
تاريخ الحرب العظمى الفصل ١٤٨ نهضة العرب .

ايار ضرب العرب محطة القطرانة وامروا عدداً من الترك . ثم بعد اسبوع هجموا على الحسا فأخذوا قطاراً كان هناك ودمروا قسماً من العدة والذخيرة . ولكن العدو اخرجهم بعدئذ من الحسا فنقهرقروا جنوباً وهم يخربون في الجسورة والخط^(١) .

وكانت تزداد قوات الترك بعد هجوم الانكليز على السلط وعمان . فالقيادة العامة في الناصرة ، عندما وصلتها تلك الاخبار — وصلتها مؤخرة لان العرب كانوا عاملين بنقطيع سلوك البرق والتلفون — اصدرت الاوامر بانيجاد الحامية في عمان وبنقل الجنود من الشام وحلب الى درعا ووادي اليرموك . يصح ان يقال ان اشد ايام القتال على العرب كانت في صيف هذه السنة ١٩١٨ وقد ظهرت نتيجة النجدة في نقهر الانكليز من عمان والسلط الى غربي نهر الشريعة بعد واقعة الاردن الثانية .

على ان هذه الهزيمة لم تثبط من عزم العرب بل حملتهم على استئناف الهجوم والقتال . وكانوا في شهري ايار وحزيران يزدادون قوة بما جاءهم من العساكر النظامية الجديدة من عراقيين وسوريين وفلسطينيين . حتى انه بينما كان شبه هدنة في ساحات الحرب غربي الاردن في شهر حزيران ، كان العرب بقيادة الامير فيصل وقواده يواصلون الهجوم والغزو والقتال . ولكنهم رُدوا عن معان خامسين مراراً ، وخصوصاً في ٢٢ تموز عندما هجموا على محطة قريبا فكانت خسائرهم عشرين ضابطاً ومئتين من الجنود . كان نوري باشا السعيد^(٢) في تلك الناحية عين الحركة وبدعا . فحمل في اواخر آب بالفين من الجنود

(١) « من اول شهر ايار الى التاسع عشر من ضرب العرب خمسة وعشرين جسراً . »
ليون فن سندرس في كتابه (خمس سنوات في تركيا)
(٢) نوري السعيد ولد في بغداد في سنة ١٨٨٨ ودرس في مدارسها ، ثم في المدرسة الحربية بالاسنانة ، فخرج سنة ١٩٠١ برتبة ملازم ثاني والتحق بالفيلق السادس العثماني في بغداد . وفي سنة ١٩١٠ دخل مدرسة اركان الحربية في الاسنانة واشترك في الحروب البلقانية . وفي سنة ١٩١٣ على اثر اعتقال عزيز بك من قبل الاتحاديين ترك المدرسة هارباً من عقاب الديوان الحربي وسافر الى مسقط ومنها الى البصرة . ثم التحق بشريف مكة سنة ١٩١٦ وحاز على رتبة زعيم ثم امير لواء ، وظفر بالاوسمة العربية الهاشمية كلها .

النظامية وخمسة من البدو وعشرة مدافع حملة على معان اسقطتها بعد قتال عنيف في حوزة العرب .

وصلت هذه الاخبار الى الشام فاستيقظت فيها الروح العربية الراقدة ، وطفق الناس يتهايمسون مستبشرين بالنصر القريب . بل حام بعض العرب حول المدينة وفيها ، مبشرين بفيصل ، رافعين علم الحجاز المربع الالوان . وشرعت تتحرك وراء الاسترة وتحت الحجب تلك السياسة التي كادت تقضي عليها مظالم جمال وفظائعه ، فانصل بالاستانة خبرها ، فسارع اولياء الامر هناك الى اصلاح الامر . ارسلوا يعرضون على القائد الالماني الجنرال فن سندرسي الحكيم في سورية عليهم يقاومون بذلك تلك الروح النافرة منهم ويسترضونها . ولكنهم ابطأوا في ما اهدوا اليه من الحكمة الموهومة وغدا الجنرال في ذلك الحين اشد اهتماماً بالحرب منه بالحكم .

صدرت الاوامر بالمهجوم العام في ١٩ ايلول ، فتحركت الجنود البريطانية في خط طوله ثمانون كيلومتراً ، يمتد من الساحل حتى نهر الشريعة ، ولم تقف الا بعد ان اخرجت الالمان والأتراك من فلسطين والجليل . وجاء العرب من شرقي الاردن يسوقون امامهم ما تبقى من الجيش الرابع حتى قربوا من درعا . وكانت مفرزة النصر بقيادة جودت بك ^(١) في طليعة الجيش فضربت

وبوسام الحرب الافرنسي والانكليزي . وقد رافق الامير فيصلا الى اوروبة وخرج مع الملك فيصل من سورية ، فجاه الى العراق سنة ١٩٢١ وتقلد رئاسة اركان الجيش العراقي . ثم في سنة ١٩٢٣ تعين وزيراً للدفاع في وزارة صهره جعفر باشا العسكري .

(١) « كان جودت بك البغدادي يقود هذا الطابور الذي لم يتجاوز عدده الالف ، وفيهم ثلاثون من الجنود الهندية « التركا » وثلاثة وثلاثون من المصريين ومعهم الملازم بيزاني وبضعة عساكر من الفرنسيين . وكان من مهمة هذا الطابور ان يخرب خط الحديد في درعا . فتجبح بفضل الملازم بيزاني الشجاع الذي اشعل يده القنبل الممتد على الحديد تجاه العقبة الحجازية . اما العرب فتشتتوا فارين عندما حدث الانفجار . »

الكونت غنطلو بيرون في كتابه (كيف استقرت فرزة في سورية)

الفصل الثالث : صفحة ٤٥ .

وقال الجنرال كريس فون كريستنباين الالماني ، الذي كان قائداً المقدمة الألمانية في حرب سينا ، للامير عادل ارسلان ، نقله الامير عادل في مقال له في كتاب « ملوك العرب » .

الاتراك في درعا في ٢٨ ايلول فهزمتهم وامرت منهم عدداً كبيراً من الضباط والجنود .

وبعد يومين ، في ١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ، دخل الامير فيصل على رأس الجيش العربي الى الشام ودخلت سريرات من الجيش البريطاني الى بيروت (١) .

لولا الثورة العربية لما استطاع الانكليز دخول فلسطين لان الجنود الذين كان العرب يشاغلونهم من درعا الى المدينة كانوا اكثر عدداً من جنود جيبتنا الفلسطينية .
(١) ودخلت الجنود العربية الى حمص في ١٤ تشرين الاول ، والى حماه في ١٦ ، والى حلب بعد مقاومة شديدة في ٢٥ من الشهر عينه .

الفصل السادس

مناطق الفوضى

من الظلم الى الظلمات - عوامل السياسات الخفية - العرب والانكليز والفرنسيين - السبب ضربات - موقف الامير فيصل - غلطة العرب الاولى - بلاغ من الاحلاف ينتفضه بلاغ من الانكليز - سفر الامير الى باريس - نقطة دائرة الشهرة والاعجاب - سوريا اميركة - رئيس الجامعة الاميركية - ضجة ازعجت الحكومة الفرنسية - تصريح الموسيو بيثون وزير الخارجية - مطالب الامير الاولى - مطالبه في مؤتمر فرساي - الفوضى في سورية - الانكليز والفرنسيين قدوة طالحة - منقذ فارغ الوفاض - اصحاب السيادة وطلابها يتسابقون الى انكراسي - الاتقجار - الاحتجاج على تصريحات الموسيو بيثون - مذبحه الارمن في حلب .

عند انتهاء الشهر الاول اي تشرين الاول من سنة النصر كانت البلاد السورية قد دخلت من جيوش الترك والامان ، فزالت عوامل الحرب الظاهرة ، ودخلت الامة في طور من اطوار السياسة الذي يماثل بنتائجه شداثد الحرب . اجل ، ما كادت تخرج البلاد من مظالم الترك حتى دخلت في ظلمات الفوضى . ولا اظن ان عوامل السياسة وانواعها - وسمومها - تعددت في بلد من البلدان الصغيرة التي اشتركت في الحرب تعددها وتزاحمها في هذه البلاد السورية ، وعلى الاخص في دمشق .

وكانت البلية الكبرى في عوامل السياسة الخفية . جاء الجيش العربي وجاءت معه السياستان العربية والحجازية ، وجاء الجيش الانكليزي يعضد العرب ظاهراً ويناهض سراً الفرنسيين ، فتشعبت سياسة حكومته الى ثلاث شعب اولها واهمها واثبتتها المصلحة البريطانية ، وجاء الفرنسيين هائجين ناقمين وفي مقدمة قافلهم سياسة لبنان ، وفي مؤخرها سياسة المواردنة ، وفي اولها ووسطها وآخرها سياسة فرنسة في البحر المتوسط .

وكانت في البلاد ولا يزال فيها سبع طوائف رئيسية هي سبعة احزاب

بل سبع ضربات مذهبية ، وفي كل ضربة سبع ضربات وطنية . ثم جاءت اللجنة الاميركية تستفتي هذه الامة المنكوبة فزادت بنكبتها - بسوم سياستها . اضعف الى ذلك كله وعود الاحلاف وعهودهم السرية وما فيها من اخلاص كنهه الاخطار فاذا ما زالت الاخطار زال . ثم حقوق العرب والوحدة العربية وما فيها من احلام تجلت ساعة العاصفة كقوس القزح في سماء الحرب العظمى فغدت بعدها كالحجاب في مساء الامل .

انك اذا تصورت هذه الحالة العجيبة في شكل دائرة تقطتها البلاد السورية وروح النقطة وحياتها الامير فيصل ، ثم تمثلت السياسات التي ذكرت تحوم حولها وحوله تارة ، وطوراً تجري كالضباب المكهرب تحتمها وفوقها ، دون محبة تعرف ، ودون قصد ظاهر يدرك ، بانك لك الصعوبات التي يندر مثلها في حياة رجل واحد حرم ركنين من اركان العظمة السياسية وهما الامة المتحدة القوية والتقليد الوطني الحي . لا اظن ان كبيراً من كبار ساسة الاوروبيين الذين يستمدون قوام ابناء العواصف من امة حرة متحدة وقومية مجردة من النزعات الدينية والنعرات ، يود ان يكون مكان فيصل في ادوار حياته السورية .

دخل الامير الشام دخول الظافر المحبوب ، والمنقذ المطلوب ، فاحتلت جيوشه العربية ومعهم بعض الجنود الانكليزية البلدان التي فتحت لهم ابوابها وقلوبها مهللة مرحبة . ورفع العلم العربي المربع الالوان فوق دور الحكومة من السويداء الى حلب ومن دمشق الى بيروت ، فاضطربت على السواحل وفي لبنان اقوام ، وطربت اقوام .

على ان العرب في بداية امرهم اخطأوا مرتين حربياً وسياسياً . فقد اخطأوا في قتلهم الامير عبد القادر الجزائري واخطأوا في انفاذ شكري الايوبي الى بيروت ليحكمها باسم الملك حسين . فما عتمت ان ظهرت في المدينة العقدة السياسية التي حجبتها عن عيون الناس زين الترحيب وازهار الفوز والتمجيد . اجل ، قد امتعض المسلمون انفسهم من هذا العمل لانهم كانوا

يفضلون ان يقام الحاكم من المدينة نفسها . كذلك يفعل الفانح الحضيف الحكيم . ولكن الحكم العربي لم يدم اكثر من اسبوع . امر الایوبي برفع العلم العربي فوق السراي في اليوم الثاني من تشرين الاول ثم امر في اليوم التاسع بانزاله^(١) . وكان القائد الفرنسي الكولونل بياباب^(٢) قد وصل بجنوده الى المدينة فخرجت اذ ذاك السياسة من طورها العربي الى اطوارها الدولية والمذهبية المتعددة .

ان التبعة في ذلك لعلی الاحلاف اصحاب العهود السرية ، والمطامع الاشعبية ، والوعود العرفوية . اليك من فعاليتهم اثنتین لیس بينهما غير شهر واحد من الزمان . الاولى منشورم الذي نشر في ايلول قبل احتلال البلاد السورية ، والثانية بلاغهم في الشهر التالي اي بعد الاحتلال ، ذاك البلاغ الذي ينقض كل ما في المنشور .

اني الخص ما أعلن قبل الاحتلال في ما يلي : ان الغاية التي من اجلها تحارب انكلترة وفرنسة في الشرق هي تحرير الشعوب الراححة منذ زمن طويل تحت ظلم الاتراك تحريراً تاماً ناجزاً ، وانشاء حكومات وطنية تستمد قوتها من اهالي البلاد عملاً بارادتهم ، ووفقاً لاختيارهم الحر .

اما البلاغ الذي اصدره الجنرال بؤس^(٣) المتعلق « بادارة اراضي العدو المحتلة » المؤرخ في ٢٢ تشرين الاول فهو يقسم البلاد السورية الى ثلاث مناطق على الطريقة التي قسمت سابقاً في معاهدة « سيكس - بيكو » وهي المنطقة الجنوبية اي فلسطين - ادارتها انكليزية . والمنطقة الشمالية اي السواحل حتى

(١) لم نسلم الحقيقة في هذا الايجاز . فقد رُفِع العلم في حفلة رائعة وكان من خطبائها بعض رجال الدين المسيحيين . والاجل من ذلك ان البد الذي رفعت يده اثنتین من الشهداء وخطيبة احدهم هي الانسة فاطمة المحصاني .
اما الذي امر بانزاله فهو قائد جيش الاحتلال الانكليزي . ولما رفض الایوبي ورفض كذلك رئيس البلدية ومدير الشرطة ان ينزلوا العلم ارسل القائد بعض الجنود الاستراليين فانزلوه في الساعة الثانية بعد نصف الليل .

Le Colonel de Piépape (٢)

Major Gen. Sir G. L. Bols (٣)

الاسكندرونة — ادارتها افرنسية . والمنطقة الشرقية من حلب الى دمشق — ادارتها عربية .

لم يكن في هذا البلاغ ما يرضي احداً من اصحاب السيادة والمصالح في هذه البلاد . لم يرض الانكليز ، وهم يصدرونه مكرهين ، لانهم لا يرغبون بالفرنسيس في سورية . ولم يرض الفرنسيين لانهم طامعون بالغنيمة كلها . وكانوا يفضلون الرجوع الى معاهدة « سيكس - بيكو » التي تضمن لهم اضعاف هذه المنطقة مساحةً واهمية . ولم يرض العرب لان البلاغ سلبهم بلاداً هي جزء حي من البلاد العربية .

بعد اعلان هذه الخطة الادارية اضطربت دوائر السياسة في الشام . وكان قد اتفق الامير فيصل واولياء الامر من الانكليز ان يسافر الى باريس ليمثل العرب في مؤتمر فرساي . فنزل الى بيروت وفي معيته الكرنل لورنس ، فدخلها مثلما دخل دمشق زعيماً محبوباً وكان له فيها استقبال فاق استقبال الدمشقيين روثقاً وبها . نزل الامير ضيفاً على الجنرال بلفين^(١) قائد الفرقة البريطانية الحادية والعشرين ، واقام في المدينة ثلاثة ايام ، وصرح قبل سفره انه يطالب باستقلال المناطق المحررة بمساعدة الاحلاف من حكم الاتراك ، وانه ذاهب الى باريس لهذه الغاية .

في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ اجر من بيروت ، فاستقبل في مرسياية استقبالاً رسمياً ، وما كاد يصل الى باريس حتى استحالت شهرته العربية الى شهرة اوربية ، بل الى شهرة حملها البرق على اجنحة الصحافة الى اقطار العالم المتمدن كافة .

كان الامير في باريس قطب دائرة باهرة من دوائر السياسة . ولا غرو ، فهو لطيف في مقابله ، مؤنس في مجلسه ، مقنع في حديثه ، فادش حتى الصحافيين . لا اظن ان الصحافة اجمالاً عطفت على قضية من قضايا الحرب عطفها على القضية العربية وحامل لوائها .

(١) General Bulfin

وقد اعجب بالامير كثيرون من السوريين اللبنانيين الذين كانوا يقاومون سياسته العربية بسياسة لبنانية افرنسية . وجاء باريس وفود من سوري اميركة ليعلنوا رسمياً انهم من انصاره . فكان والحق يقال موفقاً في انصاره ومريديه اكثر من كبار ساسة ذلك الزمان .

ثم جاءه فاضل اميركي يفتح باب الامل الاكبر ، الامل الجديد الا بهر ، فتمثل الامير الفوز بواسطة اميركة اذا خذلته انكثرة ، ورحب بمساعي رئيس الجامعة الاميركية السابق الدكتور هاورد بليس الذي كان يعتقد ان الحكومة الاميركية تقبل الانتداب في سورية اذا طلب ذلك السوريون .

هوذا الامير فيصل لتجاذبه العوامل السياسية العديدة . تحوم حوله الزعماء وتزلف اليه الامل المائعة ، وتشع امامه مصاييح الصحافة ، وتجلس لديه عرائس الشهرة والاعجاب ، وتهمس في اذنه المقاصد الدولية كلمات لها كل يوم معنى جديد . ولكنه في باريس ، تحت عين الحكومة الافرنسية ، وفي ظل ابتسامة امة نبوغها في تهكمها . بيد ان هذا النبوغ لا يشمل دائماً حكومتها . فقد أحدث وجود الامير في باريس ضجة ازعجت تلك الحكومة ، فصرح في ٢٩ ك ١ المسيو يشون ناظر الخارجية يومئذ بان لفرنسة حقوقاً تاريخية وشرعية وادبية في سورية لا تتنازل قطعاً عنها .

وكان الامير لا يزال ينتظر الاذن بالدخول الى مؤتمر السلم فرفع اليه بعد يومين عريضة فيها الجواب بما يلي من المطالب على تصريح ناظر الخارجية .
طلب الامير :

اولاً — استقلال سورية الداخلي التام مع مساعدة اخصائين من الاجانب تختارهم وتستخدمهم الحكومة السورية . اما الامور الخارجية فتكون متصلة بامور الحجاز ، اي ان تكون حكومة الحجاز والحكومة السورية حكومة واحدة في الامور الاجنبية .

ثانياً — تشارف على العراق والجزيرة دولة من الدول العظمى .

ثالثاً — استقلال الحجاز مقرر ومعترف به .

رابعاً — اما في اليمن وفي نجد فتدير شؤون كل منهما حكومة مستقلة يكون لها اتصال مباشرة مع الحجاز^(١) .

خامساً — فلسطين مثل العراق تقبل بوصاية اجنبية .

قد حاول الامير في هذه العريضة ان يوفق بين سياسة انكلترة وسياسة جلالة ابيه ولم يغفل فراسة تماماً . فهو لم يذكر لبنان اعتباراً لما تدعيه فيه ، واحتراماً لاماني اهاليه . ولكنه عندما طلب ان يدخل المؤتمر ممثلاً لجلالة ابيه اُبت الحكومة الافرنسية ولم تقبل ان يحضر الجلسات الا بصفته قائد من قواد جيوش الاحلاف . فدخل بهذه الصفة وارثي في مطالبه الى الوحدة العربية التي تشمل الاقطار العربية كلها من جبال طوروس الى اليمن ومن الموصل الى حضر موت .

اماً في سورية فبالرغم عن بلاغ الجنرال بلس ويصح ان اقول بفضل ذلك البلاغ كانت الاحوال تزداد خطراً واضطراباً . وماذا عسى ان يرجي من العوامل المثلثة في الجيوش الثلاثة ، والادارات الثلاث ؟ فقد كانت السياسات الرئيسية لتجاوز الحدود الجديدة اما جهلاً من اولياء الامر واما عفواً واما عمداً ، فتصدم في كل حال الارادات والمصالح ، وهي في حال الالتهاب . بل كانت البلاد كلها في تلك الايام ملاءى بالمواد المتفجرة ، وكان كل من تحرك فيها ممن له شيء من السلطة يحمل على لسانه ويده النار والكبريت . فلا عجب اذا تعددت فيها حوادث الانفجار .

احتل العرب انطاكية فجاء الفرنسيين يخرجونهم منها ، فرُفع فيها العلمان الافرنسي والعربي ، وكانت فيها ضجة من جراء ذلك ما بين احمد والمسيح . احتل جيش انكليزي الاسكندرونة فجاء الفرنسيين من البحر يحتجون عليهم ، فرُفع فيها العلمان ، وتخاصم تحتها الفريقان . جاء المندوب السامي الموسيو

(١) هي فكرة الملك حسين الذي يريد ان يكون الاتصال بواسطة الوزارة الخارجية اي ان الحكومة الحجازية تمثل في الخارج الامارات العربية كلها .

راجع فصل المعاهدة صفحات ١٩١-٣٠٣ من الجزء الاول من هذا الكتاب .

جورج بيكو^(١) الى الجنرال آلبي^(٢) ذات يوم محتج باسم الحكومة الفرنسية في امر من الامور فقال الجنرال : انا لا اعرف لا حكومتك ولا حكومتي . انا لا اعرف غير الوزارة الحربية . وتسربت الاحقاد من الكبار الى من دونهم ، فكانت المنافسات بين وكلاء الانكليز والفرنسيين نقل من قيعة الاوروبيين في عين الاهالي مسيحين كانوا او مسلمين .

أضف اليها تلك الضغائن التي ولدتها الحرب ونشأت بين جنود الامتسين في الخنادق ، فانقلت الى ساحة السياسة في الشرق الادنى وكان اهل سورية فريسة شرورها . ثم الدسائس العربية على الفرنسيين والتجسس لهم ايضاً بواسطة اناس من السوريين عدوا يوماً من كبار الوطنيين . ثم دسائس المسيحيين على العرب وكانت مصادرها تلك المقامات العالية المحترمة ، مقامات الورع والنقوى . ثم صيحات الفرنسيين انفسهم واحتجاجاتهم المتواصلة المتعددة على الانكليز ، وعلى العرب ، وعلى الجيش الشرفي ، وعلى القيادة العامة ، وعلى الاميركيين والجامعة الاميركية ، وعلى كل من قاومهم سراً او علناً او رفض ان يعترف بحقوفهم « الادبية والتاريخية والشرعية » في البلاد .

انها لحالة عجيبة محزنة يندر نظيرها في العالم . وأدعى منها الى الحزن انهم جاءوا الى سورية فارغين الوفاض يطالبون بهذه الحقوق . جاءوا يسطون سيادتهم في البلاد دون ان يبذلوا شيئاً في سبيلها ، او يستطيعوا في الاقل ان يحفظوا النظام فيها . فلم يكن لديهم في السنة الاولى من المال والرجال والجنود والاعتدة ما يكفي لحكم مدينة صغيرة ، فحاولوا الاستيلاء على المنطقة الغربية منطقتهم بما تبقى من الفرقة الشرقية وبيضع مئات غيرها من الجنود ، فأسقطوا في ايديهم ، وسقطوا في عيون مرديهم .

ان ضعف الفرنسيين ، والحق يقال ، وقصر ذات يدهم بالنسبة الى ما كانوا يدعون ويطلبون ، لمن الاسباب الاولى في تلك الاضطرابات . ومن تلك الاسباب ايضاً

(١) Georges Picot

(٢) General Edmund Allenby

جهل اولياء الامر من العرب ، جهلهم السياسة الدولية ، جهلهم طباع الاوروبيين ، جهلهم التاريخ ، جهلهم حتى خطة الانكليز في اطاعهم ، تلك الاطاع التي قيدها وعودهم في الحرب فاضطرتهم الى السياسة السرية في نشيط العرب تارة وطوراً في تثبيطهم . ومن اسباب الاضطرابات ايضاً تعدد الحكومات في البلاد ، فكان فيها اولاً القيادة البريطانية العامة ، ثم الانتداب الافرنسي مدعوماً بشرذمة من الجنود البحرية ، ثم مجلس ادارة لبنان ، ثم الحكومة العربية ، ثم البطاركة والاعيان .

والكل صارعوا كالأولاد الى تبوؤ كراسي السيادة والمجد . فقد تسرع الفرنسيين في تعيين وكلاء لهم في الشام وحلب كما تسرع العرب في تعيين حاكم عربي في بيروت . كيف لا والقيادة الانكليزية العامة صاحبة الامر رسمياً في البلاد ، فلم تعترف حتى بالمدوب الافرنسي السامي الا كمستشار سياسي لديها . فماذا عسى ان تكون العلائق بين مستشارين صغيرين . ان وجود الكومندان كوس^(١) يومئذ في الشام والكونولنل بيثون^(٢) في حلب لما زاد الحالة شدة وتعقداً .

بدأ البركان يتفجر في اواسط كانون الثاني سنة ١٩١٩ . اذ عند ما علمت الشام بتصريح المسيو بيثون في ما يتعلق بفرنسة وحقوقها في سورية ضجعت المدينة غضباً واحتجاجاً ، وكان النادي العربي رأسها ولسان حالها . فأضرم في الجرائد نار العداوة للاجانب ، وبعث الخطباء في انحاء البلاد يحرضون الوطنيين على التظاهرات ضد الاحتلال والانتداب ، وخطب خطيب في الجامع الاموي يدعو الناس للتجنند دفاعاً عن الوطن .

في هذا الشهر ايضاً التي المسيو بيكو خطاباً في دمشق جاء فيه ما فهم منه ان قد تم الاتفاق بين الامير والحكومة الافرنسية بشأن سورية . فغضب لذلك المسيحيون وهم يظنون ان فرنسة تفضل المسلمين عليهم وقد نفادي بهم في سبيل

Le Commandant Cousse (١)

Le Colonel Pichon (٢)

السياسة والمصلحة . فما كانت فرنسا في ما صرح به وزيرها ومندوبها لترضي
أحداً ، لا الخصم ولا الصديق .

ثم خطب في سراي بعبدارئيس الوفد اللبناني الاول داود عمون مفصلاً عما
كانت نتيجة مساعده في باريس فقال : « ان بين لبنان وسورية علاقات تجارية ،
وصلات متينة ، تستوجب الأيفصل الشقيق عن شقيقه . فاجتمعت كلتنا ، كلمة
الوفد ، على وجوب انضمام الاثني تحت لواء مراقبة واحدة » .

فجاء كلامه ضعفاً على ابالة . قال زعماء العرب : ان الحكومة الافرنسية
تروم احتلال سورية بواسطة اصدقائها اللبنانيين . وانفق ان يوم خطب داود
عمون خطبته عقد اجتماع في دمشق احتجاجاً على تصريح المسيو بيثون ، فعقبت
عليه المدن السورية الاخرى ، وحدثت اثناء هذه التظاهرات في ٢٨ شباط
سنة ١٩١٩ مذبحه الارمن في حلب .

لا حاجة ولا مجال هنا للنظر في تلك الحادثة المحزنة . بيد انه من المؤكد
ان لو كان في المدينة حكومة متيقظة منظمة ، عربية كانت او انكليزية او
افرنسية ، لما كان عتو الارمن يحمل بعض العرب المسلمين على المفاداة بسمعتهم
الطيبة ، خصوصاً بعدما كان من احسان الامير فيصل وجنوده الى منكوبي
الارمن في الكرك .

الفصل السابع

لجنة الاستفتاء الاميركية

نظريات المصلحين ومصالح الامم — كليمنصو يقترح اتفاقاً بشأن سورية ولبنان —
الامير يرفض ويرجع الى سورية — امتا، تقاريان في اكرامه — نظرية تستقويه —
الرئيس ولسون خادع ومخدوع — فيصل في فتح الاحلام — امة تخليص من امتين —
« الاستقلال يؤخذ لا يعطى » — الاستقلال التام التاجز — الحجاز تابعة لسورية —
الوفد اللبناني لدى الامير — تصريحه بخصوص لبنان — الشروط التي عرضها
على جورج بيكو في ١٧ ايار — البطريرك الماروني يسافر الى باريس — عاد
البطريرك يحمل كتاباً من كليمنصو — الوحدة السورية والوحدة المسيحية —
« لجنة الاستفتاء بروتستانية فيجب ان تقاوموها » — مطالب الدمشقيين — اللجنة
تفضح فرنسه — الضرر بالقضية العربية — بلاغ اللورد آرنسي — خروج المسافر
البريطانية من سورية — رجوع الامير الى اوروية — وحدة عربية مطاطة —
تصرح لا يفيد — احتجاج بلبد .

كان الامير محترماً مكرماً في مؤتمر فرساي، وكان كذلك الرئيس ولسون .
ولكن السياسة الدولية لا ترعى آداب الاجتماع ، ولا تهتمها فروض التكريم ، فلا
تملك نظريات المصلحين واماني الوطنيين من مصالح الامم . قد سقت ولسون ،
تلك السياسة ، الخلل والمرء بعد ان شاركت صامته في اكرامه ذلك الاكرام الفريد
المجيد . وكانت ارفق حالاً بفيصل . كيف لا وقد عرض احد اساطينها في تلك
الايام على الامير العربي بعض بنود فيها تضمنت فرنسة استقلال سورية تحت
امارته وبمشاركتها في بعض الامور الاختصاصية والاقتصادية . وتضمن كذلك
استقلالاً نوعياً للبنان الى ان يتم الاتفاق بينه وبين سورية .

ولكن الامير رفض ما عرضه الوزير الافرنسي الموسيو كليمنصو وعاد
الى سورية ليستشير كما قال الامم . سافر الامير الى فرنسة على المدرعة الانكليزية
« غلاستر » وفي معيته الكرنل لورنس^(١) وعاد الى بيروت على المدرعة

Col. T. Lawrence (١)

الافرنسية « ادغار كينه » وفي معيته الكولونل تولا (١) امتان تنباريان في اكرامه ،
امتان نيسارغان الى خطب وداده ، امتان تسعيان في تعزيز سياستهما في سورية
والبلاد العربية بواسطته .

افي متيقن انه ، لولا امر واحد ، كان قد اختار احدهما في سفرته الاولى
الى باريس ، بل كان قبل كل ما عرضه عليه الموسيو كليمنصو . امر واحد
تخلل معقوله واضعف فيه القوة الحاكمة . امر واحد هز منه القلب والمخيلة واشعل
فيهما مصباح امل هو اقرب الى الاحلام منه الى احكام الايام . فخذع الامير
وخذع غيره ممن هم اكبر منه . اجل قد خدع به احد « الثلاثة الكبار » (٢)
الرئيس ولسون نفسه . وهو الذي خدع الامير ، كما خدع غيره من الناس
ومن الامم والشعوب ، بما ظنه مطهراً لسياسات الدول كلها وبلسماً لجروح
الامم جمعاء .

« تقرير مصير الشعوب » - « حق الشعوب بتقرير مصيرها » انها لكلمات
فتانة ! ولكنها لم تكن لتستطيع ان تخدع الامير لولا مساعي هاورد بليس في
سبيلها . ولا اظن ان ما صورته وتصوره الدكتور بليس ، وما ضج به سوربو
المهجر ، كان يقنع الامير كل الانساع ، ويحمّله على عمل يخالف الحكومتين
الانكليزية والافرنسية لولا - وما هنا رأس الخدعة واكيلها - لولا اللجنة
التي طلب تشكيلها الرئيس ولسون لتسفتي الامة السورية . من من الناس لا تخدعه
هذه المناورات السياسية ، وبالاخرى هذه النظريات والاحكام من رئيس احدى
الامم العظمى ، بل اعظمها في تلك الايام .

عاد الامير الى سورية وفي صدره ولا ريب امل بالتخلص من الحكومتين
الانكليزية والافرنسية ، بل في صدره امل بتحقيق امانيه الوطنية العربية بواسطة
الحكومة الاميركية . وصل الى بيروت في ٣٠ نيسان وكانت الامة تنتظر قدومه

(١) Le Colonel Toulat

(٢) اي الذين اداروا مؤتمر فرساي وهم وودرو ولسون وجورج كليمنصو ولويد جورج
Woodrow Wilson, Lloyd George, Georges Clemenceau.

وهي تائفة شقيقة الى اخباره وتصريحاته . تركها منذ خمسة اشهر وآماله راقدة ، فعاد اليها وآماله تغرد في قفص الاحلام . تركها اميراً عربياً قد يفلح وقد لا يفلح في مساعيه ، فعاد اليها اميراً خطيراً ، اوسع شهرة ، واعظم ثقة بنفسه ، وارفع مقاماً . فاستقبل في بيروت استقبالا ملكياً ترأسه القائدان الافرسي والانكليزي فيها وخطب في الناس فادهش الناس .

« الاستقلال يؤخذ لا يعطى . . . حرية الامة بيدها . . . لنسى متحدثين فنجحوا حياة عزيزة . . . الاستقلال التام في الاتحاد التام » . ثم قال اكراماً للفرنسيين والانكليز : « لا انكر اننا في حاجة الى المساعدات المادية والاقتصادية والعلمية . ولكننا سنطلب هذه المساعدات باجرتها ، سنستخدم الحكومة الاخصائيين من الاجانب وتدفع رواتبهم من مال الامة » .

وقد كان الامير اشد لهجة في دمشق : « الامة السورية تروم الاستقلال التام الناجز ولا تقبل بغيره بديلاً » . فردت الشام ومدن سورية كافة صدى هذه الكلمات : الاستقلال التام الناجز !

وصل الامير قبل اللجنة الاستفتائية الاميركية فيبشر بقدمها ، وحث الشعب ان يطلب الاستقلال التام بدون شرط ولا قيود . — « برهنوا على انكم لستم كالانعام تباع وتشتري . . . الاستقلال بدون حدود البتة . الحرية بدون قيود اجنبية . . . من يطلب فرنسة او انكلترة او اميركة او ايطالية فهو ليس منا » . ثم زار المجلس التشريعي في ٧ ايار فرحب به اعضاؤه ونادوا به زعيماً — الزعيم الاكبر ! — « لك الامر وعليك بعد الله الاتكال » . ووقف نوري الشعلان يعاهد بالطاعة والولاء : « حيناً كنا عرب الرولا اطوع لك من يمينك ، ومن لا يكون مثلنا ليس من دين الاسلام » .

وفي هذا الشهر نازل الامير عن الخطة السياسة التي كان من شأنها ان تربط سورية بالحجاز بل يجعلها تابعة لحكومة والده ، فقبل جلاله الملك حسين ذلك حباً بما بدأ يتبلور من الآمال ، فارسل الامير الى مؤتمر السلم يقول ان الحجاز لا تعترض ان تكون تابعة سياسياً لسورية . وقد قال لي

جلالة الحسين هذا القول مراراً .

اما في ما يختص بسورية فقد كان ليفصل رأي في تقسيم البلاد الى مقاطعات ، وفقاً لحالاتها الطبيعية والعقلية والتهديبية ، صرح به خصوصاً للوفد اللبناني الذي جاء الى دمشق لهينهته بعودته سالماً من باريس ، وليؤكد له ان فريقاً كبيراً من اللبنانيين يتحنون الانضمام الى سورية . فرحب الامير بهم وخطب فيهم خطبة بليغة فقال : « انه يجب ان يضم الى لبنان القسم اللازم الوافي لحياة اهاليه الزراعية ، فيستفيدون من توسيع ارضهم كما تستفيد هذه البلاد من ذكائهم ونشاطهم اقول بكل حرية ان لبنان مستقل داخلياً واداريًا ويلزم ان يبقى ما يلحق به مستقلاً وممتازاً . . . مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية . ولكن هذا الانضمام لا يكون اجباراً بل اختياراً اني مستعد ان اعطي الضمانة الخطيئة بكل ما اقول . وليعلم اللبنانيون ، وهم اخواننا بل قلوبنا التي بها نحس وعقولنا التي بها نفكر ، اننا نحن واياهم واحد لا يفصلنا فاصل طبيعي او مادي . . . ما كان عندنا ولا يكون ادنى فرق بين لبناني ودمشقي او بين مسلم ودرزي . »

هوذا مبدأ الامير الذي اخلص له في تلك الايام ، واعتصم به ، وسعى في تعزيزه . على انه في بعض المواقف ، كما سيتضح للقارىء ، تغلبت الحوادث وبعض الرجال على معتقده وبقينه . قد وصل في شهر ايار سنة ١٩١٩ الى ذروة القوة والنفوذ ، فكان عاملاً بمبادئه ، واثقاً من نفسه ، ذا رأي يُسمع وامر يُطاع . غير ان الفرنسيين في البلاد ، خصوصاً المندوب السامي وكبار الضباط ، لم يثقوا كل الثقة به ، ولا كانوا يرون السداد في سياسة حكومة باريس في ما يختص به وبسورية ولبنان .

قد تقابل المسيو جورج بيكو والامير فيصل في ١٧ ايار فعرض الامير على المندوب شروطه بصراحة لا غبار عليها . قال انه يقبل بالانتداب الفرنسي اذا ألغيت معاهدة « سيكس - بيكو » واذا ألغيت في المنطقتين الشرقية والغربية الحكم العسكري وسحبت فرنسة جنودها من البلاد ، واذا انحصرت المساعدة

الفرنسية بالاخصائيين الماليين والمعلمين العسكريين والمهندسين والمستشارين في دوائر الحكومة . وقيل انه طلب ان تضم الموصل الى سورية وان تساعد فرنسا عرب العراق في استقلالهم . فبلغ المندوب السامي حكومته هذه الشروط وجاءه بعد شهر نفو يض بان يقبلها .

ولكن المسيحيين في المنطقة الغربية تألبوا اثناء هذا الشهر على السياسة الفرنسية السورية ، وعقدوا الاجتماعات لتأييد استقلال لبنان وتوسيع حدوده ، لطلب الانتداب الفرنسي . وكان الاكليروس روح هذه النهضة والبطيريك الماروني رأسها . فرأى الموسيو بيكون في تعريزها يضمن لفرنسة السيادة في لبنان في الاقل . وقد كان يظن ان الموسيو كليمنصو لم يهتم كما يجب لهذه المسئلة الخطيرة ، فأوعز الى بعض اعيان لبنان ورؤساء طوائفه ان يبعثوا بطريرك الموارنة الى باريس ليمثل اللبنانيين لدى الحكومة الفرنسية ويطلب بحقوقهم .

انتدب اكثر الطوائف غبطة البطيريك ايلياس الحويك لهذه الغاية ، فسافر على مدرعة فرنسية الى ايطاليا حيث اقام شهرين وقابل قداسة البابا . ثم سافر الى باريس فقابل هناك الموسيو كليمنصو الذي اعطاه كتاباً يسكن فيه روعه وروع اللبنانيين ، ويعدم بما يطلبون من الاستقلال والانتداب . ففقل غبطته راجعاً يحمل هذا الكتاب الثمين الى موكبيه ، فوصل الى بيروت في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٩ وتكلم في الاحتفال الذي اقامته له حكومة لبنان فقال : « قد كان اتحادكم من اسباب نجاحي . فأؤمل ان تثابروا على هذه الخطة ، فيجيا لبنان بعد ان يكون قد نال استقلاله . . . ولكم خير ضمير باستدراجه الى الحياة في مساعدة الدولة المحبوبة التي حرمت نفسها من خدمات احد اعظم ابنائها — الجنرال غورو — حتى تكلفه بمهمة دعوها مهمة ابداع وخلق » . ثم خاطب الجنرال غورو بالفرنسية قائلاً : « اني اجهر على رؤوس الملا ان فرنسا تحب لبنان ، وتساعد لبنان ، وها نحن نفتخر بفرنسة . . . ولا سيما بعد ان اوفدت اليها الجنرال غورو الخ » .

فبين كان الامير فيصل يدعو الناس الى وحدة سورية قومية لا تفرق بين.

الدمشقي والبناني ، او بين المسلم والمسيحي والدرزي ، قام اللبنانيون ، والاكليروس يستحثهم ويفرضهم ، يطالبون بوحدة لبنانية ، فقلدوا بطريركهم الكبير زمام امرهم ، فجعلوا المسئلة دينية مذهبية ^(١) ، وابوا ان يكون لهم اذنى علاقة بالعرب المسلمين . بل امعن رؤساء التعصب بالشقاق عندما وصلت لجنة الاستفتاء الاميركية الى سورية . فيما ان اساتذة الجامعة من انصار النهضة العربية واعضاء اللجنة من وطن الجامعة ، ادعى غير واحد من رؤساء الدين ان للجنة مقاصد دينية بروتستانية وطلبوا من اللبنانيين ان يقاوموها ويتضافروا عليها .

ومما يدعو للأسف ان قد كانت اللجنة نفسها عاملاً آخر من عوامل الشقاق ، لانها في طريقة الاستفتاء عززت من حيث لا تدري مبدأ العصبية الدينية والطائفية . الا انها فضحت فريضة وجردت مزاعمها من الاوهام لان الاقلية اللبنانية فقط طلبت الانتداب الافرنسي ، ولم تشمل هذه الاقلية الطوائف المسيحية كلها . فازداد العرب تمسكاً بما يطلبون وازداد قسم منهم تعصباً ادى الى الاعمال التي سودت صحيفتهم . وسيجيء الكلام عليها .

وصلت اللجنة في تموز الى دمشق فطلب فريق من الدمشقيين الوحدة السورية بما فيه لبنان وفلسطين ، والاستقلال التام الناجز ، وان تكون الحكومة ملكية دستورية لامركزية ويكون الامير فيصل ملك البلاد . ثم طلبوا المساعدة الاقتصادية والفنية من اميركة ، واذا رفضت اميركة ، فمن بريطانيا العظمى . وقد طلبوا ان يكون العراق مستقلاً كل الاستقلال ، وان لا يكون حواجز اقتصادية بين البلدين .

ثم استفتت اللجنة العلماء فطلبوا ما يلي : الوحدة السورية المستقلة عن الحجاز ، وحكومة دستورية لامركزية على رأسها الامير فيصل ، ومساعدة دولة

(١) اول اجتماع عقد في بيروت في ٢٢ تموز سنة ١٩١٩ قرر ان تضم المدينة الى لبنان ويعلن استقلاله وانتدب لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين شخصاً ليس فيهم واحد مسلم ، حتى ولا بروتستاني واحد ، بل اكثرهم من الموارنة التجار .

غنية قوية لا مطامع استعمارية لها .

أما المتطرفون أصحاب الوحدة العربية الحجازية الاسلامية فظلوا متشبثين بأرائهم ، عاملين سرّاً وجهرّاً في نشرها وتعزيزها . وقد كان في المجلس التشريعي ، وفي النادي العربي ، وفي معية الامير ايضاً من لا يسكتون ولا يعقلون من الحزبين .

جالت لجنة الاستفتاء في فلسطين وسورية ففضحت كما قلت فرنسا ، وأضرت بالقضية العربية ، ولم تنفع احدّاً في البلاد . وكيف أضرت بالقضية العربية ؟ اني اعتقد انها كانت السبب - بعض السبب ان لم يكن كله - في البلاغ الذي قدمه اللورد آتني للامير فيصل في ٩ ايلول وفيه ما يلي :

١ - ان حكومة بريطانيا العظمى ترفض الانتداب في سورية . ٢ - انها توافق على المبدأ الذي يضمن لليهود وطناً قومياً في فلسطين . ٣ - ليس من شأنها ان توجب على السوريين قبول حكومة لا يريدونها اهل البلاد . ٤ - ان المارشال آتني المسؤول لدى مؤتمر السلم عن الامن في البلاد يتخذ الوسائل اللازمة لقمع الفتن والاضطرابات .

وفي ١٥ من هذا الشهر ايضاً تم بين الحكومتين الافرنسية والانكليزية الاتفاق الذي بموجبه تكفلت بريطانيا العظمى ان تخرج في تشرين الثاني عساكرها من سورية بشرط ان العساكر الافرنسية لا تدخل المدن الاربع منها ، اي دمشق وحمص وحمّاه وحلب ، لان بريطانيا العظمى قد عاهدت العرب على تأليف حكومة عربية .

اثار هذا الاتفاق وذاك البلاغ خواطر المتطرفين والمعتدلين من العرب ، ولبلب الناس على ان اولي الالباب المرنين في سياسة التلوت والهوادة رأوا في الوثيقتين تناقضاً قد يكون تعمده الانكليز من اجل حلفائهم العرب . فها انككترة تنفض يدها منا ، ولكنها تقول انها لا توجب علينا حكومة لا نريدها . وها انها تسحب جنودها من البلاد ، ولكنها تبقى السيادة المطلقة بيد المارشال آتني . فقام الناس بتظاهروهم مثل تظاهروهم احتجاجاً على المسيو

بيشون ، وتأسست لجنة الدفاع الوطني التي باشرت التجنيد .
 وكان الامير في مقدمة المحتجين فاعاد تصريحه بالوحدة العربية وابرق الى
 مؤتمر السلم ان البلاد في اضطراب عظيم ، وان الشعب يقاوم اية خطة يجعله قيد
 المساومات ، ويتصل من التبعة في الحاضر والمستقبل تجاه الحوادث التي من شأنها
 هضم حقوقه .

ثم سافر في اواخر ايلول الى لندن ليعي شخصياً لدى الحكومة الانكليزية
 في سبيل الوحدة العربية المملطة التي مر ذكرها ، والتي صرح بها على صفحات
 الجرائد ، فقال لمراسل روتر : ان معاهدة « سيكس - بيكو » لا تعتبر ولا يعمل
 بها في نظر الامة العربية . وقال لمحرر جريدة « الايام اليهودية » : انه يعتبر
 فلسطين جزءاً من سورية وانها في نظر العرب ولاية لا بلاد مستقلة . ثم قال :
 ان ما يسعى اليه هو تأسيس دولة عربية تشمل في الاقل على العراق وسورية
 وفلسطين .

انها في السياسة خطة لا تزدرىها الدول العظمى ، ولكن القوي اذا غير
 رأيه يعززه بالقوة ، وهو يتغلب حتى اذا ثقل . اما الضعيف بقومه ان لم اقل
 بنفسه فالثبات خير له وابقى . ها هنا يبدو في الامير ضعف لا تجده في جلالة ابيه ،
 وقد ثبت الى اليوم في مطالبه كلها ، فلم تتغير وحدته العربية وتتلون وفقاً لحوادث
 الايام ، وسياسات الدول العظام .

اما احتجاج الفرنسيين على الحكم العربي في الشام فلا يخلو من التحامل .
 قالوا ان العرب لم يحكموا باسم الخلفاء كما تحتم عليهم وانما حكموا باسم ملك
 الحجاز . وهل حكم الفرنسيين في المنطقة العربية باسم الاحلاف ياترى ؟ وهل
 حكم الانكليز كذلك في المنطقة الجنوبية - في فلسطين ؟ وقالوا ان الملك حسين
 عجل في طلب المكافأة على خدماته في الحرب العظمى ، وكان ينبغي له ان يتربص
 الى ان تم المعاهدة بينهم ويصير الاتفاق بخصوص سورية . فليت شعري ما الذي
 فعلوه هم انفسهم ؟ اقم بقسموا البلاد السورية وبنساقوا والانكليز في الحصول على
 قسمتهم منها ؟

الفصل الثامن

مرجعيون

الامير في لندن — الرجوع الى كليمنصو — الشروط — المساومة — الشورى —
الرفض — الرجوع الى سورية — موقفه تجاه الامة — العصابات — ضرب الحجرة
على ذبح النصارى — حادثة الحولة — الهجوم على الجديدة — النار والسيف —
على من التبعة ؟ — حوادث عين ابل والقلعة — القومندان في الجديدة بلاعب
الارنب — جواب المستشار لجوري عين ابل — فريضة الكولونيل بناجر .

قد خابت في لندن امال الامير ، لانه وان كان اثناء اقامته هناك موضوع
اكرام الطبقة العالية من الامة الانكليزية ، فقد اُعلم رسمياً ان الحكومة تحافظ على
العهد الاخير الذي عقده مع فرنسا ، وانها وان كانت قد اشترطت عليها الا
تدخل بجنودها المدن السورية الاربع فقد سلمت بان تكون المساعدة الفنية
والاقتصادية للحكومة العربية منها لا من انكلترا . لذلك أُشير عليه بان يسافر
الى باريس ويتفق مع كليمنصو .

سافر الامير الى باريس ، وقابل المسيو كليمنصو ثانية ، فدار بينهما في ٢٢
تشرين الاول حديث تناول المسئلة السورية بكل فروعها ، وكانت النتيجة لائحة
تضمنت حل المشكل على طريقة تكفل له الحكم في سورية ، وفرنسة حق
المساعدة ، ولبنان توسيع الحدود والامتيازات التي يطلبها .

تردد الامير ثم لجأ الى المساومة ، فطلب ١ — ان يكون نصف المستشارين
افرنسيين والنصف الاخر من سوامم . ٢ — ان لا يكون للمستشار الرأي
الفاصل في الامور . ٣ — ان لا يكون في سورية ولبنان عسكر افرنسي .
وقبل ان يكون العسكر الوطني تحت ادارة افرنسية . رفض المسيو كليمنصو
الشروط الثلاثة ، فجمع الامير من كان في معيته يومئذ واستشارهم في الامر
فارتأى فريق منهم وفيهم اثنان من المسيحيين ان يقبل لائحة الوزير . اما

الفريق الثاني وفيهم اثنان من المتطرفين ، الواحد طبيبه والثاني اديب من نابلس درس الحقوق في فرنسا ، فقد قاوموا فكرة القبول اشد المقاومة وكانوا من الفائزين ، فبرهنوا في فوزهم على ضعف في الامير كان يؤلم المعتدلين المتعقلين من انصاره ومريديه .

عاد الامير في اواخر كانون الاول الى سورية وهو يعلم ان الحكومة الانكليزية لا تتخاصم فرنسا من اجله ، وان فرنسا لا تتنازل عن سورية ^(١) معها كان من امرها في المفاوضات ، وان الحكومة الاميركية ^(٢) لا تتدخل بالرغم عن لجنة الاستفتاء في امور البلاد السياسية . فاية خطة كان ينبغي له اتخاذها ؟ هل في امكانه ان يغير سياسة انكلترا الدولية ؟ هل في امكانه ان يحارب فرنسا اذا شئت الاستيلاء على المنطقة الشرقية ؟ اذا اجبت سلباً ، وهو اقرب الى الحقيقة ، على السؤالين ، ارى بحكم الحال ان امام الامير سبيلين وفي كليهما شرف وحكمة ووطنية . فاما ان يكون قادراً على قيادة الشعب السوري فيقوده في جادة الاعتدال الى ما فيه المصلحة المشتركة بين الامتين الافرنسية والسورية ، واما ان لا يكون فيستعني ويعيد مقاليد القضية الى جلالة ابيه .

وماذا كان بعد رجوعه المرة الثانية من باريس . هاكم الحوادث وهي اصدق رواة الاخبار . عندما وصل الامير الى بيروت خطب في الناس فاشار الى ما لا يزال بينه وبين فرنسا من الولا ، فاعترضه بعدئذ ممثل الحكومة العربية فيها واثقده اعتداله آخرون . وكان قد ذهب الى استقباله واستخباره وفد من الشيعة في جبل عامل فلم يكلمهم ملياً في بيروت بل استصحب لهذه الغاية بعض علمائهم الى الشام . وقد عقد اجتماع في وادي الحجير فضرب احد المشايخ

(١) قد طالما قال وزراؤها بريان ولايم ويشون ان مركز فرنسا في البحر المتوسط يتزعزع اذا تركت سورية ، وان الاستيلاء السياسي على بلادها لا يفيد اذا كان لا يقرب بالاستيلاء الاقتصادي ، وان لفرنسا في سورية مصالح مادية وسياسية فوق حقوقها التقليدية .
(٢) قد قابل الامير فيصل في باريس المستر بولك المستشار القضائي يومئذ للنظرارة الخارجية بواشنطن ، فلم يعده ولا علله بشي .

خيرة (استخار الله بالسبحة) على ذبح النصاري . وكان في الحولة حكومة بديرها
زعماء العصابات ، والحكومة الافرنسية عالمة بها . اما العرب وهم اعداء فرنسة
فاصبحوا اعداء من والاها ناهيك بين نعصب لها من المسيحيين . وقد كان في من
وولي الامر منهم ، في النادي العربي وفي لجنة الدفاع بالشام ، اناس لا يأمرن
بالمشكر ولكنهم في سبيل السياسة لا ينهون عنه .

فكانت النتيجة ان في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ اي بعد وصول الامير
فيصل ببضعة ايام ، أشعلت في مرجعيون ، باسم الوطن والسياسة ، نار الجهل
والتعصب والفوضى . وكان العرب مشعلها والفرنسيس متفرجين عليها .

غير ان حادثة المطلّة تقدمت الهجوم على الجديدة وكانت السبب القريب في
نكبتها . وما حادثة المطلّة ؟ قد كان الامير محمود الفاعور ، امير عرب الفضل ،
خارجاً يومئذ على الحكومة ، فضرب بعض الجنود الافرنسية ، على اثر حادث
عداء في الحولة ، دار الامير بالخصاص وهدموها . فثار عليهم العربان فبعثوا
يطلبون النجدة من الجديدة . ولم يكن في تلك الناحية يومئذ ، مع علم الحكومة
بما يهدد الامن وبما ينذر من العصابات بالويل ، غير الفين من الجنود في المطلّة
وخمسة في الجديدة .

طلبت المطلّة النجدة من الجديدة فارسل القومندان اربعمئة وخمسين من
رجالهم فلم يبق لديه غير خمسين . ولم يكن عند الاهالي غير مئة وعشرين
بنديقية واليسير من النخيرة . اما الذين هجموا على الجديدة في ليلة ذلك
اليوم فلا يقل عددهم عن الاربعة الاف وفيهم العرب والدروز والمتاوله ،
فاضرموا فيها النار واعملوا باهلها بالسيف والرصاص . حرقوا اربعين بيتاً ،
وقتلوا اربعين نفساً ، ونهبوا من الامتعة ومن الرياش ما قدرت قيمته بمئة الف
ليرة ذهباً .

ومن المسؤول ؟ قد تحقق ان ثلاثة من العرب كانوا يأخذون المال من
الحكومة بدمشق باسم العساكر فيتصرفون بها ، ثم يأخذون من العصابات
اسماً مما ينهبون . وقد كان رجال العصابات العاملة يلزمون القرى في جبل

عامل القيام بنفقاتهم ، ويقدم رؤسائهم التقارير الى المؤتمر العربي بدمشق . أتبعي الحقيقة كلها ؟ هاكها باسم الله . قد اخبرني احد افاضل الجديدة انهم عينوا بعض الجنود النظامية في من هجموا على المدينة .

ولكنني لم اطلعك على غير نصف الحقيقة في ما تقدم وهو نصفها كاملاً . وهاك النصف الاخر . ان الحكومة الافرنسية او القيادة الافرنسية العامة التي كانت مسؤولة عن الامن في البلاد كانت تستطيع لو شاءت ان ترد عن البلاد واهله هذه التكببات كلها . فكان قد جاء الجنرال غورو ومعه بعض القوات العسكرية التي استمرت تزداد لتحقيق مقاصد حكومته في المدن الاربع بالرغم عن اتفاق ١٥ ايلول .

فاذا القينا بعض التبعة على الحكومة العربية وآخذنا الامير لانه لم يسع ، واذا كانت قد سعى فلم يفلح ، في استيلائه على تلك الحكومة وارشادها الى ما فيه الحكمة والسداد ، فاننا نلوم اولاً الفرنسيين الذين جاؤوا لحماية المسيحيين وما كانوا في البلاد الا بفضل المسيحيين . نلومهم لانهم وقفوا متفرجين وكان في امكانهم ان يخمدوا النار .

والذي يثبت فوق كل اثبات ما اقول هو ان تلك الفظائع تكررت بعد خمسة اشهر ، في ١٥ حزيران ، في عين ابل والقيامة والجديدة نفسها . ولم تكن الحكومة مستعدة لمقاومتها . طلب اهل الجديدة اسعافاً منها فلم تقدم بشيء . جاء احد خوارنة عين ابل الى المسيو شاربنثيه ، المستشار الافرنسي في لواء الجنوب ، يشكو العصابات ، وقد كان في صيدا قوة كافية لمطاردتهم والتنكيل بهم ، فكان الجواب منه ان دافعوا عن انفسكم . وجاء احد اهالي مرجعيون في حادثة الجديدة الثانية الى قومندان الموقع يطلب منه بعض الذخيرة ، وكان قد نفذ ما عنده وهو يدافع عن نفسه واهله ، فلما وصل الرجل الى دار الحكومة وجد القومندان في فناء الدار يلعب ارنبا . فطلب منه ذخيرة فابى . فقال الرجل : لا تدافعوا عنا ولا تعطونا سلاحاً و ذخيرة لندافع عن انفسنا ! فلم يكثرث . ظل يلعب ارنبه . ثم نظر اليه بعين الاحتقار قائلاً : مات من الفرنسيين الوفاً في الخنادق وانتم

تشكون اذا مات منكم عشرة رجال .

وجاء - بعد خراب البصرة - الكولونل نياجر لينكل بالعصابات ففرض على اهل جبل عامل مئة وخمسين الف ليرة ذهباً ، وفوض الى حاكم صيدا العسكري ورجاله ، وفيهم ثلاثة من السوريين ، بجمعها . فجمعوا ضعف المئة وانخسبن الف ليرة بطرائق لا حاجة الان لذكرها - وقال العارفون المدققون ان الجباة الماهرين جمعوا اربعمئة وخمسة وثمانين الف ليرة - فدفعوا تعويضاً لاهل الجديدة خمسين الف ليرة منها ٠٠٠ واطلقت الحكومة على شارع من شوارع بيروت اسم الكولونل نياجر ! Le Colonel Nieger

الفصل التاسع

ملك سورية

فصل بين الاحزاب — ساعة الشدة وساعة الرخاء — مؤتمر يتوج وهو مؤتمر يحتاج —
الحكومة الجديدة تباشر عملها بطلنتين — الفكرة اللبنانية في الانضمام الى سورية —
جزع الحزب الاكبريكي — اتهم الوطنيين بخيانة وطنهم — قرار مجلس
ادارة جبل لبنان — قصة العشرة الالف ليرة — الحكومة تلقي القبض على
اعضاء المجلس — البلاغ النهائي من الجنرال غورو الى الملك فيصل — « ابتداء »
الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية « — ذنوب الحكومة العربية —
قرار المؤتمر السوري .

كان الشهر الاول من سنة ١٩٢٠ وبلا على المسيحيين وعاراً على الفرنسيين .
وكان الشهر الثاني من هذه السنة بداية الويل على العرب . هاجت حول الامير
فيصل الاحزاب ، وهدرت في الاسواق وفي المساجد شقشقة الخطباء ، وبدت
في المؤتمر السوري قرون النعرات الدينية ، فاشتد تحمس بعض الاعضاء وتغيظ
الآخرين ، وسمو الامير بكافح نارة ، ويستسلم طوراً ، يردد كلمة الملك
الافرنسي^(١) ساعة الشدة ، ويعود اذا ما صفا الجوهنيمة الى بطانته وزعمائه . حتى
استقر دور الاضطراب الاول ، او علقته تخفته افراح اليوم الثامن من شهر اذار ،
يوم انتخب المؤتمر السوري العام بصوت حي فيصلاً بن الحسين ملكاً دستورياً على
بلاد السورية .

حملت الانباء البرقية خبر التتويج الى العواصم الاوروبية والاميركية فجاء
من احداها ، من باريس ، من مؤتمر فرساي ، نبأ الغضب والغرور . مؤتمر
يتوج ومؤتمر يعترض ويحتج . بل يصدر الاوامر وهو يتوهم ان احكامه نافذة
في كل مكان . لماذا قبلت التاج يا فيصل ؟ احضر حالاً الى هذا المجلس الاعلى
وافصح عن شذوذك وشذوذ الامة السورية . انها من مضحكات السياسة

(١) الملك لويس الرابع عشر الذي قال : الملك انما انا الملك .

الاوروبية . هوذا امير عربي ، في بلاد عربية ، وقد انتخبه مؤتمر عربي ، فما دخل اوروبية او بالحري فرنسة وانكلترة بذلك ؟ ألا يجوز لامة شرقية ، عربية ، سورية ان تقيم ملكاً عليها دون ان تستأذن اثنين او ثلاثة من وزراء اوروبية ؟ وهم يتهمون العرب بانهم يهتمون بامور غيرهم اكثر من اهتمامهم بانفسهم . ولكن الملك فيصل لم يهتم بغير امره وامر بلاده فلم يلبث دعوة مؤتمر الصلح المبجل . باشر جلالة الملك والمؤتمر السوري تأسيس حكومة جديدة ، وقايف الوزارة ، وتنظيم الجيش . وكان من اعمال هذه الحكومة السورية عمل لم يسر انكلترة واخر زاد بتغيظ الفرنسيين . الاول هو اعلانها استقلال العراق عندما اعلن استقلال سورية ، والثاني هو منعها الفرنسيين من استخدام سكة الحديد الى حلب ، ورفضها التعامل بورق البنك السوري الذي اجازته حكومتهم في المنطقة الغربية .

اما الفكرة البنائية في الانضمام الى سورية ، فقد كانت الاحوال في المنطقة الغربية تزيدها قوة وانتشاراً . ثمر بعض عقلاء اللبنانيين وولوا وجوههم شطر الشام . فاعتري الجزع الحزب الاكبريكي الافرنسي فراح كباره يسألون البطريرك الماروني ان يسافر ثانية الى باريس ليطالب الموسيو كليمنصو بما وعده به جبل لبنان . واستمرت حكومة الجنرال غورو تقاوم كل من قال بالوحدة السورية ، فوصلت في منهجها الى ما كان من امرها واعضاء مجلس ادارة جبل لبنان . جاء في البلاغ النهائي من الجنرال غورو الى الملك فيصل ما يلي :

« واطر ما لجأت اليه حكومة دمشق من المآتي هو انها اشترت بمبلغ قدره اثنتان واربعون الف ليرة القسم الاكبر من اعضاء مجلس ادارة لبنان فاوقفتم مخافنا بتاريخ ١٠ تموز وهم على اهبة السفر الى دمشق ليبيعوا اوطانهم بيع السلع عابثين بالاماني التي اعرب عنها اهل وطنهم منذ زمن طويل بانفاق يقرب من الاجماع » .

لست ممن استحسنا الطريقة التي سلكها الاعضاء الى غايتهم الحميدة ، وكنت

ولا ازال اظن ان ممثل الامة الشرعي لا يخرج من بلاده كالنجس مسراً ، ولا يجبن فيسموه رأبه اذا كان يعتقد الصحة فيه . ولكن هذه التهمة من اجنبي تنزع من الوطني ، مهما كانت عقيدته السياسية ، سلاح النقد والتثريب . مثل لنفسك انكليزيا في باريس يتهم اعضاء الندوة الافرنسية بالخيانة أيفار الاجنبي على لبنان اكثر من غيرة ابنائه عليه ؟ عد الى القرار الذي اصدره مجلس الادارة تر الحقيقة التي بسمونها خيانة ، وتر العجب في من يطالع القرار كله ثم يقول ان اصحابه مسافرون الى دمشق « لبيعوا اوطانهم بيع السلع . »

ان اصدق وابلع جواب انما هو في ما اقله لك من ذلك القرار :

« قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلاً لوفاق يضمن حقوق البلادين المتجاورين لبنان وسورية ومصالحها ودوام حسن الصلاة بينها في المستقبل ، وبعد البحث في هذا الشأن وجد انه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية :

١ - استقلال لبنان التام المطلق ٢٠ - حياده السيامي بحيث لا يحارب ولا يحارب ويكون بمعزل عن كل تدخل حربي ٣٠ - اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سورية ٤٠ - المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرر بواسطة لجنة من الطرفين وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسورية ٥٠ - يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود وضمانه احكامها . »

اما سفر اعضاء المجلس « فلأجل التمكن من العمل على ذلك بحرية وبمعزل عن ضغط خارجي ، ولأجل السعي الناجح في المراجع الايجابية لتقرير احكام البنود الاربعة المتقدم بيانها » . ولم يكن قسدم السفر الى الشام بل الى اوروبة واميركة عن طريق حيفا . هو ظاهر قسدم وحقيقته ، لا ريب عندي بذلك . ولكنني ارى في الطريقة التي سلكوها وفي بعض المقاصد التي اخفوها او موهوا بها ما يؤخذون عليه .

الاستفار لتقتضي التفقات ولم يكن في الخزينة اللبنانية ما يقوم بها . فجاء الامير

امين ارسلان ، صديق العرب والبنانيين الاحرار ، ليسعى في ذا السبيل . قال سليمان كنعان ، احد اعضاء المجلس ، للامير امين : لا نستطيع ان نجتمع مالا كافياً للسفر . فقال الامير : انا انكفل بذلك . وبعد قليل جاءهم بخمسة الاف ليرة ووعدهم بخمسة الاف اخرى عندما يجتازون حدود لبنان . وها نحن في دور التمويه الذي افسد على الاعضاء عملهم . المال الذي جاء به الامير امين بموازرة نوري باشا السعيد هو من الملك فيصل لا من عارف النعماني . ولكن السند الذي كتبه سليمان كنعان بالقيمة كلها هو لامر النعماني وبكفالة الامير امين . فخبذا لو كان السند صادقاً فيكون المال من احد تجار الامة الذي يشارك الاعضاء في عقيدتهم السياسية وبود نجاح مسعاهم . ولكن المال من الملك فيصل وهذه حجة الفرنسيين في الرشوة .

قال سليمان كنعان للامير امين : بشرط الا نمر بالشام ولا تقابل الملك فيصلاً . وكأني بالامير اللطيف الحاذق بقول : نأخذون ماله ولا « تميلون » للسلام . فاتفقوا ان يسافروا الى حيفا ويرسلوا من قبلهم اثنين او ثلاثة الى الشام للسلام - والمفاوضة . ولكن التقادير حالت دون الاثنين فقد اوقفتهم السلطة الافرنسية قبل ان يجتازوا الحدود ، وعادت بهم مخفورين الى بيروت حيث حوكموا امام مجلس افرنسي برأسه ضابط اسمه ده فوكروسون ^(١) فجرمتهم المحكمة فنفقتهم الحكومة الى جزيرة ارواد ثم الى جزيرة كورسيكه .

بعد ان التي القبض على اعضاء مجلس الادارة باربعة ايام اي في ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ ارسل الجنرال غورو بلاغه النهائي الى الملك فيصل ، ومطلعه هذه الكلمات :

« بينما كانت السكينة سائدة في سورية اثناء الاحتلال الانكليزي ابتداء الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذاً بازدياد منذ ذلك الوقت » ^(٢) .

(١) M. de Veauresson

(٢) اعتمدت على الترجمة التي في كتاب «مركز لبنان السياسي» ليوسف اصاف بك .

هي الحقيقة بعينها . ابتداءً الفساد يوم حلت جيوش الفرنسيين محل الجيوش الانكليزية . فقد كانت الجيوش الافرنسية اما عاجزة واما مهملّة . اما العجز فالجزم الذي ابدته هذه الجيوش بعد البلاغ النهائي ينفيه كل النفي . واما الاهمال فقد يكون ناتجاً عن قصد سياسي هو رغبتهم في الاستيلاء على المدن الاربع التي تعهدت فرنسا لانكثرة في اتفاق ١٥ ايلول من السنة الماضية الا تحتلها .

اما بلاغ الجنرال غورو فتقسم الاحتجاجات فيه الى خمسة اقسام . اولاً - « الاعمال الموجهة الى حكومة الاحتلال الافرنسية » وفيه ذكر الحوادث المفجعة التي كانت العصابات سببها وان حكومة دمشق قد قابلت القائمين بتنظيمها بالحفاوة والاكرام » ونخص بالذكر منهم صبحي بك بركات الذي اصبح عداوته لنا اشهر من نار على علم .^(١) ثانياً - « سياسة حكومة دمشق العدائية » وهي تنحصر على ما يظهر من البلاغ بتعيين رجال في الحكومة « معروفين بعدائهم لفرنسة » . ثالثاً - « التدابير الادارية ضد فرنسة » واهمها ما يتعلق برفض التداول بعملة البنك السوري . رابعاً - « الاعمال العدائية الموجهة لفرنسة رأساً » وفيه ذكر بعض الذين اهيّنوا في المنطقة الشرقية لانهم اصدقاء فرنسة ، والذين احترموا لانهم اعداؤها ومنهم الدنادشة ، وكامل بك الاسعد ، ثم اعضاء مجلس ادارة لبنان . خامساً - « التعديت على الحقوق الدولية » وفيه احتجاج على التجنيد الاجباري وعلى ملكية الامير « المغتصب غير الناتجة عن ارادة الشعب الحرة » وعلى المؤتمر السوري الذي تألف وشكل بصورة غير مشرونة .

« ان هذه الاسباب تثبت جلياً انه اصبح من المستحيل الاعتماد على حكومة جاهرت بصراحة تامة بعدائها لفرنسة وعليه فان فرنسة ترى نفسها مضطرة ان تحتاط بالوسائل اللازمة لتأمين راحة جيوشها وراحة اهالي البلاد » ولذلك هي تطلب الضمانات التي يلي ذكرها : اولاً - حق

(١) وقد عينوه بعدئذ رئيساً للاتحاد السوري .

التصرف بسكة الحديد بين رباق وحلب . ثانياً - الغاء الخدمة العسكرية
الاجبارية . ثالثاً - قبول الانتداب الفرنسي . رابعاً - التداول بالعمله
السورية . خامساً - معاقبة المجرمين الذين تثبت عليهم اكثر من غيرهم
مناجزة العداء للجنود الافرنسية .

وقد طلب الجنرال قبول هذه الشروط « بوجه اجمالي دون استثناء البتة في
مهلة اربعة ايام تتبدى في الساعة الاولى ليلاً من ١٥ تموز وتنتهي في الساعة
الثانية عشر ليلاً في ١٨ منه . »

وصل البلاغ الى الشام في مساء اليوم التالي فاستدعى الملك للمشاورة عدداً
من وجهاء المدينة من جميع الطوائف ، ففوضوا الامر اليه ليعمل بما فيه خير
البلاد . ولكن المؤتمر السوري اصدر في جلسة قانونية القرار التالي :

« ان المؤتمر السوري الممثل للامة السورية في مناطقها الثلاث يعتبر
قراره التاريخي بمواده الثلاث التي هي : اولاً - الاستقلال التام والوحدة
ورفض الهجرة الصهيونية . ثانياً - ملكية جلالة الملك فيصل على الاساس
النيابي الدستوري . ثالثاً - بقاء المؤتمر منعقداً يراقب اعمال الحكومة
المسؤولة امامه الى ان يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي ،
قراراً واحداً لا يقبل التجزئة . وان تقض جزء منه يعتبره المؤتمر نقضاً
للقرار بخذافيره . وان المؤتمر السوري لا يعترف باسم الامة السورية
باية معاهدة واتفاقية او بروتوكول يتعلق بمصير البلاد ما لم يصادق المؤتمر
نفسه عليها . »

في هذا القرار وطنية شماء لا يزدريها من كان له وطن في العالم .

الفصل العاشر

مئة ميلون

الحلاف بين الملك ووزير الحرية - الحكمة والاعتدال - التمس والضحية -
 الثلثة بين الحكومة والامة - اعلان الحرب - قبول الشروط - وصول الجواب
 مؤخراً - السبب في التأخير - دعوى حكومة الانتداب - الحقيقة - الجيش
 الافرنسي يزحف على دمشق - الطريق التي اتخذتها - قطع خط الرجعة -
 تسريح الجيش العربي - احتلال مجدل عنجر - دفاع البقية من اللواء الاول -
 الهدنة - الثورة في دمشق - معركة بين الجنود والاهلين - الملك يدعو الناس
 للجهاد - يوسف العظمة في ساحة القتال - وقعة ميلون - الاستشهاد -
 دخول الجيوش الافرنسية دمشق

كان يوسف العظمة ، وهو صنو انور ومصطفى كمال في المدارس الحربية
 الالمانية ، شديد البأس شجاعاً باسلاً ، صريح الحكمة ، صادق اللهجة ، ذا
 وطنية اجيجهما من نار الشهداء . ولكنه في حماسه واندفاعه ، وهو وزير الحربية
 في الحكومة السورية ، اساء الى معقوله ونسي حقيقة الحال التي توجب الحكمة
 والاعتدال .

اما الملك فيصل فهو في سياسته ، وخصوصاً في المواقف الحرجة ، ينسى ان
 الحماسة روح الحقيقة ، وان الضحية نورها . فلورأى الواحد منهما ما في الاخر
 ونازل الى قبول شيء منه في الساعة الخطيرة ، ساعة الجزم واليقين ، لما كانت تلك
 الثلثة التي انقضت منها روح الفوضى فساعدت الصائل على الامة وذبحت فيها
 الحرية والامل .

كانت الثلثة ، مهما قيل في حسن الصلات بين جلالة الملك والمؤتمر
 السوري ، وكانت الفوضى ، وكان الاستيلاء الاجنبي . ثبت المؤتمر في قراره
 الاخير فاعلن الحرب ، على اثر وصول البلاغ النهائي ، دفاعاً عن الوطن . وصدر
 الامر من نظارة الحربية بارسال الفرقة الاولى الى مجدل عنجر في منطقة ميلون

لتكون هناك مستعدة للحرب .

ولكن اعيان الامة ورؤساءها الروحانيين كانوا يميلون مثل الملك الى قبول الشروط ، فوكلوا الامر اليه ، فارسل جلالته في ١٦ تموز برقية الى الجنرال غورو بقبول الشروط كلها ، واصدر امراً في تسريح الجيش وآخر الى الجنود في منطقة ميسلون لترجع الى الشام ، الا اللواء الرابع فيبقى محافظاً على الحدود . على ان البرقية لم تصل الى الجنرال الا بعد انتهاء المدة الميعينة في البلاغ ، لان العصاة ، كما ادعت الحكومة ، كانوا قد قطعوا الاسلاك البرقية في جهات الزبداني .

هب انها الحقيقة ، فان القيادة العامة كانت عالمة بما كان يجري في تلك الايام في دمشق . وقد طارت طيارة في ١٨ تموز فوق المدينة فألقت منشوراً من الجنرال غورو مطلعته ما يلي : « في هذه الساعة التي نقذفكم فيها حكومتكم الى القتال وتستهدف بلادكم لاخطار الحرب وويلاتها اوجه اليكم الخطاب لاقول لكم السبب الذي من اجله نقتلون . »

فاذا كان عالماً بما اقره المؤتمر السوري افلا يكون عالماً كذلك بما اقره جلالته الملك بالاتفاق مع وزرائه وفريق من اعيان المدينة ؟ أو ما كان جدير به ان يسأل في الاقل ضابط الارتباط الافرنسي في دمشق ليبحث عن السبب في تأخير الجواب ، وهو القائل في منشوره : « على اني ما زلت آملاً بان السوريين الاذكياء المنتورين سوف لا يرضون بان يلقوا بانفسهم الى التهلكة دفاعاً عن الاقلية الاثيمة . »

اذن هو عالم ان الاقلية ترفض شروطه والاكثرية تقبل بها ، وقد ارسلت الجواب الذي فيه فصل الخطاب . فلماذا فضل الجنرال العمل بظنه على العمل بيقينه ؟ فبعد ان ارسل البلاغ النهائي زحف جيشه وهو زهاء ستة الاف من الجنود السنغالية والمراكشية والجزائرية^(١) على الشام متخذاً غير الطريق المعروفة ،

(١) كان هذا الجيش مؤلفاً من بقية الاي اليبادة ٤١٥ والاي الرماة الجزائريين الثاني والفرقة السنغالية والاي الرماة الافريقيين وطابور من الصابحية المراكشيين والمدفعية السهلية والجبليّة تدعمها الطيارات والدبابات .

طريق وادي الحرير ، فقطع سهل البقاع من جب جنين الى وادي القلوح ، فر
بقربة بكاء ، ثم بدير العشار ، فاستصحب احد الرجال هناك دليلاً ، ودار من
دير العشار الى الديماس فقطع خط الرجعة على العرب المعسكرين في منطقة
ميسلون ، ووقف هناك ليأمن مؤخره قبل ان يستأنف الزحف على دمشق .

وقد دل المسلك في زحف الجيش على استعداد القتال ورغبته فيه ، فشا
عند وصوله الى الديماس ان يخرج الجنود العربية من مراكزها المحصنة ليضربها في
الفلاة ويحتل تلك الاماكن . لذلك بادر الى احتلال مجدل عنجر عندما انسحبت
الجنود العربية منها ، واخذت تتراجع بدون نظام الى دمشق بيد ان اللواء الرابع
ظل محافظاً هناك بموجب الامر الذي اصدره الملك ، فتصدى للدفاع عندما
تقدمت الجنود الافرنسية ، فأسقط في يده وأمر برمته .

اما ناظر الحربية يوسف العظمة فكان قد اصدر امراً الى الجنود المسرحة
بناقض امر جلالة الملك ، فوقف قائد اللواء الاول حسن الجندي ، عملاً بذلك
الامر ، عدداً من جنوده يترأخ بين الثلاثمئة والاربعمئة وعاد بهم الى ساحة
القتال . فئة صغيرة وقفت وقوف الابطال في وجه الفئة الكبيرة تخشيت القيادة
الافرنسية ان تكون القوات العربية التي انسحبت من مجدل عنجر متحصنة في
جبهات خان ميسلون ، وان تكون هذه الشريحة طليعة جيش كبير من العرب .
فرغبت الى الملك فيصل بهدنة مدتها ثمانية واربعون ساعة تنتهي في الساعة الاخيرة
من ٢٣ تموز . فكانت الهدنة وجاء اثناؤها مندوب الحكومة العربية مصحوباً
بالمعهد الافرنسي بالشام للمفاوضة مع الحكومة الافرنسية بعاليه .

اعود بالقارى الى المسرح في دمشق حيث الثلثة بين الحكومة والامة
كانت تزداد خطراً واتساعاً . فلما انتشر خبر الامر بتسريح الجيش نهض جمهور
من الدمشقيين يحتجون ، بل نهضوا للثورة في سبيل الاستقلال ، وبادروا الى
الثكنة والقلعة يطلبون الذخيرة والسلاح . فاصدرت الحكومة امراً بتشتيتهم .
وكان قد وصل الى دمشق بعض الجنود المسرحين العائدين من ميسلون ،
فازدادت نار الثورة تأججاً ، وكانت الفوضى تنفخ فيها على الدوام ، فقام بعض

الرعاع يصبحون مع الثائرين و يسلبون وينهبون . جاءت كتيبة من الجند لتنفيذ الامر بنشيت هذه الجموع الهائجة فنشب بين الفريقين القتال ووقع مئات من القتلى تحت نيران المدافع الرشاشة .

وكان يوسف العظمة لا يزال مصراً على رأيه وعزمه . اما الملك فيصل فبعد التردد والتحير ، نهض يوم الجمعة يشد حقويه ويستل السيف باسم الله . وقف يومئذ في الجامع الاموي خطيباً وطفق يدعو الناس للجهاد ، ويعدم بانه سيكون في طليعة الجيش .

ولكن وزير الحربية الباسل سبقه الى الجهاد والاستشهاد فخرج باربعمئة جندي ومئين من الهجانة ، يصحبهم ويتبعهم جيش من الاهالي والعربان يتراوح عدده بين الاربعة والخمسة الاف . جاء يتجد تلك البقية المستبلة من اللواء الاول . ولكنه وهو وزير الحربية كان يعلم ان ان الذخيرة والمعدات لديه لا تكفي لمعركة واحدة خطيرة ، ففضل الشهادة على الحكمة والموت في سبيل الوطن على الحياة في ذله .

اتخذ العظمة عقبه الطين جبهة للدفاع ونشبت في ٢٥ تموز نار الحرب بين الجيشين في واقعة دامية استمرت ست ساعات ، واستخدمت فيها الجنود الافرنسية الطيارات والدبابات . هي واقعة ميلون المعروفة التي اضعفت القوات العربية وبدأت في صفوفهم دلائل التفكك والنقهر .

وظل يوسف العظمة في مقدمة رجاله يحثهم على القتال ، فاصيب برصاصة في فخذه ، واخرى في كتفه ، وظل يحرض ويقاوم حتى اصابته الثالثة في رأسه فهوى الى الارض صريعاً . رحم الله كل من مات بطلاً في سبيل الحرية والاستقلال .

في اليوم التالي دخلت الجنود الافرنسية دمشق وكان قد غادرها الملك فيصل ومعه بعض من لا يزالون من حاشيته في بغداد .

الفصل الحادي عشر

الثورة في العراق

شهر الحرية شهر شوّم على طلاب الحرية — ثورة ولا زعامة ظاهرة — خسارة
العراقيين والانكليز — فساد الاخلاق في اوروبة — روح التمرد في الشرق —
حكومة هندية في العراق — ضعف السيادة المعنوية — تأجج الفتنة — العشار
والفاتيل — السر أمير هالداين — المعامل الانكليزية — سوري مقتدر حكيم —
السر آرغلند ولسون — في سياسته سوط ونكته — السر برسي كوكس — في
سياسته كثير من الزيت — بلاغ المسدوب السامي — حكومة وطنية — السيد
عبد الرحمن النقيب الجبلاني — اعضاء المجلس الوطني — اعمال المجلس — السيد
طالب النقيب — العراق يطلب ملكاً — السيد طالب يلبي الطلب .

ان الشهر الذي استقرت فيه السيادة الافرنسية في سورية لشهر شوّم على
السيادة الانكليزية في العراق . فقد اختار الافرنسيس تموز ، شهر الحرية ،
ليقاوموا شعباً مجاهداً في طلب حريته ففازوا . وقد حاول العراقيون في هذا الشهر
ان يخرجوا الانكليز من العراق فلم يفلحوا . وكانت الثورة قد اشتعلت وتأججت
في أنحاء العراق كلها ، من النجف الى بعقوبة ، ومن المنتفق الى الموصل وبلاد
الاكرد .

جاءت الكلمة من العلماء ، وفي مقدمتهم كبير المجتهدين في النجف ، فقامت
العشار ترددها وتعمل بها ، فارسلت روح التمرد في البلاد مسموماً ، فالتهمت
الاخضر واليابس في المضارب وفي المدن ، وعمد الوكلاء السياسيون لبريطانية
العظمى الى البرق والتلفون يطلبون النجيدات من البصرة ومن العاصمة . انه
لأعجب ما حدث في العراق بعد الاحتلال الانكليزي . هوذا بلد لا صحافة
فيه تذكر ، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا زعامة ظاهرة ولا قيادة ،
نعمه الثورة قتربط اطرافه بعضها ببعض في اقل من شهر ، ثم تستمر اشهرآ وهي
تزداد قوة وحولاً . حتى ان العاصمة بغداد كادت تسقط في حوزة النافرين .

قد انفتحت الحكومة البريطانية ملاحين من الليرات وفادت بالوف من الجنود لاختادها ، وكانت خسارة العراق كذلك كثيرة فادحة . هي ثورة شبيهة بزلزال هائل ، لا بمحدث اجتماعي شاذ بديره مع ذلك العقل والحكمة ، فلم يكن فيها شيء من الخير لا لأهل العراق ولا للحكومة المحتملة .

بيد انها نهبت الانكليز الى حال في البلاد العربية بل في الشرق جديدة ، وذكرتهم بحال في اوروبه هي بنت الحرب العظمى وام الانحطاط المعنوي ، تلك الحال العامة وقد كادوا ينسونها . ان لكل عمل رجلاً ولكل رجل يوماً ، ولكل يوم سياسة . قد كان الانكليز السبب الاول في ثورة العراق في صيف ١٩٢٠ لانهم نقلوا الى البلاد حكومة هندية قديمة عقيمة ، هندية في طريقتها ، هندية في سياستها ، هندية في رجالها . والهنود يحملتهم لا يجنون العرب ولا يحترمونهم ، والعكس بالعكس . وقد كان رئيس الحكومة في هذه الفترة رجلاً من الطراز الاول من ابناء بريطانيا الاشداء الذين شادوا في الماضي معالم مجدها . غير انه وجد في زمان غير زمان اجداده ، وبين شعب غيرت نفسيته وعقليته حوادث الايام .

السر آر نلد ولسون^(١) الحاكم بالوكالة يومئذ في العراق هو كهل في العقد الرابع من العمر ، ومن الانكليز الذين كانوا يحملون السوط في القرن الماضي ويحكون بموجب ضميرهم خير انكثرة اولاً ثم خير الناس . وكانوا في نفوسهم محسنين ، وفي ظلمهم عادلين ، قوتهم في يقينهم ، ويقينهم في اخلاقهم ، واخلاقهم متأصلة في فضائل شعب مجيدة ، اظهرها الشرف والعدل والصدق والثبات . بيد ان هذه الفضائل امست اليوم من التقاليد المحترمة . وقد بعيد الزمان الى التقاليد الحياة والعمل .

قام السر آر نلد ولسون يمثل في العراق امة افقدها الحرب كما افقدت امم اوروبه جمعاً كثيراً من قواها المعنوية الروحية ، فصارت تفادي بدلها في سبيل شرفها ، او تنزل عن شيء من شرفها لتحفظ مقامها ، او تتساهل بالصدق لتظل

Sir Arnold Wilson. (١)

ثابتة القدم مسموعة الكلمة ، او لتقلب وتتلون دفاعاً عن نفسها وكيانها . رجل من حديد يمثل امة من فولاذ اعتراه الصدا ، قام في العراق يحكم باسم الله و بربطانية العظمى ، فوجد شعباً ظنه كشعوب الهند في القرن الماضي يقبل دائماً بالتأديب ويشكر دائماً المؤدب .

قلت ان الحرب افقدت الامم الاوروبية كثيراً من قواها المعنوية ، الادبية والروحية ، ولم تكسب الشعوب العربية بل الشرقية غير حب الحرية والاستقلال ونزعة في سبيلهما لا تماثلها شدة حتى النزعات الدينية . ولكن الحروب والثورات ، اذا كسرت قيود الظلم ، لا تعلم المظلومين النزاهة والحكمة والعدل ، ثم العمل المدني الذي فيه هذه الفضائل الثلاث . فقد الانكليزي من قواه المعنوية ما كانت تقدر في الاحكام بنصف نفوذه ، ولم يبق في العربي بل الشرقي من الخوف والاحترام ما كان يقوم مقام النصف الآخر . كانت بربطانية العظمى تحم ثلاثمائة مليون من الناس بثلاثين الفاً من الجنود . هي حال وآت ايامها . فقد ارسلت سبعين الفاً من جنودها الى العراق ، وسكانه لا يتجاوزون الثلاثة ملايين ، ولم تستطع ان تخمد الثورة في اقل من سبعة اشهر .

السبب بسيط . ان كلمة الحاكم العادل المستبد تستوجب في تنفيذها ، اذا كان لا يحترمها الناس ، قوة الشرطة او قوة الجيش . فكيف بها اذا كان الناس ينفرون منها ويقاومونها . زرع السر آرنلد ولسون ، اثناء قيامه مقام المندوب السامي ، بذور الفتنة ، وهو متيقن انها بذور الحكمة والخير ، وشاركه في الزرع وفي الحصاد رجل آخر من رجال الحكم الانكليزي هو السر آلدير هالداين ^(١) قائد الجيوش البريطانية يومئذ في العراق . ويظهر ان السر آلدير كان احرص على صحته وراحته من السر آرنلد . فقد اعتاد في الهند ان ينتقل مع الحكومة في كل فصل من فصول البرد والحر ، فجاء العراق في آخر الشتاء ، وما كاد يدخل الربيع الذبى هو النصف الاول من صيف هذا القطر

Lieutenant Gen. Sir Aylmer Haldane. (١)

حتى احس بحجر حمله على التجوال في جبال العجم . ثم نقل مركز القيادة العامة الى تلك الجبال بين ان البلاد كانت تتمخض بالثورة . اصف الى ذلك ما كان يحدث بينه وبين وكيله المندوب السامي والوكلاء السياسيين من الخلاف الذي زاد في خلل الادارة وفي امتداد الفتنة . حتى ان السر آرند بعث ذات يوم يشكوه الى الحكومة بلندن فجاءت برقية من الوزارة الحربية تسأل القائد العام ماذا يعمل في جبال العجم . اجل ، ماذا يعمل في الجبال ونيران الفتنة تشتعل في السهول ؟ .

• اما الغاية من هذه الثورة فقد انحصرت كما يظهر بأمرين ، اخراج الانكليز واعلان الاستقلال . على ان نهضة يدبرها او يوعز بها او يدعو لها المجتهدون لا تخلو من نزعة دينية لتخلل دعوتها السياسية . فقد كان المجتهدون في النجف وبعض الزعماء مثل يوسف السويدي وجعفر ابي التمن يعملوا مرآ في اثاره الفتنة . اما العشائر فقد كانوا مستعدين — وهم دائماً مستعدون لتلبية اي دعوة تخلصهم من دفع الضرائب الباهظة التي تفرضها الحكومة عليهم وتحاول تحصيلها بالطرق الفعالة ، القانونية وغير القانونية . فما همهم شيء ولا عرفوا بشيء من مقاصد الزعماء المحتجبين الخفية .

وقد كانت للعشائر قوة في الدفاع والقتال عجزت دونها الجنود البريطانية . ان ارض العراق كما هو معلوم مسطحة بسيطة يكاد لا يكون فيها ملجأ يلجأ اليه المقاتلون في الغارات او يمكن يكمنون فيه فبني العشائر لهذه الغاية المفاتيل . والمفتول هو برج صغير مستدير ، علوه من خمسين الى سبعين قدماً ، فيه درج غالباً لولبي يتصل بغرفة في رأسه فيها كوى كبيرة من الداخل صغيرة من الخارج يرصد منها العدو ويطلق منها النار . وهي تختلف حجماً فيمكن ان يحاصر فيها من الخمسة الى العشرين رجلاً عدة ايام . قد رأيت منها . في اليمن وفي نجد ولكنها قليلة هناك .

اما العراق فقد كان فيه الوف من المفاتيل عند دخول الانكليز . بل كان في بعض الجهات لكل بيت او في الاقل لكل حي مفتول . المفاتيل ! انما هي

الويل الاكبر على الجنود الانكليزية ، وهم في الفلوات معرضون دائماً لنارها ولا كنف يحميهم منها . فلا عجب اذا عدت حصن العراقي المتيع ، والسلاح الوحيد الذي يخشاه العدو . ولا عجب اذا كان العدو في الزحف والهجوم يسعى اولاً في هدمها ، ثم يبنى في السهول ما يقوم مقامها لجنوده وهو المعقل او ما يسمونه بالانكليزية Block House وليس هناك ما يحول دون ذلك . فالمعقل مربع بسيط له اربع نوافذ عالية وليس له باب ، وفي الداخل مواقف للجنود تمكنهم من الرصد واطلاق النار . قد بنى الانكليز الوفاً من هذه المعقل ، وفي الطريق من البصرة الى بغداد كثير منها ، ليس بين الواحد والاخر اكثر من مسافة ميل واحد .

اما هدم المقاتيل فيستلزم قوة وشجاعة واستبسال . وقد بذل الانكليز فوق ذلك كثيراً من المال . فكانوا يتقدمون الى شيخ القرية او شيخ القبيلة بشركه او بمعرفة او برش من الرصاص او المال ، فيضعطون عليه او يستغفونه او يرشونه او يقدرون به — والحرب خدعة . اجل ، قد بذل الانكليز كثيراً من المال ومن الرجال في هدم المقاتيل . ولم تكن الطائرات التي حملوا بها على العشار لتساعد كثيراً ، الا اذا كانت المقاتيل داخل القرية التي يضرّبونها ، فيهدمون ويمحرقون فيها ليهدموا تلك الحصون الصغيرة الخيفة او ليروعوا اهلبا المتحردين .

لا اظن ان في مظالم الحكم مظلمة تورث العراقيين بغض الانكليز ونشير عليهم نائرة الاحقاد مثل الطائرات ، ذاك السلاح الطائش الاعمى الذي يقتل النساء والاطفال والايبرياء مع المذنبين .

وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم في مراكزهم يدافعون عنها الى ان تجيئهم النجدة او يقتلون . وقد كان اكثر الموظفين من الجندي فلم يحسنوا الادارة خصوصاً في بلاد اجنبية ، ولم يكن بينهم وبين اهلباشي من العطف . فضلاً عن الخلل في الادارة العسكرية التي كانت قيادتها العامة معتصمة في جبال العجم . فلا عجب اذا استمرت الثورة سبعة اشهر ، والعرب فيها فائزون بالرغم عن المعقل المشيدة والمقاتيل المهذومة .

وعلى ذكر المغائيل اذكر سوريا سعى في هدم مئآت منها وكان من المفلحين .
فقد كان في خدمة الانكليز الادارية بعض السوريين من المقتدرين المخلصين ، كما
جاء في تقرير المندوب السامي الى دائرة المستعمرات . « وقد كان احد سوريينا
المقتدرين المخلصين عوناً كبيراً لنا في هذا الموقف الحرج » ولكن كاتب التقرير لم
يذكر اسم ذلك السوري . هو الجندي المجهول . فها اني عملاً بالواجب الانساني
لا الوطني اذكر اسم من يستحق ضعف هذا الثناء . هو سوري من حيفا كان
نائب متصرف البصرة يوم كنت هناك ، تقدم الحكومة العراقية الانكليزية في
ايامها الاولى العصبية خدمات جليلة في وظائف شتى ، وحاز جزاء خدمته في النجف
خصوصاً نيشان الدولة الهندية .

كان جاد غاوي معاون الوكيل السيامي في الشامية ^(١) وكانت المغائيل في
تلك الايام كما قلت اشد اعداء الجيوش البريطانية وامضى سلاح بيد العراقيين .
فتمكن جاد غاوي في الشامية من حمل العرب على هدم مغائيلهم ولم يبدل من
اسباب النجاح غير اللطف والمعروف وقوة الاقتناع . داراهم وهو في دارهم ،
فاكتسب ثقتهم وحب مشايخهم ، فهدموا من حصونهم ما يتجاوز الالفين منها ،
وكانوا بعد ذلك من اصدقاء الحكومة والانكليز . قد لا يذكر اسم جاد غاوي
في التقارير الرسمية ، ولكنني سمعته حينما سرت في العراق وما سمعته مقروناً بغير
كلمات الحب والتكريم .

امسا السر آرند ولسون ، فلا يزال في العراق من الانكليز لا من العرب ،
من يعجب به بالرغم من هذه الثورة ، ويستحسن خطته السياسية . ولا غرو ،
فهو على نزقه وتسرعه وعنقوانه حر الطبع ، صريح الكلمة ، طلق المحيا . وهو
حنطي اللون ، اسود الشعر والعين ، كأنه ايطالي او اسباني . وله شيء مما كان
لروزفلت من المغناطيس في المصافحة والحديث . قد كان الرئيس الاميركي
الشهير يضرب بيده على كتف من يجيبه عند المصافحة ، فاصبحت من عاداته

(١) هو قضاء الشامية من متصرفية الحلة وعدد سكانه نحو خمسة وستون الف نفس كلهم
شيعيون ومن العشائر .

المحبوبة . اما السر آرند فلا يضرب بيده بل بلسانه او باشارة من اشارات النفس التي تظهر في اللحظ او الابتسام او في نبرات الكلام . قد اجتمعت به في البصرة بعد ان رجع من انكثرة ليرأس شركة الغاز الانكليزية الفارسية في عبّادان . فسلم كأنه من المعارف . وعندما تبادلنا السلام تبادلنا كلمة بخصوص السر برسي كوكس . وكان قد علم السر آرند بانني انتظره لرافقه في السفر الى العقير فقال على الفور : ستنتظر طويلاً . فقلت : اذا كان لا يصل في هذا الاسبوع اسافر وحدي . فقال : حسناً تفعل . هي الطريقة الوحيدة في النجاح فخطر في بالي اذ ذاك ما قاله الشاعر العربي فترجمته له :

وانما رجل الدنيا وواحدھا من لا يعول في الدنيا على رجل

فقال السر آرند على الفور : عند العرب الشعر ولا ريب ، وليس عندهم

العمل .

هوذا الرجل الذي كانت سياسته في العراق من العوامل الاولي في ثورة سنة ١٩٢٠ . ولا اظنه اذا ذُكرت مرة يحس بشيء من الندم ، لانه كان ولا يزال يعتقد ان القوة في الحكم بالرغم عن التعنيف خير من اللين والفوضى . اما الرجل الذي جاء في تشرين الاول من هذه السنة ليظني ، ما تبقى تحت الرماد من جمرات الثورة ، ويؤسس حكومة وطنية لاهل العراق « وفقاً لرغائب جلالة الملك » فهو تقيض السر آرند على خط مسنقيم .

السر برسي كوكس^(١) رجل طويل القامة ، نحيل الجسم ، يبضي شكل الوجه ، دقيق الانف والشفة ، ابيض الاديم ، ازرق العين . هو انكليزي لا يغش فيه . ظاهره ، وهو في سكون ، ينبيء عن نفس رائقة ولكنها ليست بشفافة .

(١) دخل السر برسي كوكس في سلك الحكومة الهندية سنة ١٨٩٠ ، وعين بعد ثلاث سنين نائب قنصل زيبلا في بلاد الصومال . وانتقل في السنة التالية الى بربره ثم عين سنة ١٨٩٩ قنصلاً في مسقط ، ثم قنصلاً عاماً في امي شهر . وفي سنة ١٩٠٩ أسند اليه منصب مندوب السامي في خليج العجم . وعندما شبت نار الحرب العظمى اتدب لان يكون رئيس الحكام السياسيين لفرقة D من الحملة الهندية لفتح العراق . ثم ذهب بعد الحرب الى بلاد ايران بصفة وكيل للوزير البريطاني في طهران ، وعاد منها مندوباً سامياً لحكومة بريطانيا العظمى في العراق .

وإذا كان من اضطراب هناك فقلما يبدو للنظر . في لطفه ما يدفي . ولا يشع ، وفي صراحته شيء ، يشير غالباً الى التعمد . هو من السياسيين الذين يحتفظون بسرهم ، وان كان لا يهم ، كأنه رأس مالم في الحياة . وإذا كشف عن زاوية منه فبعد ان تكون الحوادث قد كشفت عنه الستار كله .

ان سكوت السر برمى هو غالباً افصح من نطقه . وان عمله السيامي ، وان وقف فيه احياناً عند حد الغموض او العجز ، لا يخلو من الاخلاص للعراقيين وللعرب . فاذا حصرت النظر في سياسته العربية ارى ان اكبر فضله واظهر حسنانه هو هذا الاخلاص ، ولو ظهر في بعض الاحايين في مظهر مائع او في مظهر مؤلم . فقد قضى مدة من حياته قريباً من العرب ولا يزال يحبهم ويعجب بمواهبهم الراقدة ، ويود ان تكون المنافع في العلائق الانكليزية العربية مشتركة فيها على السواء بين الامتين .

كنت اتحدث وأحد رجال السياسة المعتدلين ، غير العرب ، وكان السر برمى ونفط العراق موضوعنا فقال جليسي : ان في سياسته كثيراً من الزيت . هي استعارة غريبة علمية ، وفيها خلا الاشارة الى زيت العراق مغزى لطيف . فالآلة الميكانيكية اذا كثرت زيتها يخف صوتها وتنع في احتكاك اجزائها . ولكنها ثقف احياناً من الاحتقان في مفاصلها فيعتربها الخلل . وكثيراً ما وقفت الآلة السياسية في دار الانتداب ، وكان رئيس المهندسين ، بل رئيسهم المس بل ، تذكر في البلاغات بعض اسباب الخلل ، ولا تشير مرة الى كثرة الزيت والاحتقان .

مهما قيل في السر برمى فان وجوده في العراق ، في ما بعد من اهم ازمته العراق السياسية بعد الحرب ، كان خير ضمير لكرامة انكسرة ومصالحها ، وخير صلة بينها وبين هذا القطر الناهض من الاقطار العربية . فقد حدث في عهده من الحوادث ما ستكون باذن الله وبهمة العراقيين اول صفحة مجيدة في تاريخ العراق الجديد .

عند وصول السر برمى في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ انتهى الحكم العسكري

رسمياً . ولكن شرادزم من الثورة كانت لا تزال خارجة في اماكن مختلفة فصوب
المنذوب السامي بأكورة اعماله اليها . فسلمت كربلا ، وهي قطب الفتنة ، في ١٣
تشرين الاول ثم أنجحت الحامية في الكوفة ، فسلمت على اثر ذلك النجف ،
وأذعت عشائر الشامية والديوانية لاوامر الحكومة ، فكان عدد ما جمع من السلاح
في هذه النواحي خمس وستين الف بندقية .

اما في لواء ديالى ، حيث كانت الثورة في اشد حالها ، فقد استمر الاضطراب
وما تخلله من الحوادث المؤلمة الى اواخر سنة ١٩٢١ عندما عقدت المعاهدة بين
الحكومة ورؤساء العشائر هناك . وظل في الشمال في نواحي الموصل نفوذ الاثراك
بنخر كالسوس في عظم السيادة العربية الانكليزية .

عندما باشر المنذوب السامي اعماله السلمية اصدر بلاغاً الى العشائر خصوصاً
والى اهل العراق عموماً يعلمهم فيه بانه انتدب ليساعد في تحقيق امانى الامة
بواسطة زعمائها ، وليؤسس بمؤازرتهم حكومة وطنية . على ان ذلك يستحيل قبل
ان يستتب في البلاد الامن والنظام . ولما توفقت حكومة الانتداب الى ايجاد
شيء من ذلك اصدر بلاغاً آخر يعلم الامة بتأسيس حكومة موقفة الى ان يجتمع
المجلس النيابي العام في ١٧ حزيران من سنة ١٩٢٠ ، وان هذه الحكومة الموقفة
تتألف من مجلس وطني يحكم تحت مشاركة المنذوب السامي في كل الامور ما سوى
الامور الخارجية والعسكرية .

ان اصدار مثل هذا البلاغ لمن ابسط الامور واسهلها ، ولكن تأسيس
حكومة موقفة ، تحوز ثقة البلاد وتكون مرنة بيد المنذوب السامي ، هو من
الامور التي يكثُر فيها العقَد ولا تخلو من النفائات .

لا ريب ان بيت النقيب ، وعلى رأسه الشيخ الجليل السيد عبد الرحمن
الجيلاني ، هو مسموع الكلمة ، محترم الجانب في بغداد بل في العراق . ولكنه
في السياسة ، كما هو في الدين ، يؤثر التقاليد على البدع ، ولا يرفع على الاعتدال
حسنة من حسنات الوطنية . وقد تغلب في اعتداله المحافظة التي يعقم عندها
الرأي وتقلص عوامل التجدد . الا ان ذلك لا يهيم النفائات في العقَد اللواتي

تمثلهن المس بل .

- ان فضيلة النقيب صديقنا ، صديق انكثرة ، وهو ثابت في صداقته .
وان له نفوذاً سياسياً مقرونًا بنفوذ ديني لا يضاهيه نفوذ في البلاد . اذ ان هو
صديق الامة وصديق الانكليز - هو الزعيم . سأعود الى فضيلة النقيب ومجلسه
وسياسته في فصل آخر .

قبل متردداً رئاسة المجلس الوطني الذي كان من اعضائه الاخصائي المسالي
الشهير في العراق ساسون افندي حزقييل ، والسيامي الداھية السيد طالب النقيب ،
نقيب البصرة ، والعالم الفقيه مصطفى افندي الالوسي ، والوجيه الفاضل عبد
اللطيف باشا المنديل . كلهم من اصحاب التجلة والكرامة ، وليس فيهم ممن
حارب في الحرب العظمى وكان من الشبيبة الوطنية التي تنعكس في آمالها
واقوالها ، وفي بعض اعمالها ، جمال النهضة العربية ، وحقيقتها العالية ، الاجعفر
باشا العسكري .

اجتمع المجلس لأول مرة في ١٠ تشرين الثاني واستمر في الحكم الى يوم
نتويج الامير فيصل ملكاً على العراق . وقد كان من اعماله العفو عن بعض المنفيين
من اشتركوا في الثورة ، ومساعدة الضباط العرب الذين خدموا في الحكومة
السورية الفيصلية ليرجعوا الى العراق ، وتنظيم حكومة مدنية يديرها موظفون
وطنيون تحمل محل الحكومة العسكرية التي كان يديرها الوكلاء السياسيون
الانكليز . ثم باشر المجلس درس انشاء جيش عراقي ودرس قانون الانتخابات
التركي وتصحيحه لي مطابق احوال البلاد الجديدة .

وكان قد تولى هذا الامر ناظر الداخلية طالب باشا النقيب . غير ان
الانتخابات والمطامع الملكية فلما تلتم خصوصاً اذا كانت امر الاثنين منوطاً
برجل واحد . بدأت الامة تطالب بتنفيذ قرار ١٧ حزيران الذي اصدرته
الحكومة العسكرية واجازته الحكومة الوطنية الموقته . بدأت تطالب بانتخاب
المجلس النيابي العام .

وكان الامير فيصل قد سافر الى اوروبه ووصل الى انكثرة ، وكانت

الحكومة الانكليزية تفكر في ملكية العراق وفي نكبة الامير . اما في العراق فكان قد ولي بعض الناس وجوههم شطر الكعبة يستمدون من ظلها المبارك الوحي في تشييد ملكهم الجديد . فشاع في البلاد امر الملك حسين واولاده ، وبعث بعض اولئك العراقيين يرغبون اليه بان ينفذ احدهم ليتبوا العرش الجديد .

ازعج الخبر وزير الداخلية الذي فكر ملياً في الامر فراه متشعباً كثير الاخطار . ان للشريف اربعة انجال وفي كل واحد منهم الخير والبركة . ولكن الامة العراقية تأبى التفضيل ، وقد تسمى الاختيار ، فتنقسم على نفسها فيتزاحم ويتهالك الانجال الاشراف في سبيل مصالحها وليس في مثل هذه الحال

خير للعراق .

لذلك شرع السيد طالب بطوف في البلاد ليتم اصلاحاً خاصاً في قانون الانتخابات ، كانت المادة الاولى فيه ، تلك التي تولى بنفسه نشرها وتعميمها ، ان لا تنتخبوا شريفاً اجنبياً ملكاً عليكم . ويحكم . هوذا السيد طالب وهو مثل انجال الشريف من الاشراف . فهو يتكفل لكم بمن يملأ كرسي العرش ولا يكون التاج على رأسه كبيراً او صغيراً . بيد ان المستر تشرشل ، وزير المستعمرات الانكليزية ، وهو يومئذ « طناب سارح » مثل السيد طالب ، كان يسعى في

غير هذا السبيل .

الفصل الثاني عشر

فليحي الملك

ثلاثة يهتمون والتاج واحد - السيد طالب بخطب - المستر تشرشل يدبر -
الامير فيصل ينتظر - مؤتمر القاهرة - رجوع السر برسي كوكس الى
بغداد - السيد طالب يهدد دار الانتداب - الحواتين يدعونه للشاي - الجنود
تحمه على بساط الريح . . . - المندوب السامي يصدر بلاغاً - الامير فيصل
يزور والده بمكة - السفر الى العراق - الوصول الى البصرة - الاستفتاء
والمباينة - التتويج - فليحي ملك العراق - ملكان يتعاهدان - الامة
والصحافة تهللان .

ثلاثة في هذه الحوادث التاريخية عظمت همومهم فبلغت الحد الفاصل
بين النكبة والنعمة . ثلاثة يمالئون الشعب الذي اصبح ويده التاج والصولجان
يهيما من يشاء ، ويحطمهما اذا شاء . ثلاثة يهتمون والتاج واحد . اما المستر
تشرشل فقد كان همه الاول ان يخفف الضرائب عن الشعب البريطاني ليحفظ
السيادة له ولحزبه في الحكومة فيضمن للملك سلامة التاج وثاني الثلاثة الامير
فيصل الذي فقد تاجه في سورية وراح يطالب الحكومة التي اعتادت - وفي كل
عادة شيء من اللذة - ان تضارب خارج بلادها بالتيجان . والثالث سيد من سادات
البصرة ، فيه شيء من الاسد وشيء من الثعلب ، رأى الامة ويدها تاج تبغي
صاحبها فجاء يخبرها بان صاحبه النقيب 'سيد' البلاد الاكبر . اما اذا احببتم ان
ينوب عنه السيد طالب ، وهو تقيب ابن تقيب مثله ، فلا بأس . وراح يطوف
بلاد كما جاء في الفصل السابق ليتحقق رغبة الامة .

وجاء المستر تشرشل الى فلسطين ثم ام القاهرة ليدرس الحالة السياسية
في الشرق الادنى فيدعم بشيء من الاصلاح سياسة الاحرار في الحكومة .
هذا ظاهر الغرض من تلك السياحة ، ومن المؤتمر الذي عقد في القاهرة .
دعا المستر تشرشل رؤوس الحكومات الانكليزية في بعض الاقطار العربية

للمفاوضة فجاء من العراق المندوب السامي بصحبه بعض المستشارين والمس بل
 ووزير المالية ساسون افندي وجعفر باشا وزير الدفاع .
 وجاء الى القاهرة في ذلك الشهر ايضا اي الشهر الثاني من سنة ١٩٢١ الامير
 فيصل وحاشيته - متزهين . فصفا الجو في العراق للسيد طالب ثم اكفهر كما
 سيجي . الكلام . والسبب في ذلك ، مها قيل في التقارير الرسمية ، انما هو
 مؤتمر القاهرة . - قد اجتمعنا ايها السادة لتنظر في طريقة صالحة تمككنا من
 تخفيض القوات الانكليزية المسلحة في الشرق الادنى دون ان يلحق شي . من
 الضرر بالسيادة الانكليزية . ثم للنظر في تأسيس دائرة خصوصية للشرق الادنى
 في وزارة المستعمرات لتوحيد السياسة والعمل . وبكلمة اخرى ، بكلمة
 وجيزة صريحة ، يجب ان يخفض نفقات حكومات الانتداب لترفع عن مناكب
 الشعب البريطاني اثقال الضرائب . وانا نرى ان تنظموا في العراق جيشا من
 الوطنيين فنتمكن من سحب جنودنا من تلك البلاد قد اجتمعنا ايها
 السادة ملك العراق ؟ نعم . نعم وكان الامير فيصل وحاشيته قد
 اموا القاهرة كما قلت ترويحاً للنفس .

عاد وفد العراق الى بغداد فاصدر المندوب السامي بلاغاً في ١٢ نيسان قال
 فيه ان ما قرره مؤتمر القاهرة يجب ان يعرض على الحكومة بلندن قبل ان يعلن .
 وكان السيد طالب قد امعن في التطواف والخطابة ، وتوسع في سياسة الانتخابات
 والتاج ، فازعج فريقاً من الامة وخصوصاً فضيلة النقيب الذي كان يدرك من
 غوامض الامور ، وهو الصوفي الكامل ، ما تعجز دونه روحية طالب باشا وعقلية
 امثاله . انغمض النقيب الاكبر عينيه ونظر الى ما وراء حجاب الغيب ، فرأى
 هناك وزيراً من كبار الوزراء وخاتوناً من كبيرات الخواتين ، دع النقائات في
 العقد ، فسمع الاول يقول والثانية لترجم : لا ترغب حكومتني لعرش العراق بغير
 واحد من بيت الحسين بن علي .
 ولكن السيد طالب لا يسمع ولا يبرعوي . ففي مأدبة ادبها لبعض الصحافيين
 الانكليز ، وحضرها عدد من الوجها الوطنيين ورؤساء العشائر ، وقف بعد ان

دارت الكؤوس خطيباً ، وكان في جهره عجبياً . — ان في دار الانتداب من لانحيم لانهم بتدخلون في شؤون الامة التي لها الحق ، ولها وحدها ، ان تؤمر او تملك عليها من تشاء . وقد صرحت حكومة الانتداب بانها ستحترم ارادة الشعب العراقي . ونحن نحترمها اذا فعلت . اما اذا اخلت فها هنا عليها — ونظر اذ ذاك الى رؤساء العشائر — عشرون الف بندقية .

كلمة شديدة صريحة سافت الى جو السياسة الغيوم والضباب فقامت الخواص تبدها . دعت اللادي كوكس السيد طالباً للشاي وكانت المس بل هناك تمثل على الدوام النفائات في العقد ، فسُحر النقيب ابن النقيب ، وخرج من القصر مسجوراً ، فاستقبله عند الباب بعض الجنود ، فدفعوه الى سيارة كانت طيارة . حملوه على بساط الريح دون ان يدري بذلك احد من الانس ، ولم يقفوا به حتى امسوا خارج العراق . ثم صدر منشور المندوب السامي وفيه الاسباب التي حملته على نفي صاحب المعالي السيد طالب باشا النقيب .

وظل الامير فيصل سائحاً في جو صفا اديمه وتلاؤت من ورائه طلائع الغيب ، فوصل الى الحجاز في اوائل حزيران ، يوم التي المستر تشرشل خطاباً في مجلس النواب يختص بالعراق ، وركب المهجين من جده الى مكة ليقوم هناك بالواجب النبوي . تباركت الافئدة التي تديرها سياسة بريطانيا العظمى . فقد انس الابن غضب ابيه ثم اسنقظت في صدر صاحب الجلالة الرحمة والرضوان ، فبجاءت منه برقية نقول ان ابنه فيصلاً قد سافر الى العراق .

وبعد عشرة ايام اشترقت شمس الامير سيف خليج فارس فجاءت النقيب برقية ثانية نقول انه سيصل الى البصرة في ٢٤ حزيران . وما ضل البخار ولا غوى . وصلت الباخرة في الوقت المفروب فاستقبل من نقل استقبالا رسمياً جميلاً في البصرة بالرغم عما كانت فيها من عوامل الريب والتردد بشأن من جاء يجلس على عرش العراق . بيد ان الامير في محضره وحديثه وخطبه هو اكبر حجة لنفسه على المترددين من الناس . وقبل ان أم بغداد زار

المشهد^(١) والحضرة^(٢) فاستال اليه القلب الجعفري الخفي . ثم في ١١ تموز اجتمع مجلس الوزراء برئاسة النقيب وقرر ان يكون الامير فيصل ملك العراق بشرط ان تكون الحكومة دستورية ديمقراطية نيابية . فاضاف المندوب السامي انه بموجب تصريحات حكومة جلالة الملك بان يكون للامة العراقية حق انتخاب من تشاء ملكاً عليها ، فلا يعمل بهذا القرار قبل ان يثبت الشعب العراقي . وشرعت الحكومة في الاستفتاء او الانتخاب او المبايعه ، فكانت النتيجة واحدة . ان انتخابات هذا الزمان الديمقراطية ، خصوصاً في الشرق ، لاضحوكة من اضاحيك السياسة . على انه بالرغم من مساعي الضباط الانكليز السياسيين الذين تولوا امر الانتخاب قد اشترط كثيرون من المنتخبين بان تكون حكومة الملك حكومة مستقلة عن اية سيادة اجنبية كانت . اي انهم رفضوا الانتداب .

وكانت حفلة التتويج في ٢٣ آب سنة ١٩٢١ ، فوقف السر برمي كوكس يعلن امام الجماهير المحتشدة ان الامة العراقية اجمت بستة وتسعين من اصواتها على مبايعه الامير فيصل ، وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تعترف به ملكاً على العراق . فالتقى جلالة الملك خطاباً جاء فيه : ان اول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي .

وبعد انتهائها . الحفلة قدم المندوب السامي للملك برقية من الملك جورج الخامس فيها الكلام المألوف في التهئة ثم ما يلي : « وان المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا فنثبت التحالف الذي تحالفناه في ايام الحرب المظلمة ستمكني ولا ريب من القيام بواجباتي المقدسة لادخال العراق في عهد جديد من السلم والنجاح . » فاجابه الملك فيصل بعد كلام الشكر المألوف بما يلي : « لا اشك بان المعاهدة التي ستعقد قريباً بيننا ستمكن عرى التحالف الذي قدسه في ساحة الحرب العظمى دم الانكليز والعرب وانها ستقام على اساس متين . »

اما الشعب والزعماء والصحافيون فلم يدر كوا ، وهم في نوبة من الحماس

(١) قبر الامام علي في النجف .

(٢) قبر الحسين في كربلاء .

والابتهاج شديدة ، أهمية هاتين البرقيتين . لم يدركوا ان الملكين عقدا يومئذ عقدة استحال في السنة التالية حلها فكانت السبب في ما شوّه الاحكام الاسمية والانتدائية من الخلل والاضطراب . غمّس الصحافيون يومئذ افلام الفصاحة في محاور البيان ، واستعاروا من البلاغة اجنحة طاروا بها في سماء الاماني الوطنية والاحلام .

— وفي هذا اليوم شخصت انظار الامة الى ملكها تستعيد ذكر المنصور والرشيد والمأمون . وفي هذا اليوم تستمد الامة من ماضي مجد العباسيين نوراً تسير فيه الى اعالي مجدها الجديد . وفي هذا اليوم تؤسس حكومة عربية حرة دستورية نيابية ديمقراطية مستقلة كل الاستقلال . وفي هذا اليوم — سقط منذ سنة ملك سورية ، فليحي اليوم ملك العراق .

بعد سنة اخرى ، في عيد الجلوس الاول ، رددت الصحافة آيات البلاغة الذهبية ، وحلقت في سماء الامل العسجدية ، فبرهنت على ضعف في ذاكرتها او في سمعها . في مثل هذا اليوم منذ سنة وقف المندوب السامي يعلن للشعب باسم جلالة الملك استقلال العراق وانتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق . وفي مثل هذا اليوم ابرق الملك جورج الخامس الى الملك فيصل يهنئه والشعب العراقي ويذكره بالمعاهدة . فلم يكن لا في كلام المندوب ولا في برقية الملك كلمة عن الاستقلال التام .

امر تساهلت به الحكومة قبل التتويج وامر تساهلت به الامة يوم التتويج وبعده ، هاهنا رأس الخطل والخلل . فقد اشترط المبايعون في بيعتهم رفض الانتداب فلم يأبه لذلك دار الانتداب . هم المشترطون ونحن الحاكمون . وقد تعاهد المليك على عقد معاهدة في القريب العاجل فلم تدرك ذلك الامة ، او انها ادركت ولم تكثرث . دع الملوك ينعاهدون . اما الحكم اليوم فللشعب . هوذا الاساس الواهي في الملك الجديد . هوذا رأس الخطل والخلل .

الفصل الثالث عشر

المعاهدة

العجز في الحكومة عجزان - الضرائب - الامة حائرة - الانكليز قانطون -
اعترافهم بالخطأ - معاهدة تثبت الاستقلال وتنفي - لا صراحة ولا ثقة ولا يقين -
الاستقلال مجاناً - لا حرية ولا اتحاد - الوزارة الجديدة - المعاهدة - بعض
بنود النص الاول والنص الثاني - حكومة اميركة تحتج - البند الحادي عشر
ينفخ اكراماً لها - خلاصة المعاهدة - توقيعها - المعتجون في بيت النقيب -
سقوط الوزارة - وزارة السعدون - عبد اللطيف باشا المنديل - المعاهدة
وملحقاتها في الوزارات التالية - المعاهدة في المجلس التأسيسي - سياسة الضغط
والارهاب - امضاء المعاهدة - ولا تزال الامة تشكو وتحتج .

باشرت الحكومة الجديدة اعمالها بما اشترت اليه من العجز المعنوي . هو عجز
لان التصريح التسام في مثل تلك الاحوال ، بل التحديد الاكيد الذي
اقتضته تلك الحوادث الخطيرة ، كان مفقوداً . فلا الملك العربي قيّد وعده
للملك الانكليزي بالشرط اللازم ، ولا الامة التي بايعت الملك اصرت على
الحكومة في البداية بقبول شرط ال « لا انتداب » . ولا حكومة الانتداب
صرحت برفضها شرط الامة في المبايعة . هذا هو العجز المعنوي الذي قلّ من
سلم من نتائج الخبيثة .

وقد كان في ميزانية الحكومة عجز مالي لا يقل عن المليون ليرة انكليزية
فسدّد بقرار من مؤتمر القاهرة - أدخل في ميزانية حكومة انكلترة -
تمهيداً للعهد العراقي الجديد . بيد ان ذلك القرار اوجب على الحكومة
العراقية ان تخصص في ميزانيتها الجديدة ثلاثمئة وخمسين الف ليرة للجيش
العراقي . فكان ذلك عجزاً آخر . لانه تعسر جمع الضرائب من امة كانت
ثائرة وظلت نائمة معاندة . هما عجزان كانت الثورة السبب الاكبر فيهما ،
تلك الثورة التي اتلفت في الزرع والضرع ما اثر في الضرائب تأثيراً شديداً

وفكت من عرى الامن والنظام ما اضعف الحكومة الى حد لم يكن لها فيه سيادة تحترم . على ان الامة في حبوط الثورة فقدت الثقة بنفسها وصارت في جراتها ، في جسارتها ، اقرب الى التحويل منها الى العمل . وما يصح فيها من هذا القبيل يصح في حكومة الانتداب وفي الموظفين الانكليز عامة . الا ان طريقة هؤلاء ، وهم يظهرون من الضعف قوة ، كانت اضمن للستر والكرامة . قد يكون الفرق بين الاثنين فرقا طبيعيا لا خلقيا . وقد يكون غير ذلك . ان امرهما امر اثنين تصارعا وتغالبا وكانا في النهاية مغلوبين على السواء في ما اصابهما من الم ونهك وقنوط . بيد ان الام الواحد كانت ظاهرة ، والام الآخر خفية . ومع ذلك فقد ابت على الكاظم الخفاء . ما كملت انكليزيا في تلك الايام ، ايام العجز الادبي والمالي ، الا وكان ، بالرغم من التجلد والشدة والثبات المشهور هذا الشعب بها ، متألما من الحالة حتى اليأس . — « عندنا من المتوظفين من يظنون انفسهم اكبر من كراسيهم فلا يحسنون الجلوس فيها . وعندنا آخرون هم كالاولاد المستديرة في الاثقاب المربعة متزعزعون متقلقلون » . وقال آخر : « عساكر وضباط في وظائف ادارية ومركزهم الطبيعي انما هو في الجيش » . وآخر — بارك الله بمن عرف خطاه واعترف به — : « حكومة لندن تربط ايدنا وحكومة العراق تزدرينا . . . النية حسنة وان كانت الاغلاط كثيرة . . . نحن في حاجة الى العراق والعراق في حاجة الينا . ولا خير لنا وللعراقيين بغير المصلحة المشتركة والاكرام المتبادل » .

على انهم ، وهم ينطقون بالحق ويعترفون باغلاطهم ، يرتكبون الخطأ الاكبر في معاهدة تكفل الاستقلال للعراق وتنقض في بعض موادها ذلك الاستقلال . وقد يكون الحق في جانبهم في ما ينقض ، من الوجهة المالية في الاقل ، لا في ما يثبت الاستقلال . ولكنهم لم يصرحوا بذلك . نعطيك كذا وكذا ، فتعطونا كذا وكذا ، والاستقلال الحقيقي انما هو القيسام بالعهود . لم يكن في العراق لامن المعتدلين ولا من المتطرفين من يقول هذا القول . طلبوا الاستقلال مجانا ، وهذا لا يكون . ولكن الانكليز سكتوا فظن في سكوتهم

القبول - ثم جاءوا بالمعاهدة لتقاضاهم ثمن الاستقلال فرفض العراقيون الدفع .
وجاءوا بالمعاهدة قبل ان يجتمع المجلس التأسيسي الموعود به في قرارات سابقة
أثبتت رسمياً في حفلة التتويج .

ان المرء ليعجب من حكومة عاقلة راقية مثل حكومة انكثرة اذ تقدم على
عمل في غير بلادها لا حكمة ولا سياسة ولا عدل الا في عكسه . هم يطلبون
المعاهدة اولاً ، ثم يشترطون في القانون الاساسي ان لا يكون مخالفاً لموادها ، ثم
يأذنون بانتخاب مجلس نيابي ليجيزها . والمثل الذي يعيب هذا المسلك مثل
انكليزي . على ان العربية جرت الحصان في العراق ! فهل تستطيع ان تجره الى
حيث تنتهي وظيفته المضحكة ؟

ثبت الانكليز في غلظهم وفازوا . فهل يثبت الفوز المبني على الغلط
يا ترس ؟^(١)

اعود الى حيث انعطفت بالقارى ، لاطلع على القسم السوري من تاريخ
جلالة الملك ، فاقف به ثانية عند حادثة القصر في تاريخ الحكومة العراقية
الجديدة . اعود به الى تلك الايام التي لم يكن في العراق لا حكومة تذكر ولا
انتداب ، لا كمل قصة المعاهدة المشهورة . مر العام الاول بعد التتويج وما رأي
الناس فرقا كبيراً بين سياسة الحكومة الحاضرة وسياسة الحكومة الاحتلالية
الغابرة . فلم تضع الامة ثقمتها التامة بوزارة النقيب الثانية ولا وضعت الاحزاب
المقاومة ، وعلى رأسها الشيعة ، ثقمتها التامة بجلالة الملك .

وكان دار الانتداب بين فريق يعرج ووجهته النقيب ، وفريق آخر مثله
ووجهته القصر ، يحاول الانتفاع بالحالتين ليصل الى الغاية المنشودة . والغاية عقد
المعاهدة . الا ان هذا التمهيد في المعاهدة يا فخامة المندوب ، وفيه نص صريح
على الانتداب ، لا تقبل به الامة ولا يمكننا من العمل واياكم بما فيه خير البلادين .

(١) وهما قد مرت خمس سنوات على تلك المعاهدة ولا تزال الحكومتان البريطانية
والعراقية تتفاوضان في امرها . لا يزال فيها ما يجب اصلاحه او تحويره او التناؤء . معاهدة
ولدت قبل المجلس النيابي والدستور الاساسي أبوها - ولدت باعجوبة . فهل تجب
باعجوبة يا ترى ؟

اجل ، قد كان حتى التقيب من المحتجين .

استمرت المفاوضات بين بغداد ولندن بخصوص ذلك التمهيد وبعض بنود في المعاهدة هي من بابه . وقد كانت دار الانتداب شديد اللهجة على الوزارة الخارجية . - قد خفضنا كثيراً نفقات الحكومة يا مستر تشرشل ، اسقطنا أكثر من ثلثها ، فاصبحنا ولا قوة لدينا تنفيذ اوامر الحكومة وتجمع الضرائب . وكل تخفيض في النفقات في بلدان الشرق ، كما لا يخفى على نغامتكم ، يلازمه او يتبعه ضعف في الحكومة . ومع ذلك مشيننا واياكم بما تأمرون - والحرب سهل في الخارطة يا مستر تشرشل . انتم تبغون عقد المعاهدة ولا تراعون واقعة الحال . اليس من الممكن ان تنازلوا عن الانتداب - او عن النص عليه في الاقل ؟

سمع المستر تشرشل شكوى دار الانتداب ببغداد ، فنقحت المعاهدة ، وألغى ذلك التمهيد المشؤوم ، وأضيف الى المادة الاولى جملة احتياطية بخصوص السيادة الوطنية ، وأبدل في المادة الثالثة الشرط الايجابي بشرط سلبي ، ثم سبغ المادة الحادية عشرة اضيفت جملة احتياطية طويلة لا اكراماً للعراقيين ولا للانكليز ، بل ارضاء لحكومة ولايات اميركة المتحدة . (١)

(١) المادة ١١ في النص الثاني النهائي ، يجب ان لا يكون ميزة ما في العراق للرعايا البريطانيين او لغيرهم من رعايا الدول الأجنبية الاخرى على رعاية اية دولة هي عضو في جمعية الامم . او رعاية اية دولة مما قد وافق جلاله الملك بريطانيا بموجب معاهدة على ان يضمن لها عين الحقوق التي قد تنتم بها فيما لو كانت من ضمن اعضاء جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب والتجارة الخ .

ولهذه الجملة الاحتياطية التي اضيفت ايضاً الى المادة ١٤ التي تختص بالانار القديمة قصة لا تخلو من لذة ، هاكها بالايجاز ، من المعلوم ان اميركة لم تدخل في جمعية الامم . ومن المعلوم كذلك انها كانت قد اتفقت مع انكثرة وفرصة على استثمار زيت العراق . على ان هناك ما لا يعلمه غير بعض الاختصاصيين والسياسيين وهو ان شركة اميركة ارسات مهندسين من قبلها في شتاء سنة ١٩٢٢ الى العراق ليتجروا الحقائق العلمية والاقتصادية بخصوص الزيت فلم يتمكنهم المندوب السامي من ذلك . وكانت المعاهدة يومئذ هم الاكبر . فاقبل الخبر بحكومة واشنطون التي احتجت على عمل المندوب السامي ، وبعد المفاوضات بينها وبين حكومة لندن ادخلت الجملة الاحتياطية على البندين الحادي عشر والرابع عشر من المعاهدة . فيظهر ان اميركة لا يهمها من العراق الا ما كان مدفوناً في اراضيه من الانار ، ومن منابع الدولار .

اما المعاهدة نفسها فيمكن تلخيصها بعشرين كلمة . وهي ان حكومة انكلترة تمد الحكومة العراقية بالمال والسلاح وبالمساعدات الادارية والتقنية بشرط ان تقبل نصائحها واوامرها في كل ما يتعلق بذلك . في هذا شيء من الاستقلال ، فيه يستقل العراق عن دول الارض كلها ما سوى دولة بريطانيا العظمى . ولكي يدرك القارىء ما هو اعتمادها على هذه الدولة اتوسع بما تقدم من خلاصة المعاهدة فاقتطف ما يلي من اهم بنودها .

ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يتعهد بان يقدم ما يقتضي من المشورة والمساعدة الى دولة العراق (المادة الاولى) وان يقدم من الامداد والمساعدات الى قوات العراق المسلحة ما يتفق عليه من وقت الى آخر (المادة السابعة) وان يسعى بادخال العراق في عضوية جمعية الامم باقرب ما يمكن (المادة السادسة) ويتعهد جلالة ملك العراق في مقابلة ذلك بان لا يعين في الحكومة العراقية من الموظفين الاجانب غير الانكليز (المادة الثانية) وان يقبل المشورة التي يقدمها ملك بريطانيا بواسطة المندوب السامي في جميع الشؤون المهمة وخصوصا الشؤون المالية (المادة الرابعة) وكذلك الخطة التي يشير بها في الامور العدلية لتأمين مصالح الاجانب (المادة التاسعة) وان ينظم قانونا اساسيا لا يخالف في مواده هذه المعاهدة ليعرض على المجلس التأسيسي للتصديق .

وقد اتفق المتعاهدان بان تضمن المساواة بين رعايا بريطانيا العظمى ورعايا الدول الداخلة في جمعية الامم في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او ممارسة الصنائع والمهن الخ (المادة الحادية عشرة) وان تكون مدة المعاهدة عشرين سنة .

في اليوم العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢ م و ١٩ صفر ١٣٤١ هـ اجتمع في باب السيد عبدالرحمن نقيب اشرف بغداد ورئيس الوزارة في الحكومة العراقية جمهور من الناس ضاجين مشاغبين وهم يبعون مخاطبة الوزير ، فحمل احد الحجاب خبرهم الى سيده فاذن لهم بالدخول . كان قد وقع المعاهدة صباح ذلك اليوم فدخلوا يحتجون عليها وعليه . فسألهم قائلاً : باسم من تحتجون ؟

فاجابوا باسم البلاد . فاحترم فضيلته غيظاً وانتهرهم قائلاً : ومن انتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ عودوا الى بيوتكم واشغالكم . انا صاحب البلاد . نخرجوا احتراماً ساكتين ، وما كانوا مقتنعين ولا راضين .

ثم نشرت الجرائد صورة المعاهدة مصدرة ببلاغ من صاحب الجلالة الى الشعب العراقي يقول فيه ان قد اعترض سير المفاوضات مصاعب حمة « ولكننا تمكنا من التغلب عليها والوصول الى هذا الحل المرضي وهي خطوة واسعة في سبيل تحقيق امانينا الوطنية فقد اعترفت بريطانيا العظمى باستقلالنا السياسي واحترام سيادتنا القومية » ثم يدعو الناس لمؤازرته ولاتخاذ الخطوة الثانية وهي مباشرة انتخاب المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي للامة . فقرأ الناس البلاغ الملكي والمعاهدة وما كانوا مقتنعين ولا راضين . وقرأها اشباع الحكومة ساكتين احتراماً وآسفين .

بعد شهر من يوم التوقيع سقطت وزارة النقيب . كنت يومئذ في العقير وكان عبد اللطيف باشا المنديل ^(١) عندي في الخيمة عند ما استلم برقية من عبد المحسن بك السعدون في بغداد يخبره فيها بان جلالة الملك قد عهد اليه بتأليف وزارة جديدة ويسأله ان يكون وزير الاوقاف فيها . وفي ذلك اليوم نفسه علمت من السر برسمي كوكس السبب في سقوط الوزارة فحزنت لما علمت . اجتمعت الصداقة بالسياسة مرة في قديم الزمان فقالت الواحدة للاخري : وكان

(١) عبد اللطيف بن ابراهيم المنديل هو من عشيرة الدواسر ويمت بنسبه الى عمر بن الخطاب . ظعن احد اجداده الى جلال في نجد ومنها منذ تسعين سنة جاء والد عبد اللطيف باشا المراق فأسس محلات تجارية في البصرة وآخر بعثد في ممباي ، وآخر في بغداد . وقد سلك عبد اللطيف مسلك والده في التجارة والزراعة فزاد ثروته واملاكه . وهو حر الكلمة سديد الرأي . يخلص الود لآل سعود وخصوصاً للسلطان عبدالعزيز . ويخلص العمل لوطنه الثاني العراق . فقد انتخب في زمن الحرب عضواً في مجلس الاشراف في البصرة . ثم اسندت اليه وزارة التجارة في الحكومة العراقية الموقفة ، وبعد التوزيع تشكلت الوزارة برئاسة النقيب ايضاً واسندت اليه وزارة التجارة مرة ثانية . ثم جاء الى الحسا يزور السلطان عبد العزيز الذي شاه ان يقاوضه في بعض الشؤون . وعندما كنا في العقير جاءه من عبد المحسن بك السعدون برقية يسأله فيها ان يرأس وزارة الاوقاف فقبل عبد اللطيف باشا واستمر في هذا المنصب سنة ، ثم انتخب في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٤ عضواً عن البصرة للمجلس التأسيسي .

سلامه علي وداعاً .

وبعد سنة وثلاثة اشهر من يوم التوقيع اجتمع المجلس التأسيسي في بغداد وكانت الامة لا تزال مقاومة لتلك المعاهدة ، مناوئة لانصارها القليلين ، فرفض المجلس انفاذها . ثم انتقلت الوزارة الانكليزية الى حزب العمال ولم تتغير في سياستها الخارجية . فاصدر المستر مكدونالد بلاغاً رسمياً اعلن عزمه على احالة المعاهدة الى عصابة الامم اذا لم يُقبل بمذافيرها في ١١ حزيران . وكانت معضلة الموصل يومئذ قيد البحث بين مندوبي انكلترا وتركيا في الاستانة فاتخذتها الحكومة الانكليزية سلاحاً اخر تروّع به الامة العراقية . اتبغى الزيادة من هذه القصة المحزنة ؟

دعي المجلس التأسيسي لعقد جلسة فوق العادة ، بعد ان ارفض في ١١ حزيران دون ان يبرم المعاهدة ، فلم يحضر الجلسة غير تسعة وستين عضواً من مئة وعشرة اعضاء . فاقترحوا على المعاهدة فكان معها ستة وثلاثون وضدها اربعة وعشرون . اما التسعة الباقون فرفضوا الاشتراك في الاقتراع .

هذي هي نتيجة ذلك المسلك السيامي الذي رأينا العربية فيه تجر الحصان . بل هذي هي النتيجة لتلك الخطة السياسية التي بدأ صاحبها بالسقف قبل ان يهتم باساس البيت . فقد قبلت دولة بريطانيا العظمى معاهدة ابرمتها اقلية صغيرة في المجلس التأسيسي العراقي ، ولا شرف في قبولها لانه يخالف تلك القاعدة الاساسية للحكم الدستوري المحترم في بلادها .

الفصل الرابع عشر

اصحاب المعالي

سكرتير الوزارة يخلصني من فندق بغداد — خليلي ومضيفي — السيد عبد الرحمن النقيب — تاريخ العالم منذ سقوط حواء الى سقوط الاتراك — اهل العراق — المشائق والكرسي الكهربائي — «لنا بسياسيين» — قصة الفيلسوف واللس — الاميركي العالم بكل شيء — اغراس النخل والزراعة — اولاد النقيب الشيوخ والصبيان — وفد من الصبيان — اراؤهم الثورية — اقيم في بيت القداسة والطهر — الولي عيدروس — مولانا عبد القادر الجبلاني — مائة سيدي النقيب — المجتهدون والوطنيون — الفرق في حب الذات عند الانكليز وعند سواهم .

النادي العراقي — الطاولة الخضراء — اختصاصي في لعب الـ «بريدج» عربي لا غش فيه — السكوت المزوم — ترجمة عبد المحسن بك السعدون — وزارته واعمالها — نفي زعماء الشيعة — مطالبهم — رسالة من معالي الوزير .
الوزارة الجمفرية — جعفر باشا لا يكذب اسمه — الجيش العراقي — وزير لا يهه المنطق — درهم جدارة خير من قطار مقامات — الوزير التلعبذ — الحجة والعصفور — رايه في الانكليز .

الوزير الكتيب — شجا في حلق الانكليز — فيلوف في الاحزان — على مائدة المسبل — لجنة تدقيق المعاهدة — مطالبها — وزارة ياسين باشا وترجمته — الوزير الثابت في الوزارات العراقية — ترجمة ساسون افندي .

والوزيرة الوجيدة جرترود بل — رأي احدى النساء فيها — رأي احد المستشارين — انكليزية عرية — القاعدة والفضيب — خالة العرب وعمتهم .

قد كان من حظي في بغداد اني لم اضطر ان اقيم دائماً في فندق من فنادقها الفخمة ، فأروض الجسم في احدى غرفها منذ اليوم للقبر ، واكل تحت الارض في السرايب من الماء كمل التي لا يعرف لها تاريخ ، ولا قومية . والفضل بي في خلاصي لشاب اديب كريم ، له جذوع وفروع في تاريخ الدين والدنيا تحير علماء الانساب والآثار ، ولا ثقيه مع ذلك من النار . فهو فارسي الاصل ، انكليزي التربية ، شعبي المذهب ، درويزي العقيدة ، نبوي السليمة قديماً وحديثاً . اقول قديماً

وحدثنا ، واليك البيان : هو في الاول سيد من السادة الذين يتصل نسبهم عن طريق الحسين بفاطمة الزهراء ، وهو في الثاني غصن صغير يابس من شجرة النبوة الحديثة التي زرعها « الباب » في بلاد العجم في القرن الماضي ، ثم نقلها « البهاء » الى حيفا ، فاستثمرها « عبد البهاء » خال صدقي ونقل من ثمارها الى اوروبه واميركة . وهو مع ذلك وفوق ذلك استاذ في علم الاقتصاد السيامي .

عرفته يوم وصولي الى العاصمة . جاء به الكسباني امين يقول : هذا الحسين بن الحسين وعنده من كل فن خبر . كان من الواجب ان يسموه فنوناً ولكنهم اساءوا واختيار الجمع فسموه افنان - حسين افنان ، سكرتير مجلس الوزراء والصلة المرنة المفيدة بين الوزارة والعرش ودار الانتداب . فقلت : سبحان الله الذي جمع مساوي الثلاثة في شخص واحد . فقال الكسباني : وقد اضاف اليها مساوي اخرى . فضحك افنان فانارت الضحكة وجهه القمري - المستدير كالقمر . وعندما سمعني اشكو من الفندق نخامة فيه ، وفي ما كله واغانيه ، قال : غداً ان شاء الله نريحك منها . وكان قد استأجر بيتاً له وللكسباني فاعد لي فيه غرفة لا تهجرها الشمس في النهار ، ولا الهواء ولا الغبار . هي بغداد . وما فيها غير فصلين في السنة فصل الغبار وفصل الوحل . وصلت اليها في الفصل الاول ، ثم سافرت الى نجد وعدت اليها في الفصل الثاني كي لا يفوتني شيء من محاسنها

رفيقي ، خليلي ، ولا اخاطبك شعراً . قد تحسنان وقد تسبثان في وظيفتيكما ، قد تكونان في ما تكتبان وترجمان ، وتسعيان وتجززان ، خيراً للانتداب يوماً وشراً على الامة ، او خيراً صافياً للثنتين في بعض الاحاين . اما في صفتكما البرمكية في محلة الاشراف ، في ذلك البيت الذي كان مفتوحاً دائماً ، ليس لي فقط بل للشمس والغبار والضوضاء ، فكنا نعتصم من الحر بسردابه في النهار ، كما نذكران ، وبسطحه في الليل ، فلم يكن فيكما وانتما الرفيقان المضيفان غير الخير الصافي على الدوام .

(١) السيد عبد الرحمن النقيب

قال الحسين يوم اجتماعي به في الفندق : قد قابلت صاحب الجلالة سيد الكسباني فيجب ان نقابل صاحب الفضيلة والمعالي سيدي . فقلت : اني في الحالين طائع . وممرت واياه الى بيت جميل على شاطئ . دجلة كان في تلك الايام قطب السياسة والسياسيين كما هو قطب الانقياء والمتعبدين - والمزارعين . فان سيدي النقيب يهتم بالارض اهتمامه بالسماء .

وكان اول اجتماعي به في القاعة التي تجتمع فيها الوزارة والتي وقعت فيها بعدئذ المعاهدة . هوذا شيخ في العقد الثامن من العمر ، يحمل في قلبه افراح الثمانين وارتاحها هادي ، البال ، ويحمل في رأسه فلسفة روحية سياسية زراعية خالية من غش الاوهام والخيال ، ويحمل في مفاصله داء اقعده فالجأه الى العصا يتوكأ عليها من عقر داره الى بهو الاستقبال . وكان يومئذ يحمل فوق ذلك كله الحمل الاثقل والاشن ، حمل المعاهدة الانكليزية العراقية وسياستي العرش ودار الانتداب .

رجل عدل القامة ، وافر موضع النطاق ، براق العين ، ناصع الجبين ، قصير اللحية ، بسام الحيا . يلبس الانابيز البيضاء وهي دائماً كالثلج ، ويجلس على الديوان ، والى يمينه عصاه وبالقرب منه على قيد ذراعين الزائر الجديد ، وقبله على ديوان آخر شيوخ مثله اجلاء ولكنهم دونه سناً . هم اولاده . وكان قد اخبرني صديقي بان فضيلة النقيب ، على علمه وحصافته وروحانيته ، ينقزز من لمس ايديه الناس . فلما دخلت وقفت امامه محني الرأس مسلماً وكان قد وقف لاستقبالي ومد يده مصافحاً ، فدهش الحضور كما علمت بعدئذ . ولكنني زرته وانا في بغداد مراراً ، وشرفني مراراً ، بان دعاني لمائدته ، فأكلني وصافحني دون ان يغسل بعد ذلك يديه . كأني به وهو اكبر المقربين من سدة مولانا عبد القادر العلوية ، وحامل مفتاح حجرته القدسية ، نظر

(١) توفاه الله في شتاء هذا العام ١٩٢٧ فخلفه في الرئاسة الروحية ابنه السيد محمود .

بعين الغيب الى ما وراء الحجب ، فرأى في هذا الرحالة السوربي الاميركي
رغبة في التصوف لا تزال طفلاً ، فأحب ان يغذيه بتعطفه وبقربه وبشيء من
الكرامة في يده .

وكان اول ما حدثني به من مدهشات مجلته انه قص علي في بضع دقائق
قصة العالم منذ سقوط امنا حواء الى سقوط الاتراك في بغداد . ثم قال : وتاريخ
الانسان يا افندي مثل تاريخ الامم - مقدمات لنتيجة واحدة هي السقوط .
ونحن العرب خصوصاً العراقيين اوفر الامم حظاً من هذا القبيل . العراقيون
يا افندي انت تذكر ما قاله الحجاج ابن يوسف . فقلت : ولكننا في زمان غير
زمان الحجاج . فقال علي الفور : اما اهل العراق فلا يتغيرون . خلصناهم من
الاتراك ، ومن العجم ، ومن الاحتلال العسكري ، ونحن نسعى الان في خلاصهم
من الفوضى وهم لا يريدون ، ولا يرضون ، ودائماً ناقون . . . هل رأيت في كل
سياحتك يا افندي شعباً يحسن صنع الحبال وصنع المشانق ولا يجد من يجربها فيه
غير نفسه ؟ وهل يستخدمون المشنقة في اعدام المجرمين في اميركة ؟
قلت : عندهم الكرسي الكهربائي . فسألني ان اصفه ثم قال : 'خش طريقة .
يلزمنا عدد من تلك الكرامى في العراق . فقلت : العفو اذا خالفت سيدي
النقيب . فان امة توكل امرها الى مثله لتجد في اساليب السياسة وطرق الحكمة
حلاً مرضياً مفيداً لمشاكلها كلها .

فقال وهو يميكن النفي بيديه : لا ، لا ، لسنا سياسيين . ما عندنا من علم
السياسة الا اليسير . وهذا اليسير التقطناه في اختلاطنا برجال السياسة الحقيقيين .
مثلنا مثل اللص والفيلسوف . جاء اللص في ليلة مقمرة الى بيت الفيلسوف
بغني السرقة ، فدخله من النافذة وكان الفيلسوف جالساً في الزاوية يشكر الله
الذي اثار بيته بنور القمر . فجال اللص في البيت وهم بالخروج وهو خائب الامل .
فخاطبه الفيلسوف قائلاً : اذا كنت انا صاحب البيت لا اجد فيه شيئاً في ضوء
النهار فهل تؤمل انت الغريب ان تجد في ضوء القمر شيئاً فيه ؟
فقلت : واكنني لم ادخل البيت من النافذة يا مولاي . فضحك حتى استلقى وهو

ينظر الى انجاليه تارة وطوراً اليّ والى افنان ويقول : غلبي . غلبي .
ثم اخبرني قصة تقصح عما فيه من حب النكتة ومن البراعة في التهمك . قال :
زارنا في الاسبوع الماضي رجل اميركي مندوب احدي الجرائد هناك . وجلس
هناك - اشار الى الديوان قبالة - واخذ يتكلم - خوش كلام - وهو يسألنا
سؤالات في السياسة ، وفي الامتيازات ، وفي النفط ، ويحجب عليها بنفسه . ونحن
مثل الفيلسوف الذي قصصت عليك قصته جالسون في زاوية السكوت نشكر الله
الذي انار بيننا السيامي بنور القمر . ولكننا استأنسنا بهذا الاميركي - جاء
مثلكم في النهار ولم يدخل من النافذة . ولكن لسانه مثل سيف ذي الفشار -
خوش لسان . هل كل الاميركيين مثله حذقاً وبراعة وعلماً ؟ عند ما قام يودع
شكرناه على زيارته وعلى ما استفدنا من حديثه . وخطر لنا يومئذ ان نسأله عن
اغراس النخل التي أخذت من هذه البلاد الى اميركة ، وزرعت هناك . ولكنه
لم يفسح للسؤال مجالاً . فهل لك علم يا افندي بتلك الاغراس ؟ هل نجحت في
اميركة ؟

فاجبته قائلاً : اذا اذنتم باستعارة استعارتكم اقول ان بيتي الزراعي مثل بيت
الفيلسوف الذي وصفتم .

فضحك وقال : وانا مثلكم دخلت من الباب لا من النافذة . ثم نظر الى انجاليه
وهم جالسون امامه متكئين يتسّمون ولا يضحكون فقال : اراني مع الافندي
مغلوباً - مغلوباً اليوم . يجب ان يزورنا مرة اخرى . فقلت : هو احب ما أحب
في هذا البلد ، ثم كملت جملتي السابقة : اما البيت فلصكم كل ما فيه . اذكر اني
قرأت مرة ان نظارة الزراعة في واشنطن استجلبت من البصرة اغراساً من
النخل وغرستها في الولايات الجنوبية .

- اذن علمك وعلمنا واحد .

- في هذه المسئلة فقط :

- بيننا بيت الفيلسوف انتم تسوحن طالبين العلم ونحن نأخذ علومنا من

الكتب ومن نجتمع به مثل فضلكم .

فاعتذرت وشكرت . وكنت قد نظرت الى افنان فأعطاني الاشارة فقمتم
 اودع . فنهض فضيلته ومد يده ثانية بصالحني .
 ان للسيد عبد الرحمن الجيلاني ، سليل مولانا عبد القادر قدس الله سره ،
 طائفة من السالكين المتعبدين منتشرة في اقطار الشرق كله . وله في بيته
 جيلان من الانجال ، الجيل الاول كان جالساً معنا وهم ثلاثة يتراوح سنهم بين
 الخمسة والخمسين والستين يحضرون مجلس والدم فلا يتكلمون ، اذا كان عنده
 زائر ، الا اذا سئلوا ولا يضحكون ، مهما كانت النكتة ظريفة ، ضحكة
 عالية . اما الجيل الثاني وعدده ستة او سبعة صبيان فمن هذا الزمان حقيقة
 ومجازاً . لان بينه وبين الاول فترة مقدارها نحو اربعين سنة . والسبب في ذلك
 سرٌّ احترمناه .

زارني ذات يوم كبيرهم ، وهو لا يتجاوز السابعة عشرة ، فلم يكن مثل
 الصحافي الاميركي الذي زار فضيلة ابيه . سألتني ان اقول له ما الفرق بين
 الانتداب والاحتلال . فاجبته فقال . ولكن الانكليز يعترفون باستقلال العراق
 ولا يخرجون منه . وجاءني ثانية ومعه بضعة اولاد من اقاربه ورفاقه في المدرسة
 يهتفون السلام والتعرف ثم الاحتجاج على الانكليز . فالتحذت في مقابلتهم
 الخطة التي اتخذها النقيب في زيارتي له اي اني سبقتهم الى السؤالات فكانوا في
 اجوبتهم مدهشين .

— واذا كانت اللغة الانكليزية لغة الحكومة المحتملة أفلا نتعلمونها ؟ فاجاب
 احدهم : اذا كانوا ينوون القامة في بلادنا يجب ان يتعلموا لغتنا . وقال آخر :
 نتعلم لغتهم ويتعلمون لغتنا فيفهم اذ ذاك بعضنا بعضاً . وقال الثالث وهو صغيرهم :
 اذا كان لا خير في الاجاب فلا خير في لغتهم . فاجابه ابن النقيب قائلاً : اللغة
 شيء والسياسة شيء اخر . فاذا تعلمنا لغتهم نتعلم طرقهم السياسية ونحاربهم بها .
 فرد عليه الصغير وهو يضرب الارض برجله انا لا استعير يد رفيقي لا ضربك بها .
 انا افانك بيدي .

— ولكن السياسيين لا يضربون بايديهم .

- يضربون بارجلهم اذن ؟ لنا ارجل مثلهم . الا لا يبجلن احد علينا . فنجعل
فوق جهل الجاهلينا .

صفق له رفاقه ثم عادوا ، وقد وبخهم الاكبر ، الى التآدب . وكنت اخشى
ان ينتقل هذا الوفد العراقي الوطني العجيب من الكلام الى الايدي فنهضت
اكشف الساعة ، فكان الصغير اول من فهم الاشارة ، فنهضوا وسلخوا مودعين .
كنت اقيم ببغداد بين وليين كريمين عرفت الواحد منها لاول مرة في
عدن . وهو هناك ولي البلد له مقام بقبة ، وعشيرة واحبة ، وصندوق احسان
يملاه كل شهر الاثقياء ، فيوزع المال على الفقراء . هو عيّن دروس المدفون كما
قيل في عدن ، وله في بغداد مقام وعباد . اما الولي الآخر الذي كان قربي ،
بل كنت انا السعيد بقربه ، فهو اشهر من عيّدروس واعظم ، اذا لم يكن كرامة
وقداسة ، فسيادة ونفوذاً . كيف لا ومن شاطىء دجلة نشع شمسه شرقاً وغرباً
فتنير ضفتي الكنج والنيل . كيف لا وهو مولانا عبد القادر الجيلاني المدفون
رمزه المادي تحت تلك القباب اللازوردية في جامع يعد من انخر واجمل ما
في بغداد . هناك شرقاً من سريري على السطح مطلع الانوار ، فكنت كل
يوم عند ما انهض صباحاً امتع نظري وروحي بمشهد الشروق على مسرح القداسة .
فارى الشمس تكون من الغيوم البيضاء المنقطعة ، فوق قباب عبد القادر
المتعددة ، ما يشبه قطعان الغنم وهي تسرح في مروج من النرجس الذهبي العين ،
والعصر الذهبي الجبين . كأنها الزوار جاءت من العجم والهند لتسقي من الموارد
القدسية ، وتحيا في المروج القادرية . . . عبد القادر الجيلاني ، من احسانك
لا تنساني !

وما كان كرم الله وجهه لينساني وانا في بغداد . فكان يوحى الى فرع
دوحته الاكبر السيد عبد الرحمن حياً موضوعه هذا الغريب في جوار
الحبيب . وكنت انا المجدوب الى تلك الشخصية الفسائفة ، كأنها كوتت
من الوان تلك المروج وتلك القباب فوق ضريح عبد القادر . ليتأكد
القارىء اني مجد في ما اقول . قد لا استحسن سياسة النقيب ، وقد لا تهمني

الا في سبيل الادب مصادر القداسة حوله وفيه . ولكنني ممن يعجبون بمظاهر الحياة الفريدة ، ايضاً كانت ، وبشواردها المجيدة ، كيفما بانث . ولا سيما اذا تمثلت في مثل هذا البشر الكريم ، والشيخ القديم .

مارددت مرة دعوته لمجلس او لمائدة ، وكنت كلما دنوت من صميم ذاتيته ازداد اعجاباً بها . وان بين النقيب ومائدته وجه شبه لطيف . في الاثنى عشر غذاء كثير ، وفاكهة وابدوير . في الاثنى عشر فيض برمكي اصمعي ، فترتاح الى الاول العين والمعدة كما يلتذ بالثاني السمع والفؤاد .

وما عرفت اشجع منه ، على سنه ودائه ، اذا مدت الابددي الى الزاد . على انه لا يشبه الاكول في انه يهمل من يأكله . كنت اسمعه يتكلم ، واره يتصرف بالالوان الواحد تلو الاخر ، وعينه على ضيوفه ، يشجعهم ويحرضهم على الهجوم . - خوش جبارى يا افندي امين . من صيد اليوم . لا تزهد بها . . . اذا كنت لا لتكلم يا حضرة الكسباني افلا تأكل ؟ . . . افنان لا يحتاج الى من يغريه بشي .

وكان الكسباني امين على علمه وادبه وسياحاته في الارض - وسنه - - يججل كأبنة السادسة عشرة اذا وجه اليه الكلام في مائدة النقيب او مائدة الملك . فيغص باللحمة ويزداد ارتباكاً . قليل الكلام ، قليل الاكل - في المواقف الرسمية . ولكنني والحق يقال رأيتته سكوناً نجولاً حتى في حضرة السيدات . بيد انه تغلب مرة على حياه ونحن الى مائدة النقيب فاكثر من اكل الزيتون - اكل على ما اذكر ثلاث حبات ، وهو يحن الى صحراء الشويفات . فجاءنا من مولانا في اليوم التالي جرة من الزيتون واخرى من الزيت . اتبغى اوضح من ذلك دليلاً على عجيب مواهب النقيب وتعددتها ؟ ان القابلية للطعام كمثل غيرها من المحاسن البشرية . بل هي ، مثل الذكاء والكرم والتيقظ وحن الحديث ، موهبة من المواهب التي يهبها الله من يشاء من عباده . وقد خص هذا الرجل الكبير بكثير منها كلها . اني لا انساه حياقي وهو يأكل كالشباب ، ويحدث كالشيخ ، ويراقب من طرف خفي كالامراة فلا يقوته شي مما له وما عليه .

وما كنا في الحديث لندنو من السياسة الا نادراً . اذكر انه مر بالموضوع مرة فقال انه شديد الرغبة في العزلة . ولولا الحاح المندوب السامي وزملائه في بداية الامر ، قبل التوقيع وبعده ، لما كان يقبل ان يدير سياسة البلاد . ولكنه بعد ان وقع المعاهدة واحس ان الفكرة في القصر تزداد صلابة وظهوراً عليه ، وان دار الانتداب تميل تسلاً اليها ، ورأى فوق ذلك ان مقاومة المتطرفين تزداد شدة وعناداً ، نزع بحكم رد الفعل الى التسلط والاحتفاظ بمنصبه . ولما صدر امر الحكومة الاول بمباشرة الانتخابات للمجلس التأسيسي ، فصدر على اثره احد المجتهدين في النجف فتوى بان الانتخاب مخالف لقواعد الاسلام ، رأيت فضيلة التقيب مضطرباً وسمعته غضوباً :

— في البلاد وطنيون كثيرون وكلمهم رجال سياسة . ولكن ليس في رؤوسهم عيون تزيهم ما هم فيه . اين هم من البلاد ، واين البلاد منهم ؟ كانوا مس تحت اقدام الترك ، واليوم يبيعون البلاد من الترك بفلس لينتقموا ممن يظنونهم اعداءهم . نحن اخذنا الامر على عاتقنا ، ولا نسأل التوفيق من غير الله ، ولا نتوكل الا عليه سبحانه وتعالى أما اجتمعت بالوطنيين يا افندي وسمعتهم يتبححون ؟ غداً يجتمع بكبارهم في كربلاء والنجف نصف هذا الاجتهاد جهل ، ونصفه عناد .

ذكر في كلامه وتغيظه بالكلمة الانكليزية المأثورة التي قالها الفيلاوف دجونسون فترجمتها لفضيلته : ان حب الوطن ملجأ المنافقين الاخير^(١) . فسر بها جداً .

— خوش كلام . خوش حكمة . الانكليز يا افندي امين احكم الناس بالرغم عن سيااتهم كلها . هم بساقون ولا شك ولكنهم لا يسمون نفاقهم اجتهاداً ولا يخلطون الدين بالسياسة . هم يحبون انفسهم ولا شك . ولكن حب الذات يختلف عندهم عما هو عند سواهم . عند الالمان مثلاً حب الذات في بارد لا تقبله الناس . اما عند الانكليز فهو ناضج وفيه شيء من الازاير

(١) — Samuel Johnson. «Patriotism is the last refuge of the scoundrel.»

هي لبعض الناس مثل السم . عند الانكليز العلم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . اما الوطنيون في البلاد فاي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون البلاد اكثر منا وهي بلادنا قبل ان تكون بلادهم ؟ واكثرهم لا يزالون من الاجانب اعد المثل الانكليزي . — حب الوطن اخر ملجأ للمنافقين — خوش كلام ، خوش حكمة .

ولكنه بعدئذ ، او انه كان عالماً متجاهلاً ، بان السياسة ، انكليزية كانت او عراقية ، لا تعرف الثبات والوفاء . فقد استنصره واستخدمه الانكليز الى ان تمت مقاصد فيه ، الى ان تم توقيع المعاهدة ، وبعد ذلك هجروه . وقبل الهجرة ، عندما اراد السيادة والتغلب ، خذلوه .

عبد المحسن بك السعدون

في النادي العراقي روح اجتماعية وطنية صحيحة لانها مبنية على المساواة والاخاء ، ولانها فوق ذلك مختلطة اي انها عراقية انكليزية . ما رأيت الانكليز قبل اليوم ولا سمعت بهم يخالطون اجتماعياً من يحكمونهم او يساعدون في حكمهم من الشعوب . اما في العراق فالروح الجديدة يستبشر بها . قد تعرف في لعب الورق شيئاً من اسلوب خصمك في السياسة . والذي ادهشني من الموظفين والمستشارين الانكليز في العراق ان اكثرهم يحسنون التكلم باللغة العربية . كنت اجتمع بهم في النادي وارى بعضهم جالسين الى تلك الطاولة الخضراء يحاولون كسب روية من زملائهم العرب .

اجل ان في النادي طاولة خضراء يجتمع اليها الوزراء بعد الظهر ، ساعة الشاي ، ليحافظوا على الموازنة النفسية بينها وبين تلك الطاولة الاخرى في السراي . فقد كتب لي ان ارى الوزراء يلعبون ساعة بالورق ليبددوا هموم الاوراق الرسمية والمعاهدات . وليس في ذلك ما يؤخذون عليه ، بل فيه برهان على ان للفلسفة العملية مقاماً عندهم محترماً .

اما الطاولة الخضراء في النادي العراقي فهي مثل الحكومة العراقية قليلة

الموارد محدودة المخرج ، ولها ان تفاخر غيرها بالكيفية لا بالكمية . هي برجها لا تقمخر لا بالعابها واموالها . هالك على رأسها الاخصائي المالي ساسون افندي . من وكلت الامة اليه امر ماليتها ، يجي . كل يوم ، وهو اثبت في ذلك من قيم النادي ، ليفادي بشيء من ماليته . ولكنني لم اسمع انه خرج مرة خامراً ، او ان ارباحه كانت تتجاوز الخمس الروبيات . وكلهم في لعب ال « بريدج » اخصائيون . الا ان الكسباني امين كان يسدد حسابه في الفندق من حسابه في النادي . لانه في ال « بريدج » مثله في التحفظ السيامي ، سيد الاخصائيين .

فد ذكرت النادي لاني اجتمعت فيه لأول مرة بزملاء سيدي النقيب ، ساسون وصبيح ونوري وباسين والسعدون عبد المحسن موضوع حديثي الان ، واظنني فضحت نفسي في ما كنت اجعل من امر آل سعدون وما لهم من السيادة والنفوذ في العراق^(١) على ان من يقابل وزيراً لأول مرة في تلك الحال لا يلام اذا نسي التاريخ او لتاساه . ظننتها جلسة « بوكر » وظنفت الاعضاء مثل غيرهم في نوادي القمار ، فسلمنا وما تحدثنا . بل نسبت الرجل فنجلت بعدئذ مما كان . ضاع وجه السعدون بين الوجوه الغدبدة التي كانت تمر صورها امامي في تلك الايام فلا ينطبع في الذهن منها الا القليل . ثم اجتمعت به مرة ثانية في نادي الحزب العراقي الحر الذي خطبت فيه ، وكان هو جالساً الى جنبي ، فسلم علي فسلمت ، وانا اذكر صورة وجهه ولا اذكر اين بدت لي سابقاً . فسألته ، فاضحكني بلطفه وابتناساه .

اجتمعنا بعد ذلك مراراً ، وكنت كل مرة ادنو منه اراه بعين التصور قبل ان اراه بعين الجسم . فيمثل امامي لابساً العباءة والعقال ، راكباً الهجين ، قائداً الى الغزو العربي . اجل ، ان صاحب المعالي عبد المحسن بك السعدون هو الوزير الاول في وزارته الذي تبدو فيه العروبة . الحلقة ، والثاني هو عبد اللطيف

(١) هم من الاشراف وقد هاجر احد اجدادهم منذ اربعمئة سنة الى العراق فاستوطن البصرة ثم ذهب الى المنتفق فنامر احفاده على عشائرها . والسيادة في لواء المنتفق لا تزال لهم الى الان .

باشا المنديل . اما الآخرون ففي ظاهريهم مستعجبون . ناجي بك السويدي اشبه
برجل من شمالي اوروبه . صبيح بك نشأت هو في تركيبته اظهر منه في عروبه .
جعفر ونوري من الاكراد ، وساسون افندي حزقيل من العالم — من الاسرائيليين
في العالم . اما السعدون فمن العراق . من صميم العرب ، ووجهه اصدق اخباره
الصادقة .

هو رجل في العقد الرابع من العمر^(١) ربيع القامة ، اسمر اللون ، حسن
البزة ، اوروبي حتى رأسه — حتى الاستثنائية اربد . فالرأس اسود الشعر
قصيره ، ومثل كلة المدفع مستدير ، والعين فيه كالمشعل بين الليل والغسق .
والفم عدل الا انه قاسر فلما يبسم ولما يتكلم . ولكنه عند ما يتحرك يؤنس ،
اذ تسارع اليه نفس جذابة فتتمزج بكلماته القليلة ، وفيها مضاء وليس فيها جفاء .
رجل سكوت . وكل سكوت لغز لمن لا يعرف شيئاً من سابق حاله . على اني
الفت السكوت في من سافرت معهم من العرب ، فكنا نسير ساعات في النهار
جنباً الى جنب دون ان نقوه بكلمة واحدة . وكنت غالباً اعجب بما يخبره السكوت
فيهم من شمم وكرم وذكاء .

وهوذا السعدون عبد المحسن العربي السكوت ، ويحق لي ان اقول الالف

(١) ولد سنة ١٨٧٩ م في الناصرية مركز لواء المنتفق ، وكان يومئذ والده فهد باشا
حاكماً في اللواء واميراً على جسيم عشائره ومقرباً من المايين . فطلب منه السلطان عبد الحميد
ان يرسل ابنائه الى الاستانة ليتعلموا في المدرسة التي كان قد انشأها خاصة لابناء رؤساء
العشائر . فارسل فهد باشا ابنه عبد المحسن وعبد الكريم . وكان عبد المحسن يوم سافر الى
الاستانة في الثالثة عشرة من سنه فتخرج من المدرسة المذكورة ، ثم دخل واخاه المدرسة الحربية
العالية فتخرجاً منها ضابطاً في الجيش العثماني ، فاخترها السلطان عبد الحميد مرافقاً له في
المايين ، وبقياً في تلك الوظيفة الى اعلان الدستور ، وبقياً اثناء ذلك في الجندية الى رتبة
يكباشي . على انهما استقلا من الجندية بعد سقوط عبد الحميد ، فرجع عبد الكريم الى وطنه
ليهتم بملاكة التي في البصرة وفي المنتفق ، وبقى عبد المحسن مقبلاً في الاستانة . ثم انتخب
نائباً في مجلس النواب العثماني عن المنتفق وظل كذلك الى بداية الحرب العظمى ، فرجع
اذ ذلك الى وطنه العراق وتقلد بعد وصوله منصب وزارة المالية في الوزارة النقيبىة
الاولى ثم وزارة الداخلية في الوزارة الثانية التي استقلت في شهر آب سنة ١٩٢٢

السكوت العزوم . فقد برهن في وزارته التي استمرت سنة^(١) على انه فعّال لا قوال ، وعليم في ما يفعل حكيم . كانت نفسية البلاد من حيث المعاهدة ، التي رفعت منها لفظة الانتداب ولم تمس قيوده ، كما وصفت في الفصل السابق ، عند ما استلم زمام السياسة العراقية . فاقدم السعدون على عمل بعد من ام اعمال وزارته . ولسان حاله يقول : لا تضحك من الامة فنصور لها الانتداب خيالاً زائلاً ، ولكننا نخفف عليها ثقل القيود . فتم عقد الملحق بين حكومة العراق وحكومة ملك بريطانيا العظمى الذي بوجبه أنزلت مدة المعاهدة من عشرين سنة الى اربع سنوات^(٢) .

ولتلك المعاهدة ملحقات أخرى تتعلق بالجندية والمالية والقضاء وبشروط استخدام الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية . فتوقفت وزارة السعدون الى عقد الملحق الذي يتعلق بالقضاء ودرست الملحق الذي يختص بالموظفين البريطانيين ، فقدمت به لائحة فلم تقبلها حكومة الانتداب . وسعت في تحسين الصلات بين العراقيين والانكليز فكانت سعيها مبروراً وان لم يكن مشعراً . وجاهدت في سبيل الميزانية فأفلحت ، اذ اعادت اليها التوازن بالرغم عن التخفيض الذي اجازته في رسوم الاراضي الاميرية ورسوم المواشي والنخيل . ولكن هناك صخرة اصطدمت بها فحملها ذلك على الاستقالة .

يذكر القاري . ان في المعاهدة بنداً يوجب على الملك ووزارته وضع دستور اساسي للحكومة العراقية ثم انتخاب المجلس التأسيسي للنظر فيه وتنفيذه . فقد وضعت وزارة سعدون الدستور واصدرت قراراً يوجب مباشرة الانتخاب ،

(١) تألفت في كانون الاول سنة ١٩٢٢ واستتالت في تشرين الثاني سنة ١٩٢٣

(٢) هذا نص البروتوكول اي الملحق بالمعاهدة .

قد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على انه مع وجود نصوص المادة ١٨ يجب ان تنتهي المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً في جمعية الامم وعلى كل حال يجب ان لا يتأخر انتهاءها عن اربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا . وليس في هذا الاتفاق ما يمنع عقد اتفاق آخر لتنظيم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين . ويجب الدخول في المفاوضات بينهما لاجل ذلك الغرض قبل انتهاء المدة المذكورة اعلاه .

فاعترضها في ذا السبيل ما اعترض الوزارة السابقة من مقاومة علماء الجعفرية اي الشيعة . ولكنها تغلبت عليهم بعض التغلب اذ قد تم في عهدا انتخاب المنتخبين الثانويين ولم يبق سوى انتخاب الاعضاء .

هي ذي العقبة الكورود . قد سمعت ما قاله النقيب عند تفيظه في هؤلاء الاقوام ، واكثرهم من الاعجم . ان سياستهم الوطنية اصولاً ونزعات كلها او جلها ولا شك مذهبية ايرانية . وان لعلمائهم في العراق نفوذاً يفوق نفوذ اكبر المقامات الرسمية العالية ، وفيهم المجتهدون الذين « يجتهدون » دائماً ان يعرفوا مساعي الحكومة . ازعجوا السعدون كما ازعجوا سلفه النقيب . فاصدروا الفتاوي الدينية ضد الانتخاب والانتداب . وفي العراق مليون من الشيعة يسمعون فتاوي المجتهدين فيطيعونها ويعصون الحكومة .

هاك ما حمل السعدون السكوت العزوم ، بالرغم من تردد الملك والمندوب السامي ، على العمل الذي بعد من اكبر اعماله ، اذا اعتُبر فيه العزم والشجاعة ، فنفي الى الحجاز آية الله الشيخ مهدي الخالصي احد مجتهدَي الكاظمية (١) واكبر مجتهدَي العراق ، فاحدث ضجة في البلاد ظن انها ستفضي الى ثورة ثانية . على انه لم يكن من نتائجها غير احتجاج نفر من العلماء فسافروا الى ايران مغضبين .

اما جلالة الملك فقد كان يؤيد في البدء قولاً وفعلاً سياسة وزارته بالرغم عن احتجاج الشيعة في البلادين ايران والعراق . وبما ان اكثر اهل الشيعة في العراق من التبعة الايرانية ، وهم ثابتون فيها ، فقد اصدر منشوراً طلب منهم فيه ان يتجنسوا بجنسية البلاد ليحق لهم التمتع بالحقوق التي يتمتع بها العراقيون . فزادهم المنشور سخطاً وتمرداً . وقام اولئك الذين ظعنوا الى ايران بتقديمون الشعب الايراني في التظاهرات على الملك فيصل ، وعلى المندوب السامي البريطاني . ثم اعلنوا مقاطعة البضاعة الانكليزية .

(١) زميله هو السيد حسن صدر الدين . راجع الشرح في صفحة ٢٧٢ من هذا الجزء

قد احتجت كذلك حكومة طهران الى حكومة العراق فاحس بعض الخاصة في الدواوين بسلك كهربائي انكليزي في ذلك الاحتجاج . كيف لا وقد هزّ دار الانتداب في بغداد فتأثر القصر والمجلس ، فقال جلالة الملك بعد المذاكرات ما قاله نخامة المندوب . ولكن العلماء استمروا مكابرين معاندين فقالوا انهم لا يرجعون الى بلادهم الا اذا نفذت اربعة شروط ، وهي :

١ - اخلاء الانكليز للقطر العراقي ، ٢ - استقالة الوزارة الحاضرة ، ٣ - تعيين زمن الانتخاب ، ٤ - ادخال عدد محدود من الشيعة في المجلس النيابي ، قال المندوب السامي . . . فقال الملك فيصل . . . فقالت الوزارة : الوداع .

وما اجل التغيظ في الرجل الجريء العادل . قد جاءني من معالي الوزير كلمة بعد استقالته يقول فيها : « احببت ان اسعى لرفع الغشاوة الفكرية عن اخواننا الشيعة وانارة بصائرهم بالحقائق . فبينت لهم ان الموكل موهوم والموكل كل غشوم . لقد تمّت بهذا الامر في هذا المحيط وهذا الزمان وتحملت من الاعباء ما تحملت لافتح طريقاً لآخي الوزير الشيعي فيتم ما بدأت به . وحيث بدأ بتغيير عام لطرده جيوش الرياء والاهام ، وينفتح في صور الاخاء والمساواة وتم نبوة اشعيا الفيلسوف حيث السباع والغنم يرتعون سوية ، ويسود سلام في العالم وسلامة الضمير في بني الانسان » .

هوذا عربي كبير يحلم مثل النبي اشعيا الاحلام وينشد المثل الاعلى في العالم . وهو في موقف العمل كما تبين بفقده حقائق الحياة الوضعية وما بينها كلها من صلة العقل والخيال . وان السعدون صريح اذا قال ، مخاص اذا مال . سألته عن رأيه في السياسة العراقية الوطنية وما هي عقيدته تجاه الانكليز . فاجاب بما لا يقبل التفسير والتأويل « اني اعقد ان منفعة الوطن تقضي علينا في الوقت الحاضر بان نكون في سياستنا تجاه الانكليز مصادقين لهم لاننا محتاجون اليوم اشد الاحتياج في نهضتنا السياسية الحاضرة الى يد مساعدة ودماع راق نسترشد به . ولا نجد في هذا الباب خيراً من الانكليز . ولكن على شرط ان لا يحجب ذلك باستقلال البلاد او ينافعها . »

(١) جعفر باشا العسكري

زرته اول مرة في وزارة الدفاع التي كان يومئذ وزيرها . وكانت الحر شديداً ، قد دخل والعرق يتصبب من جبينه بيجر ما فرضه الله عليه من وذر السمن ، كأنه مدفع يتحرك بنفسه ، او كأنه في ساحة القتال حيث لا ترسم ولا تجمل . جعفر باشا لا يكذب اسمه ، فهو اولاً وآخرأ عسكري ، يسرع ولا يتكلف في ما يقول ويفعل . سلم سلام الاحباب ونزع « ساكوه » وجلس في الكرسي وراء منضدته وهو يروح بمروحة من القش ويتكلم . فتمثل امامي رجلاً امير كياً ، رجل عمل واهلية ، من اولئك الذين يدبرون ادارات كبيرة بالضغط على زر كهربائي . اما وزير الدفاع في الحكومة العراقية فكان بصفق كفاً على كف ليعطي اوامرهم . وهذا لا يهم عند روح العمل الجديدة التي لتمثل في جعفر وزملائه — روح العمل العصرية المجردة من خزعبلات الابهة الشرقية وسخافات الليافة كلها .

(١) هو مثل سلفه السعدون في العقد الرابع من العمر ، وقد تلقى العلوم مثله في المدرسة الحربية في الاستانة ، فخرج منها ضابطاً ثم سافر الى ألمانيا ليشتم دروسه الفنية . وقد بدا من نبوغه لانور باشا في الحرب العظمى ما جعله على ترقية الى رتبة باشا وارساله على غواصة الى بنغازي لقيادة متطوعي العرب الذين كانوا يقصدون الزحف على البلاد الداخلة في المنطقة الايطالية . فقادهم جعفر وحدث على الحدود المصرية قتال بينهم وبين الجيش البريطاني فجرح في المعركة ، فاعتنى به رجال الصليب الاحمر ، ونقل بعد ذلك الى القلعة في القاهرة . فحاول التفلت من الاسر فوقع فانكسرت رجله فلزم الفراش ستة اشهر . وكانت يومئذ الثورة العربية في بدايتها والضباط العرب ينضمون اليها ، فكاتب جعفر ان يكون منهم ، فجه سنة ١٩١٧ الى مكة ثم الحق بالجيش العربي الذي كان مرابطاً حول المدينة . ثم ارسل الى القبة فعين قائداً من قادة جيش الشجال . وبعد فتح الشام تعين مفتشاً عاماً للجيش العربي في سورية ، ثم حاكمها عسكرياً لولاية حلب ، ثم رئيساً لحجاب جلالة الملك ، وبعد واقعة ميسلون عاد الى بغداد ليسانع في تأسيس حكومة وطنية ، فتعين وزيراً للحربية في الحكومة المؤقتة اي قبل التتويج ، ثم في وزارتي النقيب الاولى والثانية . ولما دعا المستر تشرشل رؤساء حكومات انكلترا في الشرق الادنى لمؤتمر القاهرة كان جعفر باشا من رافقوا مندوب العراق السامي وشاركوا في البحث في امور العراق المالية والعسكرية وفي شتاء ١٩٢٢ — ١٩٢٣ كان مندوباً للحكومة العراقية في لندن فجه منها الى لوزان باسم العراق ولكنه لم يشترك في ذلك المؤتمر .

— والله يا استاذ عندنا رجال وعندنا وطنية . ولكن الادارة مفقودة والمال ،
 ابن المال . مثلنا ، او بالحري مثل الحكومة التي تولت في البدء امرنا ، مثل
 شاب ورث ثروة من ابيه نخسرها في القمار . بذل الانكليز في سنة واحدة من
 المال في البلاد ما يكفي جيشاً وطنياً كبيراً خمس سنين . ولا اثر ولا نتيجة لما
 بذلوه . والان ونحن في اشد حاجة الى المال هم ينفضون ايديهم ويرونا كسياً
 فارغاً . مبدئي الوطني واملبي وعملي لتوقف كلها على تنظيم الجيش العراقي . يقول
 لنا الانكليز : ساعدوا انفسكم نساعدكم . وهذا صواب ولكنهم افسدوا علينا وهم
 لا يدرون موارد المساعدة . عندما تكون البلاد في هياج سياسي يصعب على
 الحكومة فيها اية كانت ان تجبي اموال الخراج .

— وما هو عدد الجيش العراقي الذي باثرتم تنظيمه ، وما هي حالته ؟

— عدده خمسة الاف وحالته المعنوية دون ما تروم . لا تظن ان السبب
 في ذلك نقص في الوطنية . لا والله . انما هو دليل من احد الوجوه على الوطنية .
 وهذه هي الورطة التي نحن فيها الان . ندعو شبان البلاد الى التجنيد فلا يلبون
 واذا لبوا فيجيشون يعرجون ولسان حالهم يقول : اذا كان الانكليز يبعثون
 الاقامة في البلاد فليدافعوا هم عنها . ومن وظيفتي انا ان اقنعهم بان الانكليز ،
وهم في البلاد ، غير مقيمين فيها ، وانهم وهم الاغنياء بالمال والرجال ،
 لا يستطيعون الدفاع عنها مع رغبتهم فيه . هل تعرف وزيراً في حكومات العالم
 اليوم هذا موقفه في السياسة والمنطق ؟

جعفر باشا حر الكلمة صريح الاشارة والعبارة . سألته رأيه في احد
 رجال السياسة العراقيين الذي كان يومئذ من الموجهين لرئاسة الوزارة فقال :
 اي رجل اخر احسن منه . درهم من الاهلية يا استاذ خير من قنطار مقامات .
 البلية الكبرى في هذه المقامات التي ليس فيها غير الادعاء والسخافة .

وهو ان رفعته الجدارة الى اعلى المقامات لا يكتفي بما عنده من خبرة
 وحكمة بل يسعى دائماً في ما فيه زيادة وتحسين . قد اخبرت القارىء في مطلع

هذا الفصل بان حسين افغان سكرتير مجاس الوزراء هو استاذ في علم الاقتصاد ، ولا فرق في مصادر علمه اصلية كانت او منتحلة . فكنت ارى الحسين مكياً على ترجمة آدم سميث^(١) وغيره من اساتذة هذا العلم واعجب باخلاصه ، وبقوله : خير لي ان اترجم عن الثقاة من ان اجيئهم بما يجلب اللعنات . انك لترى الفقيه والاديب والوزير في من يحضر تلك الدروس الاقتصادية ولست مبالغاً في ما اقول .

دهشت يوم اخبرني جعفر باشا بانه يحضر دروس السيد افغان وازددت اعجاباً بمعالیه . اطلب العلم من المهد الى القبر . ليس اشرف من الحديث النبوي غير الحديث النبوي المتجسد في وزير من وزراء العرب وهو تلاميذ من تلاميذ كاتب سره . جاء جعفر باشا يزورني يومئذ في البيت ويدعوني للعشاء في بيته .

— لا نظنك توأخذنا ونحن لا نزال في ما هو اشبه بالكوخ . ولكنه خارج البلد فتمر في طريقك ببساتين يروك منظرها .

ثم تطرق في حديثه الى الانكليز ، وهو معجب بهم متخوف منهم . الانكليز وجعفر مثل الحية والعصفور . ولكن الوزير العراقي وان وقف امام الحية مسحوراً ، فلا يمكنها منه . اسمع ما يقول :

— يجب ان نتفاهم واياهم ونتفق . وخير البر عاجله . الانكليز يختلفون عن بقية الناس . هم وحدهم يا اخي — ممتازون ! نزلوا من السماء في قفة . افلا ترى كيف يسلكون في نهارهم وفي ليلهم ؟ يلبس الجندي منهم البنطلون القصير فيكشف ساقه حتى الركبة — ابن عم البرابرة — ولكنه في المساء ، اذا دعى للعشاء ، تراه في ثوبه الرسمي وفي سلوكه كأنه من الاعيان . فلو كانت هذه الحرية لنا لكننا برابرة في النهار وفي الليل . . . يجب ان ندرس هؤلاء الانكليز ونفهمهم ، ونتفاهم واياهم . هم لازمون لنا في الوقت الحاضر .

The Wealth of Nations, by Adam Smith. (١)

وقد حاول في السنة التي تولى فيها رئاسة الوزارة ان يفهمهم ويتفاهم وايامهم . فدرست وزارته ملاحق المعاهدة الثلاثة الباقية اي تلك التي تتعلق بالجنديّة والمالية والموظفين الانكليز . وانفقت مع حكومة الانتداب عليها . ولكن المجلس التأسيسي ، او بالحري اللجنة التي عينها المجلس لدرس تلك الملاحق والاتفاقيات ، رأت ان الشروط فيها فادحة فتفاقت على الوزارة الاحتجاجات ، فاستتالت .

ياسين باشا الهاشمي

كان ياسين باشا^(١) من المغضوب عليهم في دار الانتداب يوم كنت في بغداد ، وكانت المس بل مع ذلك تعجب به وتحترم اراءه . وقد يصح فيها وفيه ما قامت في جعفر باشا والانكليز . هما مثل العصفور والحية . على ان الاية انعكس ها هنا ، فلا تنحصر الحكمة والجاذب في المرأة .

كنت اجتمع بياسين باشا في النادي فاسمعه يجهر برأيه ضد الانكليز او بالحري ضد حكومة الانتداب . وكانت المس بل تدعوه لما نذمتها فيجيء في ثوبه البيومي وبارائه التي هي مثل ثوبه طليقة ، لا تقيد فيها ولا ادعاء . وكان على الدوام كثيرياً . وكانت الكآبة بليغة . مستحبة ، تنظر من عينه

(١) ولد ياسين باشا الهاشمي في بغداد سنة ١٣٠٣ هـ وتخرج في المعاهد التركية فيها ودخل بدلت في المدرسة الحربية بالاستانة وخرج منها في سنة ١٣٢٠ مائة برتبة ملازم ثان وبعد ان درس سنتين في مدرسة ضباط اركان الحرب تقلد عدة وظائف في الجيش التركي الى ان اعلنت الحرب العامة وهو وقتئذ رئيس اركان حرب . وقد اشترك في مواقع غاليبا وغيرها وكان في رأس الملق الثامن لما انهزم الترك في سورية فانخرط صاحب الترجمة في الجيش العربي وعين رئيس اركان حرب حاكم سورية العسكري ورفق الى رتبة امير لواء وعين رئيساً لديوان الشورى ونفي بعد ذلك . وبعد رجوعه من المنفى احتل الفرنسيون سورية فعاد الى مسقط رأسه بغداد سنة ١٣٤٠ فعين متصرفاً للمتفق . وبعد ان تولاهامدة شهرين عين وزيراً للاشغال والمواصلات في وزارة عبد المحسن بك السعدون . ثم انتخب نائباً عن لواء بغداد في المجلس التأسيسي وكان فيه نائباً نائباً لرئيس المجلس . وكان رئيساً للجنة تدقيق المعاهدة العراقية البريطانية ولجنة قانون الانتخاب ولما اتم هذا المجلس اعماله واعتزلت وزارة جعفر باشا العسكري اتدب لتأليف الوزارة الحالية في ٢ آب سنة ١٩٢٤

السوداء اليك كأنها نقول : ان هدوت نفسه ، وحسن وجهه ، وشجبا صوته ، انها كلها مني . ظننت تلك الكآبة من خلقه . ولكنني علمت بعدئذ ان ابنه الصغير الوحيد كان مريضاً ولا يرجى شفاؤه . فأغلقت في وجهه ابواب الطب كلها ، وانصرف عنها وعن الاشغال بسعي بما عساه يصل الى عرش الرحمة الاعلى ، فيأذن الله بشفاء صغيره العزيز .

لم يستجب الله طلبه عبده . وعندما رحلت اعزى ياسين باشا الذي كان يومئذ وزير الاشغال في وزارة السعدون ، استقباني هاشا ولم يأذن بتلك السكامة المألوفة التي لا تغني فتيلاً . ما شاء الله كان . هو مثل داود النبي نبي في المصيبة ، فيلسوف في الاحزان .

ولكنه في السياسة لا يستسلم دائماً الى الاقدار . اما وهو الان رئيس الوزارة التي خلفت الوزارة الجعفرية ، وكان رئيس اللجنة ، لجنة تدقيق المعاهدة ، التي عينها المجلس التأسيسي ، فماذا عسى يكون . وقتسه في سياسة اصبح لا يملك غير طرف واحد منها ؟

جاء في تقرير اللجنة ان في بنود المعاهدة والملحقات او الاتفاقيات . ما يثقل كاهل العراق فلا يمكنه القيام بتعهداته . ثم تطلب اللجنة التعديلات الالية :

- ١ - التصريح باستقلال الدولة العراقية .
 - ٢ - التصريح بالغاء الامتيازات الاجنبية قضائية كانت او اقتصادية .
 - ٣ - الحكومة العراقية حرة في تنظيم ميزانيتها السنوية .
 - ٤ - التصريح بان الحكومة العراقية ستصبح حكومة حرة مستقلة ذات سيادة تامة عند دخولها في عصبة الامم او عند انتهاء الاربعة سنوات .
- وهناك تعديلات فرعية تتعلق بالاتفاقيات المالية والعسكرية .

فهما قيل في وجوب هذه التعديلات كلها لا اظن معالي الوزير الجديد يسعى في تقض قاعدة مالية اجمعت الامم على صحتها . يقول العراق لبريطانية العظمى : يجب ان تسحب قوائك من العراق ويجب ان تقرضيني مالا لانني جنداً وطنياً يقوم مقامها . فنقول لبريطانية للعراق : يجب ان تعطيني ضماناً على

المال وستبقى بعض قواني في البلاد الى ان تسدد الدين .
هوذا المشكل الذي يرحى حله في عهد الوزارة الهاشمية خصوصاً لان فيها
الخصائي في التجنيد هو رئيسها وخصائي مالي مشهور هو ساسون افندي (١) .

جرترود بيل (٢)

النادي العراقي مختص بالرجال دون النساء . ولكنني سمعت يوماً صوت امرأة
في غرفة القراءة ، فدخلتها فاذا هناك المس بل واحد الوزراء يتجاذبان اطراف
الحديث كما يقال . وكنا يوماً مدعويين انا والسيد افنان لمأدبة فمررنا باحد
المستشارين ظناً منا بانه وزوجته من المدعويين فقال المستشار : انا ارافتكم اما
الست فلا . يظهر ان الليلة مختصة بالرجال . فقلت : قد سمعت ان المس بل
ستكون هناك . فقالت السيدة زوجة المستشار : ولكن المس بل . . . وسكتت .

نعم ، ان المس بل في صفتها الرسمية لمن الرجال ، فهي لا تقيد نفسها بما يقيد
بنات جنسها . وهي تفضيهم لان الحرية التي الفتها لا تأبه للاصطلاحات العقيمة .
على ان الوظيفة تضطرها احياناً الى ما يظنه الناس تعمداً في الخروج عن المألوف .
وهي في صفتها الرسمية تعمل عمل الرجال فتستحق ان تذكر مع الرجال . بل هي
شبه وزير دار الانتداب فينبغي لي ان افسح لها في هذا الفصل مجالاً . ولا اخزن
اصحاب المعالي الوزراء يستنكرون او يعترضون .

(١) هو الوزير الثابت في الوزارات العراقية لان ليس في العراق من يضاهيه في علم
الاقتصاد والتضلع من ادارة الشؤون المالية . ولد ساسون افندي حزقيل في بغداد في ١٧
اذار سنة ١٨٦٠ وتلقى علومه في بغداد ولندن وتخرج في الحقوق بفيينا عاصمة النمسا . وقد
شغل عدة مناصب ادارية في الحكومة العثمانية الى ان انتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب
العثماني من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ وكان رئيساً للجنة الميزانية في ذلك المجلس سنتين
عديدة . وعين مستشاراً لوزارة التجارة والزراعة في الاستانة . ولما تألفت الحكومة المؤقتة
في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ عين وزيراً للمالية وبقي في الوزارة المذكورة
ثلاث سنوات اي الى ان استقالت وزارة السعدون . ولما تألفت الوزارة الهاشمية في شهر
آب سنة ١٩٢٤ اسند اليه المنصب نفسه .

(٢) راجع صفحات ١٦ و ١٧ و ١٨ من هذا الجزء

ان السيدة جرتود بل كاتبة امرار المندوب السامي في الامور الشرقية او
رئيسة القلم الشرقي في دار الانتداب^(١) لمن اولئك الانكليزيات القليل عددهن
اللواتي يستشرقن او يتعرّبن لدافع فيهن اولاً نفسي بل روحي يصعب تعليقه على
ما اظن بغير ناموس التناسخ او الوراثة البعيد الاسرار والاسباب . ان امرأة
عالمة ، نشيطة ، حصيفة ، ذات عزم ومضاء مثلها ، لتجد في بلادها من دواعي
العمل والشهرة والفخار ما يرغبها عن البلدان الاجنبية ولكن نزعة فيها الى الشرق ،
الى العرب ، تغلبت على كل آمالها ومطامعها ، نجاءت الشرق الادنى سائحة ،
طالبة علم ، وجالت في البلاد العربية ، فقطعت الصحراء الى جبل شمر وحائل ،
واخت العربان ، وكتبت في ما كتبه كتباً عن العرب والبلاد العربية والسورية
فيها العلم مقرون بالعطف والاخلاص . ثم جاءت ايام الحرب الى بغداد فكانت
للقيادة العامة والوكلاء السياسيين عوناً كبيراً في ادارة شؤون البلاد .

ان المس بل لتعلم من امور العراق وعشائره ومشايخه واشرافه وتجاره
والسياسيين فيه ما يندر ان يعلمه سواها . وهي لتكلم العربية بلسان عربي تخف
اللكنة فيه وتجالس العرب فتستأنس بهم ، ولا تكلف ولا عناء ، كأنها تجالس
من تحب من ابناء جنسها ، بل كأنها عربية بنت عربي .

امرأة طويلة نحيلة جلييلة ، تكاد تكون مجموعة اعصاب وافكار ، هادئة الاشارة
واللهجة ، هادئة البادرة ، بتغلب في حديثها العقل ، وتغلب في عقلها السياسة .
وهناك شيء من القلب ، بل اشياء ناضجة مستوية ، تزاحم العقل والسياسة احياناً
فتجبي تارة عفواً وطوراً نم على اجتهاد وعناء .

حدثني احد المستشارين قال : طريقة المس بل السياسية قديمة ، وهي مع
ذلك لا تركن في الامور لا لعقلها دائماً ولا لقلبيها . وقال آخر : الناس يابون
التأديب سواء كانوا عراقيين ام انكليز .

ولكن المس بل لا تجبه العراقيين دائماً بالقاعدة والقضيب كالمعلمة المرشدة .

بل تحببهم مراراً وهي تحمل هدية بدل القضيبي . هوذا قلبها عربون اخلاصها
 ايها الزعيم الوطني . هي ام المؤمنين بقيناً . واذا رفضت الهدية والمشورة ، اذا
 ايت النصح والامثال ، فهوذا السجل وفيه سيرة حياتك منذ دبت ودرجت الى
 يوم وقفت مستعظفاً او محتجاً في دار الانتداب .
 لذلك لا يبادلها العراقيون الحب والوداد . ولكنهم يحترمونها ، ويعجبون
 بها ، ويودون لها ما يوده المرء لعنته او الفتاة لخالتها . لا تحببنا كثيراً عافاك الله
 ولا تدخلني كثيراً في امورنا .

[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

الفصل الخامس عشر

اصحاب القوافي

السياسة والمقاهي — الفرغ في التدخين — الشعراء — معروف الرصافي في الفريكة —
في الاستانة — الرحالة والشاعر في بغداد — الشاعر الناظم علي الجميع —
الس بل محافظ على اللياقة في الصحافة — الشاعر يؤنبها — غضب المرأة الراقية —
لا منفي للشاعر — ذنب الحرية — عقيدته في الدين — افاره في العالم — شيء
من شعره في الشعر —

من ذا القادم من المعرة راصناً حماراً ابن اثنان ؟ — وصف الزهاوي — شيخ
زاهد — ليلى الاخيلية تسمع دموعه — شكايه الشاعر الفيلسوف — قصة شاعر
الملك — « لا امدح ولاجرة » — المبتدل في شعر الزهاوي — « نزغات
الشیطان » — حقائق رائدة — « يا شرق ويا غرب ! » — الشعر الحقيقي —

اوائك الذين يكفرون الناس — تقيق الضفادع — الاعظمية والكاظمية وراهب
كبوشي كرملي — التقليد والتقييد والتعقيد — شاعر لا قلب له — اوهام القبرية
والاحسان — الدجيلي شاعر القوة القاهرة — هنلي ونبشي — شيء من شعر
الدجيلي — ال « رباليزم » realism في شعره — مادي يهتم بالارواح —
وطني يقرع ابناؤه قومه ومنهجه —

رابع الكفرة — ان الكرام قبل — « الفقر يشيعهم من الديوان الى البيت » —
مجيد الشاوي — في وجهه شيء من الاسد والنمر — وليس على صدره نيشان —
ولا يعرف الرسم — الى من ينتسب — ابن عمي — المعري والحجام — في مجلس
السيد محمود النقيب — جدال في حام النبي وحنانه — وما ذنب النساء في الحرور ؟ —
دائرة معارف الادياب في العراق ووقائيل بطي — مثال من نثره وشعره المنشور .

لولا الشعراء في العراق لسئمت السياسيين ، ولولا السياسيين لفررت هارباً
من الشعراء . وبكلمة اوضح لولا الفریقان حولي لكننت من الهالكين . بيداني
مشيت مثل البهلوان على جبل الاحتفالات والتكريم ، احمل بيدي خيزرانية
التوازن وفي احد طرفيها اكرة السياسة وفي الاخر فيشارة الشعر . تباركت الامة
التي يتوازن فيها الشعر والسياسة .

ليس في الامم الارض على ما اظن من يهتم بالسياسة اهتمام الامة العربية .

وليس في الافطار العربية كلها من بشغفون بالسياسة شغف العراقيين . في مدينة بغداد مثلاً ثلاثمئة مقهاة وفي كل مقهاة عشرون سياسياً في الاقل يدخنون الارجيلة ليل نهار ويدبرون شؤون العرش والانتداب . ولكل سياسي لو حدثته رأي في السياسة الدولية وسياسة العراق غير رأي زميله وجاره . الا انهم لحسن الحظ يدخنون وينسون . ان في الارجيلة لتعتصم الامة .

معروف الرصافي

ولكن في هذه الامة اناس ممتازون يدخنون ويكتبون ، فيجمع البراع احلاماً يولدها التنبك ويددها ، ويحفظ القرطاس من النغيات والنقبات ما لا تعددها . هم الشعراء . واكثرهم بل كلهم في العراق اليوم سياسيون ينظمون ، او نظامون يعالجون السياسة كرماء منهم ، وفي مقدمتهم شاعر تجاوزت شهرته حدود الجزيرة ، فرحبت بها سورية ومصر والاستانة ، واجلسها على ديوان الفخر والاعجاب . وقد وصلت هذه الشهرة الى الفريكة في شخص صاحبها المحبوب معروف الرصافي يوم كان عربياً — بدوياً — في قلبه ولهجته ، وفي نظمه وقيافته . نام معروف الرصافي يومئذ في خيمة الناسك المشرفة على الوادي ، واكل من جفنته ، وشرب من ابريقه . ثم سافر الى الاستانة اولاً وثانياً ، وكان فيها من المرشدين الواعظين ، وعاد منها يلبس الطربوش والثياب الافرنجية ، فافصح ذا التطور الظاهر عما خفي منه فيه . اجل ، قد افسد الاتراك او بالحري مدينة الاستانة — وهي في هذا الباب اشد وامرع فعلاً من مدينة باريس — قد افسدت شيئاً من السذاجة الجميلة في شاعر عربي مجيد . احترقت حواشي تلك السذاجة ، فتغير لونها وطعمها ، وصار الشاعر سياسياً ، وصار العربي مسلماً . او بالحري صار الشاعر في سياسته وفي اسلامه تركياً من اتراك ذلك الزمان .

على ان الرصافي وهو ممن خصهم الله بشعلة النبوغ — والنبوغ طاموح ، والطاموح جهاد مستمر — لم يقف في التطور عند حد يرب ويغيب ، بل ظل يشتغل في الادب والشعر حتى امست السياسة التركية الاسلامية بعيدة عنه ،

تكاد لبعدها لا ترى ، وحلت محلها سياسة عربية قومية ، مجردة من كل نزعة دينية ، وكل صبغة مذهبية . وكأني بمعروف قد عاد الى تلك الخيمة ، خيمة الناسك ، فذكر فيها الجفنة والابريق ، وعقيدة الاخ الصديق ، الذي كان مثله هدفاً لعوامل التطور الشديدة . فقد صار ناسك الفريكة رحالة ، فراح يجول في الارض غرباً وشرقاً ، حتى اجتمع بعد سنين بصديقه الشاعر في بغداد وهو يشغل وظيفة صغيرة في وزارة المعارف .

وكان معروف اول المرحبين ، واول من قال شعراً فيه زججرة وفيه انين .
شكا الى صديقه القديم حالاً هو فيها فقال :

أمت ببلدة ملئت حقوداً	علي فكل ما فيها مريب
امر فتتظر الابصار شذراً	الي كأنما قد مرّ ذيب
وكم من اوجه تبدي ابتساماً	وفي طي ابتسامتها قطوب
سكنت الخان في بلدي كأنني	اخو سفر ثقافه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه	لاني اليوم في وطني غريب
وما هذا وان آذى بدائي	ولا هو امره امر عجيب
ولكنني ارى ابناء قومي	يدبر امرهم من لا يصيب

وحمل على السياسيين في العراق ، الوطنيين منهم والانكليز ، وحمل كذلك على الاغنياء والاعيان ، وشكا الدهر والزمان ، كأن صديقه الرحالة يحمل في حقيبته دواء لكل ادواء الانسانية ودرياقاً لسموم الحكومات الانتدائية والاستعمارية .

أمين لا تغضب علي فاني لا ادعي شيئاً بغير دليله
من اين يرجي للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جبانه والمسال عند بجيله
والرأيه عند طريده والعلم عند غريبه والحكم عند دخيله
ما كنت لاغضب على صدقي الشاعر لو لم اكن جئت العراق من قطر عربي
ليس فيه جزء صغير مما في العراق من دلائل الرقي وطلائع الادب والعمران .

الا ان غضبي عتاب اخوان ، ولعب صبيان ، اذا قوبل بغضب اصحاب المناصب
العالية ، والسيادات الدينية البالية . وليس غضب هؤلاء . وهم رجال بشي . اذا
قيس بغضب سيدة سائدة ، لها الامر وهي اجنبية ، ولها نفوذ يمتد حتى ادارات
الجرائد العراقية .

قد اغضب الرصافي المس بل فحالت دون نشر قصائده في الجرائد . وهذا
قليل من كثير جاءه منها بالاساليب الدقيقة الخفية ، لانها وهي امرأة راقية وهي
فوق ذلك سياسية ، لم تناصبه العداة بالطرق الاعتيادية . ولا اخطأت كما اخطأ
سابقاً دار الانتداب في نفيه الوطنيين الاحرار . كأنها قالت في نفسها : هو شاعر ،
والشعراء يلتذون بالسجن ويفتخرون بالمنفى . كيف لا وفي الاثنين ما يكفيهم
مؤونة العيش والعمل فيضمن لهم خبز يومهم والعزلة للنظم والتأليف . دعت
المس بل معروفاً وشأنه ، ولم تلجأ في توبيه الى غير الدقيق الخفي من اساليب
النقمة عندها . وكان معروف يومئذ نائماً على العراق كله كما تقدم وعلى كل
ما فيه ومن فيه .

سأنصب للهواجس حر وجهه يعود الى الشروق به الغروب
واضرب في البلاد بغير مكث اجوب من المهامه ما اجوب
الى ان استظل بظل قوم حياة الحر عندهم تطيب

وكان امله ان المس بل ، وهي ولية الامر ، تسمع في الاقل هذه الشكوى
منه ، فارسل اليها كتاباً يقول فيه انه يحترمها لانها عالمة ولكنها في الامور الوطنية
ليست اعلم منه ، وانه اذا احسنت العمل يخلد ذكرها في التاريخ والا فلا رادع
لشعره عنها « واني ارجو ايها السيدة ان يكون لغضبك نتيجة ظاهرة . »
سكنت الخان في بلدي كأني اخو سفر نقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه لاني اليوم في وطني غريب
أفلا ترثي المس بل لحاله ، وقد سئم الإقامة في بلاد لا خير ولا ما يشبه
الخير فيها ، فتسعى بابعاده او بسجنه او بنفيه ؟ انما الغريب في امر هذا الشاعر انه
لم يفقه عقلية المرأة المهذبة ولا ادرك السر الاول من اسرار قلبها . فهو يطلب

منها كالصبي ما ينبغي حقيقة ولا يخفي غرضه او يمويه به . فلو قال لها : اني افضل
زاوية مظلمة في سرداب من سراديب بغداد على قصر في الاستانة لكانت سعت
ولا ريب بابعاده حالاً عن العراق ، بل بتسفيره الى الاستانة .
اما العلماء الناقمون على الرصافي او بالحري الناقم هو عليهم فانهم يجدون قصبتهم
في بيتين من شعره :

لقد مزقوا احكام كل ديانة وخاطوا لهم منها ثياب رياء
وما جعلوا الاديان الا ذريعة الى كل شغب بينهم وعداء
ولا همهم اأبعد الرصافي عن العراق ام لم يُبعد ، فهم يعلمون ان الشاعر
المجيد الحر الذي تتناسخ وتتناقل اشعاره الناس قبل ان تطبع يستطيع ان
يضربهم ايضاً كان . وقد تجيء الضربة شديدة بالنسبة الى بعد مرماها . لذلك
انتصروا على تكفيره في بلده وشرعوا يشتمون به لدى العامة حتى صار يُنظر
اليه اذا ما مر « كأنما قد مر ذيب » وهو والحق يقال ذئب الحرية في العراق
يشب على كل من يحاول قتلها او تقييدها .

لمعروف الرصافي عقيدة في الدين والاخرة تكاد تكون مادية . ولكنه ، وهو
الحكيم المدرك حدود علمه ، قلما يفصح عنها تفصيلاً وتأكيدياً في ما يكتب
وينظم . وعندني انها في هاته الحال السديمية اشد تأثيراً في ما يقصد بها من اصلاح
العقائد والنقائيد . قال لي مرة : لا تصطليح البلاد العربية وترتقي الا بالكفر .
وانا افهم وهو يفهم ما يريد بما قال . فلو نطق كعالم بموجب قياس العلم والمنطق
لما كان يؤثر في الناس كفره المزعوم .

ولرب قائل يقول : مالك وانت تكتب عن شاعر عبقرى تقدم في شعره
السياسة والدين ؟ الجواب : ان الباحث اليوم في احوال الشرق عمومًا والعرب
خصوصاً يرى ان للسياسة والدين الشأن الاول والاعلى في امورهم كلها . اجل ،
ان في مصبغتي السياسة والدين تصطبغ الاقوال والاعمال والامال ، فيندر
الشعر الصافي والنثر الادبي في ما ينظمون ويكتبون . وعند ما اجد في ثمرات
العقول الكبيرة الحرة ما يعارض النعرات المبتذلة الدميعة بنزعات جديدة في

الفكر والاعتقاد اقدمها عملاً باهميتها على غيرها . كذلك سلكت في تشريح جزء
من شخصية صدقي الرصافي الممتازة .

اما الشاعر فيه المجرد من نعرات الناس ، ومن النزعات السياسية كلها -
الشاعر الذي لا يعرف في الحياة غير الشعر والجمال والحقيقة العلوية فيهما - فهو
دائماً فوق الجماعات والاحزاب ، لا يعتبر في الانساب غير النسب الذي بينه وبين
البلبل ، والعواصف ، والكواكب ، والازهار . ولا وطن له غير وطن الفكر
والعلم والحرية . فهو اذا سأله : ما الشعر ؟ يجيبك قائلاً :

وما الشعر الا كل ما رآح الفقى	كما رآحت اعطاف شاربها الخمر
وحرك فيه ساكن الوجد فاغتندى	مهبجاً كما يستن في المسرح المهر
فمن نفضات الشعر مجمع حمامة	على ابيكة يشجى الحزين لها هدر
ومن شذرات الشعر حوم فراشة	على الزهر في روض به ابتسم الزهر
ومن ضحكات الشعر دمة عاشق	بها قد شكا للحب ما فعل الحجر
ومن جمرات الشعر رنة ثاكل	مفجعة اودى بواحدھا الدهر
ومن نفحات الشعر ترجيع مطرب	تعاود مجرى صوته الخفض والنهر
وان من الشعر ائتلاف كواكب	يبحج الدجى بانت بضاحكها البدر
وان ابتسام الغيد عن كل اشنب	ليطرب نفسي فوق ما اطرب الشعر

هوذا الشاعر الحقيقي . هوذا الرصافي ينطق بلغة زملائه واقاربه في البساتين
وفي السماء .

جميل صدقي الزهاوي

وللرصافي زميل ونسب من الناس يشاركه الاقامة في العراق كان ينبغي لي ،
لو اعتُبر السن والعلم في الشعر ، ان اقدمه عليه . ولكن الشاعر هو شاب ابدأ
والعلم في الشعر يكسبه حكمة ولا يزيده جمالاً . على ان لجميل صدقي الزهاوي
منزلة في الشعر العربي اليوم لا يشاركه احد بها . فهو في علمه ، وفي ادبه ، وفي
شعره اقرب نوايغ العرب الى المعري ابي العلاء . واذا صح مبدأ التناسخ والحلول
يكون « رهن المحبين » قد عاد الى هذه الدنيا بعد الف سنة فالتخذت روحه
الزهاوي محباً جديداً ، ومعقلاً من الفكر مجيداً . أو ليس شبيهاً بصوت صاحب
الزوميات صوت من قال :

« ثم بعيداً في خلوة الاجداث من رُغاء الخطوب والاحداث

انما الموت خير ما خلفته لبيها الاباء من ميراث »

وما كان المعري في هذا التجسد الجديد موفقاً في الصحة والعافية ، لان

شللاً في رجل من حل فيه بمنعه عن المشي . جاء في اللامية الزهاوية :

« وقد احاول ان أسمى فتعني رجل رمتها يد الايام بالشلل »

فاضطرت له اذا خرج من البيت الى الركوب ، وكان اختياره في المركوب
اختيار الشاعر الفيلسوف . هوذا الشاعر الفيلسوف راكباً اتانه البيضاء كأنه من
مدينة المأمون المدورة لا من بغداد الجديدة . ولكنه يلبس الطربوش لا العمامة ،
فيبدو شعره من تحته خُصلاً منشورة شاردة ، لكل منها يد من الهواء تداعبها
فتبعدها عن اختها . وقد يتصل بعضها بشعر لحيته الشحطاء « البشفية » التي لا
تخضع حتى لمشط من السيادة او لمقراض . وهي تظهر في اشد المظاهر الفوضوية
في الشوارب منها النائرة على كل نظام وكل ظلام . وقد اختبأ تحت الشوارب جل
ذاك الفم البليغ الذي هو ختم الغم اذا سكت ، وباب الصواعق والاضاحيك اذا
تكلم . اما الانف فمنبسط الاطناب مستريح تحت عين دامعة تشكر النظارات على
ما تجسمه وتوحده لها من الوان الحياة . ويشرف على هذه الايات في التكوين

المنثور جبين رفيع نصيغ منيع .

اما ثيابه فافرنيجية ، ولكنها كذلك حرة ابيه ، لا يهتمها الشكل والزي ، وقلمها
تلفت الانافة فيها النظر . بنظاونه كالكيس حول الساق ، قميصه مفكوك الزر
عند العنق ، ومستقلة في بياضها - الغير الناصع - فلا يحتمل قسماً منه شيء . مما
تدعوه قمطة او ربطة رقبة . شيخ زاهد بكل شيء سوى بالعلم والحربة ، وليلى
الاخيلية . اجل انت للزهاوي ليلاه ، تطرد من نفسه الظلمات ، ومن قلبه
الشبهات ، ومن بيته الطالبات . هي عروس شعره ، عروس حيانه ، عروس افكاره
واحلامه . وهي كذلك رمز سياسته .

« كان يهوى ليلي ابن عم ليلي فابتغاهها من اهلها كخطيب

ولقد اخبره من بعد حين ان ليلي قد زوجت بغريب »

وان هذا الشاعر في عشقه لكلاً باحجى في بعض الاحابن يشرك بحب ليلي

كل عاشق حزين . هي ايلي الاباحية التي يخاطبها فيقول :

« ليلي اطلي على العا شقين ليلي اطلي

تري اعزة قوم مطاطين بذل

تري صدوراً من الشوق والصابية تغلي

عدي وان كان وعد ال - حبيب رهنك بمطل »

ثم بتفلت الشاعر من يدَي الوطني والقبيلون ، ويركب وعروسه الانان

البيضاء ، الى الصحراء ، او يختلي بطيفها في داره ، فيسمعه من الشعر الرقيق

المنسجم ما يقارن اجمل نقتات « المحنون » .

« ابيت في الدار وحدي معاتباً تخيالك

قد غرني انه كان باسمك كمثلك

لا تسألني عما اصابني بعد ذلك

ما زلت اصمراً حياً مناسباً لجمالك

ابيع كل حياتي بساعة من وصالك

اني ببحبك يا ليلى لى لا بمالة هالك

فهل سأخطر يوماً اذا هلكت ببالك؟ ..»

جاءني الشاعر الفيلسوف ذات يوم يحمل الي شكايه هي ظاهراً عن ليلى وعشاقها - ما هم والله اهلأ لها ، ينظمون الشعر للاخيلية ويقدمون الهدايا للاجنبية . والمملك فيصل لا يكثرث ، واذا اكثرث فلا بنصف . أو لم اقل له في قصيدتي :

« لا يرأس الناس في عصر نعيش به الا الذي لقلوب الناس يمتلك »
والشاعر يا استاذ من الناس ، وله فوق ذلك حق على الناس ، في من يملكون او يؤمرون . ترانا نحمل النار بايدينا الى امة تكاد من الدنق تموت ، فيوقفنا في الباب اناس لا يساهون قلامه ظفر منا .»

هي الحقيقة في كل قطر من الاقطار العربية . ولكنها في العراق مجسمة في كبار شعرائه . اعجب بشعراء غاضبين شاكين ، وقد تنازلوا عن مكافحة الزمان الى مكافحة الانسان . الا انهم يختارون ولا شك الاقران ، او من يدنو من الاقران . حمل الرصافي على سيدة اجنبية من اجل ليلى وعشاقها . وجاء الزهاوي يشكو من مدحه بالامس وكانت لا تزال قوافيه ترن في البلاد .

- سألوني يا استاذ ان اكون شاعر المملك وعينوا لي راتباً شهرياً . فقلت : لا امدح بالاجرة . واني اقبل الوظيفة بشرطين ، ان لا اقول الا عند ما ارى المدح واجباً وان يكون الراتب لوظيفه غير المدح .

فغضب جلالته ، وكان لي على بعض الاصحاب السائدين حق المساعدة فاغتنموا فرصة غضب المملك وانقلبوا علي . والله يا استاذ ما قبلت ان اكون شاعر المملك الرسمي الا بالشروط التي ذكرت معاذ الله ان اصير في اخر هذا الزمان مداحاً بالاجرة .

هذا نصف القصة سمعته غير مرة في بغداد كما رواه الزهاوي . وسمعت كذلك النصف الآخر . اما جلالة المملك فيصل فقد كان بين النصفين ، نتجاذبه اكثر من ارادتين . واني اروي القصة كلها لما فيها من نور يضيء بعض زوايا المملك الجديد . اننا نرى في البداية جلالة المملك بين شاعرين هما صنوان ، هما

شاعرا العراق الاولان . وللشاعرين اصحاب من ذوي السيادة والنفوذ في
المدينة وفي البلاط . وبين الشعارين ، بل بين الشعراء على الاطلاق ، منافسة
دائمة تكاد تكون طبيعية . قد فات ذلك جلاله الملك فاعضب في انعامه
الشاعرين معاً .

ولو كان ممن مارسوا الشعر وخبروا طبائع الشعراء لاختار لهذه الوظيفة
احد ابناء الطبقة الثالثة او الرابعة لانهم يحسنون المدح اكثر من سواهم ، ولكن
كفى نفسه عدا شاعري العراق الكبيرين بل كان في استطاعة جلالته ان
يعمل احسن من ذلك ، فيقول لمن حبيبوا اليه « الشاعر الرسمي » ، اننا في بداية
امرنا ، ولا حاجة لنا بمدح ماجور . او انه يقول : شاعر البلاط من كلمات
الملك ونحن اليوم احوج الى الضروريات . أفلا تظنه مفلحاً لو اتخذ هذا المسلك
ورفض ان يعين شاعراً رسمياً ، فيصير شعراء العراق كلهم شعراء البلاط -
وبدون اجرة ؟

— ظلمت والله يا استاذ . انا لا ابغي اجرة على المدح اذا مدحت واني لا
امدح دون ما فكر او نصح . ألم اقل ليفصل :

« تلقي اعتمادك لاستتمام نهضتهم على الذين بنهج الحق قد سلكوا
على اناس لصدق القول قد لزموا على رجال لغل النفس قد تركوا
على الألى عرك الايام اظهرهم عركاً طويلاً وللایام قد عركوا »

اجل ، ومن ياترى عركتهم الايام مثل الزهاوي ؟ ولكن الشاعر يخدم
بلاده في ما لا يحسن الخدمة احد مثله . قد نقلد الزهاوي مناصب في الدولة
كثيرة وكانت يوماً له ويوماً عليه ، وكان في ذلك واحداً من كثيرين . وقد
تعددت صفاته في فنون الادب ، فشغف بالعلوم الطبيعية ، وألف كتاب
« الكائنات » وكتاب « الجاذبية وتعليلها » وكان فيها واحداً من مئات الغواة .
ومن غرائب اجتهاده وتنوع علومه انه كتب رسالة في سباق الخيل وكتاباً
في علم الداما . وفي هذا الكتاب العجيب ذكر الف لعبة من مخترعاته ! فلو
لم يكن الزهاوي شاعراً وطنياً لقلنا ان في تعليم الامة لعب الداما وظيفته

الكبرى . ولكنه شاعر كبير بالرغم مما عاين في شعره من مبتذل القول مثل :
« العلم ثروة امة ويسار والجهل حرمان لها ويوار »

« ان التوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب آغار »

« من راح يمشي في طريق مسنور أمن العثار فما هناك عثار »
ومثل قوله في مطلع قصيدة « الجهل والعلم » :

« الا ان ليل الجهل اسود داس وان نهار العلم ابيض شامس
تشقى حياة ما لها من مدرّب وتشقى بلاد ليس فيها مدارس »

هي حقائق لا ريب فيها . ولكنها من الحقائق المعروفة المبتذلة ، وقد اصبح
الاعتقاد بها عند الغربيين من باب الاعتقاد بوجوب الرياضة مثلاً او الال .
اما عند العرب فالامر غير ذلك . وانه ليغتفر للشاعر في امة تطرب للشعر طرب
الغربيين للموسيقى اذا وضع لها حقائق كل يوم - حقائق ايام الشغل - في
قوالب شعرية .

من مزايا الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يجزئه حتى الالم ، فيصبح كأنه
هو الامة البائسة الموحوعة ، فيسمع صيحته من قد خشنت او تخدرت من الآلام
اعصابهم ، فيستفيقون طالبين الدواء والشفاء . هذه هي وظيفة الشاعر الكبرى
في امة كان للعلم فيها ربوع زاهرة امست كالقفر اليباب .

ولكن في شعر الزهاوي غير هذه الحقائق - حقائق ايام العمل . ان فيه
كثيراً من حقائق الآحاد ايضاً والاعباد . هو الشاعر الذي يبهجه اريج الازهار ،
وبريق الانوار ، فيود لو كان بإمكانه ان يداوي بها البؤس والظلام - البؤس
الذي منشأ الخمول ، والظلام الذي هو الجهل .

اننا نقدر سرّاً في الاكوان . نجبذا ما قدس دواء لما تقاسيه . جبذا
الحياة ، حياة النمو الدائم والتجدد الدائم . ولكن الجهل عدو هذه الحياة وعدو
الله ، والمتاجرون بالجهل رؤساء الادبان ، ورؤساء الادبان في كل بلد لا يخف

شرم الا بمثل الزهاوي والرصافي وشعرهما . وها هنا في هذه الامة الجديدة سبب
التغيظ الجديد ومصدره . اولئك الجامدون في مكانهم وفي علومهم يكفرون
الناس فيدفعون ذوي النبوغ فيهم الى الكفر بالله . ان وجودهم في المجتمع
الانساني اسبأداً لما يضعف الثقة بالمقائد الدينية كلها ، فيخرج الزهاوي اذ ذاك
من المبتذلات ، ومن الوطنيات ، وينظم ديواناً كاملاً في « نزغات الشيطان »
فيسمعك من الحقائق التي هي كالنصل اليانبي وكالمدفع الالماي . ويسمعك بعد
الزجيرة ضحكة لا تنسى زمانك صداها وصدى التهمك فيها .

« توقفت لا ادري تجاه الحقائق أني خلقت الله ام هو خالقي »

ان الزهاوي في « نزغات الشيطان » مثل ابي العلاء في « رسالة الغفران »
وقد يفوق معري اليوم معري الامس جسارة وبريقاً . فتصل يد شيطانه حتى
الى العرش الاقدس ، وحتى الى الحية صاحب العرش . على انه بعد التطاول
والتجديف يستغفر الله ويعود الى عمل كل يوم فيرى الغرب في الشرق فاغراً
فاه ، ضارباً بعصاه ، فيزجره بالمبتذلات ويهدده :

يا ايها الغرب ان الشرق مضطرب

يا ايها الغرب ان الشرق مغتصب

خفف من الوطء فالايام تنقلب

الشرق يشبه بركاناً به حمم

اخاف من انه ياغرب ينفجر

يامرحة الماء انت اليوم وافرة

وانت ناعمة خضراء ناضرة

لا تأمني الدهر فالايام قاهرة

يامرحة الماء ان جاء الخريف غدا

فانما هذه الاوراق تنتثر

ثم بين التجديف والتعنيف يسمعنا الشاعر من نغاته الناعمة الصافية ما هو
من صميم الشعر الذي يستأثر بعبناه الالماي ، فالسكوت ، قترى الدمعة فيهما تروي

الابن سامة ، وترى الابن سامة تحضن الدموع كما يحضن ورق الورد الندى . من ذلك قوله مخاطباً سما : العراق :

« انظريني اذا العنادل غنت سحراً فوق منكب الشجرا .
انظريني ليلاً اذا الشمس غابت بعيون النجوم في الظلماء
انظريني اذا الطبيعة أصغت في الدياجي الى خرير الماء
انظريني اذا الحوادث رامت هدأة في الصباح او في المساء
انظريني اذا الخريف تراءى آسباً من اشجاره الجرداء
انظريني اذا غدا الروض خلواً من زهور او زهره من روا .
انظريني من الفروج خلال ال سحب سراً بعينك الزرقاء
انظريني اذا نظرت بعيني وهي شكري اليك عند البكاء . »

كاظم الدجيلي

ان في العراق من العلماء من لا يزال في المعتل الذي مات فيه « ملفان » الكنيسة المسيحية يوم قضي على ما كان للكنيسة من سيادة ادبية في العالم . وعهد « الملفان » ليس ببعيد . بيد ان وظيفته في مراقبة اداب الدنيا والدين لم تكن لتتحصر بالكنيسة الكاثوليكية ، بل تجاوزتها الى علماء اكسفورد^(١) البروتستانتين الذين كفروا في النصف الاخير من القرن الماضي دروين واصحابه لقولهم ببداية النشوء والارتقاء . على ان زمن ال « ملفان » في المسيحية قد ولى ، وكذلك ال « دون » فودعهما التاريخ شاكرًا مسرورًا .

اما في الاسلام ففي بعض الاقطار كالعراق مثلاً لا يزال العالم يحمل سهام التحريم والتكفير ، يرمي بهما من خالفه رأياً او نشر ما يخالف عقيدته في اداب الدنيا والدين . ولا يحق للشيعه وحدها ان تفاخر بمثل هؤلاء العلماء وان اكثر عددهم عندها . فان عند السنة منهم من يسود الوجه حتى يخفى على « ملفان » كربلاء والنجف .

(١) اكسفورد اكبر جامعات انكلترة وهي المدينة التي تسمى بهذا الاسم . والملفان يسمى في اكسفورد « دون » Don .

وهناك في تلك البقعة النائية عن دوائر العلم الغربية بعض رجال الدين المسيحيين الذين ينقون نقيق الضفادع كل مرة يُسمع في البلاد صوت حر كريم، فيصدرون الفتاوي بالتحريم والتكفير اقتداءً بفضيلة الشيخ الاعظم و «آية الله» الاكبر . وما الفرق يا ترى بين ثلاثة هم واحد تجاه الحقيقة ؟ انهم وان اختلفوا اسماً ومذهباً لأعداء الحربة . بل هم الأحرار على انصارها . الا ان الكرملي والالوسي والقزويني لثلاثة رؤوس ، هي التقليد والتقليد والتعقيد ، على جسم واحد ، هو التعصب . وكلهم لادام فضلهم من فضلات السخافة والمخرافة في العالم . بل من آيات السقم والعقم والادعاء والرياء ، ان كان في الكاظمية^(١) او في الاعظمية^(٢) في النجف او في بغداد .

وكلهم يكفرون الزهاوي والرضاوي والدجيلي ، ثالث المغضوب عليهم هناك . على انه في التساهل والصرامة والجرأة الادبية علم من الاعلام وقلم يعد احد قبله . الشيخ كاظم الدجيلي فيلسوف ينفر من الخيال ، وشاعر يهوى صدق المقال ، وليس في ظاهره ما يبني . بوجود الشاعر فيه او الفيلسوف . ليس في طلعه او في صوته ما يستميلك اليه او يستوقفك وانت غريب . بل في وجهه المخروط الضامر ما يشير الى النزق والتسرع ، اللهم اذا قسنا التكوين الالهي بمقياس الفن الانساني ، فنقول ونستغفر الله : قد ارتجفت يد المكون في تكوينه ، او ان الناظم اخل بالنظم فلم يك موزوناً . هالك وجه الدجيلي . عيناه بعيدتان الواحدة عن الاخرى ، فمه وانفه كبيران بالنسبة الى صفحة وجهه ، شعر رأسه وهو دائماً قصير يظهر انه ملتصق بجبينه . اما الرأس ففيه من الاذن الى القمة طول يخالف ايضاً قواعد التناسق ، وهو الدليل الظاهر الوحيد على ما في الرجل من قوى التفكير والحكمة . وليس في صوته اذا حدثك ما ينسبك ظاهر صاحبه ، او يستغوي الغرض فيك ، فهو دائماً عالٍ رفيع لا منخفضات فيه

(١) الكاظمية مدينة على الساحل الغربي من دجلة على مسافة اربعة اميال من الكرخ واهلها من الشيعة وفيها جامع جبل مدفون فيه الامامان موسى الكاظم وعمر الجواد .
(٢) الاعظمية هي قبال الكاظمية على الساحل الشرقي من دجلة وفيها قبر الامام الاعظم ابي حنيفة .

ولا منعطفات . تنفر منه لأول وهلة ولا غرو . الا انك بعد ان تألفه ترتاح الى الوتر الواحد فيه . وقد تكون المادة التي يحملها ويرمز اليها السبب في ذلك . انما هي لب الرجل وكنهه ، هي حقيقة وجوده .

ان الدجيلي عقل كله ، عقل صافٍ لا يمازجه شيء ، من الروح والقلب . فيه نور الشمس ونارها ، وليس فيه ظل او خيال . وهو في حرته مثل نور الشمس يحرق وينير ، ويحرق احياناً نفسه قبل ان يحرق سواه . ما اجتمعت في البلاد العربية برجل مثله في صراحته وجرأته واخلاصه . وانك في الشرق ، حيث اللطف ضارباً اطنابه والتجمل حامل ابدأ محرقة الطيب ، لتعجب بالدجيلي ضعف اعجابك بمثله في اوروبة او في اميركة . وما تأثير الظواهر بعد ان ينكشف النقاب عن هذه العقلية الباهرة .

رجل ولد في مهد التقليد والتقييد والتعقيد وهو اليوم مطلق منها كلها ، ينبذ المذاهب الدينية ، ويحمل عليها ، ولا يحتفظ بغير اللب من الدين . له في الحياة عقيدة مادية يجهر بها ويناضل عنها ، شغف بالقوة القاهرة وهي عنده الحق ، لا يرثي للضعيف ، ولا توقفه زخارف التلطيف واوهام الغيرة والاحسان . هو في شعره اقرب الى شعراء الجاهلية من حيث انه لا يرى الا ما يرى من حقائق الوجود . ولكنه في ذلك عصري ، اية انه اتخذ هذه الطريقة لانها تساعد اكثر من سواها في تجريد الاداب من ترهاتها ، والادبان من خزعبلاتها ، والانسان من اوهامه كلها .

يذكرني الدجيلي بشاعر انكليزي من شعراء الشطر الاخير من القرن الماضي جرد شعره من حلي التقاليد الصناعية كلها — من زخارف الخيال ، من اوهام الآمال ، من مصقول المقال ، فجاءت قوافيه كالبرق يشق الظلمات ، وكلماته كالنصال وقد جردت من الاغمداد . هو الشاعر الكبير شعراً لا شهرة ارنست هنلي^(١) القائل :

ولو احبقت بي الظلمات والاعصار ،

وكان الليل من القطب الى القطب كالقار ،

فالى الامام ولا اندحار ،

اني ربان هذه النفس ، اني سيد الاقدار .

وكان هنلي وقد كان معاصراً لنيثشي^(١) الفيلسوف الالماني الشهير يردد شعراً احدى كلماته الملتهبة او شيئاً من فلسفته المكهربة . - الارادة الارادة . العزم العزم . الاعتماد على النفس . التدرع على الضعف فلا تمكثه منك . والقوة اولاً واخراً . خذ هذه الفلسفة نظماً من شاعر عربي عصري من « هنلي » الشيعة من « نيثشي » العراق . قال الدجيلي في مطلع قصيدة « الحياة الاجتماعية » :

حديثك عن غير القوي حرام وسعيك في نصر الضعيف اثم
تحدث بمجد الاقوياء ففهمهم قعود باحكام الورى وقيام
يؤله مذ صار ابن آدم قوة وما الكون الا قوة ونظام
اذا كنت بين العالمين اخا قوى رعنتك عيون الناس حين تنام
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق ولم ينج من فتك البزاة حمام
يقولون ان الحق من فوق قسوة وما الحق الا مدفع وحسام
لولا ما في هذه القصيدة مما لا يخلو شعر عربي منه ، اي العادي المبتذل من الفكر والتعبير ، جاءت في تجردها ، مثل شعر هنلي من اوام الخيال وزخرف الآمال ، فريدة في بابها . وقد تطرق الشاعر فيها الى ذكر الاديان فقال :

حكاية اديان الانام عجيبة تجمع فيها فرقة ووثام
تريد الهدى والخير للناس كلهم وكم ثار منها فتنة وخصام
وغايتها القسوى عبادة واحد حقيقته ما ان ترى وتراه
عظيم لديه يصغر الحق كله وتستصغر الاجرام وهي عظام^(٢)

(١) Frederick Nietzsche

(٢) وان عظموا كيوان تظمت واحداً يكون له كيون اول ساجد

مهما كان من تززع عقيدة الشرقي فلا يحمله ذلك على الاحاد . بل يظل مؤمناً بالله في ما صفا وتمكر من امره وخمره . وعلى ذكر الخمر ان للدجيلي اسهماً في شركة الخيام وابي النواس كما له في شركة ابي العلاء المعري . فقد وصف الخمر ومدحها وذمها كذلك بعد الاختبار فكان في الثلاثة صادقاً .

الم بك ما نظمت بها صحيحاً ؟ فلي فيها تجارب واختبار
وقد جاء في قصيدة له عنوانها « بوليس بغداد » وهي احدى « منظومات السجن » :

ادرها علينا بالكبير فاننا كبار ومن شأن الصغار صغيرها
متى يهدر الابريق عند انسكابها علينا يزدنا من هواها هديرها
وفي هذه القصائد من التجريد ، ومن القول الصريح الشديد ، ما يميز المقابلة
بينها وبين « منظومات المستثنى » للشاعر الانكليزي الذي ذكرت
الى ان وردنا السجن والسجن ضيق وقاعته محدودبات صخورها
يشم حديث العهد منها نثانة يزيد اذا اشتد الهجير ظهورها
وفي الصبح سافونا الى متحكم باحكامه غر حكاه غريرها

وعاقبنا كلاً بعشرين جلدة نجنيء باسواط دفاق سبورها
في آداب الافرنج وفنونهم طرائق شتى تشمل اغراض الحياة وطبائع الناس
كها . منها ما يدعى « ريباليزم » Realism وهي طريقة من يلتزم في ما يصف
او يفسح عنه الحقيقة المجردة ، دون مبالغة ودون تسميق . وقد يجوز اجمال بعض
اجزاء فيها حشمة ولياقة ، فلا يتقزز القارىء ولا ترتعد فرائصه . وهناك
طريقة اخرى نشأت بعد الطريقة الاولى لتسد فراغاً مزعوماً نجاء اصحابها وفي
مقدمتهم اميل زولا بكل ما هناك من حول الحقائق الواقعة ومرعبات الوجود ،
وفي شعر الدجيلي شيء من الطريقتين .

يال لك من آمرة ناهية احكامها نافذة ماضية

جامعة الاضداد شيطانة الالهة رشيدة غاوية
 قاسية ربيعة الخاشية سافلة عالية راقية
 خبيثة شريرة باغية طيبة طاهرة زاكية
 يدفعها النفع على حب من ينفعها ولو الى الهاوية

ليست المرأة من يصف بل هي . . . النفس التي حيرت افكار ارباب النهي
 السامية . وقد قال فيها ما لا يخرج عن الحقيقة ، فكان في هجوه صادقاً ولكنه
 جائر . والجور من شيمة الـ « نيتشين » وقد قال في عبادة الناس لله :

عبد الناس الها ما رأوه وراهم
 طمعاً فيه وخوفاً منه . هل يخفى هوامهم ؟

بل قال اكثر من ذلك ولم يستثن حتى نفسه او يتناساها :

ارى حياة الورى جهاداً في معرك دائم النضال -
 يخدع فيه الفتى اخاه والخدع قد جاز في القتال
 كل امرى . ناصب حبالاً حتى انا ناصب حبالى

ان ادب الشاعر الحقيقي وان افقره آيقية من حبال مثل هذه الحياة ، وان
 علم العالم واخلاقه ليرفعانه عليها فيسلك مسلكاً ينفي به ما يسجله على نفسه . هذا
 لعمرى فضل الادب والعلم حتى في من كانت عقيدتهم بالحياة مادية دهرية .
 والشيخ كاظم الدجيلي بعيد عن التعصب العلمي بعده عن التعصب الديني . سألني
 مرة رأبي في الارواح واستحضارها فقلت : لا اصدق ولا انفي . بهمني درس
 الموضوع ولا يلذ لي التشيع . فقال : وانا من رأبك . الحياة اضداد . وقد نتخذ
 الارواح لها جسماً من الكهرباء في الفضاء . وقد تكون الكهرباء البحر الذي
 تعيش فيه الارواح بعد الموت كما يعيش السمك في الماء . بل قد تكون هي
 مصدر الكهرباء وكنهها فيمتزج بعضها بعد الانفصال عن المادة في الفيض العام ،
 وبعضها تظل مدة على كونيتها الارضية فتزورنا اذا رغبنا بزيارتها وتبلبل افكارنا .
 هذا . مثال من عقلية الرجل العلمية . اما عقلية الوطنية فالخدة تغلب فيها ،
 بل هي غالباً في حالة الاضطرام . اذكر يوم كنا في كربلاء انه تكلم في مجلس

غص برجال الشيعة اخوانه وكانت الصراحة تسابق التسخط في حديثه فاشفت عليه من نقمة المتعصبين . سمعته يمدح الامة الانكليزية لما فيها من علم وادب وقوة ونظام ثم صاح بهم قائلاً :

— واين العلم واين القوة واين النظام عندنا ؟ أفي حكوماتنا العربية والعصر الماضي الذي تسمونه مجيداً انما كان عصر السفاحين ؟ أفي مدارسنا وقد عثش الفساد حتى في الكتاتيب ؟ أفي بيوتنا وقد تراكت في زواياها وفي صحنونها اوساخ التقاليد وعفونة العادات القديمة الدميمة ؟ أفي ديننا وقد حلت الخرافات والتقداسات المزعومة محل اليقين والعمل المفيد ؟
هوذا الدجيلي يقرع ابنا قوم ، ابنا مذهبه ، فلا عجب اذا افتى المجتهدون
غير مرة بتكفيره .

مجيد الشاوي

ها قد عرفتك ايها القارى . العزيز الى ثلاثة ممن يكفرونهم في العراق . وتذكر اني قلت انهم اربعة . اليك اذن بسجل الكفرة كله . ان الرابع في السجل الكريم عربي تجاوز العقد الخامس من العمر ولا يزال فتياً — فتياً برأيه ، فتياً بلهجته ، فتياً بروحه وبواجب راحه . قد شغل هذا العربي مناصب متعددة في الحكومة ، وما خرج من واحد منها آسفاً . هو من اولئك الموظفين القليل عددهم الذين يعطون المنصب اضعاف ما يأخذون منه . فيخلصون الخدمة ، يعدلون ويصلحون ، ولا يكون جزاؤهم غير جزاء من لا يعدل ولا يصلح ، بل اقل . يبدلون من قوام ومواهبهم خيرها ، ويخرجون من دار الحكومة والفرق يشيعهم الى البيت . على ان النزاهة ترافقهم ايضاً وتلزمهم دائماً فتعزيهم بعض التعزية .

ان الرابع ممن اخص هذا الفصل بذكرهم هو عبد المجيد بك الشاوي ، الشيخ عبد المجيد ، الذي يشبه السيامي الافرنسي الكبير كليمنصو ليس فقط في وجهه بل في ذكائه المتأجج وسلوكه البسيط الشاذ . وقد تكون صورة الاسد

في وجه الشيخ عبد المجيد اظهر من صورة النمر . الا انه في صوته لا يهدر ولا يزجر .

كنا في بهو الانتظار ننتظر الامر لنصعد الى بهو الاستقبال فنسلم على جلالة الملك فيصل وتقوم بالواجب الآخر الذي دعينا له . وكان في المدعوين للمأدبة من الانكليز العسكريين والمدنيين من جاءوا في اثوابهم الرسمية ونباشيتهم تتلألأ على صدورهم ، ومن جاءوا يلبسون الاسود القاتم وقد صقلته المكواة وعززت اطرافه وحروفه . ولم يكن بين الوطنيين الذين ارتدوا كذلك الاسود المصقول ، والايض الناصع المكوي ، طوعاً للامر الملكي المطبوع بماء الذهب على رفاع الدعوة ، غير واحد لم يكلف نفسه الطاعة وما تستوجبه مثل هذه الرسميات . جاء في ثوبه الافرنجي اليومي وقد اكسبه الزمان لمعة في خناباه ، وهو يلبس قميصاً — استغفر الله اذا العين اخطأت او الذاكرة — لا تعرف النشاء حتى ولا المكواة . هو عبد المجيد الشاوي ، شيخ المعريين في بغداد .

وكان اول اجتماعي به تلك الليلة فاتحة الحب والاعجاب . لم يزرني في الفندق ، ولم يسع الي في غير مكان مثل غيره من الاخوان . ولكنه قال عندما تصالحنا : نحن ابناؤ عم وليس بيننا واجب التجميل واللباقة . فلم افقه مراده ولم انظاها بغير ذلك . فقال : انت ابن المعري وانا ابن الخيام والاثنان اخوة . ليس في الانساب اشرف من هذا النسب . اهنتك واخيت نفسي .

واذا انتسبت وقلت ابي واحد من خلقه فكيفي بذلك تنسباً
اراد المعري بقوله من خلق الله . ونحن فكراً ومبداً من خلقه اي من خلق المعري .

فقال احد الحضور : ولكن المعري كان منقشفاً الى حد النسك .

فاجاب الشيخ مجيد على الفور : لزوم ما لا يلزم . ونحن كذلك نلنقشف الى حد الاضطراب .

فقال آخر : والمعري يذم بنت الخان .

فاجاب الشيخ الذي امسى نقطة الدائرة : والخيام يمدحها . وهي تستحق

الاثنين . الذي ينقص المعري يكلمه الخيام . هما خير الرسل ، رسولان صادقان
 كريمان سويان - فبأي الاء ربكما تكذبان .
 وقد برهن الشيخ عبد المجيد تلك الليلة على انه من اتباع الاثنين الصادقين .
 رأته الى المائدة يحسو من المشعة الذهبية الكأس نلو الكأس وسمعته يردد من
 اللزوميات وهو يميل الى جاره السيد افنان :

رويدك قد غررت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء
 يحرم فيكم الصهباء صباحاً ويشربها على عمد مساء
 يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهان الكساء
 ثم رفع الكأس ولم يبق فيها غير النزر فشرب ثم قال :

وقد شرب الدهر صفو الانام فلم يبق في الارض الا العكر
 ليس الشيخ عبد المجيد^(١) من اصحاب القوافي الا ان تكون لغیره . وكأني به
 لا يضيع وقته في النظم وعنده اللزوميات يستعين بها على الزمان واضاليله . ولا
 هو ممن يسودون الاوراق وبيضون مع انه غزير المادة ، صافي الذهن ، سريع
 الخاطر ، لا يكبو براعه اذا راح عادياً في مضمار الانشاء . ولكنه مثل سقراط
 يفضل الحكمة المقولة على الكلمة المكتوبة . هو عبد المجيد كتاب لنفسه ، يقرأ
 منه في المجالس ، ويعيد كلماته ويمكنها حسبما تقتضي الحاجة . لا يداري ، ولا
 يجابي ، ولا يتهيّب احداً . هو في صراحته صنو الدجيلي والرصافي ، ولكنه في
 سرعة خاطره ونكته وميله الى الاحماض هو اشد به بالنقيب السيد عبدالرحمن .
 كنا يوماً في مجلس ابن النقيب السيد محمود فدار الحديث على حروب النبي
 محمد وما كان يظهر فيها من حنان صاحب النبوة وحلمه . فقال الشيخ مجيد :
 حنان الذئب على الشاة . واين الحنان واين الحلم ، رعاك الله ، في تحليله الرق وابعاحة
 النساء لرجاله . كانت حروبه مثل حروب تلك الايام ، ولا يختلف عنها الا
 بالدعوة . . . وما ذنب النساء في الحروب ؟

(١) رحمه الله . جيء به مريضاً الى بيرت في صيف هذا العام ١٩٢٧ فيما افاده تغيير
 الهواء ، ولا نجمع فيه العلاج والدواء .

فاجاب السيد محمود بان النبي صلى الله عليه وسلم اراد بالنساء خيراً حينما كان
 يميز سبيهن واسترقاقهن . لانه اذا دخلت جنود الاسلام بلاداً فمن باب الشفقة
 على النساء يأخذ كل محارب قسمته منهن فيعولهن ويحميهم .
 فقال الشيخ عبدالمجيد : هذا من باب الاجتهاد . ما اظن في النساء قديماً
 وحديثاً من ترضى ان تكون عبدة اسيرة خوفاً من ان تموت وهي حرة من الجوع .
 دفاعك مثل دفاع الذئب عن الشاة عندما وثب عليها ليحميها من الضبع . . .
 لا تزال متأخرين ، متأخرين جداً ياسيد محمود ، اذا كنا نرى شيئاً من الحق في
 مثل هذا الدفاع عن مساوي اجدادنا وفضائلهم . . . الغريب في امرنا نحن
 المسلمين اننا لا نتقدم الا اذا رجعنا الف سنة الى الوراء ، لا نرتقي حقاً الا اذا
 رجعنا الى ابي العلاء المعري . فنبتذ الاضاليل كلها ونبتذ المنتظمين من علمائنا
 الذين يثنون هذه الاضاليل ويثبتونها في الناس

نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق

وقد قال ايضاً المعري ونعم القول :

ولا تطيعن قوماً ما ديانتهم الاحتيال على اخذ الاتاوات

ان الشرائع القت بيننا احناً واودعتنا افانين العداوات

والاديان والمذاهب بلية الشرق الكبرى :

قال غي الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

نعم ، وفي قلوبنا منها السم ، وفي عقولنا العفونة . يضحكني وبكييني صياح

شعرائنا وخطبائنا . يهددون الغرب بنهضة الشرق . ولعمرى يجب ان ينهض

الشرق على نفسه ، قبل ان ينهض على الغرب ومدنيته . ولا نتقدم نحن المسلمون

الا اذا عدنا الف سنة الى الوراء — الى المعري ابي العلاء . (١)

(١) ما اصدقها كلمة ، وما ابلغها ، وما اجدرها بالنقل والترداد . خذوها عن الشيخ
 مجيد واسترحموا له الله . انها لمن الحكم التي تضمن الخلود لاصحابها ، فكم من شاعر وكلم
 من اديب تغلب على النسيان والفناء بكلمة بليغة ذهبت مثلاً او بيت من الشعر تغنت به
 الركبان .

ابن خلكان العراق

وفي العراق من الادباء كثيرون من هم شغفون بالحرية وبروح [الادب
الجديد. ولكن هذا الفصل يضيق دون ذكرهم ، وهذا الكتاب ، « ملوك العرب »
لا يسمح بفصل آخر اخصه بهم . الا اني افسح لكبيرهم عملاً لاسناً فيقف
— ولا كرسي اخر للجلوس — بين من ذكرت .

هوذا دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم ، صديقهم الاكبر ، ناشر
آثارهم ، حامل لوائهم ، روفائيل بطي . وهو منهم في الصف الاول . فقد حملة
حب الادب العصرية على تأليف كتاب « الادب العصري في العراق العربي »
الذي نشر منه الجزء الاول وسيليه ثلاثة اجزاء . هو عمل ادبي كبير ، وهو
جدير بالبطي المعروف بنشاطه واخلاصه ، وبذوقه وغزارة علمه . لذلك سميت
دائرة معارف ادباء العراق وابن خلكانهم .

ولروفائيل اسلوب في الانشاء سهل منسجم جلي ، لا تكلف فيه ولا اغراب .
وله في معالجة المواضيع مزينة مستحبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسباب
والاقتضاب فلا يطولها على نفسه فيعمل ، ولا يقصرها على القارى . فيضل .
هاك مثالا من الكتاب الذي اشترت اليه :

قال في الزهاوي :

« نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت ازاهير الادب فيها بعد الازدهار ، ودرست
معالم العلم بعد ان ناطحت بعلمها الفضاء ، فراعته الجود الهائل المستولي على الفهوم
والاقلام ، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظامون مقلدين غير مبتكرين . . .
فلم تانس روحه الناهضة هذه الخطة ، وعز على عقله المتوقد ذكاء ان يبق مصفداً
باغلال التقليد . »^(١)

وقال في الرصافي :

هو اول شاعر جاء قومه العرب بما يحبون وصارحهم بما لا يحبون . لم يعرف

(١) الادب العصري في العراق العربي — الجزء الاول — صفحة ٥ .

للتقليد او الخضوع للبيثة معنى لا في صناعته ولا في افكاره . كان من شعره
 صيحات عملت على نقويض معالم الاستبداد الحميدي ، كما انه ما لبث بعد نحية
 الدستور العثماني واستبشاره به ان رجع ينعي على القوم تحاذلهم لما شام فيهم
 من الرجعة . « (١) »

وقال في الدجيلي :

« لو كان للعلم والادب قيمة في هذه الديار لكان للشيخ كاظم الدجيلي
 مجال واسع لاظهار مواهبه وجلده على البحث . ولو كان لحرية الفكر حرمة في
 هذا القطر لرأت حقائق الدجيلي في شعره رنة تحدث بها المجالس . « (٢) »
 ان روفائيل ايضاً من الشعراء العاملين في السبيل الذي فيه التحريم والتكفير .
 وسيكفرونه ولا شك تكفيراً مضاعفاً لانه يسيء الى اصحاب العقائد والاداب
 العتيقة اساءتين في الفكر وفي الطريقة . اجل ، هو من انصار الشعر المنشور . وقد
 قال في قصيدة له عنوانها « النابغة » :

وجدتني في مجاهل ارض كل ما فيها يثير الدهش والذهول .
 ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص
 الاوهام ، اسير عادات ، ورهين اوصاب .
 حطمت السلاسل ، وكسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم ،
 وانعقدت مما درج عليه اجدادي
 فصاح اخواني وضجوا ، واعولوا وبكوا .
 رأوني خارجاً عن سجنهم ، اتمتع بحرية هم منها محرومون .
 شاهدوني ارفل بصحة وسلامة ، وهم في الامهم يتعذبون
 اولئك الذين يتخذون من جهل الشعب علمهم ، ومن ضعفه
 قوتهم . —

وقاك الله شرهم يا روفائيل .

(١) الادب المصري في العراق العربي - الجزء الاول - صفحة ٦٧ (٢) صفحة ١٨٧

الفصل السادس عشر

حجر الزاوية

الشعراء والسياسيون — المدارس العالية — المدارس العامة — بودة الوطنية —
 في دار المعلمين — المدارس في العراق — الطريقة التركية في التعليم — الانكليز
 يقاومون الفكرة اللاطائفية — مساعدات الحكومة للمدارس الخاصة — الحاجة الى
 معلمين — هل السوريون والمصريون اجانب؟ — ساطم المصري — حديث عن
 المعلمين السوريين — معمل الشوكولاته ودار المعلمين — استعينوا بالسوريين
 والمصريين .

الاعلانات في الاسواق — « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » — « لا
 حياة بغير العلم » — « العلم اساس العمران » — المعهد العلمي مصدر
 الاعلانات — عميد المعهد ثابت عبد النور يصطدم بعقود الحياة — لماذا خلق الله
 الانكليز؟ — لماذا خلق الله الخواتين؟ — اخوان ثابت في المعهد — حفلة سوق
 عكاظ — قف عند العمود وانل الاية — ثابت يهتدي — ثمرة الاعلانات —
 تعليم الاميين — بعد عودتي من نجد — لماذا خلق الله ثابت عبد النور؟ — ليعلم
 الاميين الالف باء — المدارس الليلية المجانية — دورة التفطيس — ثابت يمشي
 في الليل ولا يصطدم بعمود واحد — المادى الاجتماعية الخمسة — حجر الزاوية —
 الملك فيصل يساعد المشروع — هرون الرشيد يزور متكرراً المدارس الليلية .

ليس بالشعراء والادباء يستدل على ترقى الامة ، ولا بالسياسيين والصحافيين
 تسبر العقلية المدنية فيها . فقد تمتاز امة بتعدد شعرائها وادباؤها ولا تمتاز
 بوطنيتها . وقد يدبر المنحكون من السياسيين شؤونها ولا يعززونها ، وقد يقود
 الصحافيون الرأي العام وليس فيه روح مدنية ترفع الامة المفككة الاوصال الى
 وطن صحيح سالم موحد المقاصد ، موثق العرى .

وقد تكثرت المدارس العالية في امة وتكون عليها ، كما هي في سورية ، بلية
 من بلايا التفريق والشقاق . حتى ان المدارس العالية ، ولو كانت وطنية امماً
 وعملاً ، تنحصر فوائدها في عدد مخصوص من شبان الامة . وقد لا تفيدهم
 الافادة التي توصلهم للسعي والنور في مضمار الحياة . بل هي تخرج شباناً ادباء

يكونون غالباً تكلاء ، فنتألف منهم طبقة الافندية الذين قلما يصلحون لعمل وطني مفيد .

لم يبق اذن غير المدارس العامة نعتمد عليها في تحسين عقلية البلاد المدنية ، وتوليد روح وطنية جامعة راقية عاملة . اجل ، ان المدارس العامة لدليل الرقي الحقيقي في الامة ، لانها تعمم التعليم وتوحد المحجة فيه . هي البودقة التي تتكون فيها الروح الوطنية الجديدة . بل هي هي سياج الوطن وفيها عز الملك وشرف الامة .

ولكنها لا تكون كذلك ، لا تفلح في التكوين ، الا اذا كانت البودقة واحدة لا لتغير في تغيير المكان والمذهب واللغة . ان امة تعددت شعوبها ، ومذاهبها الدينية ، ولغاتها ، لا يتكون منها وطن عزيز الجانب ، رفيع الشأن ، مها كانت سلطاتها ، مها كان جيشها ، مها كانت ثروتها ، الا اذا اسست الحكومة فيها مدارس عامة ، مجانية ، لا مذهبية ، تمشي كلها على برنامج واحد ، ويكون التعليم فيها بلغة واحدة هي لغة البلاد الاصلية .

ماذا في العراق من هذه المدارس اليوم ؟ افي استبشرت باول حفلة دعيت للخطابة فيها وكانت في دار المعلمين . فاجتمعت هناك بوزير المعارف يومئذ السيد هبة الدين الشهرستاني ومستشاره الانكليزي ومديره الاستاذ ساطع بك الحصري ، وبزهاء مئتين من المدرسين في المدارس الابتدائية وفيهم نفر من السوريين والمصريين . كانت الحفلة عامرة بالخطباء والشعراء وكان الحديث بعد الحفلة في موضوع المدارس والتدريس ، فتم عن اشياء ثبتها بعدئذ من مصادر شتى ، وهي مما يستوجب الاسف .

قد اشرت مراراً في ما تقدم الى الاغلاط التي ارتكبها الانكليز في العراق وهم انفسهم يعترفون بها او ببعضها . فمنها ما كانوا فيها مسيرين ، ومنها ما كانوا فيها متعمدين ، وهم لا يعتبرون هذه من الاغلاط . مثال ذلك التعليم الابتدائي . قيل لي ان النية حسنة فيه ولكن الاعمال دون النيات . وقال آخرون لا النيات حسنة ولا الاعمال .

عندما دخل الانكليز العراق كانت الطريقة في التعليم تركية ، اي ان الدولة اجازت انشاء المدارس الاجنبية الطائفية ، وكانت تخصصها بشي من المساعدة المالية . وفي هذه المدارس كان يتعلم التلاميذ دينهم ولغتهم اولاً ، ثم ما لا يضر بالروح الطائفية والجنسية من العلوم . لا يخفى ما في هذه الطريقة من عوامل التفريق واسباب الشقاق . واذا خفي على الشرقيين فلا يخفى على الانكليز الذين تمشوا مع ذلك في التعليم العام على طريقة الاتراك . وهذا مما يؤسف له جداً . كأنهم ارادوا ان يثبتوا الامة في طائفياتها ونفسيها . ومع ان في العراق من ينصرون الطريقة الحديثة المجردة من المذهبية ، ويطالبون ببرنامج واحد في التعليم وبلغة واحدة ، والاستاذ الحضري في مقدمة هؤلاء المصلحين ، لحكومة الانتداب لا تقبل بذلك . وما عذرهما غير عذر الخائف من تسليم خصمه فيخرج عليه متحد القوى .

اما قول الانكليز ان اهل العراق غير مستعدين اليوم لبرنامج يوحد التعليم العام ، وان الحكومة لا تستطيع ان توحد اللغة في الاقل فتجعل العربية لغة التدريس في الموصل وفي كركوك مثلها في بغداد والبصرة ، فهو قول يحتاج الى برهان . لم تقدم الحكومة على ذا العمل ولا الانكليز اذنوا به . قد كانت في امكانهم ان يقوموا في البداية بنصف الاصلاح فقط ، فتتمنع الحكومة عن المدارس الخاصة - الطائفية - ^(١) المساعدة المالية وتقدم هذا المال ، الذي لا يزال يندل في سبيل التفريق ، لوزارة المعارف ، وهي احوج اليه ، لسد نفقات مدارس الحكومة الابتدائية .

ان هذه المدارس تزداد عدداً كل سنة فتضاعف لدى وزارة المعارف الصعوبات في ادارتها . والحقيقة هي ان اقبال الامة العراقية على العلم هو اكثر من اهتمام الحكومة في تخصيص النفقات وتسهيل الاسباب . وقد يكون بعض التبعة عليها اي على الامة . ان عدد التلاميذ تضاعف في السنتين الاخيرتين ،

(١) في العراق من هذه المدارس الخاصة اكثر من ثلاثين مدرسة منها لليهود ومنها للطوائف المسيحية اجنبية ووطنية ، ومنها اسلامية . والحكومة تخصصها بمساعدات مالية .

صعد من ثمانية الاف الى سبعة عشر الفا . وان عدد المدرسين لم يزيد اكثر من ثلاثين بالمئة ، ولم يتخرج من دار المعلمين في السنة الاخيرة غير خمسة وعشرين مدرس . فما السبب في ذلك . هناك اسباب اولها الميزانية واخرها الوطنية العراقية . واليك البيان والبرهان .

ليس في العراق ما يكفي من المعلمين العراقيين لسد الحاجة في ازدياد عدد الصفوف والمدارس . ولم تكن في ذلك النفر منهم تلك الجدارة التي يتطلبها التعليم الحديث . حتى وان كانت الجدارة فدار المعلمين لا تكفي لتخرج العدد اللازم كل سنة . ان خير ما يعملون اذن في حل هذا المشكل هو ان يستعينوا بمعلمين من سورية او من مصر . ولكن الوطنية العراقية تحول دون ذلك .

هب انها وطنية صحيحة ، افيستغني العراق اليوم عن المساعدة الاجنبية ؟ هذا اذا عدنا سورية من اوروبية . ولكن القطرين شقيقان لغة ، وجنساً ، وروحاً ، ومذهباً . فحبذا وطنية في التعليم اعلى من الوطنية في السياسة . حبذا وطنية مثل التي في مديرية المعارف . ان الاستاذ اباخلدون ساطع المصري لمن الاخصائيين في علم التدريس الذي مارسه مدة في اماكن مختلفة وحكومات عديدة . وما هو بسوري ولا بعراقي . هو عربي لا غبار على عربيته غير لهجتها . ذلك لانه ، وان كان ولد في صنعاء اليمن ، فقد اقام مدة في الاستانة يخدم الامة التركية . ثم تجرد لخدمة العرب عندما خلوا الشام فكان وزير المعارف في الحكومة الفيصلية . ثم سافر مع من سافر الى بغداد من رجال النهضة وهو لا يزال في وزارة المعارف يدير اهم شؤونها . والاستاذ ابوخلدون من اولئك القلائل الذين حرروا انفسهم وبيوتهم من قيود التقاليد الاجتماعية . اظن مجلسه هو الوحيد في بغداد الذي تستقبل فيه ربة البيت الزائرين سافرة وتشاركهم في الاحاديث .

اول مرة زرت الاستاذ وحرمة الفاضلة المهذبة اجتمعت في بيتهما بعدد من المعلمين السوريين الذين يعلمون في المدارس الابتدائية واكثرهم من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت . وكانت وزارة المعارف يومئذ هدفاً لانتقاد فريق

من الناس شق عليهم ان يروا بعض التفضيل في معاملة المعلمين السوريين ، فقاموا يحتجون على وجود معلمين من الاجانب في سلك المدرسين . ظننت لشدة الاحتجاج ان اكثرهم من الاجانب فسأت الاستاذ الحصري فقال : عدد المدرسين اليوم سبعمئة وعدد غير العراقيين منهم خمسة وعشرون .

ثم قالت حرمه باللغة الانكليزية : لو كان في العراق دار معلمين ثانية ! ولكن من اين المال ؟ الانكليز لا يساعدون ، والعراقيون لا يستطيعون . وهم يظنون ان دار المعلمين تعطيم المعلمين بالملئات . ليست دار المعلمين مثل معمل الشوكولاته يعمل مئة صندوق كل يوم ومن هم الاجانب بين المدرسين ؟ نشكر الله ليسوا باتراك . تأمل يا مستر ريجاني (كانت تكلمني بالانكليزية لانني لا احسن التركية) انهم ينظرون الى المصري والى السوري نظرهم الى الاجانب . وليس في السلك كله اكثر من ثلاثة بالمئة وما هم كلهم سوريين ومصريين . عندنا عشرة معلمين سوريين فقط وستة مصريين وتسعة انكليز . خمسة وعشرون معلماً اجنبياً ، اذا دعونا هم كذلك ، بين سبعمئة معلم من العراق .

اثان ونصف في المئة كان يجب ان تكون عشرين . ان في نفورنا من الاجانب الاوروبيين شيئاً من التعصب في بعض الاحايين ، فكيف به اذا كان يشمل من ليس من فطرنا من البلاد العربية . الاجانب السوريون ، الاجانب المصريون ، الاجانب الاوروبيون — ان هذه العصبية لشبيهة بالمذهبية . والويل لنا اذا كانت تحمل محل الوطنية العربية والقومية الجنسية العامة . ما السوري ، لخاصة في دوائر التعليم التي هي غير دوائر السياسة ، الا عربي يساعد في تهذيب ناشئة عربية ابنا كانت ، في العراق او في الكويت او في الحجاز . اني اذا ملت الانكليز لاتخاذهم في التعليم طريقة الاتراك الوم العراقيين اشد اللوم في تضيقهم نطاق الوطنية الى حد العصبية المذهبية او بالحري القطرية فعدوا السوريين والمصريين من الاجانب .

ليست دار المعلمين بمعمل شوكولاته كما قالت حضرة حرم الاستاذ ابي خلدون ، وليس المدرس من يحسن العلوم التي يدرسه فقط ، كما اوضح الاستاذ

في كتابه^(١) . اما وزارة المعارف في مثل هذه الحال ، اي بين عجزين في المال والرجال ، فهي تضطر احياناً ان تعين من ليس فيهم الجدارة ليسدوا بعض النقص في المدرسين . وكثيراً ما يؤدي ازدياد عدد التلامذة بالنسبة الى عدد المعلمين الى الجمع بين صفين اثناء التدريس ، فيخسر في هذا الجمع تلاميذ الصفين . أفلا يجدر بالحكومة العراقية اذن ان تستعين بجاتها ، بسورية او بمصر ، لتتلافى النقص والخلل ؟ —

من يسكن في المدن الحديثة يألف نظره الاعلانات في الاسواق فيراها ولا يقرأها ، كأنها جزء من الحائط او نقش على العمود الملتصقة به . وتمشي عمد الاسلاك البرقية وعمد المصابيح مثل الأشجار لدى الفلاح يصطدم بها فيظنها حجراً في طريقه فيسب بقرته او حماره ولا يسب الشجرة . كذلك كنت في بغداد وهي في عمد مصابيحها ، وفي جدران سوقها الاوحد ، اشبه بمدينة اميركية يجهك الاعلان فيها كيفما سرت ، وكيفما نظرت . ولكني ما سببت بقرتي ولا حماري ، بل كنت امشي في ذلك السوق « الجديد » كأنني في الدهناء ، انظر الى الارض تارة وطوراً الى السماء . فنقاضتني الاقدار يوماً ثن هذه المكابرة . نعم ، نطحت عموداً من حديد ، فاضطرت ان اقف هنيهة ليعود الي صفا نظري ، فقرأت كرها الاعلان الملتصق به :

— طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة —

فقلت : والحمد لله . هوذا في الشرق شيء جديد — اعلان للعلم ! بل اخذتني نازبة صدقي الزهاوي فصحت مبتهجاً : ايها الغرب ! تعال انظر ما في الشرق من جديد مفيد . ايها الغرب ! هوذا اعلان يستحيل وجوده في بلادك ، ليس لانه غير لازم بل لانه لا يستثمر مباشرة وليس من يقوم بنفقائه . قرأت الاعلان ثم قرأته معجباً به مبتهجاً . وصرت بعد ذلك امشي

(١) قد اصدر مؤخرأ كتاباً عنوانه : « دروس في اصول التدريس » طبع في مطبعة دار السلام ببغداد .

وناظرَي لسببين على العمود . تباركت اليد الطابعة ، واليد الناشرة ، واليد الدافعة المال . وهذا اعلان آخر : اطلبوا العلم من المهد الى القبر . وهالك آية اخرى من آيات النور : لا حياة بغير العلم . وهوذا اعلان للامة جمعاء : العلم اساس العمران . واليك على الحائط قاعدة النجاح والسعادة : تهذب وابتغ ما شئت . والاعجب من ذلك كله هو عند باب الـ « سبنا » على اللوحة التي تعلن الرواية الاخيرة . هناك نقرأ الانذار الاخير : بالعلم تحيا وبالجهل تموت !

استطلعت خبر هذه الاعلانات فعلمت ان الحكومة بريئة منها ، وان المحسنين الاغنياء او الاغنياء غير المحسنين لم يسمعوا بها . ان في بغداد جمعية ادبية اصلاحية اسمها « المعهد العلمي » ، وهذا المعهد العلمي هو مخترع اعلانات العلم ، وهو طابعها وناشرها على نفقته مجاناً لوجه الله . ايها الغرب - العفو يا صديقي الزهاوي - هوذا الشرق ناهضاً ، وقد نبذ النظريات والخيالات والادهام . هوذا الشرق ايها الغرب يحتديك ويفوقك في الغيرة المدنية . هوذا اسلوب في الاصلاح عملي - هوذا مثال واحد من مظاهر النهضة الحقيقية في العراق .

سألت عن المعهد العلمي وسددت خطواتي اليه ، فاجتمعت هناك بعميده الاول ، وهو فيه القوة الدافعة المحركة المدبيرة ، ثابت عبدالنور . حدثت ثابتاً فابهجني وازعجني معاً . الفيتة شاباً في العقد الثالث ، له من الحسن ما كان ليوسف وعنده من التسخط ما كان لايوب . وهو مع ذلك سليم الجسم والعقل ، يراق العين والجبين ، صافي الذهن والصوت ، وطنه فوق مذهبه ومذهب اجداده ، وشرفه اكبر من دينه . شاب رائع تبسم له الحياة بكل ما فيها من بوادر الامل وبوارق السعد والمجد ، وهو مع ذلك مثل ايوب ، بل مثل « دون كيشوت » ، حاملاً رحمه على الدنيا ، كثيباً على الدوام .

حدثت ثابتاً فازعجني . سمعته يشكو ويتسخط ويئن ، كأنه اصطدم بعمود في جادة الحياة ولا يزال الشرر يتطاير من عينيه . - لماذا خلق الله الانكليز ؟ لماذا خلق الخواتين ؟ لماذا خلق السادة الاشراف ؟ لماذا خلق الله المنافقين والخونة ؟

وجاء في منه بعد ايام كتاب بدعوني لتناول الشاي في بيته - « فتجتمع بصفوة الناهضين او بانموذج منهم في الاقل ، بشباب وطنيين اثبتت التجارب صدق عزيمتهم واخلاصهم ، ومقتهم المنافقين وغيرهم من ذوي الالقاب الضخمة والايهة الفارغة الذين ما يرحوا يسوقون الامة من مبيء الى اسوأ الخ » فنتسي ثابت كما ترى « صفوة الناهضين » الذين دعاني لاجتمع بهم في بيته .

هم اخوانه في المعهد وفي الجهاد ، يسلكون في الاصلاح ، اوسع الابل واطولها ، سبيل العلم : تعلم يا فتى فالجهل عار . وهو عميدهم المسؤول عن الاعلانات في شوارع بغداد . ان في هذا المعهد عقولاً عاملة مخترة فلا مسوغ فيه للنفوس المكتتية . وقد كانت باكورة اعماله واختراعاته انه اعاد الى بغداد الجديدة القديمة احدى المفاخر العربية التي خلدتها سوق عكاظ . اقام جماعة المعهد العلمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين ، وكانت اول حفلة باهرة فريدة بعد التنوير ، حضرها جلالة الملك فيصل فجلس في فسطاط بين النخيل يسمع الشعراء ينشدون والخطباء يخطبون . وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء . يمثله احد الصبيان الاذكياء ، وكانت الخنساء في طليعة الشعراء لتلو قصيدتها احدى الاوانس المسلمات سافرة صافنة .

فاز ثابت وزملاؤه في اقامة هذه السوق التي سنقام بعناية المعهد كل سنة ، وحاز فوق ذلك الجائزة الاولى في النثر . وهو مع ذلك يمشي في جادة الحياة الضيقة فيصطدم بالعمد فيها . احببت ثابتاً ورافقتة مراراً . وكنت كل مرة نصل الى عمود في السوق الجديد اقف امامه واتلو الابية فيضحك . العلم اساس العمران . ليس في ذلك ما يضحك يا ثابت . ان امركم كله جد ، وان من يخترع مثل هذه الاعلانات ويسعى في نشرها لمن اكبر الوطنيين ويحقق له ان يفتخر ويفرك بديه . بل يجب عليه ان يشكر الله الذي هداه سواء السبيل . سرّ عنك ودع المنافقين بنافقون . ان الله في خلقه مقاصد لا يدركها الناس . والانكليز واصحاب الالقاب الضخمة من خلق الله .

نعم ، وعظت ثابتاً ، بيد ان الوعظ ليس من شأني ، ولم اتأسف لذلك بل

مررت بالنتيجة . وكيف لا تظهر النتيجة الحسنة وصديقي من الاذكياء النجباء
الحكام . صار يمشي في الجادة الضيقة والواسعة دون ان يصطدم بالعمد فيها .
ثم جاءني ذات يوم يخبرني انه متابع للعمل الذي باشره بالاعلانات : قد فتحننا في
المعهد مدرسة ليلية لتعليم الاميين مجاناً . ثم بشرني بعد اسبوع بفتح مدرسة
اخرى خارج المعهد .

.....

سافرت الى نجد وعدت بعد اربعة اشهر الى بغداد فاجتمعت بثابت عبید
النور ودهشت لتغير ظاهر فيه - في حديثه ، وفي وجهه ، وفي خطواته . حدثته
فما ذكر المناقبين . مشيناً في الشارع فكانت خطواته اكثر تسدداً من خطواتي ،
فلم يصطدم ببشر او بحيوان او بشيء من الاشياء الاخرى الجامدة . سألته عن
مشروعه فقال : نجاحاً باهراً يا استاذ . صار عندنا اربع مدارس في المدينة وهي
لا تكفي . تعال الليلة معي تر بعينك .

مشيت وثابتاً في العسق ، في جادات بغداد الضيقة ، وهو ينيرها بانوار اماله
العالية واعماله الناجحة . ومرنا الى مدرسة من مدارس المعهد فدهشت اذ دخلت
مما شاهدت ومما سمعت . في الغرفة الاولى التي دخلناها صف الاولاد وسنهم
يتراوح بين الخمس والخمس عشرة ، وكلهم يشتغلون في النهار فيحرمون التعلم في
مدارس الحكومة . هم من الطبقة الثالثة في الامة ، من الشعب ، من العمال ،
وفيهم يباع الخبز ، ويبيع الليمون . وفيهم من يساعد اباه الحداد ، او عمه
السنكري . وفيهم من يخدم ليتعلم صنعة من الصناعات . وفيهم الخوذي والبويجي
والكناس عند الحلاق .

وقفت عند صغير الصف فوقف ويده على رأسه يجيب على سؤالي . اخبرني
بحرية مدهشة انه يشتغل في احد الافران في النهار ، وانه لا يحب الشغل ولا يحب
المدرسة . فقلت : ولماذا تشتغل ؟ فقال : عندي ام وعندها قضيب . فقلت :
ولماذا تجي الى المدرسة ؟ فاجاب : امي تقول اذا تعلمت القراءة والكتابة

اتخلص من الشغل في الفرن . واخبرني صغير اخر لا يتجاوز الستة سنًا بأنه جاء المدرسة من تلقاء نفسه مع رفاقه في الحي . وقد بان لي من مجمل الاجوبة ان اللأم في هذه النهضة الشريفة فضلاً يذكر .

دخلنا الغرفة الثانية في المدرسة فاذا فيها صف الشبان وبينهم الكهول . جالت عيني في الصف فوقفت عند الكبير فيه ، وهو رجل معتم حسن البزة يناهز الخمسين . هم بالوقوف ليحيب علي سؤالي - النظام على الكبير والصغير - فاشار المعلم تلتفكاً ان يقبل رجائي ويظل جالساً . اخبرني انه تاجر في السوق يتاجر بالسجاد ، وانه والحمد لله ناجح في تجارته مع انه قضى السنين فيها وهو امي . ثم قال : ولكن الزمان تغير يا افندي والرجل الذي لا يحسن الكتابة والقراءة في هذه الايام يحقره الناس . فعقب جاره على كلامه قائلاً : ويحقره خصوصاً الاجانب . عار علينا ونحن نطلب الاستقلال ان لا نحسن القراءة والكتابة . وقال اخر ، افصح الصباغ على يديه بصنعتة : انه سمع بهذه المدارس الليلية وكان دائماً يتوق الى تعلم القراءة والكتابة بشرط ان لا يمنعه ذلك عن متابعة عمله في النهار ، لانه صاحب عيال وعليه رزقها . ومثله في صف الشباب والرجال كثيرون ، فيهم الحداد والديباغ ، والساعاتي والطيان ، والبناء والحلاق والفران . وكلهم يؤمون المدرسة الليلية راغبين ببناء ثمارها ، شاكرين القائمين بها .

قطعنا الجسر لنزور مدرسة اخرى في الكرخ ، فعندما وصلت اليها رأيت عند الباب جمهوراً من الاولاد والشبان ينساقون ويتزاحمون كأنهم داخلون الى الـ « سينما » لا الى مدرسة الفباء الليلية . ها هي ذي امة جنت بالعلم . اخبرني مدير المدرسة بان عندهم ثلاث غرف فقط للتدريس وفي كل غرفة من الخمسة وسبعين الى المئة طالب من الاولاد والشبان والرجال ، وانه لو كان عندهم ثلاث غرف اخرى لامتلأت كلها بليلة واحدة .

هنأت صديقي وزملاءه جماعة المعهد العلمي بنجاح مشروعهم هذا النجاح المدهش . ومما هو جدير بالذكر انهم لا يقتصرون في تعليم الاميين على

«الكتابة والقراءة وبعض مبادئ العلوم»^(١) فقد وضعوا لمشروعهم نظاماً اقتطف منه ما يلي :

قد رأى مجلس ادارة المعهد العلمي في بغداد انه لا يتمكن من تحقيق مبادئه الاجتماعية اذا لم تستر الاكثرية بنور العلم الصحيح وتلقن مبادئ الاخلاق الراقية — تلك الاكثرية التي قضى عليها ان تبقى جاهلة... ولهذا فانه عزم على مكافحة داء الامية في بلاد العراق... فوضع نظاماً لهذا المشروع العلمي وقرر اذاعته مع المبادئ الاجتماعية الآتية :

- ١ - حب الوطن من الايمان .
- ٢ - حب النظافة من الايمان .
- ٣ - طلب العلم من المهد الى اللحد .
- ٤ - مقت الكذب واحترار الكاذبين .
- ٥ - حب الخير وعمله .

ويجب على مدير المدرسة ان يلقن الطالب قبل كل شيء هذه المبادئ الخمسة الاساسية . مدارس ايلية تعلم الاميين ابناء الشعب الالفباء وحب الوطن والنظافة والصدق — هوذا حجر الزاوية في الرقي الحقيقي الثابت . هوذا الاساس الامين في بناء الامة الجديد ، بناء الوطنية الصادقة ، المبينة على العلم والتهذيب ، المنيرة سبيل الاستقلال التام . هوذا حجر الزاوية ، وهو من صنع العراق ، لا يد اجنبية ساعدت في نحته ووضعه ، لا فضل لأجنبي فيه .

انه وايم الله لايجمل واعجب ما شاهدت من مظاهر نهضة العرب في الاقطار العربية كلها . مشروع تعليم بدأ بثلاثين طالباً في غرفة صغيرة من المعهد العلمي

(١) الدروس مقسومة الى ثلاثة اقسام يسمونها دورات فيتعلم الطالب :
في الدورة الاولى — القراءة ، الاملاء ، الحساب ، مبادئ معلومات ارضية ، مبادئ معلومات مدنية .
وفي الدورة الثانية — قراءة ، املاء ، حساب ، جغرافية ، تاريخ ، مبادئ الصرف والنحو ، معلومات مدنية .
وفي الدورة الثالثة — قراءة ، املاء ، انشاء ، حساب ، تاريخ ، جغرافية ، صرف ونحو ، معلومات مدنية ، مبادئ هندسية .

فعم في سنة واحدة مدن العراق الكبيرة كلها من البصرة الى الموصل . وان عدد الطلاب الاميين الذين يداومون ويتعلمون ليلاً مجاناً يتجاوز اليوم الخمسة الاف ، وقد يصل الى العشرة الاف غداً بفضل ادارة المعهد المنظمة واساليبه المبتكرة في التشويق ، وفي جمع ما يقتضيه المشروع من المال . فقد قررت بلديات المدن التي فيها مدارس ان تشترك في نفقاتها .

وهناك عدد من المؤازرين المتبرعين وفي مقدمتهم جلالة الملك فيصل الذي يعطف على المعهد ومشروعه عطف احد المؤسسين ويخصه سنوياً بمبلغ من المال . اجل ، قد اهتم جلالاته اهتماماً خاصاً بمشروع تعليم الاميين ، وزار متكرراً المدارس الليلية فشاهد بعينه ما شاهدته من مظاهر الفلاح . وحبذا التنكر في غير سبيل اللهو والسرور ، حبذا بغداد الجديدة ، وقد جنت بالعلم ، ورشيدتها الجديد بنشاطها وبساعدها ، فيطوف ليلاً كاحد عامة الناس لا ليحدث الصياد ، ويضحك من العباد ، بل ليقف امام اللوح الاسود ، لوح الالقاء ، الذي ميبيض منه وجه الامة ، فيستطلع خبر المتهافتين عليه من رعيته .

والحق يقال ان جلالة الملك فيصل ، مهما كان من شأنه في السياسة والزعامة ، لمن اكبر ملوك العرب غيرة على العلم ، وله في بث روح العلم والعرفان ، وفي تشجيع الادب والمشاريع التهذيبية في الامة ، الفضل الذي سيجعل عهده ولا شك عهداً ذهبياً مجيداً .

واني اتمنى ان يكون في كل قطر من الاقطار العربية مشروع مثل مشروع المعهد العلمي وامير مثل فيصل الاول بعهد المشروع ، فيقفى بعد ذلك على الامة والجهل في البلاد كلها .

الخاتمة

أو

ثمة البحث في الوحدة العربية

إذا كنت تصفحت هذا الكتاب ايها القارىء، أو ما جاء فيه من المباحث السياسية تجد من نفسك ميلاً، مقروناً بالعلم الذي لا يشوبه شائب الغرض والتحيز، لتتبع هذا البحث^(١).

قلت في الفاتحة ان البلاد شرقي الاردن هي جزء من الحجاز، والحجاز جزء من تهامة التي تمتد جنوباً الى النخا، والنخا من اليمن، واليمن هو الاصل الذي تنفرع منه نجران وعسير سهولاً وحزونا. هوذا شطر من اساس الوحدة العربية لو كانت للجغرافية سيادة على السياسة تدوم، أو لو كان للدين نفوذ في تلطيف مطامع الامراء، أو لو كانت للقومية العربية سطوة في القلوب حقيقية تسوقها في سبيل واحد الى محجة واحدة.

أفيسنتج من قولي اذن ان الدين والجغرافية والروح القومية لا تساعد اليوم في تحقيق الوحدة العربية؟ ليس من الصواب ان اجيب بلا أو بنعم. ان المذهب الديني في شبه الجزيرة لا يزال متغلباً على الدين. وهناك مذهبان قويان عصبية وسياسة لا يقبلهما السنيون، حنفيين كانوا أو شوافع. وهذان المذهبان هما الوهابية في نجد والزيدية في اليمن. ومن عقبات القضية ان حاكمي البلادين، السلطان عبد العزيز والامام يحيى يمكن حكماً مذهبياً. هما مليكان بفضل المذهب وباسمه ويصح ان اقول ايضاً ومن اجله. هما اعظم ملوك العرب قوة واقتداراً.

(١) راجع خصوصاً الفصل الثامن من القسم الاول والفصلين السادس والرابع عشر من القسم الثاني والفصلين الحادي عشر والرابع عشر من القسم الثالث في الجزء الاول. والفصول السابع والثاني عشر والثالث عشر من القسم الخامس في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

فلو فرضنا ان اكثر الاقطار العربية دانت لابن سعود فيظل القطر الباقى عاصياً خارجاً محارباً . ولو فرضنا ان الامام يحيى اكنسح الاقطار الغربية والجنوبية كلها فبسط سيادته من الحج بل من حضرموت الى الطائف ومن نجران الى جيزان ، ثم تقدم طالباً لتحقيق الوحدة كلها فانه آيوجد في نجد سداً لمطامعه عالياً منيعاً .

هذا هو الداء الاول ومكروبه المذهبية . فهل تحقق اماني الوحدة او بعضها يا ترى اذا قتل المكروب او عزل في الاقل من السياسة . لا يستطيع ان اجيب بلا او نعم لان نجاح القضية لا يتوقف على هذا الاصلاح وحده .

ان روح القبائل لا تزال سائدة في البلاد العربية ومتغلبة في اكثر اقطارها على الروح القومية . فلو فرضنا ان الامام يحيى خرج باسم القومية يجاهد في سبيل الوحدة العربية ، وقد اتخذ لقباً مدنياً وانشأ في اليمن حكماً مدنياً ، فلا لثني منهضته ان السيف سيفها لا يزال سيف قحطان ، وان قحطان لا تزال نازعة الى عصبيتها ، مشيرة في نزوعها العصبية الاخرى . وبكلمة اوضح ان العدا بين قحطان وعدنان عموماً ، وبين قحطان وربيعه خصوصاً ، لا يزال مستحكماً في جنوبي نجد مثلاً وفي اعالي عسير . فضلاً عن ان نجداً ، والصولة فيها لا تزال لربيعة ، تأبى السيادة العامة لبس في قحطان فقط بل في مضر ايضاً ومعقل مضر لا يزال الحجاز .

هذا هو الداء الثاني ومكروبه العصبية . فاذا تغلب امراء العرب الكبار على العصبية القديمة فيهم وقاموا باسم القومية العربية المحضة الشاملة بينفون الوحدة ، فهل يظفرون بها يا ترى ؟ لا يجوز ان اجيب سلباً او ايجاباً لان نجاح القضية لا يتوقف على هذين الاصلاحين فقط .

ان العوامل الطبيعية توجد في شكل اقسام من الارض وتقطيعها ، وفي من يسكنها ، ما يسمى وحدة جغرافية تشابه فيها الاجناس والطبائع والعادات والتقاليد ، وتشارك فيها مصالح الاهالي وسياسات المتقدمين فيهم . غير ان هذه الوحدة لا تدوم الا بثلاث : حكومة منظمة عادلة ، ومدارس وطنية عامة ،

وطرق مواصلات حديثة اي البرق والبخار . وليس في البلاد العربية اليوم ، ما سوى العراق ، غير قطرين في احكامهما شي . من النظام المدني ، هما الحجاز واليمن . وليس في البلاد العربية اليوم غير حكم واحد عادل ، هو حكم ابن سعود . اما المدارس الوطنية العامة فلا تجدها الا في الحجاز ولحج والبحرين والكويت . وليس في شبه الجزيرة كلها ، اذا استثنينا سكة حديد المدينة والتلغرافات السلطانية والاسلمكية في اليمن والحجاز ، شي . من البرق والبخار .

على ان في الحالة الجغرافية بعض الامل ، فيها اليسير مما يثبت وحدتها ويشتر بتعميم عواملها . وكأني بالقارىء يسأل سؤالاً آخر . اذا عمت هذه العوامل الاقطار العربية كلها ، فأنشئت الحكومات المنظمة ، وطرق المواصلات الحديثة ، والمدارس الوطنية العامة فهل نفوز بضالتنا المنشودة ؟

اجيب : نعم . ولكن بعد خمس وعشرين سنة في الاقل من بداية هذه المؤسسات ، فتزول بواسطتها العصبية القديمة لتحل محلها روح القومية العربية الكبرى ، وتنبذ السيادة المذهبية من الاحكام المدنية ، فنقوم مقامها سيادة العقل والعدل والتساهل ، بل سيادة العقلية العربية الجديدة التي ترفع فوق كل مصلحة وفوق كل سياسة ، مصلحة العرب المشتركة وسياسة العرب الموحدة .

اذن لا امل للعرب في تحقيق الوحدة العربية البكائية اليوم . فهل من الممكن ان يتفاهم ملوكها ويتآفون ؟ اجيب : نعم . واقول فوق ذلك انه من الممكن ان يؤلفوا وحدتين اوليتين تقسمان شبه الجزيرة شطرين في الحكم كما قسمتها الطبيعة ، اي الشطر الغربي والشطر الشرقي . وما كان هذا ليتم اليوم لولا سقوط الخلافة وتنازل الاتراك عنها .

اما رأبي فيها اذا اعرضه على اسيادي ملوك العرب . الخلافة يا اسيادي في قريش — حديث شريف . ومن في قريش اليوم ومن سلالة الرسول اصلح واشرف من جلالة الملك حسين ؟ ^(١) ولكننا في القرن الرابع عشر بعد البعثة

(١) قد كتب هذا الفصل قبل سقوط الملك حسين والمؤلف لا يزال على رايه ان فصل الخلافة عن السيادة المدنية الزمنية هو خير للاسلام والمسلمين .

النبوية ، وسنة التطور سنة الله . فاذا استنكرنا عمل الاتراك فلا يجوز ان نتعamy عما هو صالح فيه ، بدأ مصطفى كمال وزملاؤه في فصل الخلافة عن السلطنة وهذا هو النصف الصالح في اصلاحهم . واني اظن ان الاسلام لا يعود بعد اليوم الى التقليد القديم .

افلا يجدر بالعرب اذن ان يخطوا هذه الخطوة الى الامام فيقبلون من مصطفى كمال نصف برنامج اصلاحه ؟ وهم اذا بايعوا حسيناً بن علي على الخلافة فيجعلون مقره مكة اي كالبابا في رومه ، ويقيمون بعدئذ ملكاً غيره منهم .

اذا سألته بهذا التقدم واياك الى ما يليه . لنفرض ان الملك حسيناً قبل الزعامة الدينية الكبرى فمن من ملوك العرب اليوم يستحق الزعامة المدنية الكبرى ويحقق امال العرب بها ؟ لا اظنك اذا كنت قرأت ما تقدم تتردد في الجواب ، نعم ، ابن سعود وابن حميد الدين . فيحكم الاول الجزء الاكبر من شطر البلاد الشرقي ، والثاني الجزء الاكبر من شطرها الغربي . فلماذا لا نساعد كلا منهما اذن ليبسط حكمه على سائر الشطر الذي هو اليوم السيد الاكبر فيه ؟

اني احدثك ايها القارىء بلغة فيها سداد المنطق وبساطة الف باء . ولا انتقل من مقدمة الى اختها قبل ان ابين باجلى بيان الحقيقة فيها . سلمنا بالخلافة للحسين ، وبالملكية للملكين . ولكننا السبيل الى ذلك ، ما هي ؟ وما هي العقبات التي تقوم في وجه المشروع ؟ وكيف تُذأل ؟

ان في سبيل الفلاح عقبتين لا يستخف بهما ، الاولى في داخل البلاد والاخرى خارجها . اسم الاولى امراء العرب واسم الثانية دولة بريطانيا العظمى . وان بين الاثنين صلة لا تقطع اليوم ، ولست ممن يطالبون بقطعها . انما اقترح ان تنتقل من الفروع الى الاصل ، ارتئي ان يتألف من الصلات المتعددة صلة واحدة او بالحري صلتان لا غير . اما اذا اعترض الانكليز قائلين ان الامراء لا يقبلون بذلك فاجيب : ان للامراء ولوجهاء العرب الحق في معالجة الامر دون تدخل حكومة بريطانيا على شريطة انهم منذ البدء يؤكدون لها ان مصالحها في البحر الاحمر والبحر العربي وخليج فارس لا تمس بتاتا .

أما الامراء الحاكمون اليوم فاول ما يجب اقراره هو ان الحكم يبقى في بيوتهم كما كان منذ القدم ، اي ان آل صباح يظلون في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والعبادلة في الحج ، والادارسة في عسير الخ . ولا يتغير في استقلالهم غير اعترافهم بالسلطان الاكبر واشترآكهم واياه في الدفاع عن البلاد وفي عقد المعاهدات ، وفي نظام واحد يختص بالمسائل الاقتصادية والمصالح العامة .

ليس في هؤلاء الامراء اليوم واحد مطلق من نفوذ الانكليز مها كان ضئيلاً . وليس فيهم من لا اتفاق او معاهدة بينه وبين دولة بريطانية العظمى فهل يفضل ان يكون النفوذ لامير عربي كبير اذا توفرت فيه شروط الزعامة فيتعزز بذلك شأن الاثنين ؟ وهل تخسر دولة بريطانية العظمى او تفادي بشيء من مصالحها اذا عقد السلطان الاكبر معاهدة معها شبيهة مبدئياً بالمعاهدة او الاتفاق الذي كان بينها وبين الامراء ؟

انني ادرك انها تفضل ان يكون اتفاقها مع كل امير على حدة ، لان في ذلك تقسيم قواهم والاقتصاد بقواها . ولكن الامراء ، اذا هم فكروا ملياً ، يرون مصالحهم الكبرى في غير هذه السياسة . فهم اذا وحدوا سياستهم يعتززون ويتخلصون من تدخل عمال الانكليز الشبه الرسمي والغير الرسمي ايضاً ذلك التدخل الذي يشنون كلهم اليوم منه . وان بريطانيا العظمى لتكتسب ثقة العرب وحبهم اذا قبلت بمثل هذا الاصلاح وفيه ضمان مصالحها .

ان ابن سعود صديقها وحليفها . فما ضرها اذا كان هو الموقع للمعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين البحرين والكويت وقطر وعمان ؟ وما ضر هؤلاء لو كان ابن سعود ، وهو صاحب الصولة والاقتدار ، الضامن سلامتهم ، واستقلالهم ، العامل في سبيلهم - على شرط - الا يكون لسيادته فيهم صبغة مذهبية . واكثر هؤلاء الامراء مثل ابن سعود من قبيلة واحدة من ربيعة ويمتدون الى بكر بن وائل .

ليس في ذا الامر اذن شيء مستحيل . والخطوة الاولى في سبيله هو ان يعقد مؤتمر عربي عام في مكة مثلاً يحضره كل الامراء فنتم فيه مبايعة الملك حسين

على الخلافة ، ثم مبايعة الامام يحيى على الملك في الغرب والسلطان عبد العزيز في الشرق ، ويكون بين الملكين معاهدة ولائية اقتصادية وانفاق بان يكون ايضاً بينهما وبين بريطانية مثل هذه المعاهدة او ما يقترن بها مبدئياً .

اما الملك حسين فيشترط العرب في بيعتهم انه يقبل بمن يقيمونه ملكاً عليهم . واذا بايعه كل العرب يبايعه ولا شك المسلمون في الهند وفي الاقطار الاسلامية الاخرى . فهلا يرضى ، وهو الحضيف الحكيم ، ان يكون خليفة يحترمه المسلمون اجمع ، ولا يكون ملكاً في الحجاز همومه السياسية الخارجية والداخلية هي اشد من هموم حاكم من حكام الدول العظمى في هذه الايام ؟

ان في البلاد العربية اليوم اربعة ملوك كبار ، وان في نفسية الرعايا رعاياهم نصاً على شخصية اولئك الملوك وشرحاً على حالة تسود سياستهم في البلاد .

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه .

رعية ابن سعود تطيعه وتحبه .

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف .

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع الا مكرهه .

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق ان يسود العرب ؟

فهرس الاعلام

في هذا الكتاب

تضمنت

الاسماء التي وردت في القرآن الكريم
والاسماء التي وردت في السنة النبوية
والاسماء التي وردت في التاريخ الاسلامي
والاسماء التي وردت في الفقه الاسلامي
والاسماء التي وردت في اللغة العربية

فهرس الاعلام

الاسماء التي وردت في القرآن الكريم
والاسماء التي وردت في السنة النبوية
والاسماء التي وردت في التاريخ الاسلامي
والاسماء التي وردت في الفقه الاسلامي
والاسماء التي وردت في اللغة العربية
الاسماء التي وردت في التاريخ الحديث
والاسماء التي وردت في التاريخ المعاصر
والاسماء التي وردت في التاريخ العثماني
والاسماء التي وردت في التاريخ العثماني الحديث
والاسماء التي وردت في التاريخ العثماني المعاصر

في الخلافة من قبله ولا يملك في الظاهر من العرب السيادة من غير
 التورق او يكون من النكاح والبيعة والولاية المصنوعة بالعلم فان كانت
 بغير العلم او بغير العلم فان عند الحاجة الى العلم بغير العلم
 كما انك حين جازت العرب في ارضهم انك تعلم انك تعلم انك تعلم
 عليهم واما ما ذكره العرب في قوله ولا تملك السيف في الشكوك الا ان
 الامامية الاخرى في قوله لا يفرق وهو الحرف الحرف ان كان حلالا في
 المسلمين اجماعا ولا يكون ملكا في الظاهر حرفة السيادة الظاهرة في
 في الجبر من غير ان يكون حكامهم ان يظن في هذه الامور
 ان في الولاية العربية اليه اذ لا يكون حكاما ولا يملك السيف في
 حقا في الحقيقة اذ لا يكون حكاما في حقه فلو كان حكاما في الولاية
 راسة اولا من حكامهم

وعد ان عدل **الكلمة** في سنة

في سنة الامم في حجة من سنة حكامهم
 وحدهم انك تعلم انك تعلم ولا تعلم الا انك تعلم
 من انك تعلم انك تعلم في حجة حكامهم انك تعلم انك تعلم

فهرس الاعلام

في هذا الكتاب

ملاحظات ،

أ هذه العلامة تدل على ان الارقام التي ما بعدها من صفحات الجزء الاول
 B الجزء الثاني
 — تدل على وجوب تعداد الارقام ما بين الرقبن مثلا ١ — ٥ يعني ٤ ٣ ٢ ١
 او ان هذه الكلمة وردت في أكثر الصفحات الواردة بين هذين الرقبين

— حرف الالف —

٢٢٧ ٢٢٢ B (ابن جابر (ارحمه الجلاهية)	١٤٩ B آري
٢٣٠ ٢٢٨ B (ابن جابر (بشر بن ارحمه)	اب (مدينة) ١٠٦ ٩٩ ٩٦ ٨٥ A
١٣٠ A (ابن جرير (سليمان)	٢١٤ ١٧١ ١٣٦
٢١٥ A (ابن جعفر الصادق (اسماعيل)	ابراهيم (الخادم) ١٤٠ ١٢٩ ١٢٨ B
٧٣٧٢٨ (ابن جلوي (عبدالله) امير الحسا	١٤٣ —
٨٦ B (ابن جميعه (ابراهيم)	ابراهيم (آل) ٢٢٨ ١٥١ B
٢١٣ B (ابن حسن (ابو طاهر سليمان)	ابراهيم باشا بن محمد علي A ٢٦٧ ٥٥
ابن حميد الدين (السيد احمد بن قاسم بن عبدالله) ١٣٣ A	٣٥٣ B ٢٢٢ ١٠١ B
ابن حميد الدين (الحسين بن يحيى) ١٣٣٨	ابراهيم الخليل A ٢٤٥
ابن حميد الدين (القاسم بن يحيى) ١٣٣٨	ابراهيم ال (الشيخ يوسف) ١٥٧ ١٥٦ B
ابن حميد الدين (محمد سيف الاسلام بن يحيى) ١٣٣ A	ابن ابي العاص (عثمان) B ٢١٠
ابن حميد الدين (المطهر بن يحيى) ١٣٣٨	ابن ابي سلمى (زهير) B ٨٨
ابن حميد الدين (الامام يحيى) راجع يحيى بن حميد الدين امام اليمن	ابن ابي طالب (الحسن بن علي) A ١٢٧
ابن حنبلين شيخ المعجمان B ١٦٨	٣٥٣ ٢٨٤ ٢١١ B
ابن خلدون B ٢١١	ابن ابي طالب (الحسين بن علي) A ١٢٧
ابن خلكان B ٣٩٧	٣٧٦ B ٢١١
ابن الدخيل B ٨٧	ابن الاثير B ٢١١
ابن ذي جندن A ٣٤٨	ابن احمد (الشيخ سايمان) B ٢٠٥
ابن الرشيد (عبد العزيز) امير جبل شمر ١١٧ ٨٦ ٦٣ ٥٨ ٥٥ ٣٨ B	ابن ادريس (السيد احمد) A ٢٥٢ ٢٤٨ A
٢٩٠ ١٥٧ ١٢٥	٢٧٤ ٢٦٨
ابن الرشيد (فيصل) B ٤٥	ابن ادريس (فتادة) A ٥٥
	ابن ادريس (السيد محمد بن احمد) A
	٢٧٠ — ٢٧٤
	ابن بطوطه B ١٩٦
	ابن ثاني (قاسم) B ٢٣١ ٢٣٠

- ابن زايد (هزاع بن سلطان) حاكم عمان
٨٧ B
- ابن زياد الحارثي (الريم) ٢١٠ B
- ابن زيدون ٢١٣ A
- ابن سعدون ٨٢ B
- ابن شايب (نصر) ٢٩٠ ٣٨٨ A
- ابن صالح (الشيخ سالم) ٣٩٠ A
- ابن صويط ٨٧ B
- ابن طوالة ١٢٩ B
- ابن عباس (قرية) ٣١٩ A
- ابن العربي ١٤٨ A
- ابن علي بن حيدر (الشريف حسين)
٢٧٠ ٢٦٩ A
- ابن مجلاد ٨٧ B
- ابن مهنا ١١٧ B
- ابن نايف ٨٧ B
- ابن يحيى بهران (موسى) ١٣٠ A
- ابها (حصن - مدينة) ٣٠٨ ٢٧٢ A
- ٧١ B
- ابو بكر (الخليفة) ٢٠٩ B ١٣٠ A
- ابو التمن (جعفر) ٣٣٢ ٢٧٢ B
- ابو جارود ١٢٩ A
- ابو حلفه (قرية) ٣١٨ A
- ابو حنيفه (الامام) ٢٥٥ ٢٥٢ A
- ٣٨٨ B
- ابو سعيد حمدان ٢١١ B
- ابو سعد (جزيرة) ٢٨٢ ٣٧ ٣٥ A
- ابو سعيد القرمطي ٢١١ B
- ابو شهر (اسكلة) ٢١٧ ١٥٨ ١٥٥ B
- ٢٤٦ ٢٤١ ٢٣٩ ٢٣٤ ٢٣١ ٢٢٩ ٢٢٦
٢٢٥
- ابو عريش ٢٧٠ ٢٦٧ ٢٦٠ ١٣٠ A
- ٢٨٨
- ابو العلاء المرعي ٢٤٥ ١١٧ ٧٤ A
- ٢٧٥ B ٢٩١ ٢٨٦ ٢٨١ ٢٧٩ ١٨٨
- ٢٩٦ ٢٩٤
- ابو فديك الخارجي ٢١٠ B
- ابو نقطه ٢٦٩ A
- ابو النواس ٣٩١ B
- ابيكوريوس ١٧٢ B
- أبين ٣٦٣ A
- انابة (قرية) ١٠٩ B
- اجا (جبل) ٨٨ B
- الاجمود ٣٨٩ ١٨٣ ١٨٠ A
- اجل (السرदार) ١٧١ B
- اجياد (قلعة) ٦٣ A
- احمد بن حسن (الامام المهدي) ١٣٠ A
- احمد بن حنبل (الامام) ١٤٤ A
- الاحمدية (طريقة) ٢٦١ ٢٥٧ ٢٤٩ A
- ٢٧٢ ٢٧٠ ٢٦٦
- الاحرم (الشيخ محمد صالح) شيخ القطيب
٢٦٠ ٢٨٩ ٢٨٢ A
- الاضطل ٢٨ A
- الاخوان ٤٩ ٤٨ A
- ١٠٧ ١٠٦ ٩٩ ٩٢ ٨٩ -- ٧٦ ٢٥ ٢٢ B
- ١٤٩ ١٤١ ١٣٩ ١٣٠ ١٢٨ ١٢٧ ١١٥
- ٤١٢ ٢٧٧ ١٧٥ ١٥٩
- الادارسة ٤١٥ B ٢٦٧ A
- الادريسي (السيد حسن بن علي) ٢٧٥ A
- الادريسي (السيد حسن بن محمد) ٢٧٦ A
- الادريسي (السيد السنوسي) ٢٧١ A
- ٢٢٣ ٢٩٦ ٢٩٠
- الادريسي (السيد العابد السنوسي) ٢٧٥ A
- ٢٨٧
- الادريسي (السيد عبد الرحيم) ٢٧٦ B
- الادريسي (السيد عبد العزيز) ٢٧٦ A
- الادريسي (السيد عبد المتعال بن محمد بن احمد)
٢٧١ A
- الادريسي (السيد عبد الوهاب) ٢٧٦ A
- الادريسي (السيد علي بن محمد بن احمد)
٢٧١ A
- الادريسي (علي بن محمد بن علي) ٢٧٥ A
- ٢٧٦

بلادريسي (محمد بن علي) حاكم عسير ١٥٨
 ٦٧-١٠٩٧٧-١٢٢-١٥٠-١٥٢
 ١٧٤-١٨٧-١٨٢-١٩٠-١٩٩
 ٢٢٦ ٢٥٩ ٢٢٦
 ٢٨٤ ٢٨٢ ٩٦ ٥٨ B
 بلادريسي (السيد محمد العربي) ٢٤٢ A
 ٢٧١
 بلادريسي (السيد مصطفى) ٢٧١ A
 ٢١٩ ٢٨٦ ٢٧٦
 بلادريسية (طريقة) ٢٦٠ A
 ارانون B ١٥
 ارجو A ٢٧١ ٢٧٢
 ارحمة الجلامه B ٢٢٢ ٢٢٧
 الاردن B ٢٩٤ ٢٩١
 ارسلان (الامير امين) B ٢٢٢
 الارطاوية B ١٢٦
 ارفع (السرदार) B ١٧١
 ارفع واشنطون A ١١٨
 ارلنده A ١٢١
 ارمني - الارمن B ٢٥٥ ٢٩١ ٢٩٣
 ٢٠٥
 ارميا A ٢٤٢
 ارواد (جزيرة) B ٢٢٢
 ارواد بيلوس B ١٩٠
 اريحا B ٢٩١
 ازدرشت - ازدرشتي A ٢٤٣ ٢٤٥
 الازهر (كلية) A ٢٧٢
 الاسبان B ٢٢٤
 الاستانة A ٥٠ ٥٥ ٥٦ ١٥٥ ٢٥١
 ٢٥٢ ٢٧٢
 ٢٩٤ ٢٨٦ ٢٨٤ ١٥٧ ١٥٥ ١١٧ ٢٩ B
 ٢٧٦ ٢٧٢ ٢٧٠ ٢٦٧ ٢٦٢ ٢٥١ ٢٦٥
 ٤٢ ٢٧٩
 استرابون B ١٨٩ ١٩٠
 استراليه A ٢٤٤ ٢٤٥
 اسد (بنو) B ١٥٢ ١٥٣

اسراييلي « راجع يهود »
 الاسعد (كامل بك) B ٢٢٣
 اسكتلندي A ٢٧١
 الاسكندر B ١٩٢ ١٩٣
 اسكندرونه A ٦٥ B ٣٠٠ ٣٠٢
 الاسلام A ١٩ ٢٧ ٥٠ ٥٨ ٩٣
 ١١٧ ١١٨ ١٢٤ ١٢٨ ١٥٥ ١٦٢ ١٦٧
 ١٧٠ ١٧٢ ١٧٥ ١٨٥ ٢٢٢ ٢٤٦ ٢٦٤
 ٢٩٩ - ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
 ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠
 ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠
 ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠
 ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠
 ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠
 ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠
 ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠
 ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠
 ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
 اسماعيلي - اسماعيليون A ٢٤٢ ٢٤٣
 ٢١٢ B
 الاسماعيلية A ٢١٥
 اسيه A ٣٤٥
 اشعيا B ٣٦٦
 اشور B ١٩٠
 اصاف (يوسف بك) B ٣٢٢
 اصفهان B ٢١٧
 الاصفهاني (السيد ابو الحسن) B ٢٧٢
 الاعشى B ١٠١
 الاعظية B ٣٨٨
 اقا خان A ٢١٥
 افرنج B ١٧٣
 افريقية A ٢٥٩ ٢٤٤ ٢٨٤
 افريقية (الشرقية) B ١٩٠
 افغانستان A ١٨٦
 الافغاني (جال الدين) B ١٨٥
 الاقلاج (مقاطعة) B ٣٣ ٨٨ ١٠٨
 ٢٢٥ ٢١٨
 افنان (السيد حسين) B ٢٧٩ ٢٨١ -
 ٢٩٥ ٢٧٢ ٢٦٩ ٢٥٨ ٢٥٢ ٢٨٢
 اكسفورد B ٣٨٧
 الاكوع (الشيخ علي) A ٢٠١ ٢١٢
 ٢١٩ ٢١٤

- انطونيوس (القديس) B ١٤٠
 اقره A ٣٥١
 انكلترا « راجع بريطانيا »
 الانكليز - الانكليزي A ٧-١٩ ٢٧ ٣٧
 ١١٢ ١٠٠ ٩٥ — ٧٢ ٦٠ ٥١ ٤٨
 — ١٧٤ ١٥٣ — ١٤٩ ١٢٧ ١٢٩
 — ٢٢٩ ٢٢٩ — ٢٢٠ ٢٢١ ١٩٩ ١٨٨
 ٢٦٢-٢٢٥ ٢٢٥ ٢٢٠ — ٢٩٨ ٢٨٦
 ٢٨٩ ٢٧٧
 ١١٢ ١٠٤ ٨١ ٧٠-٤١ ٢١ ٢٧-١٢ B
 ٢١٦ ١٩٤ — ١٨٥ ١٦٧ ١٥٩ ١٥٥ ١١٦
 ٢٢٨ ٢٢٤ — ٢٧١ ٢٦٩ ٢٦١ — ٢٢٩
 ٢٧٧ ٢٧٤ ٢٧٠ — ٢٥٧ ٢٥٢ ٢٤٢
 ٤١٥ — ٤٠٠ ٢٩٤ ٢٨٩
 انور باشا A ٥٩ B ٢٨٤ ٢٨٥
 ٢٦٧ ٢٢٥ ٢٨٨
 الاهدل (السيد عبد الرحمن بن سليمان)
 ٢٦٠ ٢٥٩ A
 الاهدل (السيد عبد القادر) A ٢٥٩
 اهل البان (قبيلة) A ٢٧٨
 الاهواز - الاهوازيون B ١٧٢ ٢١٢
 اوال « راجع البحرين »
 اور الكلدانيين B ٢٥٨ ٢٥٩
 اوروبه A ١١ ٢٤ ٤١ — ٥٨ ١٤٦
 ٢٧٩ ٢٥١ ٢٤٤ ١٧٤ ١٦٨ ١٥٢
 ١٨٢ ١٨٠ ١٥٠ ٩٩ ٦٦ ٥٢ ٤٤ ٢٩ B
 ٢٥٢ ٢٢٨ ٢٢٠ ٢٢٠ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢١٥
 ٤٠٢ ٢٨٩ ٢٦٢
 اوربي - اوربيون اوروبيات A ١٧
 ٢٤١ ٢٩٢ ٢٢٢ ١٤٩ ٩١ ٤٥ ٤١ ١٩
 ١٩٨ ١٨٦ ١٤٩ ١٢ ٥٩ B ٢٤٨
 ٤٠٢ ٢ ٢٢٩٨ ٢٥٨ ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٠٤
 اوفير B ١٩٠ ١٩٣
 اويس القرني A ٢٦٥
- ال بدر وما شاكلها راجع الحرف الذي بعد
 كلمة آل اي راجع كلمة بدر
 البوكره (الفونسو) B ٢١٥
 الماني — المان A ١٣٦ ١٤٠ ٢٧٢
 ٢٦٥ ٢٨٩ ٢٨٥ ٢٨٢ ٢٤٠ ٢٢٩ ٥٧ B
 ٢٩٠ ٢٦١ ٢٩٧
 المانيه A ٦٠ ٢٨٨
 ٢٦٧ ٢٢٩ ٢٢٨ B
 آتني (الجنرال) A ٢٢٤
 ٢١٢ ٢ ٢٢٩١ ٢٨٩ B
 الالوسي (مصطفى افندي) B ٢٢٨ ٢٨٨
 ام الذر (ماء) B ٢٦ ٤٥ ٤٦ ٧٢
 الامرات B ١٠٩
 امرسون (رُلف وُلدو) A ٧
 امرؤ القيس A ٢٨ ٩ B ١٠٩
 ام العمدة (قرية) A ٢٤٩ ٢٦٦ ٢٨٢
 ام الهشيم (قرية) B ١٣٥
 الامويون (بنو امية) A ١٢٦ ١٢٢
 ٢١٠ ٢٦ B
 اميركة او الجمهورية الاميركية A ٦ — ٢٧
 ٢٩١ ٢٢٢ ١٥٠ ١٢١ ١١٥ ٧٨ ٧٥ ٢٩
 — ٢٨٨ ٢٩٢
 ١٨٠ ١٧٢ ١١٤ ١١٢ ٤٤ ٢ ١٨ B
 ٢١١ ٢٠٨ — ٢٠٠ ٢٥٩ ٢٠٢ ٢٧
 ٢٨٩ ٢٥٧ — ٢٤٨ ٢٢١ ٢١٥
 الامبركان الامبركيون الامبركي A
 ٢٧٢ ٢٩٢ ١٦ ١٢٠ ٩١ ١٨ ١٢٦
 ٢٥٤ ٢٠٢ ٢٠ ١٧٢ ٥٩ ٢٩ ١٩ ١٢ B
 — ٢٥٧
 الاناضول B ٢٨١
 الاندلس A ١١٨ ١٢٢ ٢١٢
 ٢٠٦ ١٠٨ B
 انس (جبل) A ١٠٨
 الانصاب A ٢٨٤
 انطاكية B ٢٠٢

إيطالي - ابطلبون A ١٨٧ ٢٧٢ ٢٧٨
 ٢٢٤ B ٢٤٧٢ ١
 إيطاليا A ٦٢ ١٢١ ٢٧٢ ٢٠٢٢-١
 ٢١ ٢٨ ٢٨٤ B
 ايلباس الحويك (بطيريك الموارنة)
 ٢٢٠ ٢١١ ٢١ B
 ايوب الصديق A ٢٦٥ B ٤٥
 الأيوبي شكري B ٢٩٨

الاقيانوس الهندي B ٢١٥
 اوما (بلدة) B ٢١٢
 ايران A ٢٤٥ ٢٥٢ ٢٨٢
 ١٧٠ ١٧٠ ١٨٠ ٢١٦ ٢٢٦ ٢٢٢ ٢٢٢
 ٢٦٥ ٢٢٥
 ايراني - ايرانيون A ٢٤٢ ٢٤٢
 ٢٤٠ ٢٠٤٢-٢ B

— حرف الباء —

البحاح (قرية) A ٢٢٦
 البحر الابيض A ٦٠ B ١٩٠
 البحر الانليتيكي A ٢٨١
 البحر الاحمر A ١٨٨ ٢٨١ — ٢٨٢
 ٢٥٢ ٢٢٢ ٢١٥ ٢٠٥٢ ١
 ٤١٥ ٢٩٢ ٢١٥ ١٩٢ ١٧٩ ١٦١ ٢١ B
 بحر اوقاس B ١٩٥
 بحر فارس B ١٩٥ ٢٠٢
 البحر العربي A ٤٢ ٥٢ ٥٨ B ٤١٥
 بحر عمان B ٢٠٢
 البحر المتوسط B ١٨٩ ١٩٧ ٢١٥
 البحر الميت B ٢٩١ ٢٩٠
 البحر الهندي B ٣٠ ٢١٦
 البحرانيون او البحارنة B ٢٠٠ ٢٠٧
 ٢٤٩ ٢٤٢ ٢٢٦ ٢٢١ — ٢١٤
 البحرين A ١٨ ٢٤١
 ١٢ B — ٤٧ ٢٦ ٢٦ ٢٧٢ ٢٧٢ ١ ١٥٢
 ٤١٦ ٤١٢ ٢٤٧ — ١٧٩ ١٥٩
 بداح B ١٢٢ — ١٢٤ ١٢٤ ١٤١
 بدر (مدينة) A ٢١٥
 بدر (يوسف السالم جليبي آل) B ١٤٨
 ١٥١ ١٥٠
 البدو A ٩ ١٥ ٢٦ ٢٧ ٢٠ ٤٠ ٤١
 ٢١٤ ١٤٦ ١٢٢ ٩٢ ٥١ ٥٠ ٤٨ ٤٧
 ٢٨٦ ٢٨٥ ٢٨٢ ٢٧١ ٢٨٢ ٢٧٤ ٢٦٧

الباب B ٢٥٢
 باب المندب A ٢٨٢
 بابل B ١٩٠ ١٩٢
 الباجي (حمدي) B ٢٧٢
 باجل ~ ١٧٨ ٢٠٠ — ٢٠٢ ٢١٢
 ٢٧٥ ٢٦٠ ٢٢٨ ٢٢٠ ٢٢٧ ٢٢٢
 البادية B ٢٥ ٢٨ ٤٢ ٤٧ ٥٢ ٦٥
 ١٨٢ ١٦٢ ١٥٨ ١٤٧ ١٤١ ٨٦ ٨٥ ٧
 ٢١٢ — ٢١١ ٢٠٥
 بادية التيه B ٢٨٩
 بادية سيناء A ٢٨٨ ٢٨٩
 بادية الشام B ٣٥ ٤٥
 دارت (الميجر) A ١٨٨
 باريس A ٥٢ ٢٠٤ ٢٢٤
 ٢٨٦ ٢٦٦ ١٨٢ ١٤٠ ١١٦ ١١٢ ٩٩ B
 ٢١٥ ٢١٤ ٢١٠ ٢٠٢ ٢٠٧ ٢٠٢ ٢٠٠
 ٢٧٦ — ٢٢١ ٢١٩
 باسلامه (اسماعيل) A ٩٦ ٩٨
 باش اعيان (الشيخ محمد امين عالي) B ١٤٨
 الباطن B ١٢٤ ١٢٥ ١٢٩
 بالمرستون اللورد) A ٢٥٢
 بان A ٢٧٧
 باهادور (محمد شريف خان) A ٢٤٥
 ٢٤٨ ٢٤٢ ٢٤٠ B ٢٨١ ٢٤٦
 البترة (اسم نقد) B ١٠٩

- البسام (عبدالله) B ١١٥ ١١٤
 البستاني (سليمان) A ٢٨٤ ٥٠
 البسفور A ٥٨
 البصره A ١٣١ ٦١ A
 B ١٦٢-١٤٨ ١٤٠ ١٣٠ ٩٩ ٢٦٦-١٣
 ٢٥٥-٢١٥-٢٠٢ ١٩٢ ١٨١ ١٧٢-١٧٠
 ٢٦٢-٢٥٠ ٢٤٢-٢٢٩ ٢١٧ ٢١٤ ٢٦٤-
 ٤١٠ ٤٠١
 البصير (الشيخ مهدي) B ٢٧٢ ٢٧٠
 بطي (روفائيل) B ٢٩٨ ٢٩٧
 عبدا B ٣٠٥
 بعدان (جيل) A ١٠٧ ٩٦
 بقوبة B ٢٢٩ ٢٨٠
 بعلبك B ٢٨٢ ٢١٢
 بغداد A ٢٤١ ١٣
 B ١٢-١٣ ١٥٤ ٩٩ ٦٧ ٥٤ ٢٤-٢١٠ ١٦٨
 ٢٦٧ ٢٦٦ ٢٥٨ ٢٥٥ — ٢٥٢ ٢٢٨ ٢١٦
 ٢٧٠-٢٦٢ ٢٨٨ ٢٩٤ ٤٠١ — ٤١٠
 البقاع B ٢٢٧
 البقوم (قبيلة) A ٥١
 بكا (قرية) B ٢٢٦
 بكيل (قبيلة) A ٢٧٢ ١٨١ ١٣٢
 بل (جرزود) B ١٦ — ٢٧٨ ٢١
 ٢٨٠ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٧٠-٢٧٢
 ٢٧٨
 بلاد الاكراد B ٢٢٩ ٢٧٢
 البلجيك A ٢٨٨ ٢٦٧
 بلخاف (ميناء) A ٢٨٥
 « بلد الشيخ » B ١٠٢
 بلزك A ٥٣
 بلس (الجنرال) B ٢٠٢ ٢٩٩
 بلشفي - بلشفيون A ٢٢٢ ٢٨٢ B
 بلفين (الجنرال) B ٣٠٠
 بلغراف (وليم) A ٩
 بليس (هاورد) B ٢٠١ ٢٠٧
- B ٦٥ ٥٧ ٥٢ ٢٧ ٢٢ ٢٨ ٢٧ ٢٥ ٢٢
 ١٣٦ ١٢٤ ١١٦-١٠٤ ٩٢ ٨٤ ٧٧ ٧٠
 ٢٥٩ ٢١٢ ١٨٦ ١٦٩-١٥٥ ١٥٠ ١٢٨
 ٢٧٦ ٢٩٥-٢٨٧ ٢٦٤
 بدو الرويس A ٥٠
 البدويات A ٢٠٢
 البديم B ٢٠٥
 براغ (جيل) A ٢١٥
 بر الشام A ٢٩١
 بربره B ٢٣٥
 البرتقال A ٢٨١
 برتقالي - برتقاليون A ٢٨٠
 B ٢٢١ ٢١٧-٢١٥
 برن (رتشرد) A ٩
 برج ايفل A ٥٧
 بركات (صباحي بك) B ٢٢٢
 بركهارت (جان) A ٩
 بروستاني بروستانيون A ١٥٨ ٢٩٢
 B ٢٨٧ ٢١١ ٢٨
 بريان B ٢١٥
 بريده A ٩٨ B ٩٨ ١٠٠ ١١١
 ١١٨ ١١٦-١٢٧ ١٨٠
 بريطانية العظمى او الحكومة الانكليزية او
 بلاد الانكليز A ٣٠ ٢٦ ٥٩ — ٦١
 ٦٣ ٦٥ — ٦٧ ٧٤ ١٥٢ ١٧٥ ١٧٦
 ١٨٠-١٩٠ ٢٠٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
 ٢٦٨-٢٥٢ ٢٤٩ ٢٤٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٠١
 ٢٨٦ ٢٨١
 B ١٥ ١٧ ١٩ ٥٦ ٢٧ ٥٦ ٦٦ ١٥٥-١٥٥
 ١٥٩ ١٦٦ ١٦٧ ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٧-٢٤٨
 ٢٥٦ ٢٦٢ ٢٧٠-٢٨١-٢٧٢
 البريطانيون « راجع الانكليز »
 برينوند (الكولونيل) B ٢٩٢
 البريني (عشيرة) A ٢٨٢
 آل سالم B ١١٢

البهاء B ٣٥٣	٨٩ ٢٣ ١٨-١٢ B ٤٤ A
البحرة (فرقة من الاسماعيلية) A ٢١٥	٢٦٠ ٢٥٧-٢٥٢ ٢٤٥ ٢٢٤ ١٩٨ ١٧٩
بوذا A ٢٤٥	٣٥٠
بوذي - بوذيون A ٢٤٢	١٧٢ B (بابا رومه)
بورت سعيد B ١٩٢ ١٩٢	١٩٢ B (ثيودور)
بورت سودان A ٧٧ ٦٢	البنجاب (مقاطعة) A ٢٤٢ B ١٤٩
بوعن (جيل) A ١٠٦ ٢٠٣-٢١٤	بندر عباس B ٢٧٢
بولك B ٣١٥	بنغازي B ٣٦٧
بياب (الكولونيل) B ٢٩٩	بنو نيم B ١٠٦-١٠٨ ١١٦ ٢٠٨
بيارتز B ١٨٢	بنو خالد B ١٠٧ ١٥٣
بيت الفقيه (مدينة) A ٢١٥ ٢٢٩ ٢٥٩	بنو زيد B ١٠٧
بير احمد (مدينة) A ٢٨٨	بنو سعد B ١٠٦
بير سبع B ٢٨٩	بنو الشعلان B ٥٥
بير الغزب A ١٢٧ ١٦٩	بنو طي B ١٥٣ ٨٨
بيزاني (الملازم) B ٢٩٢ ٢٩٢ ٢٩٦	بنو علي آل B ٢٠٦ ٢١٨ ٢٢٨ ٢٣٠
بيشه (قلعة) B ١٨٠	٢٣٨
بيشون B ٣٠١-٣٠٥ ٣١٢ ٣١٥	بنو عته B ٢١٨ ٢٢٠ ٢٢٤ ٢٢٥
بيرنغ (مضيق) A ٢٩٢	٢٢٧ ٢٤٥
بيروت A ١٠ ٤٨ ٨٠	بنو كلب B ١٥٢
B ١٥١ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٠٠-٢١١ ٢١٥	بنو مطر (قبيلة) A ١٠٧
٢١٨ ٢٢٢ ٢٢٤ ٤٠٢	بنو ناصر A ٢٥٦ ٢٥٧
بيكو (جورج) A ٦٤	البيبا او البيان A ٢٤٥ ٢٤٢ ٢٤٣
B ٢٠٢ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢١٠	١٩٨ B

— حرف التاء —

١٨١-١٩٠ ٢٠٤-٢١٦ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٧	تاجورا وسلطانها A ٢٢٤ ٢٢٦
٢٢٨ ٢٢٤ ٢٢٦ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢٨ ٢٠١	التازي (الشيخ عبد الوهاب) A ٢٥٢
٢٠٢ ٢١٤ ٢١٨ ٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٩	٢٦٣-
B ٥٥ ٧٤-٧١ ١١٨ ١٥٩ ٢١٦ ٢٦٨	تاروت B ٢٢٧
٢٧٢ ٢٧٧ ٢٨١ ٢٩٩ ٢٢٧ ٢٥٥ ٢٦٠	تبوك A ١٨ B ٢٩٠
٢٧٠ ٢٧٦ ٢٧٠ ٤١٤ ٤٠٢ ٤٠٤	تربه (قرية) A ٤٨ ٥١ ١٩٢
التركية (الدولة) «راجم الدولة العثمانية»	B ١٢ ٥٨
تشرشل B ٢٧٥-٢٧٧ ٢٢٩ ٢٤٠	تربه (قلعة) A ٣٦٦
٢٤٨ ٢٦٧	الترك او الاتراك A ١١ ٢٩ ٢٦ ٥٤-
	٦٤ ٧١ ٨٥ ٩٩ ١٢٧-١٤٥ ١٧٠-١٧٦

٤١١ ٢٨٢ ٦٩ ٦٦ B	٢٥٩ ١٨٩ ٩٨-٩١ A (بلد)
٢٢٨ ٢٢٢ A - تهايمون	٢٣١
٣٥٢ A تهايمي	٢٦٢ B (بلد) قل كف
٢٧٠ ١٣٠ A تهايمون	٣١٩ A (قرية) التنبية
٣٠٧ B (الكلونيل) تولا	١٣ B (نهر) الخفيس
٢٩٠ B تهايم	١٧٤ ١٣٢ ١٣٠ ١٠٠ ٧٧ A تهايم
٢٩٢ ٢٩٠ ٢٨٧ B (جريدة) التيمس	٢٤٢ ٢٢٩-٢١٨ ٢٠٦ ١٩٢ ١٨٧ ١٧٧
٢١٥ B تيمورلنك	٢٩٥ ٢٨٨ ٢٨١ ٢٧٧ ٢٧٢-٢٥٦ ٢٤٨
	٢٥٢ ٢٢٨ ٢٢٥ ٢٢٠ ٢١٤ ٢٠١ ٢١٧

— حرف الثاء —

ترمدنا B ١٠٩ ١٠٨ ١٠٦

— حرف الجيم —

١٢٧ ١٢٢ ١٢٠ A جرجي التساوي	٢٥٧ B الجاحظ
١٨٥	٢١٠ B (الاشعث بن عبدالله) الجارودي
٩ A الجربجيري (البيطريوك)	١٧١ B (الردار) جاسم
١٠٩ B جريير	— ١٧٦ ١٣٢ A جاكوب (الكرنل)
٣٤٨ A الجزائر	٢٦٨ ٢٦٥ ٢٤٧ ٢٤١ ١٨٢ ١٧٩
٢٩٨ B (الامير عبد القادر) الجزائري	٤٠٣ B الجمعة الاميركية
١٠٩ B (اسم نقد) الجزم	٢٨٢ ٢٦٦ A جاوه
٢٨٠ A الجزويت	٢٤٣ ٢٤٢ A الجاوي
٢٧ B الجشه	٢٢٧ B جب جنين
٢٠٢ B ٢٤٢ A جعفريون - جعفري	٧٢ B (وادي) جبرين
١٤٠ ١٢٧ ١٢١ ١١٨ B جعبين	١٩٤ ١٩٢ ١٦٢ ٢٢ B جبيل (اسكلة)
١٤٢	١٠٢ B (قرية) جبيلة
٢٧٢ ٢٧١ A (السيد علوي) الجفري	٢١٦ B (جزيرة) جدا
٣٥٠ B ٢٧٠ A (بلد) جلاجل	٥٠-٢٨-٢٥ ٢٣ ١٤ ١٢ A جده
٢١٦ B (شاه) جلان الدين شاه	١٢٥ ١٢٠-١١١ ٧٢ ٦٨ ٦٢ ٦٢ ٥٨ ٥٢
٢٢٨ ٢٢٨ ٢١٨ B (الجمهورية) الجلاهمة	٢٢٥ ٢١٥ ٢٧٨ ٢٧٧ ٢١٧ ١٨٢ ١٤١
١١٧ B (عبد العزيز بن مساعد آل) جلوي	٢٢٩
٢٩٥ B (الجليل) الجليل	٢٤٢ ٢١٢ ٢٨٤ B
٦٠ ٥٩ A (بasha) جمال	٢١٨ ٢١٦ B (مرجعيون) جديدة
٢٩٥ ٢٩٠ — ٢٨٨ ٢٨٥ ٢٨٤ B	١٥٢ B (جديله) جديدة
٢٨٠ B (فخري آل) جميل	

الجوف A ٢٢٩ B ٧٨ ٧٨ ٧٨
 ٢٩١ ٢٩٠ ١١٧
 الجون (موسى) A ٥٥
 جيونى (مدينة) A ٢١٧ ٢٢٢ ٢٢٤
 ٢٤٨ ٢٤٧
 جيزان A ١٧ ١٢٠ ١٥٣ ١٨٢ ١٨٧ —
 ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٥٢ ٢٧٥ ٢٧٧ ٢٨٤
 — ٢٩٦ ٢٠٢ ٢١١ ٢١٥ ٢٢١ —
 ٢٣٥ ٢٥٩ B ١٦١ ٤١٢
 الجبلاني (الولي عبد القادر) B ٢٥٤
 ٢٥٨ ٢٥٧

جبله B ١٥٣ ٢١٨ ٢٢٥
 الجندي (حسن) B ٢٢٧
 جنكيز خان B ٢١٤ ٢١٥
 الجهره B ١٢٩ ١٤٣ ١٤٩ ١٥٨ ١٦٤
 ١٦٨
 جنيف A ٣٠٦
 جو (قرية) B ٢٠٥
 الجواد (الامام محمد) B ٢٨٨
 جودت بك B ٢٨٨ ٢٩٥
 جورج الخامس (ملك الانكليز)
 A ١٧٨ ٢٤١ B ١٦٦ ٢٨١ ٢٤٢ ٢٤٩
 جورج (لويد) A ١٢١ ٢٢٩ ٢٤٠
 B ٢٠٧ ٢١٠

— حرف الحاء —

٢١٥ B ١٧ ٥٧ ١٢٥
 حجام (وادي) A ٢١٤
 الحجير (وادي) B ٢١٥
 الحجيلة (قرية) A ٢٠٠ — ٢٢٦
 حجر الحجور (بلد) A ٢٧٧
 حداد باشا A ٢٦
 الحد (مدينة) B ٢٠٦
 حده (قرية) A ٢٧
 الحديثة A ٧٧ ١١٠ ١١٥ ١٣٠ ١٤٠
 ١٥٠ ١٧٤ — ٢٠١ ٢٨٤ ٢٨٢ ٢٧٨
 ٢٢٩ B ١٦ ٢٦ ٢١٥
 حراز (جبل) A ٢٠٠ ٢٠٨ ٢١٠
 ٢١٢ — ٢١٥
 حرب (قبيلة) B ١١٦
 الحرمين B ٥٧ ١٠٢ ٢١٢ ٢٢٠
 الحرير (وادي) B ٢٢٦
 الحجاج بن يوسف B ٢٥٥
 الحرير A ٢٢٢ ٢٩٠ ٢١٥ B ٦٤
 حريرله (بلد) B ١٢ ١٤ ١٦
 الحريري B ٢٥٧
 حزقيل (ساسون افندي) B ٢٢٨ ٢٤١

حاتم بحر (الولي) A ٢٥٦
 حاشد (قبيلة) A ١٠٩ ١٢٢ ١٨١
 ٢٧٢ ٢١٥
 حافظ ابراهيم A ٢٨٤
 حائل B ٨١ ٥٨ — ١١٧ ١٢٠
 ١٨٠ ٢٧٢ ٢٩٠
 حب (جبل) A ٩٦
 حبان (مدينة) A ٢٨٥
 الحبشة (بلاد) A ٢٢٤
 الحبشيات (النساء) A ٢٢٤ ٢٨٧
 حبل (قرية) A ٢١٨
 الحجاز A ١٢٨ — ١٨ — ٢٢ ٣٠ — ٤٠ — ٦٦
 ٨١ ١١٩ ١٢٠ ١٢٥ ١٥٠ — ١٧٢ ١٧٢
 ١٩٢ — ١٩٤ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٨ ٢٧١
 ٢٨٤ ٢٧٢ — ٢٢٤ ٢٢٨ ٢٥٩ ٢٢٦
 ٢٧١
 B ١٤ ٢٥ ٢٨ ٢٩ ٤١ ٥٠ — ٥٨ ٧٨
 ٨٥ ١٠٢ ١٥٢ ١٧٩ — ١٨٧ ٢٢٢ ٢٥٤
 ٢٨٤ — ٢١٢ ٢٤٢ ٢٦٥ ٤٠٢ — ٤١٦
 حجازي - حجازيون A ٢٢٢ ٢٩٠

٢٩٦ ٢٩٤ ١٧١ B ٦٥ ٦٠ A حلب

٢٦٧ ٢٢٤ ٢٢٠ ٢١٢ -

الخلعة B ٢٢٤

الجماد B ٢١٢

٢١٢ ٢٩٦ ١٧٤ B ٦٥ A جام

حمد B ١٤٢ ١٢٨

حمدان (أبو سعيد) B ٢١٢

الحمراء A A ١١

حمدي باشا B ١٥٥

حمزه (الشيخ) A ٢١٨ - ٢٢٦

حصص A ٦٥ B ٢٩٦

٢١٢ ١٤٢ ١٤٠ ١٢١ ١٢٩ B حمود

الحموي (ياقوت) A ٢٧

حنفي - حنفيون A ٢٤٢ B ٤١١

حنيفة (وادي) B ١٠١ - ١٠٦ ١٠٣

٢٠١ ١٢٦ ١٢٩

الحواشب A ٨١ - ٢٤٩ ٢٩٨ ٩٣

٢٧ B ٢٨٧ ٢٨١ ٢٦٧ ٢٦٢ ٢٥٩

الحواشب (سلطانة) A ٨٩

الحواشد A ١٠٩

حوران (وادي) B ٢٢٧

الحواره (ميناء) A ٢٨٤

الحوطة (عاصمة لحج) A ٢٦١ - ٢٧٠

٢٨٦ ٢٧١

الحوطة B ٢١٦

حوامل B ١٠٩

الحويلة (قرية) B ٢٢٨

٢٨٢ ٢٦٥ ٢٥٤ B حيدر (رستم)

٢٨٢

الحيصة B ١٠٦

حيفا B ٢٥٢ ٢٢٤ ٢٢١

الحيمة (بلد) A ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٤

٢٧٢ ٢٦٢ ٢٦١

حزب (قرية) A ١٠٦ ١٠٧

الحساء A ١٨٢ B ٢٠ - ٢١ ٢٥ -

١١٥ ١٠٨ ٩٤ ٩٢ ٨١ ٧٤ - ٥٢ ٢٧

٢٠١ ١٨٢ - ١٧٩ ١٦٨ ١٦٤ ١٦٢ ١٥٤

٢٥٠ ٢٤٤ ٢٢٩ ٢٢٠ ٢١٦ -

الحسا (قلعة) B ٢٩٤

الحسن (راجم ابن امي طالب)

حسن (الشريف) A ٥٥

الحسين (راجم ابن امي طالب)

حسين بن علي (ملك الحجاز) A ١١ -

١٢٥ - ١١٦ ١٠٠ ٩٢ ٨١ ٧٥ ٧٢ ٦٨

١٩٦ - ١٨٦ ١٧٥ ١٥٥ ١٤٩ ١٢٥ ١٢٢

٢١٨ ٢٠٨ - ٢٠٥ ٢٩٨ - ٢٨٢ ٢٧٢

٢٧٢ ٢٥٩ ٢٢٦ - ٢٢٥

١٨٤ ١٧٠ ١٢٠ ٩٦ ٥٨ ٥٦ ٢٨ B

٢٠٢ - ٢٩٠ ٢٨٨ - ٢٨٤ ٢٦٧ ٢٤٧

٢٤٢ ٢٢٩ ٢١٥ ٢١٢ ٢٠٩ ٢٠٨

الحسبي (الدكتور محمد) A ٢٥

٤٠١ ٤٠٠ B الحصري (ساطع بك)

٤٠٢

الحضرة B ٢٤٢

١٢٠ ١٢١ ١٧ ١٥ A حضرموت

٢٢٠ ٢٧٧ ٢١٤ ٢٨٤ ٢٨٢ ١٨٧ ١٨٢

٤١٢ ٢٠٢ ١٠٢ B

٢٢٢ ٩٧ A حضرميون - حضرمي

٢٠٨ B الحضرمي (عبد الله بن أباد)

٢١٧ ٢٠٩

٢١٤ A حفاش (جبل)

١٢٢ ١١٩ ١٠٠ ٩٩ B الحفر ماء

١٤١ ١٢٩ - ١٢٤

— حرف الخاء —

خليفة (الشيخ خليفة بن الشيخ سلمان آل)	٢٦٥ ٢٧٢ B
خبرة الدوبش	١٦٤ ١٣٩ B
خليفة (رائد بن عبدالله آل)	٢٧٠ A
خليفة (الشيخ سلمان آل)	١٠٢ ٨٨ ٢٢ B
	١٠٨
خليفة (الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن)	١٨٠ ٥٨ B ٥١ A
خليفة آل)	٢٧٤ A
خليفة (الشيخ علي بن خليفة بن سلمان آل)	١٧٦ ١٥٩ ١٦٦ ١٧٠ -
	٢٦٤ - ٢٥٢ A
خليفة (الشيخ عيسى آل)	٢٥٠ ٧٢ B
خليفة (الشيخ مبارك بن عبدالله آل)	٢٢٢ ٩٢ ٢٨ ٢٢ A
خليفة (الشيخ محمد)	٢٢٢
خليفة (الشيخ محمد آل)	٥١ ٣٥ ١٦ B ٦٠ A
	١٨٩ ١٧٩ ١٦١ - ١٥٠ ١٤٠ ٩٩ ٦١ -
	٢١٦ ٢١٤ ٢٠٩ ٢٠٢ ٢٠١ ١٩٤ - ١٩٠
	٢٧٢ ٢٥٥ ٢٤٥ ٢٤١ ٢٢٩ ٢٢١ ٢٢٩
	٤١٥ ٢٤٢ ٢٢٥
خليفة (الشيخ)	٢١٨ B
خليفة (آل)	٢١٧ ٢٠٤ ١٥٢ B -
	٤١٥ ٢٢٨ ٢٢٥ ٢٢٠
خليفة (الشيخ ابراهيم بن محمد آل)	B
	٢٢٤ ٢٢٢ ١٨٧ - ١٨٥
خليفة (الشيخ احمد بن سلمان آل)	٢٢٦ B
خليفة (الشيخ احمد الفايح آل)	٢١٩ B
خليفة (الشيخ حمد آل)	B (الامير الحالي)
	٢٤٢ ٢٤١ ٢٠٥
خليفة (الشيخ خالد بن علي آل)	٢٠٥ B

— حرف الدال —

دامه	٢٢٢ ٢٢١ B
دار الامير (قرية)	٢٧٠ ٢٥٦ ٢٤٩ A
داود (النبي)	٢٢٧ ٢٠٩ ١٩٢ B
الداودية (فرقة من الاسمايلية)	٢١٥ A
	٢٢٢

الدمام B ٢٣٠	الديباغ (عبد العزيز بن مسعود) A ٢٥٢
الدميري B ١٩٥ ١٩٩	٠٢٦٣
الدنادشة B ٢٢٢	الديديه (سهل) B ١١٧ ١٣٩ ١٤٠
دسّون B ٢٨٢	دُبّين (وادي) A ٨٦ ٨٥ ٢٧٤ ٢٦٩
دقله A ٢٧٢ ٢٧٥	دُمّي (بلد) B ١٩٤
دقلي - دقليون A ٢٢٦ ٢٢٤	الدّينبة (ناحية) A ٢٨٥
ده فوكرسون B ٢٢٢	دجلة (نهر) A ٦٠ B ١٨٩ ٢٠
دعلي B ٢١٦	٢٨٨ ٢٥٨ ٢٥٤ ٢٦٥
الدهناء A ٢٢٩	دجونسون B ٢٦٠
١١٧ ١٠٨ ١١٩ ٨١ ٧١ ٢٥ ٢٢ ٢٧ B	الدجيلي (كاظم) B ٢٧٩ ٢٨٧ -
٤٠٤ ٢٠٩ ٢٠١ ١٦٩ ١٢٦ ١٢٧ -	٢٩٨ ٢٩٥ ٢٦٢
الدواسر (قبيلة) B ٧١ ٩٩ ١٠٤	دخان (جبل) B ٢٠٥
٢٥ ٢٠٥ ١٦	الدخول B ١٠٩
الدواسر (وادي) B ٧١ ٧٤ ٨٦ ١٢٩	الدراجة B ٢٥٨ ٢٥٩
الدوحة B ٢٣٠	درزي - دروز B ٢٠٩ ٢١١ ٢١٦
دوران (القطان) B ١٩١	درعا B ٢٩٠ ٢٩٤ ٢٩٥
دوطي (شارلس) A ٩٨ B ١١٤ -	الدرعية B ١٠١ - ١٠٣ ٢٢١ - ٢٢٢
١١٦	دروين A ٩٢ B ٢٨٧
دون كيشوت B ٤٠٥	دكسون (المبجر) B ٢٧ ٢٤ ٢٤ ٦٤ ٦٥
الدويش (فصل) B ٨٢	الدكيم (قرية) A ٨٤ ٢٦٧
ديالي B ٢٢٧ ٢٨	دمشق A ١٠ ٥٧ ٦٥ B ١١٣ ٢٨٤
دير المشائر (قرية) B ٢٢٦	٢٢٧ - ٢٢٨
الديتاس B ٢٢٧	الدمشقيون B ٣٠٠ ٣٠٩ ٢١١ ٢٢٧
الديوانية B ٢٥٩ ٢٢٧	الدملوجي (الدكتور عبدالله) B ٢٩٦ ٦٥

- حرف الذال -

٢١٤ ١٧١ ١٦٩ ١٢٦ ١١٩ ١١٦	الذياني (الناخبة) A ٢٨
الذهب (وادي) A ٩٦ ٩٩	ذري (وادي) A ٢٨٥
ذوو حسن (قبيلة) A ٥٠ ٢٢٨	ذكبر (ال) B ١١٢
ذو الفقار B ٢٥٦	ذمار (مدينة) A ١٠٠ ١٠٣ ١٠٦

- حرف الراء -

الرافعي (عبد الفني) A ٢٧٩	راؤب باشا A ٥٦
الدكتور رامي B ١٧٤	رأس الرجاء الصالح B ٢١٥
رامو (الملازم) B ٢٩٢	رأس عمران A ٢٨٢
الربع الخالي A ٢٧١ B ٥٠ ٦٨ ١٢٤	راس المشاب B ١٩٤

الرمه (وادي) B ١١٦ ١٣٤ ١٣٩
 روبرنس (ادمون) A ١٨
 رودس (جزيرة) A ١٥٥
 روزفلت (تيودور) A ١٢ B ٣٣٤
 الروس A ٢٢٢
 روسية A ٢٩٣
 روضة مهنا B ١٥٧
 رولنسون (جورج) B ١٨٩ ١٩٠
 ١٩٢ ١٩٣ ٢٢٨
 الرولا (قبيلة) B ٥٦ ٥٥ ٢٠٨
 روماني - رومانيون A ١٢٨ B ٧٤
 رومه A ٥٠ B ١٧٢ ٤١٤
 الرومي (جلال الدين) A ٤٥ ٢٤٨
 رؤوف باشا A ٣٦٠
 الرويس A ٣١٨
 رويس (الشيخ محسن) A ٣٩٠
 الرياض A ٩ ١٣ ١٤ B ٢٣ ٢٥
 ١٠٥ ٧١ ٧٣ - ١٢ ١٦ - ١٠٦
 ١١٥ - ١٢٨ ١٤١ ١٥٧ ١٥٩ ١٦٤
 ١٨١ ٢٠١ ٢٤٢ ٢٤٨ ٢٥٢
 رباق B ٣٢٤
 ريحان (الدكتور) B ١٥١ ١٧٢
 زيلي (المجر) A ٧٦ ٧٤ ٨٠
 ريمه (جبل) A ٣١٤

ريمه B ٥٦ ١٣٥ ١٥٢ ٢٢٠ ٢٣٥
 ٤١٦ ٤١٢
 رجب باشا B ١٥٥
 رزق (الشيخ احمد) B ٢٠٥
 الرسي (السيد يحيى بن الحسين القاسم)
 ١٢٢ ١٢٩ A
 الرشيد (الشيخ ابراهيم) A ٢٥٢ - ٢٦٠
 الرشيد (هارون) B ١٢٢ ٢٧٠ - ٢٤٤
 ٤١٠
 الرشيدية (طريقة) A ٢٦٠
 الرصافي (معروف) B ٢٧٩ ٢٧٦ -
 ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٥ ٢٩٧
 الرضي (الشريف) B ١٧٢
 رضا (الشيخ علي) A ٢٧٩
 رضراض (جبل) A ١٠٨
 رضوان (محمد طاهر) A ٢٠١ ٢٠٢
 ٢٢٩ ٢٢٨
 الرفاع B ١٩١ ٢٠٤ ٢٢٨ ٢٢٩
 الرفاعي (السيد هاشم بن السيد احمد) B
 ٢٢ - ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
 الرقيق (عون) A ٥٥
 رفوح (وادي) A ٢٨٥ ٢٨٦

— حرف الزاي —

الزبير B ١٦٢
 الزجاج (ابو البهلول محمد بن يوسف) B
 ٢١٤
 الزرانيق (قبيلة) A ٢٣٠ - ٢٤٠ ٢٧٢
 زغلول (سعد باشا) A ١٢١
 الزنج (صاحب) B ٢١٠
 زنجبار (جزائر) B ١٦١
 الزهاوي (جبل صدقي) B ٢٧٩ ٢٨١
 - ٢٨٦ ٢٨٨ ٢٩٧ ٤٠٤ ٤٠٥
 الزور (جبل) B ١٤٠ ١٤١

زايد (عبدالله بن علي ال) B ١٨٧ ١٨٨
 الزبارة B ٢٠٥ ٢٠٩ ٢١٧ ٢٢٢
 ٢٢٨ ٢٢٩
 زباره (السيد محمد) A ١٠٩ - ١١١
 ١٢٢ ١٦١ ١٦٢ ٢٠٢
 الزيداني B ٣٢٦
 زيد (مدينة) A ٢٣٨ ٢٥٩ ٢٦٠
 زبيده (امرأة هارون الرشيد) B ١٢٢
 ١٢٤ -

٢٥٧ ٢٤٩ ٢٤٢ ٢٢٠ ٢١٥ ٢٠١ ٢٧٢	زولا (اميل) B ٢٩٢
٤١٢ B ٢٨٩ - ٢٨٧ ٢٧٦ ٢٧٥ ٢٦٢	زيد (امام الزيدية) A ١٢٦ ١٢٨
٤١٢ ٤١١ B ٣٢٠ ٢٧٥ A	٢١٥ ١٤٤
زيلا (بلد) B ٣٣٥	زيد بن حسين بن علي (الامير) A ٢٤
زين العابدين B ١٢٦	٢٨٧ ٢٧٨ B ٢٢٤ ٦٢ ٥٩ ٥٢ ٥١
زينل (الحاج علي رضا) B ١٤	زيدني - زيود A ٨٩ ١١٠ ١١٤
زينل (الشيخ قاسم) A ٥٠	١٨٨ - ١٥٨ ١٤٩ - ١٤٠ ١٢٦ - ١٢٢
الزينة (قرية) A ٢٧١	٢٠٤ - ٢٢٧ ٢٣٠ ٢٢٧ ٢٢٢ ٢٤١ ٢٦٩

— حرف السين —

١٠٢ B (عبد العزيز الاول) B ١٠٢	١٤٢ ١٤١ ١٣٨ ١٣١ ١٣٠ B سالم
٢٢١ ٢٢٠	٢٨٨ A سامر
سعود (الامام عبد الرحمن الفيصل ال)	السامي - الساميون B ١٤٩ ١٩٢
١٥٧ B	سان فرنسيسكو A ٢٩٣
سعود (فيصل ال) B ١٥٤ ٢٣٠	ساوي (المنذر بن) B ٢٠٨
سعود (محمد الفيصل آل) B ٤٥	السباعي (محمد) B ١٠٧ ١٠٨
سعود الكبير (الامير) A ٢٦٩	سترة (جزيرة) B ٢٠٥ ٢٢٥
سعيد (علي باشا الجركسي) A ١٧٥ ٨٥	ستورس A ٦٠
٢٦٦ - ٢٦٩	سدوس (بلد) B ١٢٧
السعيد (نوري باشا) B ٢٥٨ ٢٨٨	سدبر (ناحية) B ٢٣
٢٦٢ ٢٦٢ ٢٢١ ٢٦٤	السر (وادي) B ٩٨ ١٠٠ ١٠٦
السقاف (الشيخ احمد) A ٥١ ٢٢٢	١١٠ ١٠٩
السقاف (السيد محمد حلوي) A ١٥٥	سرحان (وادي) B ٧١
سقراط B ٢٩٥	سردود (وادي) A ٢٣٠
السكسون A ٢٨٣	سركيس (سليم) A ٢٩ ١٢ ١٨٥ B
سكوت (الجنرال) A ٧٤ - ٧٦ ١٨٨	سريخ (عشيرة) A ٢٠٨
سلام (قبيلة) A ٣٧٧	سعد الزنجي (ابو بكر بن) B ٢١٤
السلط B ٢٩٤	سعدون (آل) B ٣٦٢
سلطان (السيد) B ٢٢٠	السعدون (عبد الكريم) B ٣٦٢
سلطان (السيد سعيد بن) B ٢٢٠ ٢٢١	السعدون (عبد المحسن بك) B ٢٥٠
٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٧	٢٦٧ - ٢٧٠ ٢٧٢
سلهان (ال) B ٢٢٩ ٢٣٥ ٢٣٨	السعدون (فهد باشا) B ٣٦٢
سلمي (جبل) B ٨٨	سعود بن سويد (سلطان مسقط) A ١٨
سليم (ال) B ١١٢	سعود (آل) B ١٥٢ ١٥٧ ٣٥٠
سليم (عبدالله بن خالد ال) B ١١٤ ١١٥	سعود (الامير سعود آل) B ٢٢١ -
سليم (عبد العزيز بن عبدالله ال) B ١١٤	٢٢٢

٢٧٦ ٢٥٢ ٢٨٤ ١١٩
 ١٥٩ ١٥١ ١١٧ ٥٧ ٥٦ ٢٧ ٢٥ ٢١ B
 ٢٥٥ ٢٥٠ ٢٢٧ ٢١٦ ١٩٠ ١٨١ ١٦٩
 - ٢٠٠ ٢٩٥ ٢٨٩ - ٢٨٤ ٢٧٧ ٢٦٦
 ٢٧٦ ٢٧٠ ٢٦٧ ٢٤٤ ٢٤٠ ٢٢٩ ٢٢٢
 ٤٠٤ ٤٠٢ ٢٩٩
 سوق الخميس (قرية) A ٢٠٩ ٢٠٨
 سوق عكاظ B ٤٠٦
 السويداء B ٢٩٨
 السويدي (ناجي بك) B ٢٨٢ ٢٨١
 ٢٦٢
 السويدي (يوسف) B ٢٢٢
 السويس A ٢٦٥ ٢٤٢ ٦٠
 السويس (ترعة) B ٢٩٢ ٢٨٦ ٢٨٥
 سويسره A ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٢٢
 سويلم (بن سويلم) B ١١٧ ١٢٠ ١٢٩
 سيويه A A ٢٥٧ B
 سيبريه A ٢٩٢
 سيف (طاهر بن محمد) A ٢١٥
 سيكس (الكرنل) A ٦٤
 سيكس ييكو (معاهدة) A ٦٤ ٦٧
 ٢١٢ ٢٠٩ ٢٠٠ ٢٩٩ B
 سيلان B ١٩٠ ١٩٩
 سيهات (بلد) B ٢٢٧

سليم (عقبه بن) B ٢١٠
 سليمان القانوني (سلطان تركيه) A ١٢٠
 ٢١٦ B
 السليمانية (فرقة من الاسماعيلية) A ٢١٥
 سماره (جبل) A ١٠٦ ٩٩
 سماوه B ٢٥٨ ٢٥٩
 سمرقند A ٩
 سمله B ٢٤٦
 سميت (آدم) B ٢٦٩
 السنة B ٢٨٨ ١٩
 السنوسي (الشيخ محمد) A ٢٥٨ ٢٥٩
 السنوسية (طريقة) A ٢٥٩
 سني - سنيون A ٢٥٥ B ٧٧ ٨١
 ٤١١ ١٠٠
 سهام (وادي) A ٢٣٠
 السواكني (محمد الجندي) A ٢٥٩
 السودان A ٢٤٩ ٢٥٩ ٢٦١ ٢٧١
 ٢٧٢ B ١٧
 سوداني - سودانيون A ٢٢٦ ٢٤٢
 ٢١٨ ٢٤٢
 السودانية (المرأة) A ٢٧١ ٢٧٥ ٢١٦
 السوده A ١٢٢
 سورية او البلاد السورية A ١١ ١٨
 ١١٧ ٦٧ - ٦٤ ٥٩ - ٥١ ٤٨ ٤٦ ٢٠

— حرف الشين —

٢٩٧ - ٢٨٥ ٢٦٦ ٢١٢ ١٩٠ ١٨٩
 ٤٠٢ ٢٦٧ ٢٢٧ - ٢٠٠
 الشامية B ١٢ ٥٥ ٢٢٧ ٢٢٤
 الشاوي (مجيد بك) B ٢٧٩ ٢٩٢ -
 ٢٩٦
 شبام (جبل) A ١٠٦ ١٠٨ ٢٠٥
 ٢٢٥ ٢١٨ ٢١٦ - ٢١٤ ٢٠٨
 شرف الدين بن شمس الدين (الامام) A
 ١٢٢ ١٢٠

الشاذلية (طريقة) A ٢٥٧ - ٢٥٩
 الشاذليون A ٢٥٧
 شاربنتيه B ٢١٧
 شارلس (ملك الانكليز) B ٧٨
 الشافعي - الشوافع A ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٥
 ٤١١ B ٢٥٧ ٢٤٩ ٢٧٢ ٢٤١
 الشام A ١١ ٥٢ ٦٠ ٨٥ ٩٠ ١١١
 ١٧٥ ٢٢٨ ٢٢٩
 ١٧١ ١٥٩ ١٢٠ ٦٥ ٥٦ ٥٢ ٢٦ B

شمر (جبل) ٢٨ ٥٨ ٨١ ١٢٥ ١٢٦
 ٢٧٣
 شمر (قبيلة) ٩
 شنقيط (مدينة) ٢٥٣
 الشنقيطي (الشيخ) ٢٩٧
 شهارة (جبل) ١١٢ ١٣١ ١٣٢
 ١٢٧ ١٧٥ ٢١٢ ٢٩٨
 الشهرستاني (السيد هبة الدين) ٤٠٠
 شوقي (احمد) ٢٨٤
 الشوفيات ٢٥٩
 الشيخ سعيد (جزيرة) ٢٦٦ ٢٦٥
 الشيخ صلاح (قرية) ٩٥
 الشيخ عثمان (بلدة) ٢٥٤-٢٥٦
 ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٧٠
 الشيرازي (الملا حسين) ٤٥
 الشبعة ٩٤ ٢١٧ ٢١٩ ٢٤٠ ٢٧٧
 ٢٣٤ ٢٤٧ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٨٨ ٢٩٠
 ٢٩٣
 شعبي - شيعيون ٢٥٥
 ١٧١ ٢٧٢ ٢٨٢ ٢٥٢

الشرقي (النقيب) ٢٠٠ ٢٩٩
 الشرق الادنى ٤٤ ٢١٥ ٢٠٣
 ٢٤٠ ٢٤١ ٢٦٧ ٢٧٣
 شرق الاردن ٢٢٩ ٥٣ ١٨
 ٥٦ ١٢٠ ٢٨٦ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢
 ٢٩٥ ٤١١
 شركة الهند الشرقية ٢٥٢ -
 ٢٥٤ ٢٨٢ ٢١٧
 الشريعة (نهر) ٢٩٤ ٢٩٥
 شط العرب ٩٩
 الشعلان (نوري) ٢٠٨ ٨٧ ٥٦
 شعوان (جبل) ١٠٨
 الشعب (ناحية) ١٨٠ ١٨٢ ٢٨٦
 الشق ١٣٩
 شقرا ١٠٠ ١٠٦ ١٠٩ ١٢٧
 شقير (نوم) ٧٢
 الشقيري (الشيخ اسعد) ٢٨٤
 شكبير (وليم) ١٢٧
 الشلهوب (محمد بن صالح) ٨٨ - ٩٠
 الشمال ١٥٣

- حرف الصاد -

صباح (سالم ال) ١٥٨ - ١٦٠
 صباح (صباح ال) ١٥٣
 صباح (صباح الاول ال) ١٥٣
 صباح (الشيخ عبدالله ال) ١٥٣ ١٥٤
 ٢٢٣
 صباح (الشيخ عبدالله خليفة ال) ١٤٨
 صباح (الشيخ عبدالله سالم ال) ١٦٤
 صباح (مبارك ال) ١٥٣ - ١٥٦
 ١٥٨ ١٥٩ ١٦٧ ١٧٢
 صباح (محمد ال) ١٥٣ - ١٥٥
 صبر (قرية) ٢٧٠
 صبيا (مدينة) ٢٣٩ ٢٥٣ ٢٦١
 ٢٧٥ ٢٨٨ ٢٩١ ٢٢٤ ٢٢٩ ٢٥٩

صاحب الزمان (الامام الثاني عشر)
 ١٢٧ ١٢٨
 الصادق (محمد بن اسماعيل بن جعفر) ٢١٢
 صالح (الامير) ٣٧٤ ٣٧٥
 صالح بن عبدالله العوالقي (سلطان العوالق)
 ٢٨٤ ٢٩٠
 الصانع (احمد اشا) ٢٣
 صباح (ال) ١٥٢ - ١٥٤ ١٥٩
 ١٦٤ ١٦٤ ١٧٤ ٢٢٣ ٤١٥
 صباح (الشيخ احمد ال) (امير الكويت)
 ١٢٧ ١٤١ ٩٩ ١٧٥
 صباح (جابر ال) ١٥٣ ١٥٨ ١٥٩
 صباح (جراح ال) ١٥٤ ١٥٥

٢٨١ ٢٨٨ ٢٦٢ ٢٤٢ ٢٢٩ ٢٠٢ ٢٦٨
 ٤٠٢ ٢٢٢ ١٢٨
 صور (بلدة) B ١٩٢ ١٨٢
 صوفي - صوفيون A ٢٠٢ ٢٤٩ ٢٤٨
 ٢٧٦ ٢٦٧ ٢٥٨
 الصوفية او التصوف A ٢٤٩ ٢٤٦
 ٢٧٦ ٢٦٧ ٢٦٤ ٢٦١ ٢٥٨ ٢٥٢
 الصومال B ٢٢٥
 الصومالي A ٢١٨ ٢٤٢ ٢٤٢
 الصوماليات (النساء) A ٢٥٦
 صيدا B ٢١٨ ٢١٧
 الصين B ٩١
 صيني - صينيون A ١٩٠ ١١٧ B ٢٤٧
 صينون (مدينة) A ٢٢١ ٢٨٢

الصبيحة A ٢٦٧ ٢٦٥ ٢٦٢ ٢٤٩
 ٢٨٨ ٢٨٧ ٢٨٢
 الصبيحية B ١٦٤
 الصعابة B ١٠٢
 الصخبر (قرية) B ٢٠٥
 الصدر (السيد حسن) B ٢٦٥ ٢٧٢
 الصريف B ١٥٧
 صمده A ٢٧٢ ١٢١ ١٢٩
 الصفرا (قفر) B ١١٢
 صفغان (جبل) A ٢١٦
 الصفوي (الشاه عباس الاول) B ٢١٧
 الصليف (مدينة) A ٢٧٥ ١٨٢ ١٥٢
 ٢٢٠
 الصلمان (قفر) B ١٠٨
 صنعاء A ٧٢ - ٢٦٩ ٢٤٠ - ٢٧١

— حرف الضاد —

الضفير (قبيلة) A ١٢٥ B ٨٧ ٥٥ ٥٤
 ١٢٦

الضاح (ناحية) A ٣٦٢ ١٨٢ ١٨٠
 ٢٨٩ - ٢٨٧
 ضرمه B ١٦ ١٤ ١٢

— حرفي الطاء والظاء —

طوروس B ٢٠٢
 طويق (جبل) B ١٠٦ ١٠٢ ١٠١
 ١٠٨
 الطويل (الشيخ محمد) A ٤٤
 الطويل الشيخ (هرون) A ٢٧٥ ٢٧٢
 الطويلة (جبل) A ٢١٤
 طي (بلاد) B ١١٤

طارق (جبل) A ٢٤٢
 الطائف A ٦٢ ٦٢ ٥٩ ٥٢ ٤٢ ٢٢
 ٤١٢ ١٢٠ B ٢٦٩ ٢٢٨
 طرابلس الشام A ١٢٠ ١١٩
 طرابلس الغرب A ٢٤٨ ١٠٢
 طبرستان B ٢٠٠
 طريف (عيسى بن) B ٢٢٥ ٢٢٠
 الطفيل B ٢٩١
 الطليان A ١٠٢
 الطنم A ٢٢١
 طهران B ٢٦٦ ٢٢٥
 طواله (ضاري بن) B ١٥٩
 الطور (بحجر) A ٢٥ - ٢٧ ٢٨٢

— حرف الظاء —

ظفار (جبل) A ٩٩
 ظهر القضيبي (جبل) A ٩٩

- حرف العين -

- عائشة ٢٧٩ أ
العارض ٩ أ ٨٨ ٨١ ٧٤ ٦٣ ب ١٠١ ١١٠ ١١٩ ١٢٠ ١٢٧ ٢٠١
عاليه ٢٢٧ ب
عامل (جبل) ٢١٨ ٢١٧ ٢١٥ ب
عبادان ٢٢٥ ١٦٧ ٦٦ ٢٣ ب
العبادلة (قبيلة) ٢٧٨ ٢٥٧ ٢٥٤ أ
٢٨٨ ٢٨٦ ٢٨٢
العباس ٢١١ ب
عباس حلمي (خديوي مصر) ٤٢ أ
العباسيون ٢١٢ - ٢١٠ ١٧٠ ١٦ ب
٤٠٦ ٢٤٤ ٢٦٦ ٢٦٠
عبال ٢٧٥ ٢٢٧ - ٢١٨ ١٧٧ أ
عبد الله (آل) ٢٣٤ ٢٣٠ ٢٢٩ ب
٢٣٨
عبدالله بن حسين بن علي (امير شرق الاردن)
١٣٠ ٥٦ ب ٢٥٦ ٦٢ ٥٩ ٤٨ ١٨ أ
٢٨٦ ٢٨٤ ٢٧٧
عبدالله بن متعب (امير حائل) ٤٥ ب
عبدالله بن الوزير ١٠١ ١٠٠ أ
عبدالله (الشريف) ٥٥ أ
عبدالبهاء ٢٥٣ ب
عبد الحميد (سلطان تركيا) ٥٨ ٤٢ أ
٢٦٣ ٢٢٤ ب
عبدالعزيز آل فيصل آل سعود (سلطان نجد)
١٧٥ ١٠٠ ٦٧ ٥١ ٢٥ ١٥ - ١٣ أ
٢٢٩ ٢٢٢ ٢١٢ ٢٠٨ ٢٩٧ ٢٤٠ ١٧٦
١٦٨ ١٦٥ - ١٥٧ ١٥٤ ١٤٤ ١٢ ب
٢٧٧ ٢٥٢ ٢٤٩ ٢٤٨ ٢٤٢ ٢٠٣ ١٨٤
٢٥٠
عبد القادر العبدلي (السلطان) ٢٨٤ أ
عبد القادر بن محسن الفضلي (سلطان شقره)
٢٩٠ ٢٨٢ أ
- عبد قيس (علي بن محمد بن) ٢١٠ ب
٢١٢ ٢١١
عبد قيس (قبيلة) ٢١٤ ٢٠٨ ٢٠٢ ب
عبد الكريم فضل (سلطان الحج) ٧٢ أ
٢٩٠ - ٢٢٩ ٢٧٥ ٨٧٨٠ - ٧٦
عبد المجيد (سلطان تركيا) ٢٥٢ أ
عبد الملك بن مروان ٢١٠ ٢٠٦ ب
عبد النور (ثابت) ٤٠٧ - ٤٠٥ ب
العبيدي (مسعود بن ابو زينة) ٢١٠ ب
عبيد خاتم ٥٥ أ
العنار (حصن) ٢١٦ ٢١٥ أ
١١٦ ب
عثمان بن امي العاص ٢١٠ ب
العثمانية (الدولة) ٢٦٥ ٢٥١ ٢٤١ أ
٢٨٨ ٢٢٢ ٢٢٩ ١٥٨ - ١٥٤ ب
٢٧٢ ٢٦٤ ٢٥١ ٢٩٢
العثمانيون (راجع الاتراك)
المعجم ٢٠٣ ١٧٣ ب ١٧٢ ٧٤ أ
٢٢١ ٢٧٧ ٢٤٢ - ٢٤٠ ٢١٤ ٢١٢
٢٥٨ ٢٥٥ ٢٢٢
المعجمان (قبيلة) ١٦٨ ١٠٥ ٧٢ ٧١ ب
عدن ٢٠٧ - ٧٢ ٦٠ ٥٦ ١٧ ١٤ أ
٢٦٩ ٢٦٢ ٢٤٩ ٢٤٤ ٢٢٦ ٢٢٤ ٢١٥
٢٢٤ ٢٩٥ ٢٨٩ ٢٨٤ ٢٨١ ٢٧٧ ٢٧٢
٢٨٠ ٢٧٢ - ٢٢٩ ٢٢٤ ٢٢٧ ٢٢٥
٢٩٠ ٢٨٩ ٢٨٦ - ٢٨٢
٢١٥ ٦٦ ٥٩ ٤٨ ٢٠ ٢٦ ١٩ ١٦ ١٢ ب
٢٥٨ ٢٥٢ ٢٢٤ ٢١٧
عدنان ٢٢٥ ١٥٢ ١٣٥ ١٠٧ ب
٤١٢
العراق او الحكومة العراقية ١٠٠ ٥٩ أ
٢٥٢ ٢٤١ ٢٩٥ ٢٨٢ ٢٢٨ ١٢٩

٢٥٠ ٢٢٥ ٢٤٦ ١٧٩ ١٦٢
 ٢٨٨ — ٢٨٦ B ٤٧ A الملا
 ٧٧ ٤٥ ٢٦ B الملا
 ٢٩٠ A (الشيخ عبد النبي) العلوي
 ٢٨٨ ٢٨٧ A (عشار) العلوي
 ٢٩٠ A (الشيخ ابو بكر) علي
 ٢٨٩ B (السيد) علي باشا
 ٢٦٤ ٢٥٢ ١٣٠ A (امير طالب) علي بن ابي طالب
 ٢٨٤ B
 ٢٢٨ A (امير مكة) علي بن الحسين بن علي
 ٢٨٩ ٢٨٧ B
 ٨٤ A (سلطان الحواشب) علي بن مانم
 ٢٨٧ ٢٦٧ ٨٩ -
 ٢١٥ A (داعي المكارمة) علي بن محسن
 ٢٨٥ A (سلطان الواحدي) علي بن محسن
 علي بن محمد بن عبد المعين بن عون (الشريف)
 ٥٥ A
 ٩١ A (امير جيش الامام) علي بن الوزير
 ١٢٥ ١٠٤ ٩٧ - ٩٢
 ٤٥ ٤٤ A (الحاج زينل) علي رضا
 ٤٤ A (الحاج عبدالله) علي رضا
 ٨٧ B (سليمان بن) علي
 ١٩١ B (قرية) علي
 ٦٥ ٥٦ — ٤٧ B (قبيلة) العمارة
 ٢٢٧
 ١٨٧ ١٣٠ ١٢١ ١٨ ١٥ A عمان
 ١٩٤ ١٩٠ ١٨٢ ١٥٨ ١٠٢ ٦٧ ٢٥ B
 ٤١٦ ٢٩٤ ٢٩٠ ٢١٢ ٢٠٨ ٢٠٢
 ٢٠٤ B (العزيز الاموي) عمر بن عبد العزيز
 ٢٠٩ B ١٣٠ A (الخليفة) عمر (الخليفة)
 ٢٩٠ A (السلطان صالح بن) عمر
 ١١٠ A (القاضي عبدالله) العمري
 ٢٠١ ١٦٢ - ١٦٠
 ١٤٠ B (سمان) العمودي
 ٢٠٥ B (داود) عمون
 ٨٧ ٥٦ ٥٥ ٤٨ B (قبيلة) عنزي

١٢ B - ٢٧ ٢٠ ٢٩ ٢١ ٥٦ - ٦٤
 ١٢٩ ١١٥ ١٠٢ ٩٨ ٨٧ ٨٢ ٧٨ ٦٧
 ٢١١ ١٨٧ ١٨٠ ١٦٨ ١٦١ - ١٥٩ ١٥٢
 ٤١٣ ٢٢٧ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٢ - ٤١٣
 العرائش (بلدة) ٢٥٢ A
 العرب A - B تخلت هذه الكلمة اكثر
 صعقات الجزئين الاول والثاني
 مرستان B ١٧٦ ١٧٢ ١٧٠
 العربية (الامراة) ٢٢٩ ٢٢٦ A
 العرشي (القاضي عبدالله) ٧٧ - ٨٤
 ١٨٩ ١٨٠ ١٥٢ ١١٠ ٩٦ ٩١
 اليرقة (بلد) ٢٨٤ A
 العريف (قرية) ٢١٦ A
 عزت باشا A ٢٥٩ ١٧٥ ١٣١
 العزيني (عشيرة) ٢٨٧ ٢٨٠ ٢٧٧ A
 العسكري (جعفر باشا) ٢٨٨ ٢٧٩ B
 ٢٧٠ - ٢٦٧ ٢٦٢ ٢٤١ ٢٢٨
 صير A ١٠٥ ٨٨ ٦٧ ٦٦ ١٥ ١٤
 ١٩٠ ١٨٧ ١٧٤ ١٧٢ ١٥٢ ١٢٦ ١٢٠
 ٢٥٦ ٢٥٢ ٢٤٨ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢١ ١٩٩
 ٢١٥ ٢٠٨ ٢٨٩ ٢٧٦ - ٢٦٧ ٢٦١
 ٢٤١ ٢٢٦ - ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٢٠ ٢١٨
 ٢٥٩ ٢٥٢
 ٤١٥ - ٤١١ ٢٨٤ ١٨٠ ١٠١ ٦٦ ١٩ B
 عشار (جبل) ١٠٨ A
 عَصْر (جبل) ٢٠٤ ٢٠٣ ١٠٨ A
 العطيفي (عشيرة) ٢٨٢ A
 العظفه (يوسف) ٢٢٨ - ٢٢٥ B
 عفيصان (ابراهيم بن) ٢٢٤ - ٢٢٠ B
 العقارب (عشيرة) ٢٨٨ A
 العقبة A ٢٩٦ ٢٩١ ٢٨٩ B ١٨
 ٢٦٧
 العقبة (في اليمن) ٢١٥ A
 العقير B ٢٤ ٢١ ٢٨ ٢٤ ٢١
 ١٠٠ ٧٢ - ٧٠ ٦٧ - ٦١ ٥٦ - ٤٧

عيسى (الشيخ يوسف آل) B ١٥٢
 الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (امير البحرين)
 B ١٧٩ - ٢٥٠
 عين المي B ٣١٧
 عين النمر B ١٥٢
 العينه B ١٠٢ ١٠٣
 العبوني (ابن مقرب) B ٢١٣ ٢١٤
 العبوني (الأمير عبدالله بن علي) B ٢١٤
 العباش (ذكريا بن) B ٢١٤
 العباش (بجبي بن) B ٢١٤

عنبز (جبل) B ٥٦
 عنبزه (بلد) B ٩٨ ٩٨
 ١٠٠ ٩٨ B ١٠٧ ١١١ - ١١٦ ١٥٢ ١٨٠ ٢١٨ ٢٢٠
 ٢٢٥ ٢٢٧
 الموازل (عشيرة) A ٣٨٥
 المواقي A ١٨٢ ٢٦٢ ٢٨٢ - ٢٨٦
 العونزية (قرية) B ١١٠ ١١١
 الموقلي (الشيخ محسن بن فريد) A ٣٩٠
 عون (الشريف) A ٥٦
 عون (الشريف محمد بن) A ٢٦٩
 عيڤروس (الولي) B ٣٥٨

— حرف الغين —

غزوان (عنه بن) B ٢١٠
 غليفه (ميناء) A ٢٢٨
 غليوم (امير اطور الالمان) A ١٤٠ ١٤٦
 غماص (ال) B ١١٢
 غمدان (قصر) A ١٠٧ ١٣٧ ١٦٦
 غنطو بيرون (الكونت دي) B ٢٨٦
 ٢٩٦ ٢٩٢ ٢٩٠ ٢٨٧
 غوا A ٢٨٠ ٢٨١
 غورو (الجنرال) B ٣١٠ ٣١٧ ٣٢٠
 ٣٢٢ - ٣٢٤ ٣٢٦

الغال (بلاد) B ١٩٠
 غايسيا B ٢٧٠
 غاوي (جاد) B ٢٣٤
 غاما (فسكو دي) B ٢١٥ ٢١٦
 غين B ٢١٣
 الغدير A ٣٤٩
 غراي (السر ادوارد) A ٦٥
 الغزالي A ١١٧ ٢٤٨ B ٩٩
 غريغوريوس (القديس) B ١٧٢
 غرة B ٢٨٨ - ٢٩٠

— حرف الفاء —

فان بورسم B ١٨٢
 فتحى بك A ١١٥
 الفخري (القاضي عبدالله) A ٢٩٩
 الفرات (نهر) A ٦٠ B ١٨٩
 فرانس (اناطول) B ٢٦٥
 فرسان (جزيرة) A ٢٧٢
 فرساي A ٥١ ٥٢
 فرساي (مؤتمر) B ٢٦٦ ٣٠٠ ٣٠٦
 ٣١٩ ٣٠٧
 فرنه او الحكومة الالمانية A ٦٨ ٧ ٢٠

فارس (بلاد) B ١٧٢ ١٨٨ ٢٠٢
 ٢٥٢ ٢٢٦ ٢٢١ ٢١٧ ٢٠٩
 الفارسي - الفرس A ٢٤٢ - ٢٤٦
 ٢٤١ ٢٤٠ ٢١٩ ٢٠٤ B ٢٤٢ ٢٨١
 ٢٥٢ ٢٦٨
 الفارض A ١١٧
 فاس (مدينة) A ٢٥٢ - ٢٥٤
 فاطمة ازهراء B ٢٥٣
 الفاطمي (المر) A ٢١٥
 الفاعور (الامير محمد) B ٣١٦

٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢١ B
 فضل (السلطان علي بن محسن بن) ٢٦٠ A
 ٢٦٨ ٢٦٧
 فضل (السلطان محسن) ٢٦١ A
 فضل (السلطان محسن بن) ٢٥٧ A —
 ٢٥٩
 فليبي (سان جان) ١٢٦ ٨٦ ٧٥ B
 فلسطين ٢٤٥ ٢٣٤ ٦٥ ١٨ A
 ٢٤٠ ٢١٢ - ٢١١ ٢٠٢ ٢١٩ - ٢٨٨ B
 ٤١١
 الفلستينيون ٢٩٤ B
 فن سندرس (ليمان) ٢٩٤ ٢٨٨ ٢٨٦ B
 فورد (المستر) ١٨٢ B
 الفيض (عكرمة) ٢٦٦ A
 فيصل بن حسين بن علي (ملك العراق)
 ٢٥٩ ١٠٠ ٦٢ ٦٠ ٥٢ - ٥١ ١٤ A
 ٢٥٢ ١٦٦ ٥٨ ٥٦ ٥٤ ١٩ ١٦ B
 ٤١١
 فيضي (احمد باشا) ١٢١ A
 الفيبيين ٢٤٤ A
 فينا ٢٧٢ B
 الفينيقيون ١٩٣ ١٩٢ ١٩٠ ١٨٩ B

٢٢٤ ٢٢٣ ٢٤٢ ٢٢٢ ٦٥ - ٦٢ ٤٠
 ٢٨٨ ٢٦٨ ٢٥٢
 ٢٤٨ ٢٢٧ - ٢١٢ ٢٨٦ ٥٦ B
 الفرنسيين او الافرنسيون ١١٩ ٥٢ A
 ٢٢٤ ١٨٧ - ١٨٥ ١٦٧ ١٢٠ ١٢١
 ٢٤٧ ٢٤٢
 - ٢٩٢ ٢٨٧ ٢٨٦ ٢٧٧ ٢١٦ ٥٧ B
 ٢٩٤ ٢٧٠ ٢٢٩
 الافرنسيات (النساء) ٢٧٩ A
 فروق ٥٨ ٥٥ A
 الفرقة ٢٩ ١٢ - ١٠ A
 ٢٧٧ ٢٧٦ ٢٤٧ ١٠١ B
 فضل (عشيرة ال) ٢٨٦ ٢٨٤ ٢٨٢ A
 ٢١٦ B ٢٨٩
 فضل بن محمد (سلطان اليونان) ٢٨٦ A
 فضل (السلطان احمد بن) ٢٥٨ A —
 ٢٧٩ - ٢٧١ ٢٦٢
 فضل (الامير) ٢٧٦ A
 فضل الدين (الدكتور محمد) ٢٠٠ A
 ٢٨٦ - ٢٧٩ ٢٤٩ - ٢٤١ ٢٢٢ ٢٠٢
 ٢٢٨ ٢٢١ - ٢٠٤ ٢١٧ ٢١٠
 فضل (الشيخ عبد الرحمن بن راشد ال)

— حرف القاف —

القداح (عبدالله) ٢١٢ B
 القدس ٢٩٣ ٢٩٠ B ٦٠ A
 القرامطة ٢١٤ - ٢١٢ B ٣٠ A
 القرنة (بلدة) ١٨٩ B
 قريش ٤١٤ B
 القزويني ٢٨٨ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٥ B
 قس بن ساعده ٤٠٦ B
 القصيبي (عبدالله) ٢٤ ١٤ B
 القصيبي (عبدالعزیز) ٢١ ٢٨ ١٢ B
 القصيم (ناحية) ٧١ ٥٥ B ٩ A
 ١٠٨ ١٠١ ١٠٠ ٨٨ ٨١ ٧٩ ٧٨ ٧٤

قابل (الشيخ سليمان) ٤٤ A
 قابل (عبد القادر) ٤٤ A
 قادش ١٩٠ B
 قاضي (آل) ١١٢ B
 القاهرة ١٨٠ B ٢٧٦ ٢٧٣ A
 ٢٦٧ ٢٤٥ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٦٥
 قبرص ٢٩٣ B
 قبه ١٢٠ B
 القعراء (قبيلة) ٢٣٠ ١٨٠ - ١٧٧ A
 ٢٢٨ ٢٢٧
 قحطان ٤١٢ ١٥٢ ١٠٨ ١٠٧ B

القعيطي (حزب) A ٢٨٤
 القفاني A ٢٦٥ ٢٦٣ ٢٥٢
 القلزم (بحر) A ٦٠
 القلوح (وادي) B ٣٢٦
 القليعة B ٣١٧
 قران (جزيرة) A ٣٥ — ٣٧ ٢٨٢
 B ٣٢٧ ٣١٥
 القنفذة (ميناء) A ٥٢ ٢٦٧ ٢٧٣
 B ٣٨٤
 القنيني (عبدالله) B ١١٥
 القهوجي A ٢٤٤ ٢٨١ — ٢٨٩
 القوقاس A ٣٥٦
 القيروان A ٢٧١
 قيس (جزيرة) B ١٩٤ ٢١٤ ٢٢٨
 القاسم بن محمد A ١٢٩

- ١٢٠ ١٢٦ ١٤١ ١٦٤ ١٧٨ ٢٨٧
 قطر (ناحية) A ١٨ B ٧١ ١٥٨
 ٢٠٢ - ٢٠٥ ٢٠٩ ٢١٩ - ٢٢٣ ٢٢٨
 ٢٣٠ - ٢٣٨ ٢٤٤ ٤١٦
 القطرانة B ٢٩٤
 القطيب A ٢٦٣ ٢٨٩
 القطبي A ١٨٠ ١٨٣ ٢٨٧
 القظيف (اسكلة) B ٢٤ ٢٧ ٢٣ ٢٥
 ٧١ ٧٣ ١٥٤ ١٦١ - ١٦٣ ١٩٤
 ٢٠١ - ٢٠٣ ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٤ ٢١٦
 ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٤٤
 قعيطي (ال) A ٣٩٠
 القعيطي (السلطان عوض بن عمر) A
 ٢٩٠ ٢٨٤

حرف الكاف -

كرمويل B ٧٨
 كرميتة B ٢١١
 كروس (قنصل اميركة) A ٢٧٢ ٢٧٣
 الكاشي A ٨ B ٢٥٧
 الكسباني (امين) B ٢٥٧ ٢٦٣ —
 ٢٦٤ ٢٦٧ ٢٨٢ ٢٥٢ ٢٥٩ ٢٦٢
 كسرى B ٢٠٩
 الكعبة A ١٣ ١٤ ٢٩ ٣١ ٤٠ ٥٥
 ١٠٠ ١١٧ ٢٢٩ B ٢١٢ ٢٨٦ ٢٢٩
 كفرة (بلد) A ٢٧١
 الكلدان او الكلدانيون B ١٧١ ١٩٠
 ٢٥٨
 كليمنصو (جوج) B ٢٠٦ ٢٠٧
 ٢١٠ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٣
 كمال (مصطفى) A ١١٥ ١٢١
 B ٢٨٠ ٢٢٥ ٤١٤
 كيون A ٦٥
 الكنج (نهر) B ٢٥٨
 كندرزلي B ١٤

كادي (الضابط) B ٢٩٢
 كارنشي B ٢٥٧
 الكاظم (الامام موسى) B ٢٨٨
 الكاظمية B ٢٧٣ ٢٦٥ ٢٨٨
 الكاظمين (جامع) B ٢٧٢
 كاهل (قرية) A ٢١٤
 الكبيسي (احمد بن يحيى) A ١٥٧ ١٥٥
 ١٦١ ١٧٣ ١٨١ ١٩٢ ٢٠٣
 ككشتر (اللورد) A ٥٩
 الكشيري (حزب) A ٢٨٤
 كربلا B ٢٢٧ ٢٤٣ ٢٦٠ ٢٨٧
 ٢٩٣
 الكرخ B ٢٨٨ ٤٠٨
 الكرد او الاكراد B ٢٦٨ ٢٧٧ ٢٦٢
 كرد علي (محمد) A ١٠ ١١
 كرز (لورد) A ١٢١
 الكرك B ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣ ٣٠٥
 كركوك B ٤٠١
 كرايل (طامس) A ٧
 لكرملي B ٢٨٨

٢٥٠ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٢٦-٢٢٥ ٢٧٨ ٢٧٢
 الكويت A ٢٢٩ ٢٤١ B ٢٢ ٢٤
 ٦٨ ٨١ ٧٨ ٧١ ٦٦ - ٦٢٥٥ ٢٦٢٧
 ١٢٩ ١٢٦ ١٢٤ ١١٩ ١١٦ ١٠٢ -
 ١٨٢ - ١٨٠ ١٧٥ - ١٤٧ ١٤٢ ١٤٠
 ٢٤٨ ٢٢٥ ٢٢٢ ٢٢٩ ٢١٨ ١٩٤ ١٩٢
 ٤١٦ ٤١٢ ٤٠٢
 الكويتيون B ١٦٢

كعمان (سليمان) B ٢٢٢
 كورسك (جزيرة) B ٢٢٢
 كورنواليس B ٢٨٠
 كوس الكومندان B ٢٩٢ ٢٠٤
 الكوفة A A B ٢١١ ٢٢٧
 كوكبان (جبل) A A ٢٠٨
 كوكس (اللاذي) B ٢٧٨ ٢٤٢
 كوكس (برسي) B ١٨ - ٢٢ ٢٤
 ٠٠ ٤٧٢٥ - ٦٨ ٦٥ - ٢٢٩ ٢٧١ -

- حرف اللام -

لقم (جبل) A ١٠٧ ٨ ١٠٨ ٢٠٢ ٢٠٤
 لكسمبور A ٢٨٨
 اللاكمة (قرية) A ٢١٦
 لنجه (جزيرة) B ١٩٤ ٢٢٩
 لندن A ٤٧ ٥٢ ٦٥ ٧٦ ١٧٩ ١٨٠
 ١٨٨ ١٨٩ ٢١٧ ٢٦٤ ٢٦٨
 B ٢٧ ٦٦ ٨٩ ١٠١ ١٤٠ ٢٢٧ ٢٤٥
 ٢٥٥ ٢١٢ ٢٠٥ ٢٧٩ ٢٧٥ ٢٦٦ ٢٥٥
 ٢٤١ ٢٤٦ - ٢٤٨ ٢٦٧ ٢٧٢
 لوتبروس B ٢٨٢
 لورنس (الكرنل) A ٣٦ ٦٠
 B ٢٨٧ ٢٠٠ ٢٠٦
 لوزان B ٣٦٧
 لويس الرابع عشر (ملك فرنسه) B ٣١٩
 اللبتي (المتوكل) B ٩١
 لبلي الاخبيلية B ٢٨٢ ٢٨٢
 لبتييل B ٢٩٣
 لته (وادي) A ٤٢

لاروك A ٢٤٢ ٢٤٢
 لاهور (مدينة) A ٢٤٢
 لاينغ B ٣١٥
 ليد B ١٠٢
 لبنان A ٦٨ ٩٢ - ٩٩ ١٠٩ ١١٧ ١٢٠
 ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٢٩ ٢٤٢
 B ١٠١ ١١٢ ١٢٣ ١٢٧ ٢٢٧ ٢٢٨
 ٢٠٢ - ٢١٠ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٢
 اللبناني - اللبنانيون A ٢٠ B ١٨٥
 ١٨٦ ٢٢٤ ٢٠٠ ٢٠٥ ٢٠٩ - ٢١١
 ٢٢٠ ٢٢١
 لحج او السلطنة العجبية A ٧٩ ٨١ ٨٤
 ٩٢ ١٠٦ ١٧٧ ١٢٠ ١٢٢ ١٤٨ ١٧٥
 ١٨٢ ١٨٩ ٢٢٢ ٢٥٤ - ٢٨٨
 B ١٢ ٢٤٥ ٢٥٢ ٤١٢ ٤١٢
 للحجي - للحجيين A ٢٢٢ ٢٦٧
 ٢٦٨ ٢٧١ ٢٧٨
 للعبة (ميناء) A ١٠٣ ١٧٥ ١٨٢
 ٢١٨ ٢١٦ ٢٧٥

- حرف الميم -

مالكي - مالكيون A ٢٤٢
 المأمون B ٢٧٠ ٢٤٤ ٢٨١
 مائه (كلود) B ١٢

ماروني - موارنة A ٢٤٢ B ٢٩٧
 ٣١١
 الماسونية B ١٧١

- ٩٧٥ ١٣٠ ١١٥ A (ميناء) الخفا
 ٤١١ B ٢٦٧ ١٨٧ ١٨٦
 مدحت باشا B ١٥٤ ٢٣٨
 مدغسكر (جزائر) B ١٦١
 المدينة المنورة A ٤٨ ٥٧ ٦٠ ٦٢
 ٢٩٠ ٢٨٨ - ٢٨٤ ١٢ ٨٧ B ٢٩٧
 ٢٦٧
 مذكور (الشيخ نصر آل) B ٢١٧ ٢١٩
 المذنب (بلد) B ١٠٩
 مرات (قرية) B ١٠٩
 المراقب B ١٩١ ٢٠٤
 مراکش A ٣١٠
 مراوغه (بلد) A ٢٦٠ ٢١٣
 مرجعون B ٢١٦ ٢١٧
 مرة (بنو) A ٢١٥ B ٧١ - ٧٤ ٩٩
 مرسيه B ٣٠٠
 مرسين A ٦١ ٦٥
 المرقني (احمد) A ٢٤٩ - ٢٥٢
 المرقنية (طريقة) A ٢٤٩
 المريفد (وادي) A ٩٩
 مروان (وادي) A ٣٨٥
 مسار (جبل) A ٢١٤ ٢١٥
 مسفر B ١٢٠ - ١٢٣ ١٢٧ ١٤٠
 ١٥٠ ١٤٣ ١٤٢
 مسقط A ١٥ ١٧ ١٨ B ١٠٢
 ٢٢٩ - ٢٢٠ ٢١٧ - ٢١٥ ٢٠٢ ١٥٨
 ٢٢٥ ٢١٤ ٢٢٤
 المسبح (السيد) A ١٢٠ - ١٢٢ ١٤٢
 ٢٠٢ ٢٦٦ B ٢٤٤ ٢١٤
 مسيلة B ١٠٣
 المشيمير (قرية) A ٨١ ٨٦ ٨٩ ٣٥٩
 ٢٨٨
 المشهد B ٣٤٣
 المشقر (بلد) B ١٠٩
 مصر A ٢٠ ٢٧ ٢٦ ٤٨ ٥٩ ٦١ ٦٣
 ٢٥٥ ٢٢٦ ٢٢٥ ١٥٥ ١١٥ ٧٦ ٧٢ ٦٧
- ٩٨ ٩٧ ٨٩ - ٧٩ A (قرية) ماويه
 ٢١٤ ٢٠٢ ٢٠٠ ١٧١ ١٢٦ ١١٦ ١٠٠
 ٩٧ B ٢٦٧ ٢٦٦
 مبارك B ١٢٣ ١٢١ ١٢٧ ١٤٠
 المبرد B ١٧٢
 المتاوله B ٢١٦
 المتني A ٢٨ B ١٣٥
 متنه (قرية) A ٢٠٠ ٢٠٦
 متوح (حصن) A ٢١٦
 مجدل عنجر B ٢٢٥ ٢٢٧
 المجوس B ٢٠٨ ٢١٧
 المجبري A ٢٥٢ - ٢٦٥
 المحرق (مدينة) B ٢٥ ١٨٢ ٢٠٥
 ٢٢٥ ٢٢٨
 محسن (الشريف) A ٦٢
 محسن بن علي (سلطان اليوانم السفلي)
 ٢٩٠ ٢٨٦ A
 محسن بن علي بن مانع (سلطان الخواشب)
 ٢٩٠ ٢٨٨ A
 محسن (السلطان فضل بن علي بن)
 ٢٦٣ ٢٦١ ٢٥٩ ٢٥٨ A
 محسن (الشيخ محمد علي) A ٢٩٠
 محمد بن ابونمي A ٥٥
 محمد بن عبد المعين بن عون (الشريف)
 ٥٥ A
 محمد بن عبد الوهاب B ١٠٢ ١٠٢
 محمد علي باشا A ٣٥٢ ٣٥٢
 محمد (النبي) A ٩٧ ٩٧ ٢٢ ٤٩ ٥١ ٥٧
 ٢٥٧ ٢٥٤ ٢٤٩ ٢٠٦ ٢٠١ ١٦٩ ١٢٩
 - ٢٢١ ٢١٦ ٢١٢ ٢١٧ ٢٦٥ ٢٦٠
 ٢٨٥ ٢٨٤ ٢٧٩ ٢٢٠ ٢٢٩ ٢٢٥
 ٢٠٩ ٢٠٨ ١٢١ ٩٩ ٧٨ ٧٧ ٦٩ B
 ٢٩٦ ٢٩٥ ٢٠٢ ٢٨٤ ٢٦٦
 محمية (طريقة) A ٢٥٩
 المحمره A ٢٧٤ B ٥٤ ٥٥ ٥٥ ١٥١
 ١٧٣ - ١٧١ ١٥٨

مكلاً في حضرموت A ٢٧٨ ١٧
 مكماهون (انسر آرثور) A ٥٩ — ٦٤
 ملحان (جبل) A ٢١٤
 المهابيك B ٢١٧
 مناخه (مدينة) A ١٠٦ ١٧٤ ٢٠٠
 — ٢١٩ ٢٢٤ —
 المناصير (قبيلة) B ٧٢ ٧١
 النامه (مدينة) B ٢١ ٢٤ ١٨٢
 ٢٤٠ ٢٢٤ ٢٢٨ ٢١٦ ٢٠٤ ١٦٠
 المنتصر بن المتوكل B ٢١٠
 المنتفق B ٢٢٩ ٢٢٢ ٢٧٠
 المنديل (عبد اللطيف باشا) B ٧٩ ٢٢٨
 ٢٦٢ ٢٥٠
 المنزل (قرية) A ٩٩
 المنصور B ٢٦٥ ٢٧٠ ٢٤٤
 المنصور (ابو جعفر العباسي) B ٢١٠
 المنصور (الامام) A ١٣١ — ١٣٢ ٢٥٩
 المنصون A ١٧
 المنفلوطي (مصطفى) A ٢٨٤
 المنفوحة B ٦٣ ١٠١
 مهدي بن علي (السلطان) A ٢٧٦ ٢٧٩
 مواهب (قرية) A ١١٩ ١٣٠
 مؤتمر لندن A ٢٥٢
 مؤتمر لوزان A ٢٥١ ٢٥٢
 مود (الجنرال) B ٢٦١
 موزه (شقيقة السيد سعيد بن سلطان)
 B ٢٢٥
 موسى (وادي) A ٢١٤
 موسى (وادي) B ٢٩١
 الموصل A ٦٠ ٦٠ B ٢٦٢ ٢٧٢
 ٢٥١ ٢٢٧ ٢٢٩ ٢١٠ ٢٠٢ ٢٨١ ٢٧٦
 ٤١٠ ٤٠١
 المولد A ٢١٨
 ميدي (ميناء) A ١٥٢ ٢٧٥ ٢٨٤
 ١٦١ B ٢٢٨ — ٢٢٥ ٢١٨ — ٢١٢ ٢٨٩
 ميلون B ٢٢٥ — ٢٢٨ ٢٦٧

٢٧٧ ٢٦٠ ٢٥٢ ٢٨٩ ٢٨٤ ٢٧٧ — ٢٧٠
 ١٦٩ ١١٧ ١١٥ ١٢ ٨٩ ٢٦ ١٧ B
 ٤٠٢ ٢٧٦ ٢٨٨ ٢١٦ ١٩٠ ١٨٧ ١٨١
 ٤٠٤
 المصري - المصريون A ١٤٩ ٢٢٦
 ٢٥٢ ٢٦٩ ٢٤٢ ٢٢٧
 ٤٠٢٤ ٢٩٦ ١٨٩ ١٨١ B
 مصوع (مدينة) A ٢٤٨ ٢٤٧
 مضاية (قرية) A ٢١٤
 مضر (قبيلة) B ١٣٥ ١٥٢ ٤١٢
 المطحلة (قرية) A ٢٧٧
 المطلة (قرية) B ٢١٦
 مطير (قبيلة) B ١٠٦ ١١٦ ١١٨ ١٣٦
 معان B ٢٨٩ — ٢٩٥
 معاوية B ١٧٠
 المغرب (بلاد) A ٢٥٢ ٢٥٧ ٢٧٠
 ٢٧٤ ٢٧٢
 المغربي (الحاج محمد) A ٢١٠ — ٢١٦
 المغول B ٢١٥
 مفتح (وادي) A ٢٠٧ — ٢١٠ ٢١٤
 المفلحي (الشيخ عبد الرحمن) A ٢٩٠
 مقدوني - مقدونيون B ١٩٢
 مقرن (سعود بن) B ١٠٢
 مقبل (تقي حسن بن) A ٢٩٩
 المكارمة (فرقة من الاسماعيلية) A ٢١٥
 مكة A ٩ ١٢ ٢٢ ٢٨ — ٦٤ ١٠٠
 ١٤١ ١٩٤ ٢٥٢ ٢٥٥ ٢٥٩ ٢٧١ ٢٦٦
 ٢٧٢ ٢٥٩ ٢٢٥ ٢٩٧ ٢٧٦
 ٢١٢ ٢٠٩ ١٨٤ ١٥٢ ١٣٠ ٥٧ ٢٦٥
 ٤١٤ ٢٦٧ ٢٤٢ ٢٨٨ ٢٨٤ ٢٢٤ ٢١٦
 ٤١٦
 المكتفي بن المعتضد B ٢١٢
 مكدونالد B ٢٥١
 المكبيك A ٢٢٢ ٢٢٩ ٢٩٥
 المكبر B ٢٠٩

— حرف النون —

نصرة الملك B ١٧١	نابلس B ٣١٥
النصور (قبيلة) B ٢٢١	ناصر (الشريف) A ١٥٥
نصيف (الشيخ محمد) A ٤٤	ناصر (ابوبكر بن) (سلطان العوالق السفلى) A ٢٩٠ ٢٨٥
النعمانى (عارف) A ٤٧ B ٣٢١	ناصر (بنو) A ٢٥٧ ٢٥٨
النعيم (قبيلة) B ٢٣١ ٢٣٥	الناصره B ٢٩٤ ٢٩٥
النفود B ٣٥ — ٥٤ ٦١ ٧٢ ٩٩	الناصرية (طريقة) A ٢٥٧ B ٣٦٣
١٠٩ ١١٠ ١١٢ ١١٦ ١٢٤ — ١٢٦	نايف (ابن) B ٨٧
١٢٧ ١٦٩ ٢٠١	النهبان (الشيخ خليفه بن محمد) B ١٩٦
النتيب (السيد طالب) B ٢٧٦ ٢٣٨	١٩٦ ٢١٦ ٢٠٨
٢٤٢ —	نيوكد نصر B ١٢٣
النتيب (السيد عبد الرحمن) B ١٥٢	النبي شعيب (جبل) A ٢٠٥ ٢١١ ٢١٤
النتيب (السيد عبد الرحمن الجبلاني)	نجد او البلاد النجدية A ١٠ ١٤ — ١٦
B ٢٦٦ ٢٧٦ ٢٢٧ ٢٤١ ٢٤٢ — ٢٦٠	١٨ ٥١ ٦٦ ٧٥ ١٢٨ ٢٧٨ ٢١٢
٢٦٣ ٢٦٧ ٢٩٥	٢١٢
النتيب (السيد محمود بن عبد الرحمن الجبلاني)	B وردت هذه الكلمة في أكثر صفحات
B ٢٧٤ ٢٨٠ ٢٩٥ ٢٩٦	الجزء الثاني
النته B ٣٧٢	نجد الاحمر (بتعة ارض) A ٩٦
نوبة الهراشي (قرية) B ٣٧٠	نجران A ٢١٥ B ١٨٠ ٤١١
نوري باشا السعيد B ٢٥٧	النجف A ٥٦ B ٢٦٨ ٢٧١ ٢٢٩
نويان B ١٧٠	— ٢٢٢ ٢٤٢ ٢٦٠ ٢٨٧
نواجر (الكولونل) B ٣١٧ ٣١٨	نخلان (وادي) A ٩٦ ١٠٧
نقشي (فردهريك) B ٣٩٠	النخل B ٧٢
نيرين (راجم دارين)	نديم (محمود بك) A ١١٥ ١٢٠ ١٧٥
النيل B ٣٥٨	١٧٨
نيويورك A ٦ — ١١ ٢٣ ٢٧ ٧٢	النزارية (فرقة من الاسماعيلية) A ٢١٥
٨٠ ٢١٥ ٢١٧ ٢٩٢ ٢٩١	نشأت (صبيح بك) B ٣٦٢ ٣٦٣
B ٢٦٦ ٢٨٩	

— حرف الهاء —

هالداين (السر الكبير) B ٣٣١	هاجر (بنو) B ٧١ ٧٢ ٧٣ ٢٣٣ ٢٣٤
هانلي (ارنست) B ٣٨٩ ٣٩٠	٢٣٨
هاي (الريان) A ٢٨١ — ٢٨٩	الهاشمي (ياسين باشا) B ٣٦٢ ٣٧٠ —
هَجَر B ٢٠٢ ٢١١	٢٧٢

٢٤٥ ٢٤٤ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢١٥ ٢٠٠ ١ ٢
 ٢٦٠ ٢٥٢ - ٢٤١ ٢٠٥ ٢٨٢ - ٢٨٠
 ٢٩٠ ٢٨٦ ٢٧٧ - ٢٧٠ ٢٦٥
 ١٦٠ ١١٥ ١١٢ ٩١ ٧٠ ٢٧ - ١٤ B
 ٢١٩ - ٢١٥ ٢٠٢ ١٩٢ ١٩٠ ١٨٠
 ٢٧٢ ٢٦٠ - ٢٤٥ ٢٢٩ ٢٢١ ٢٢٥
 ٤١٦ ٢٥٨ ٢٢٥ ٢٢١

الهندوس ٢٤٢ A - ٢٤٦ ٢٩٦ B ٢٠٤
 الهندية (المرأة) ٢٩١ ٧١ B
 هوغارت (الكرنل) ٦٠ A - ٢٠١ B
 هوغو (فكتور) ١٢٧ B
 هولس (المبجر فرنك) ٦٧ ٦٦ B
 الهويدير ٢٨٠ B
 هينس (القائد) ٢٥٢ ٢٤١ A
 هيرودوط ١٩٠ ١٨٩ B

الحجرية (قرية) ٢١٥ ٢١٤ A
 الهدار B ٢١٨
 الهدال (بنو) ٢٢٧ ٥٥ B
 الهدال (فهد شيخ المهارات) ٤٧ B
 ٢٢٧ ٦٧ ٦٥ ٦٤ ٥٦ ٥٠ ٤٨
 هدال (مزيد بن) ٢٢٧ B
 هذلول B ١٢٨ ١٢٢ - ١٢٧ ١٢٢
 ١٤٧ ١٤٢ ١٤١ ١٢٨
 الهذلي (ابو جندب) ٢٧ A
 حمدان (جبل) ٢١٥ A
 الهمداني (حسن بن احمد) ١٤٤ A
 هرمز (جبل) ٢٠٠ B
 هرمز (مضيق) ٢١٦ ٢١٥ B
 الهفوف B ٧٤ ٧٣ ٧١
 هلال (بنو) ١٢٤ B
 هنجام (جزيرة) ٢٧٢ B
 الهند او الحكومة الهندية ٧٤ ٢٤ ١٩ A

- حرف الواو -

وصاب (بلد) ٢٥٩ A
 وعلان (قرية) ١٠٧ ١٠٦ A
 الولايات المتحدة ٢٩٤ A
 ولس B ٢٦٠
 ولسون (آرلند) ٢٧٢ ٢٤٥ ٦٦ B
 ٢٢٥ - ٢٢٤ ٢٢٢
 ولسون (وودرو) ٢٥٩ ٤٥ ٤٤ B
 ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٢٦
 الوليد (خالد بن) ٢٠٩ B
 ونجت (ردجينلد) ٦٢ A
 وهابي - وهاميون ٢٥٦ ٥٥ ٥١ A
 ٢١٢ ٢٧٨ ٢٦٧ -
 ١٥٦ ١١٥ ٧٧ ٤٧ ٢٦ B
 الوهاية ٢٢٩ ٢٦٩ A
 ٢٢١ ٢٢٠ ١٠٢ ٦٢ ٧٨ - ٧٦ ٦٩ B
 ٤١٢ ٤١١
 الوهط (قرية) ٢٦٦ A

وادي الحرير B ٢٢٧
 وادي العين A ٢٧٥
 الواحدي (عشيرة) ٢٨٥ A
 واشنطنون (جورج) ٢٩٢ ١٢١ A
 واشنطنون (العاصمة) ٧٦ ٧٢ A
 ٢٥٦ ٢٤٨ ٢١٥ B
 الواق الواق (جزر) ٦٧ B
 وائل (بكر بن) ٤١٦ ٢٠٢ ١٥٢ B
 وائل (بنو) (قبيلة) ١٠٨ ٥٦ B
 ٢٠٨ ٢٠٢
 وائل (تقلب بن) ٢٠٢ B
 وثني - وثنيون ٢١٧ B ٢٤٢ A
 وجام (وادي) ٢١٨ A
 الوجج (ميناء) ٤٧ A
 وروه (جبل) ٨٥ A
 وسل (جبل) ٢١٨ ٢١٦ - ٢١٤ A
 ٢٢٤
 الوشم (سهل) ١٠٨ - ١٠٦ ٩٨ ٢٢ B

— حرف اليااء —

اليمن أ — في اغلب صفحات الكتاب خصوصاً في قسم الامام يحيى (امام اليمن) ١٨٠ ١٢٠ ١١٠ ١٠٧ ١٠٢ ٢٢ ١٩ ب	اليابان أ ٢٩٣ ب ١١٢ ٩١ ٢٠٧
٢٥٧ ٢٥٤ ٢١٦ ٢١٢ ٢٠٠ ١٨٧ ١٨١	اليانف - اليوانف أ ١٨٣ ٣٤٩ ٣٦٢
٤١٢ — ٤١١ ٤٠٢ ٢٢٢ ٢٠٢ ٢٨٢	٢٨٩ ٢٨٦ ٢٨٢ ٢٨١ ٢٦٧
ينبع (ميناء) أ ٤٧ ٥٠ ب ٢٨٨	ياقوت ب ٢٠٢
بني (قسطنطين) أ ١٢ — ١٤ ٢٢ ٢٨	يام (قبيلة) أ ٢١٥
— ٤٦٤ ٤٦٣ ٧٢ — ٩٥ ١٠١ ١١٨ ١٢٠	يحيى بن عبد الدين المتوكل على الله (امام اليمن)
١٢٢ ١٢١ ١٥١ — ١٥٢ ١٦٣ ١٦٥ —	١٤٨ ١٥ ١٧١ — ٢١٠ ٢٠٤ — ٢١٠ ٢١٤ ٢٧٢
٢٧٢ ٢٦٢ ٢٧٨ ٢٧٧ ٢٦٦ ٢١٧ ٢٠٩	٢٢٦ — ٢٢٢ ٢٢٠ ٢١٥ ٢٠٩ — ٢٩٤
يهودي - يهود أ ١٢٦ ١٢٩ ١٥٤	٢٨٨ ٢٨٧ ٢٦٧ — ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٤٦
١٦٧ ١٦١ — ١٧١ ٢١٥ ٢٤٥ ٢٤٢	٢٤٧ ٢٦ ٥٨ ب
٤٠١ ٢٦٢ ٢١٢ ٢٥٨ ٢٠٨ ٢٠٤ ب	اليرموك (وادي) ب ٢٩٤
يوسف بن يعقوب ب ٨٩ ١٢٥ ١٢٦	يريم (مدينة) أ ٩٨ ٩٩ ١٠١ ١٠٦
٤٠٥	٢٠٢ ٢٠١ ١٥٢ ٢٠٩
	يشيوم (بلد) أ ٢٨٤ ٣٨٥
	اليامة ب ١٠٢ ١٥٢ ٢٠٩

— تم الفهرس والجزء الثاني من الكتاب —

١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠	١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
---	---

کتاب

(المین)

۱۸۰

۲۵۷

۴۱۳

۲۸

۳۸

۱۲۰

- ۱۹۵

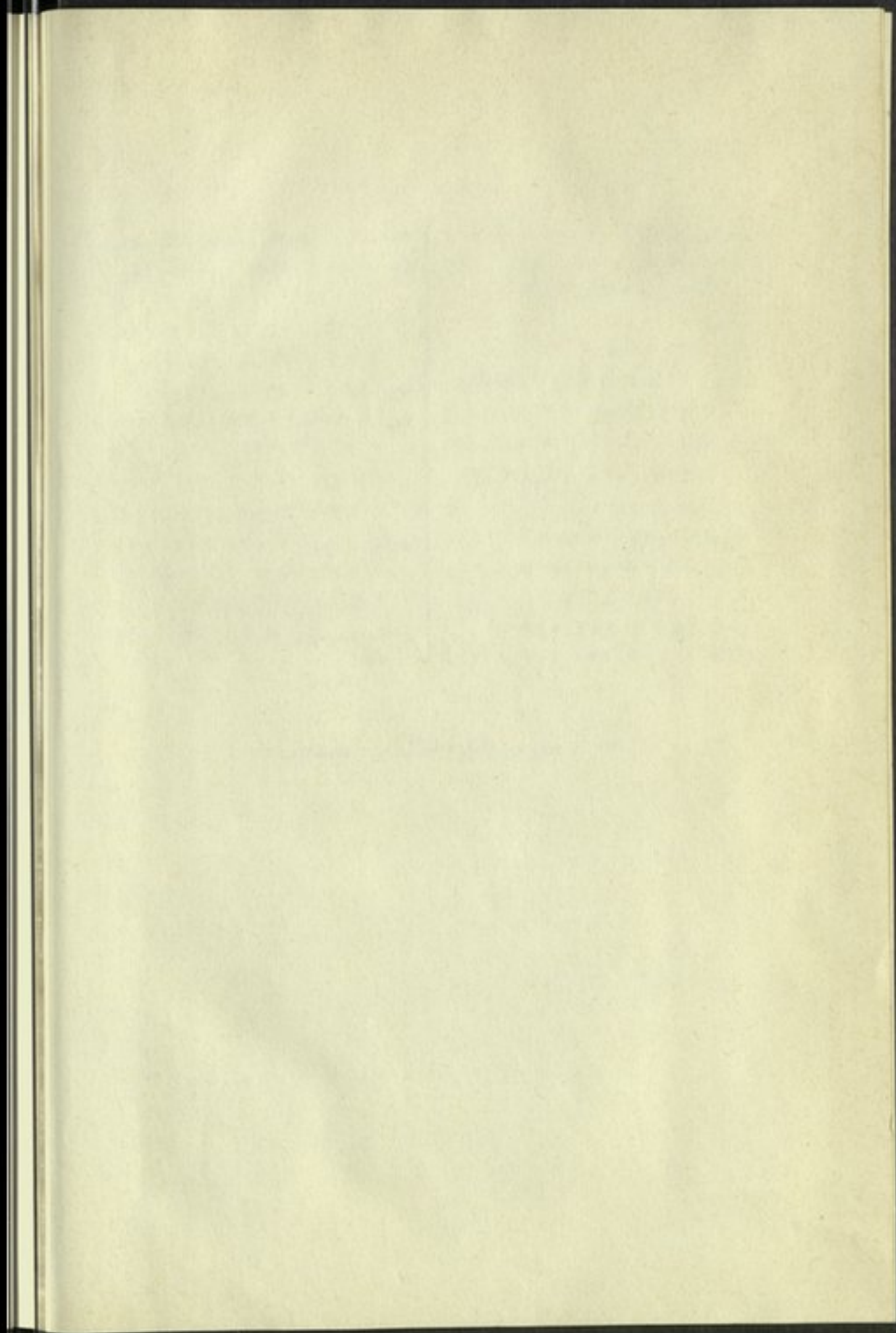
۲۷۲

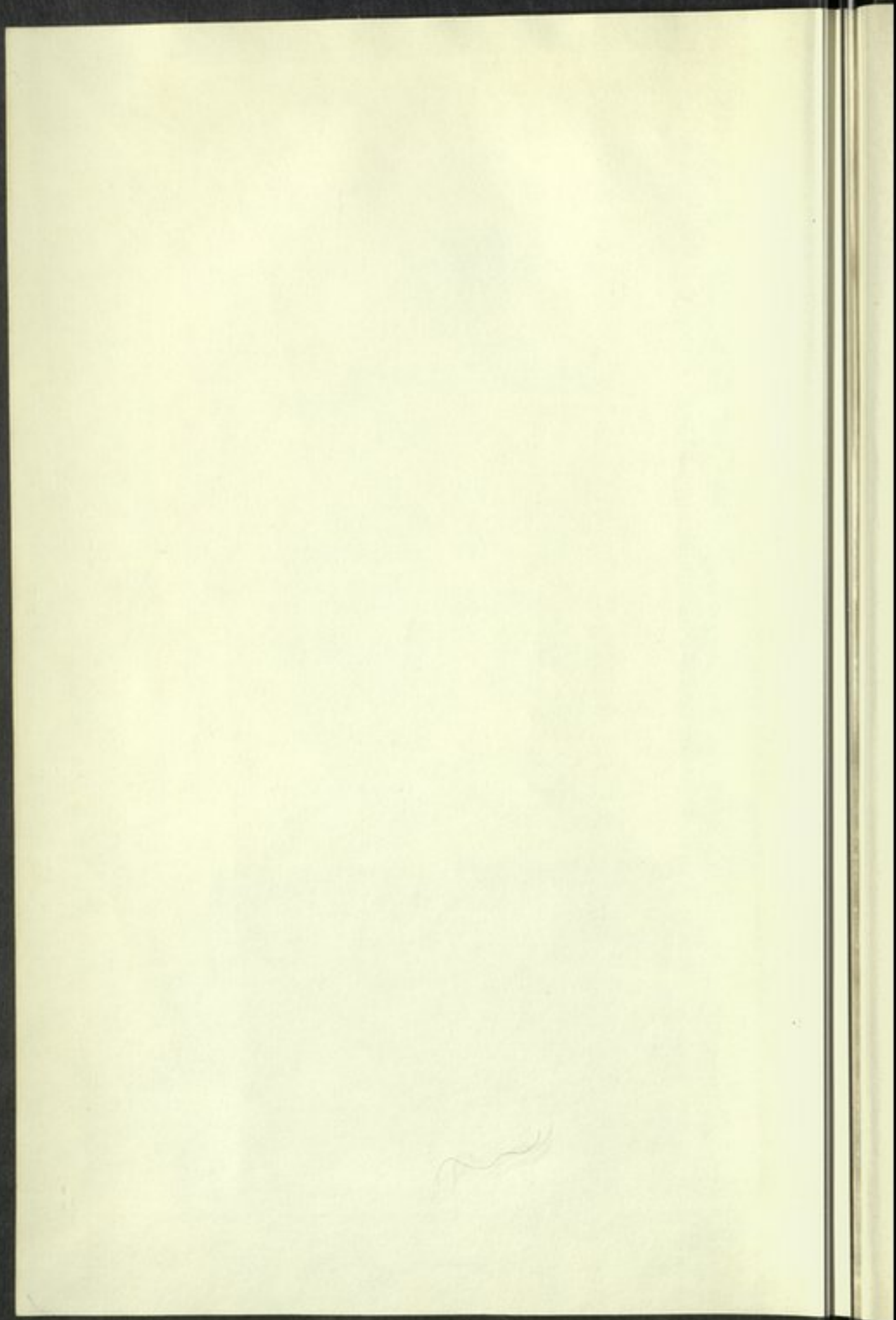
۱۵۴

۲۴۲

۴۰۱

۱۲۶





DATE DUE

J. LIB.

~~26 AUG 1979~~

J. LIB.

~~9 AUG 1979~~

915.3:R26mA:v.2:c.4

الريحاننر ،امين

ملوك العرب او رحلة في البلاد العرب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01044582

